



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

كلية التربية والعلوم الإنسانية

«فقه الدعوة من أمثال النبي ﷺ»

رسالة ماجستير

إعداد الطالبة / سارة بنت عبدالله جمعة البلوشي

إشراف الدكتور / عبدالله بن ضيف الله الرحيلي

العام الجامعي ١٤٢٥ - ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^{صَلِّ} وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٣).

أما بعد؛ فإن الله جل وعلا خلق الثقلين ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وليشكروه ولا يكفروه، ولما كانت سائر العبادات لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الرسل، وإنزال الكتب لبيان ما خُلق من أجله الجن والإنس، امتن سبحانه بإرسال رسله وإنزال كتبه وختمهم بنبينا محمد ﷺ وبكتابه العزيز، فبلغ عليه الصلاة والسلام أتم البلاغ ما أرسل به، ولم يكتف من العلم شيئا عن أمته ناشرا دعوته لكل الناس، وتم الدين، واكتمل، والتحق عليه الصلاة والسلام بربه قرير العين مطمئن النفس، مستشهدا أصحابه في أعظم اجتماع لهم في حجة الوداع: (ألا هل بلغت؟) فيقولون: نعم، فيقول: (اللهم فاشهد)، ولم تتوقف الدعوة بموته عليه الصلاة والسلام، بل بلغت ما بلغ الليل والنهار، وما زال همُّ الدعوة والقيام بها ديدن أهلها والمشتغلين بها؛ لعلمهم فضلها، وخيرها، وثمارها كما قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: (فوالله! لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) (٤).

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧.

(٤) صحيح مسلم، ج ٦، ٢٤٠٦، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ٤/١٨٧٢.

وحدیث أبی هريرة ؓ أن النبی ﷺ قال: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)^(١).

ولأن مسيرة الدعوة لا تنجح إلا بالسير في الدعوة على بصيرة، رَغِبَتِ الباحثة أن تكتبَ في موضوعِ فقهِ الدعوة، ومناهجها، وأساليبها عسى أن تنالَ بذلكَ أجرًا، وأن تُسهِمَ في خدمتها وخدمة أهلها حَسَبَ علمها وجهدها، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أهمية الموضوع

لا يخفى على الدارسين والدارسات للعلم الشرعيّ ما لحياة النبي ﷺ من أهمية كبرى في نفوس المسلمين عامةً والدعاة منهم خاصةً. ومصدر هذه الأهمية يكمنُ في أن أقواله ﷺ وتوجيهاته، وحيّ وصدقٌ ونورٌ، فينبغي للدعاة أن يُفيدوا منها في حياتهم في كل مكانٍ وزمانٍ إلى يوم الدين.

ويدور هذا البحث حول توجيهات النبي ﷺ المباركة في الأحاديث المتضمنة للأمثال والتشبيهات. ومن يتأمل فيها يجدها حافلةً بصنوفِ الدروسِ الدعوية، والفوائد العلمية التي تلزمُ معشرَ الدعاة.

ويتضح من تلك التوجيهات الكريمة الصبرُ على الدعوة، والثباتُ عليها، وانتقاءُ أفضلِ الوسائلِ والأساليبِ في الدعوة إلى الله.

وإن مما منَّ الله به عليّ في هذا الوطن الغالي، هذه الدراسةُ العلميةُ التي أحسبُ أجرها وبركتها ونفعها في الحياة وبعد الممات، والتي اخترتُ موضوعَ البحثِ فيها من ممارستي المتواضعةٍ لأعمالِ الدعوةِ ضمنِعاملاتِ في مسجدِ النبي ﷺ، بقسمِ توجيهه وإرشادِ الزائرات لهذا المسجد النبوي، فرغبتُ أن أقفَ على مناهجِ الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، التي تخدم الدعوة وتتقدم بها، وتسهم في إقبال الناس على الهداية والرشاد، فأكون قد جمعت بين وظيفتي الدنيوية، وبين احتساب أجر الدعوة على بصيرة.

وقد اخترتُ له العنوانَ التالي: ((فقهُ الدَّعْوَةِ مِنْ أَمْثالِ النَّبِيِّ ﷺ)).

(١) صحيح مسلم، ح ٢٦٧٤ كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٤/٢٠٦٠.

وتنبثق أهمية كتابة هذا البحث من الحاجة عند أهل الدعوة للإسهام في بيان قواعد الدعوة النبوية الكريمة وأساليبها الحكيمة، التي ينبغي للدعاة السير على ضوئها في الدعوة إلى الله.

وكذلك مما يجعل لهذا البحث أهمية أيضاً بذل جهدها في جمع المادة العلمية وتوثيقها، وتحليلها، ودراستها دراسة دَعَوِيَّة للتعرف على طريقة التعامل النبوي في مختلف المواقف، والوقائع، خطيباً، ومعلماً، وواعظاً، ومربيّاً، ومعاشراً إلى غير ذلك من المواقف التي برزت وظهرت في أحاديث الأمثال ومضامينها العظيمة.

أسباب الاختيار

انطلق اختياري لهذا البحث من أمور أوجزها على النحو التالي:

- ١ - أهمية هذا الموضوع على ما ذكرت سابقاً.
- ٢ - وفرة أحاديث الأمثال الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما تحويه من الفوائد والمسائل الدعوية عظيمة الفائدة.
- ٣ - خلو المكتبة من بحث دعوي يتعلق بأمثال النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - الرغبة في إثراء المكتبة الدعوية ببحثٍ عن فقه الدعوة من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان كلامه عليه الصلاة والسلام درراً جمعت الفوائد العظيمة التي يستنير بها الدعاة في طريقهم للدعوة إلى الله.

مشكلة البحث

بما أن علي أن أختار صيغة لمشكلة البحث بحسب الصيغ المعروفة في البحوث العلمية، فقد اخترت صيغة الجمل الخبرية، وسأحاول إن شاء الله الكشف عن الأمور التالية من خلال دراسة أحاديث الأمثال:

- ١ - الفقه الدعوة المتعلق بالداعية.
- ٢ - الفقه الدعوة المتعلق بالمدعو.
- ٣ - الفقه المتعلق بمنهج الدعوة، وتتضمن استخلاص المناهج والأساليب والوسائل الدعوية.
- ٤ - موضوعات الدعوة وذلك ببيان الأمر المدعو إليه من أحاديث الدراسة.

حدود البحث

- يتناول البحث أحاديث الأمثال^(١)، الواردة في الكتب التسعة^(٢).
- قصر الدراسة على الأحاديث التي فيها لفظ المثل الصريح سواء بلفظ مثل أو التشبيه بأدوات أخرى، ولا يدخل فيها الأحاديث التي سارت مسار المثل^(٣).
- قصر دراسة أحاديث الأمثال على ما يتعلق بفقهاء الدعوة.
- الاختصار على الأحاديث الصحيحة.

الدراسات السابقة

قمت بتوفيق الله باستعراض بعض مما كتب وجمع في أمثال النبي صلى الله عليه وسلم وهي كالآتي:

- ١ - كتاب الأمثال في الحديث النبوي^(٤) قام المؤلف - رحمه الله - بسرد الأمثال ثم تخرجها من مظانها، ثم شرح الغريب منها كما اعتنى المؤلف بنوعي الأمثال وهما: ما هو قول سائر مشتهر، وما هو نوع من التمثيل. أما بحثي فسيفترق عن كتاب الأمثال في جانبين: الأول - الاختصار على النوع الثاني من الأمثال. الثاني - تركيز الدراسة على فقهاء الدعوة وما يتعلق به، استخلاص الدروس والفوائد الدعوية من جميع ألفاظ الحديث الذي ورد فيه التشبيه أو التمثيل.
- ٢ - الأمثال والحكم القرآنية والنبوية والإنسانية^(٥).

(١) المثل اصطلاحاً: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر. تحفة الأحوذى بشرح الترمذى، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، المدينة المنورة، المكتبة السلفية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ٨/ ١٢٥. والمقصود بالمثل في بحثي هذا: هو تلك التشبيهات الواردة في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم المتميزة بإيجاز الألفاظ وغرارة المعاني.

(٢) البخاري، ومسلم، سنن الترمذى، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، سنن الدارمي، مسند أحمد، موطأ مالك.

(٣) تنقسم أحاديث الأمثال إلى قسمين، الأول: الأحاديث التي فيها التمثيل الصريح، الثاني: الأحاديث التي سارت مسار المثل وهو الذي لا يمكن حصره وسيتناول البحث النوع الأول فقط.

(٤) تأليف ابن أبي الشيخ الأصفهاني تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد، الهند، الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٥) تأليف وجمع يحيى العتيقي، المغرب العربي، ط أفلام الفتح. دون تاريخ.

والكتاب يتألف من جزئين:

الجزء الأول: يحوي الأمثال من القرآن الكريم.

الجزء الثاني: يحوي تنمة للأمثال من القرآن الكريم، ثم الأمثال من السنة النبوية، ثم الأمثال من أقوال البشر.

قام المؤلف بسرد الأمثال من القرآن، ثم ذكر أفكارا وآراء في معنى المثل القرآني، ثم قام المؤلف بطرح أسئلة من واقع الحياة لها علاقة بالمثل القرآني المذكور ووضعها تحت عنوان التطبيق في الحياة، ثم جمع الأمثال من الأحاديث النبوية ورتبها هجائياً مع التخريج ومعها الأمثال من أقوال الصحابة وغيرهم مع ذكر المصدر. وسيفترق بحثي عن هذا المؤلف بذكر أحاديث الأمثال المرفوعة فقط.

٣- الأمثال في الحديث النبوي الشريف^(١) وهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها، وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة.

جاء التمهيد في قسمين رئيسيين أولهما: الحديث فيها عن المثل بعامة وما يتعلق به من ضربه، وغرابته، وحكايته، وأهميته، وأنواعه، وتناول الثاني منهما: أمثال الحديث في مظاهرها المختلفة. وتناول الفصل الأول الظواهر التي شملت نوعي الأمثال الرئيسيين (أمثال التمثيل والأمثال الموجزة)، ولم تختص بنوع منهما دون الآخر، وتناول الفصل الثاني: أمثال التمثيل، ووقف على الصلة بين المثل والتمثيل، أما الفصل الثالث: فقد اختص بالأمثال الموجزة، وتضمنت الخاتمة خلاصة الدراسة، أما القسم الثاني: فتضمن الجمع والتخريج، ثم سرداً للأحاديث المجموعة المخرجة. والفرق بين هذه الدراسة ودراستي أنها دراسة لغوية، وبحثي دراسته دعوية إضافة إلى أنه شمل نوعي الأمثال أما بحثي فاقصر كما سبق على نوع التمثيل.

٤- الأمثال والشواهد في الحديث الشريف^(٢). قام المؤلف بإيراد المثل، ثم بين وجه الاستشهاد بهذا المثل، ثم أورد نص الحديث الذي ورد فيه ذكر هذا المثل.

(١) تأليف محمد جابر فياض العلواني، مكتبة المؤيد، الرياض ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٢) تأليف: يحيى بن عبدالله المعلمي، الرياض، دار المعلمي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥ - كتاب أمثال الحديث^(١).

قام المؤلف - رحمه الله - بشرح أمثال الحديث بنوعيه الأحاديث التي اشتملت على المثل الصريح، والأحاديث التي سارت مسار المثل، وتوضيح معناها بالاستشهاد من كلام الأدباء والشعراء. وسيفترق بحثي عن هذه الدراسة من جانبين الأول - الاقتصار على أحاديث الأمثال الصريحة. والثاني - تركيز الدراسة على فقه الدعوة وما يتعلق به.

من خلال القراءة في الدراسات السابقة توصلت الباحثة إلى أهمية دراسة أمثال النبي صلى الله عليه وسلم دَعْوِيًّا حيث أن الدراسات السابقة تختلف عن دراستها. إذ لم تخرج الدراسات السابقة التي اطلعت عليها الباحثة عن الأمور التالية:

حصر الأمثال النبوية، ثم تخريج تلك الأحاديث، وشرح موجز لها، وجميع تلك الدراسات سارت على نهج واحد من حيث الجمع والتخريج والشرح الموجز للحديث.

أما دراستي اعتنت بدراسة الأمثال الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم دراسة دعوية تُعنى بـ (فقه الدعوة) حيث يكون التركيز في الدراسة فيما يهيم الداعية، والمدعو، وموضوع الدعوة، ومناهج الدعوة، وأساليبها ووسائلها.

منهج البحث

اعتمدت في بحثي المنهج الاستنباطي، الذي يقوم على جمع المادة ومحاولة استقراءها، ثم تحليلها، ودراستها، واستخلاص أبرز جوانب فقهها ودروسها الدعوية.

واتجهت إلى المصادر الأصلية لتزودني بروايات صحيحة مؤثقة لأحاديث الأمثال كالصحيحين وكتب السنن ومسنند أحمد بن حنبل، وموطأ الإمام مالك.

أما المراجع المعاصرة، فقد استفدت منها في الاستنباط والمناقشة، وقمت بتوثيق النقول من مظانها، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بعزو الحديث إليهما، وإن كانت في غيرهما من كتب الحديث قمت بتخريجها قدر الإمكان.

وقد راعيت في البحث ما يأتي:

- قمت بتوفيق من الله بجمع أحاديث الأمثال الواردة في الكتب التسعة بواسطة الرجوع إلى الكتب، وبالاستعانة بالفهارس والموسوعات الحاسوبية المتنوعة.

(١) تأليف القاضي أبي الحسن الرامهرمزي، تحقيق وتعليق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الهند، الدار السلفية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

- ذكرتُ الحكم على الأحاديث بالرجوع إلى كتب العلماء التي تهتم بهذا الجانب، واستبعدت الأحاديث الضعيفة من الدراسة.
- قمت بتوزيع هذه الأحاديث على فصول الرسالة ومباحثها ووضعت كل حديث في الفصل المناسب وتحت المبحث المراد دراسته.
- قمت بعد ذلك بالرجوع إلى كتب الشروح، وقرأت شروح الأحاديث من عدة كتب ثم بدأت بالكتابة والتعليق على كل حديث بأسلوب، مع استخلاص الفقه والدروس الدعوية من تلك الأحاديث.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم ما أمكنني ذلك، وحسب ما أجده في الكتب المترجمة للصحابة، والتابعين وغيرهم.
- اجتهدت في توضيح معاني الكلمات الغريبة، من كتب المعاجم والغريب، فإن لم أجد ذهبت إلى كتب اللغة، كلسان العرب، والقاموس المحيط ونحوهما.
- كتبت الآيات الكريمة بخط الرسم العثماني، بين قوسين هلالين ووثقتها.
- قد تكرر الشواهد لوجود التداخل في بعض الموضوعات من جهة، ولتنوع الاستشهاد من جهة أخرى، فقد يكون في الحديث عددٌ من الشواهد لموضوعات البحث المتنوعة.
- قد أقحم كلمة أو كلمتين في ثنايا النصوص المنقولة وهي قليلة إذا دعت الحاجة لذلك، لربط السياق بعضه ببعض، فأعبر عن ذلك في الهامش بقولي: انظر، أو بتصريف يسير.
- قمت بعمل الفهارس المساعدة للاستفادة من البحث.

موضوعات البحث

جاءت الرسالة مكونة من أربعة فصول، اندرج تحت كل فصل عددٌ من المباحث على

النحو الآتي:

المقدمة وتشتمل على:

١ - أهمية الموضوع وسبب الاختيار.

٢ - الدراسات السابقة.

٣ - مشكلة البحث وحدوده ومنهجه.

التمهيد:

توطئة وتعريف ببعض المصطلحات.

الفصل الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالداعية.

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بعلم الداعية.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بعبادة الداعية.

المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بأخلاق الداعية.

الفصل الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالمدعو.

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق باستجابة المدعو.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بإعراض المدعو.

الفصل الثالث: فقه الأمثال المتعلق بمناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها.

المبحث الأول: المناهج الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.

المبحث الثالث: الوسائل الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.

الفصل الرابع: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بموضوعات الدعوة.

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالعقيدة.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالعبادة.

المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالأخلاق.

المبحث الرابع: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالمعاملات.

المبحث الخامس: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالحرمان.

الختمة. وتتضمن النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس. وتشتمل على ما يلي:

- ١- فهرس الآيات.
 - ٢- فهرس الأحاديث.
 - ٣- فهرس الأعلام.
 - ٤- فهرس المصادر والمراجع.
 - ٥- فهرس موضوعات البحث.
- وهذا جهدي المتواضع أقدمه بين يدي أساتذتي ومشايخي النبلاء؛ أطمع في أن ينال حظه من التوجيه والإرشاد، سائلةً المولى جل وعلا أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

شكر وتقدير

أَحْمَدُ اللهُ أَوْلًا وَآخِرًا عَلَى تَوْفِيقِهِ لِي بَكْتَابَةِ هَذَا الْبَحْثِ، وَأَتَّبِعُ هَذَا الْحَمْدَ بِشُكْرِ الْقَائِمِينَ عَلَى جَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا لِي وَلِغَيْرِي مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَطَالِبَاتِهِ، وَأَخْصَ بِالشُّكْرِ كَلِيَّةَ الدَّعْوَةِ بِالْمَدِينَةِ مُمَثِّلَةً فِي عَمِيدِهَا وَأَعْضَاءَ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ بِهَا كَمَا أَشْكُرُ الدُّكْتُورَ/حَمِيدَ بْنَ نَاصِرِ آلِ حَمِيدِ الَّذِي يَبْذُلُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُهُ مِنْ مَسَاعَدَةٍ، كَمَا أَشْكُرُ فَضِيلَةَ الدُّكْتُورِ/عَبْدَ اللهِ بْنِ ضَيْفِ اللهِ الرَّحِيلِيِّ، أَسْتَاذِي فِي سِنَوَاتِ الْمَرْحَلَةِ الْجَامِعِيَّةِ، وَخِلَالَ بَحْثِي الَّذِي سُرَّرْتُ بِإِشْرَافِهِ، فَقَدْ تَكَبَّدَ عَنَاءَ مُتَابَعَةِ هَذَا الْبَحْثِ وَتَسَدِيدِ ثَغْرَاتِهِ رَغْمَ مَشَاغَلِهِ، وَضَيْقِ وَقْتِهِ، وَظُرُوفِهِ الْخَاصَّةِ أَعَانَهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ، وَلَمْ يَخْلُ عَلَيَّ بِأَيِّ تَوْجِيهِ وَنَصْحٍ وَتَسَدِيدَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، وَمَنْهَجِيَّةٍ، وَلِغَوِيَّةٍ مُوَفِّقَةٍ، وَكُلَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَسْلُوبِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ، وَأَدَبٍ وَخَلْقٍ حَسَنٍ، وَصَبْرٍ وَتَحَمُّلٍ، فَلَهُ الشُّكْرُ وَالْعُرْفَانُ، كَمَا أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ أَعَانَنِي عَلَى كِتَابَةِ هَذَا الْبَحْثِ مِنْ زَمِيلَاتِي وَأَهْلِي وَفِي الْمَقْدَمَةِ رَفِيقَ دَرَبِي، وَشَرِيكَ حَيَاتِي، زَوْجِي الْكَرِيمَ، الَّذِي لَمْ يَخْلُ عَلَيَّ بِوَقْتٍ، أَوْ تَوْجِيهِ، أَوْ إِعَانَةٍ نَافِعَةٍ لِإِتْمَامِ هَذَا الْبَحْثِ، وَإِخْرَاجِهِ، فَلَهُ خَاصُّ شُكْرِي وَتَقْدِيرِي، وَلَا يَفُوتُنِي أَنْ أَشْكُرَ كُلَّ مَنْ أَسْهَمَ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الْبَحْثِ وَنَقْدِهِ، وَرَثَقَ فَتَقَّهَ، وَسَدَّ ثَغْرَاتِهِ، وَكُلَّ مَنْ قَدَّمَ إِلَيَّ نَصْحًا، أَوْ أَسَدَى إِلَيَّ رَأْيًا، أَوْ أَعَارَنِي كِتَابًا أَفَدَّتْ مِنْهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَمَنْ خَصَّنِي بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ، فَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَهْلٌ لِلشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهُ، وَاللهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ جَمِيعَ أَعْمَالِنَا خَالِصَةً لَهُ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا يَجِبُ وَيَرْضَى. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خَاطِرًا أَخ

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

إن أمتع الأوقاتِ وأنفسَهَا تلك التي تُقضى في طلب العلم، ومعرفة ما ينبغي فعله مما لا ينبغي، وما يجب مما لا يجب، وما يجوز وما يحرم فعله. وكل ذلك لا يتأتى لطالب العلم إلا بمدارسة العلم، ومعايشته، والوقوف على هدي الكتاب والسنة في تلك المسائل العظيمة. وقد شرفني الله تبارك وتعالى بسلوك هذا الطريق الشريف الجليل، وبضاعتي فيه مزجاة، راجية أن أستزيد وأستفيد وأفيد، سائلة الله العلي القدير السداد في كتابة بحثٍ أخدم به مكتبة علم الدعوة التي انضويت تحت رايها منذ المرحلة الجامعية، حباً فيها ورغبة في معرفة فقها على الوجه الذي لا غلو فيه ولا شطط، والله خير معين وعليه أتوكل وبه أستعين.

واخترت لبحثي العنوان التالي: ((فقه الدعوة من أمثال النبي ﷺ)). لما في هذا الموضوع من قيمة كبيرة في نفس كل مسلم؛ حيث إنه متعلق بشخص المصطفى ﷺ، إمام الدعوة وقدوتهم. والعيش مع حديثه، وسيرته، وسنته يطيب؛ لأن فيها الهدى والنور، والوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكلامه الثابت الصحيح وحي كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^(١). وفيما يلي توطئة أذكر فيها بعض المصطلحات:

(١) سورة النجم: آية ٣-٤.

توطئة

قبل الولوج في موضوع البحث يحسن بي أن أقدم له بتعريف مفردات عنوانه أذكرها كما يلي:

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له. يقال: فقه الرجل يفقه فقهاً إذا فهم وعلم، وفقه يفقه: إذا صار فقيهاً عالماً^(١). ويقال فقه الأمر فقهاً وفقهاً، أحسن إدراكه^(٢).

الفقه اصطلاحاً: ((العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفرعية، بالنظر والاستدلال))^(٣).

الدعوة لغة: من دعا الرجل فلاناً دعوته ودعاه، أي: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيته. وتداعى القوم أي: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا، ودعاه إلى الأمير: ساقه^(٤).

الدعوة اصطلاحاً: ((تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة))^(٥).
مفهوم الأمثال: جمع مثل، وهو من المماثلة والمشابهة. ومثل الشيء بالشيء: سواه به وشبّهه، وجعله مثله، وعلى مثاله. وهناك صلة وثيقة بين المثل، والمثل، فهما بمعنى واحد كالشبه والشبه، غير أنهما قد يفترقان في نحو قولك: أخوك مثلك، أي يشبّهك، ولا يقال فيه: أخوك مثلك^(٦).

وبما أن الداعية ركن من أركان الدعوة، فقد خصصت لفقه الأمثال المتعلقة به فصلاً، اعتنيت فيه بذكر أهم وأبرز الضوابط التي ينبغي أن يتقيد بها الداعية وهي:

١- العلم. ٢- العبادة. ٣- الخلق الحسن.

سأتناولها بالبحث والدراسة في الصفحات التالية:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، دون باقي معلومات النشر، مادة: فقه، ٤٦٥/٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، مادة: فقه، ٥٢٢/١٣، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، أشرف عليه عبد السلام هارون، طهران، المكتبة العلمية، دون تاريخ، مادة: فقه، ٧٠٥/٢.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ٨/١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة: دعا، ٢٥٨-٢٥٩.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٣ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص: ٤٠.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، مادة: مثل، ٦١٠-٦١٣.

الفصل الأول - فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالداعية:

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بعلم الداعية.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بعبادة الداعية.

المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بأخلاق الداعية.

المبحث الأول: فقه الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِعِلْمِ الدَّاعِيَةِ

الفصل الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالداعية

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بعلم الداعية:

إن الدراسة للأحاديث التي وردت فيها تمثيلات وتشبيهات نبوية كريمة بهدف الاستنباط لفقهاها، والوقوف على دروسها الدعوية تُجَلِّي للدارسين حقائق كثيرة تُخَدِّم دعوة الإسلام، ومنها ما يتعلق بعلم الداعية، وما ينبغي أن يكون عليه من التزام بضوابط العلم والفقه، كما سيتضح من الأحاديث التالية:

أ) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ (٢) أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبَلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلًّا (٣) وَالْعُشْبَ (٤) الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ (٥) أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ (٦) لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) (٧).

يوضح الحديث مسائل مهمة في الدعوة إلى الله، ينبغي للدعاة الوقوف عندها، والالتزام بما تضمنته من آداب وضوابط للعلم أذكرها في الصفحات التالية على النحو الآتي:

(١) عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار الأشعري المديني يكنى بأبو موسى، وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفقه أهل البصرة وأقرأهم، مات سنة ٥٠ هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتاب العربي، دون تاريخ، ٣٥٢ / ٢.

(٢) الغيث: المطر. النهاية، ابن الأثير، مادة: غيث، ٤٠٠ / ٣.

(٣) الكَلَّا: الثِّبَاتُ والعُشْبُ، وسواء رَطْبُهُ ويابسُهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: كَلَّا، ١٩٤ / ٤.

(٤) العُشْبُ: النبات مادام رطباً. النهاية، ابن الأثير، مادة: عشب، ٢٣٨ / ٣.

(٥) الأَجَادِب: صلاب الأرض، التي تُمْسِكُ الماء فلا تُشْرِبُهُ سريعاً. وقيل هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذة من الجَدْب، وهو القحط. جافة لا تنبت. النهاية، ابن الأثير،

مادة: جدب، ٢٤٢-٢٤٣ / ١.

(٦) القِيَعَان: جمع: القاع؛ وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض، يعلوه ماء السماء، فيمسكه، ويستوي نباته، النهاية، ابن الأثير، مادة: قيع، ١٣٢-١٣٣ / ٤.

شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ٢٨٩ / ١.

(٧) صحيح البخاري (مع الفتح) ج ٧٩، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ١ / ١٧٥، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج

القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ح ٢٢٨٢، كتاب الفضائل، بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ،

١٧٨٧ / ٤.

ضرورة تحلي الداعية بالعلم:

أرسل الله النبي ﷺ وزوّده بالعلم النافع الذي تحيا به القلوب، فأنزل عليه قرآناً عظيماً يدعو للأخذ بالعلم في مواضع عدة من سوره الكريمة، وقام النبي ﷺ خيراً قياماً بما دعا إليه الكتاب العزيز فيما يخص العلم، كما يتضح من وصفه لمن قبلوا العلم بأنهم طيبون؛ لأن قلوبهم تفتحت له، ولم تُعرض عنه، مُشَبَّهًا إياهم بالأرض الطيبة التي تقبل الغيث فتنتفع به وتنفع الآخرين؛ لأنهم قاموا بالدين علماً، وعملاً، ودعوةً إلى الله، فاستحقوا إرث الأنبياء. والدعاة أحوج الناس للعلم الذي يقودهم إلى الحكمة، والسداد، والرشاد، عملاً بما ورد في الحديث السابق، فإنه يدل على ضرورة تحليهم بالعلم، ونشره، والدعوة إليه، والحرص على أن يكون واقعاً في حياتهم؛ لأنهم حملة الخير للناس، وأعلام الهداية والرشاد، فعليهم واجب التزود بالعلم النافع، والتفقه في الدين؛ لكي تكون دعوتهم إلى الله على بصيرة.

وفي تشبيه النبي ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالماء دليل على حاجة الناس الكبيرة للعلم، كحاجتهم للماء؛ فكما أن الماء ضروري في إحياء البلاد والعباد كما هو واضح في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١)، كذلك فإن العقول بحاجة للعلم لتحيا وتستمر في العطاء، مما يؤكد ضرورة تحلي الداعية بالعلم لنفع الناس، وهدايتهم للطريق المستقيم؛ فبه تضاء الحياة، وتشرق الدروب المظلمة، وتحيا قلوب العباد، وبالغيث تحيا الأرض بعد موتها، وتعيش البهائم، وغيرها عيشة رغد ونعيم. والداعية حامل لهذا العلم، فهو بمرتلة الطبيب المعالج لكثير من أمراض القلوب والأبدان.

اعتماد الداعية على العلم الموثق الصحيح:

إن العلم الذي جاء به النبي ﷺ وحي وحق، ليس فيه ذرة باطل، أو تهافت أقوال، وتضاربها، سواء أكان مصدره كلام الله، أو كلامه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، كما قال المولى جلّ وعلا: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(٢).

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

وفي قوله ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى) دليلٌ على ضرورة أن يكون العلم الذي يتحلى به الداعية من مصدرٍ موثوقٍ، وأن يكون صحيحًا.

تدرج الداعية في العلم:

مما يمكن استنباطه من تشبيه النبي ﷺ العلم الذي جاء به بالغيث التدرج في طلب العلم؛ لأن الغيث حين ينزل لا ينزل فجأة، بل تسبقه الغيوم التي تحجب الشمس غالبًا، ودويُّ الرعد، وإضاءة البرق، ثم يهلُّ الغيثُ رشةً بعد رشةً، ثم يهطلُ، ويتتابعُ، ويعظمُ، وكذلك الوحيُّ لم ينزلْ على رسول الله جُملةً واحدةً، بل نزل مفصلاً، كما أخبرت بذلك عائشة^(١) رضي الله عنها في الحديث الصحيح: (أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنى أَبَدًا)^(٢). فالتدرج في طلب العلم ونشره من أبرز ضوابط علم الداعية، التي ينبغي أن يحرصَ على العمل بها؛ لأن النفوسَ بحاجةٍ إلى سياسةٍ، وترويضٍ، وخُطواتٍ مرحليةٍ حتى تُعَيَّرَ ما اعتادت عليه، وألفته مما لا نفعَ فيه. ولهذا فسَّر قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٣). أي: كونوا علماء، حُكَمَاءَ، حُلَمَاءَ، معلمين للناس، ومربيهم بصغار العلم قبل كبارهِ^(٤).

(١) عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، القرظية التميمية، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق، ولدت بعد المبعث بأربعة سنين أو خمس، تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة خديجة بنت خويلد، وعمرها ست أو سبع ودخل بها وهي بنت تسع، في شوال السنة الأولى من الهجرة، فروت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرةً غيرها، ولا أحب امرأةً حُبها. ماتت -رضي الله عنها- في سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع. انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٢/ ١٣٥-١٤٠، الإصابة، ابن حجر، ٤/ ٣٤٨-٣٥٠.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ٤٩٩٣، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ٣٩/٩.

(٣) سورة آل عمران: ٧٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص: ١٣٦.

توسُّعُ الداعية في العلم:

يؤخذ هذا الدرس الدعوي من تشبيه العلم بالغيث؛ فإن الغيث يُعمُّ خَيْرُهُ جميعَ الأرضِ، ويصعب تحديده بمكانٍ محددٍ، فكذلك العلم، بحرٌّ لا ساحلَ له، مما يؤكِّدُ على الدعاة السعي الحثيث للغرف منه، دون اكتفاءٍ، ومهما عُرفَ من البحرِ، فإنه لن ينقص، لذلك قالوا: إذا أعطيتَ العِلْمَ كُلَّكَ أعطاكَ بعضَه. وقالوا: ((لو كُنَّا نَطْلُبُ العِلْمَ لِنَبْلَغَ غَايَتِهِ، لَكُنَّا قَدْ بَدَأْنَا العِلْمَ بِالتَّقْيِصَةِ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ لِنَنْقُصَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الجَهْلِ، وَنَزْدَادَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ العِلْمِ))^(١).

تنويع الداعية لعلمه:

يستفاد من الحديث تقسيمُ النبي ﷺ الناسَ إلى أصنافٍ من حيث قبولِ الدعوة، وهذا يعني وجود الحاجة إلى أن يكون علمُ الداعية متنوعاً، وأن يكون الداعية على درايةٍ بكثيرٍ من العلوم التي يحتاجها الناسُ كافة: عالمهم، وجاهلهم، والمتقف منهم، وغير المتقف، والحاضر، والبادي، فكلُّ يُدعى بحسب ما عنده من العلم، وعلى قدرِ فهمه وثقافته، وإدراك عقله، كما قال عليٌّ^(٢): (حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)^(٣)، وقال عبد الله بن مسعود^(٤): (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ)^(٥).

(١) أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ص: ٤٣.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أول الناس إسلاماً، ورابع الخلفاء الراشدين، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وترتّب في حجر النبي ﷺ، ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وزوّجه بنته فاطمة، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، وكان قتله في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر. الإصابة، ابن حجر، ٥٠٣/٢.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٢٧، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ٢٢٥/١.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، أسلم قديماً وهاجر المجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وهو أول من جهر بالقرآن بحمكة، وكان يلازم النبي ﷺ، ويحمل نعليه، مات ٣٢ هـ. الإصابة، ابن حجر، ٣٦١ - ٣٦٠/٢.

(٥) صحيح مسلم، ح ٥، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما يسمع، ١١/١.

قال ابن حزم^(١) - رحمه الله -: ((فقد جمع رسول الله ﷺ في هذا الحديث مراتب أهل العلم دون أن يشدَّ منها شيء، فالأرضُ الطيبةُ النقيةُ هي: مثلُ الفقيهِ الضابطِ لِمَا رَوَى، الفاهم^(٢) للمعاني التي يقتضيتها لفظُ النصِّ، المتنبه على رد ما اختلف فيه الناسُ إلى نصِّ حُكْمِ القرآنِ وسنةِ رسولِ الله ﷺ، وأما الأجادِبُ المسكَّةُ للماءِ التي يستقي منها الناسُ، فهي: مثل الطائفة التي حَفِظَتْ ما سَمِعَتْ، أو ضَبَطَتْهُ بالكتاب، وأَمَسَكْتَهُ حتى أدته إلى غيرها غيرَ مُعَيَّرٍ، ولم يكن لها تَنَبُّهُ على معاني ألفاظِ ما رَوَتْ، ولا مَعْرِفَةَ بكيفيةِ رَدِّ ما اختلفَ الناسُ فيه إلى نصِّ القرآنِ والسنن التي رَوَتْ، لكن نَفَعَ اللهُ تعالى بهم في التبليغ، فَبَلَّغُوهُ إلى مَنْ هُوَ أَفْهَمُ بذلك، فَقَدْ أُنذَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بهذا إذ يقول: (فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)^(٣). وكما روي عنه عليه السلام أنه قال: (وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ)^(٤). فَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ ما سَمِعَ ولا ضَبَطَهُ، فليس مثل الأرضِ الطيبةِ ولا مثلَ الأجادِبِ المسكَّةِ للماءِ، بَلْ هُوَ: مَحْرُومٌ معذورٌ، أو مسخوطٌ بمتزلة القيعانِ التي لا تُنبتُ الكلاً ولا تُمسِكُ الماءَ... فمن استطاع منكم فليكن من أمثال الأرضِ الطيبةِ، فَإِنْ حُرِمَ ذلكَ فَمِنْ الأجادِبِ،

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، كان إليه المشي في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم، كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهرياً، فوضع == الكتب في هذا المذهب وثبت عليه إلى أن مات، وكان له تعلق بالأدب، وشنع عليه الفقهاء، وطعنوا فيه، وأقصاه الملوك وأبعده عن وطنه، وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار. ذكر ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليقه نحو أربعمائة مجلد. توفي بالبادية عشية يوم الأحد لليلتين بقينا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة. تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دا إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ١١٤٦-١١٥٤، انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، دون تاريخ، ٥٥٢/٢.

(٢) في الأصل (الفهم)، وضبطتها: الفاهم ليكون أنسب للسياق، لأنها صفة للفقيه.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٧٤١، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ٥٧٣/٣ - ٥٧٤.

(٤) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق إبراهيم عوض، أحمد شاکر، وآخرون، ح ٢٦٥٦، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، بيروت، دار التراث العربي، دون تاريخ، قال أبو عيسى: حديث حسن، ٣٣/٥ - ٣٤. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ح ٢١٣٩، ٢/٢٣٧ - ٣٣٨.

وليس بعد ذلك درجة في الفضل والبسوق^(١)، ونعوذ بالله من أن نكون من القيعان. لكن من استقى من الأجداب ورعى من الطيبة، فقد نجا وبالله التوفيق^(٢).

ومما تقدم ذكره من توضيحات للحديث المبارك، وتعليقات عليه تبرز مغازيه، وترشد إلى مراميه، يمكنني أن أجمل فوائده الدعوية التي أرى أنها تسهم في ميدان الدعوة، وتتقدم بها إلى الأمام حيث الأمل المنشود، والنجاح المتحقق بإذن الله وهي على النحو الآتي:

- أن لا يُقحمَ الداعيةُ نفسه في دعوةٍ لا سندَ لها يُعتمدُ عليه من كتابٍ أو سنةٍ، أو قولٍ معتبرٍ لصحابيٍّ، أو تابعيٍّ، أو غيرهم من أهل العلم والفضل في كل زمانٍ ومكانٍ.

- أن يجمعَ الداعيةُ العلمَ بُغيةَ الانتفاعِ، ونفعِ الآخرين، كحال الغيثِ النافعِ المباركِ، ولا يكون هُمُّه التكثرُ من العلم، دون الانتفاعِ به ونشره.

- أن يستبصر الداعية فيما ينقله من العلم، فيزن ما ينقله قبل بثِّه للمدعوين. بميزان العلماء المعتبرين، ويأخذ بتأصيلاتهم الشرعية فيما يتعلق بالتمييز بين النصوص من حيث الصحة وعدمها، ومن حيث النسخ والمنسوخ، ومن حيث المتفق عليه والمجمع عليه والشاذ والمتروك.

- الإفادة من تصوير العلم بالغيث من جهة الحالة التي ينزل بها الغيث وهي التدرج، التي تعد من أبرز ما يحتاجه الدعاة، وهم يمارسون الدعوة مع الفئات المختلفة من الناس، فمبدأ التدرج مبدأ مفيد في الدعوة إلى الله؛ لأن النفوس ينبغي أن تنتهي للانتقال من حالة إلى حالة إلى أن تستوعب ما هو مطلوب منها وما هو متحتم فعله.

- أن يمارس الداعية المرونة في تعامله مع الناس من خلال إدراك أصنافهم والعلم بطريقة التعامل مع كل صنف، وهذا يتطلب منه أن ينوع علمه، وأن لا ينحصر في جانبٍ من جوانب العلم ويتوقع عليه، بل يوسع علمه وينوعه بحيث يشمل العلم الشرعي، والطبيعي، والثقافات العامة التي يتداولها المدعوون ويعتنون بها.

(١) البسوق: علُوُّ ذُكْرِ الرَّجُلِ فِي الْفَضْلِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: بسوق، ١/ ١٢٨.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ١٣٩-١٤٠.

(ب) عن الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ^(٢) يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحَلَّلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ إِلَّا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)^(٣).

يوضح الحديث مسائل مهمة في الدعوة تتعلق بعلم الداعية، قد تقدمت الإشارة إلى بعضها، أوردتها على النحو التالي:

أهمية علم الداعية بالكتاب والسنة:

يُنَّ عليه الصلاة والسلام أنه ليس هناك فرق بين ما حرمه في سنته وما حرمه الله عز وجل؛ فعلى الدعاة إلى الله أن يكونوا على دراية وفقه لكتاب الله بتلاوته وتعهده والعمل بما فيه بتحليل الحلال وتحريم الحرام، وبسنة النبي ﷺ. بمعرفة ما فيها من أحكام مفصلة لما في كتاب الله، أو شارحة ومفسرة له، كما أن عليهم أن يبينوا للناس أن من أراد تطبيق ما في القرآن، فعليه أن يطبق ما في سنة النبي ﷺ؛ لأن ما في كتاب الله من حلال وحرام هو ما في السنة المطهرة، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٤).

إبراز الداعية ثقته بعلمه:

يُبين النبي ﷺ أنه سيكون في آخر الزمان من لا يرضى بقوله وحكمه، معتمداً على هواه، وما يحمله من شبهات، قائلاً: (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ)، لكن النبي ﷺ يدحض هذه الشبهة، ويردّها ردّ الواثق بعلمه، المستيقن بقوة حجته، مبيناً أن ما حرمه مثل ما حرم الله.

(١) المقدم بن معديكرب بن عمرو بن يزيد الكندي، كنيته أبو كريمة، صحابي جليل، أقام بالشام، وتوفي بما سنة ٨٧هـ، رضي الله عنه. الإصابة، ابن حجر، ٣/ ٤٣٤.

(٢) الأريكة: السرير، وقيل هو كل ما اتكى عليه من سرير أو فراش أو منضدة. النهاية، ابن الأثير، مادة: أرك، ١/ ٤٠.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٦٦٤، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ٣٨/٥، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ح ١٢، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه، ٦/ ١، واللفظ لابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ١٢، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٧/ ١.

(٤) سورة النساء: ٨٠.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يعرضَ الداعيةُ موضوعاتِ دعوتِهِ عرضاً مقروناً بالحجةِ الناصعةِ المأخوذةِ من كتابِ الله تعالى، ومن صحيحِ سنةِ النبي ﷺ، لأنها صِنُو القرآن لا تنفكُ عنه، ولا يستشهد بالقرآنِ الكريمِ بمعزلٍ عن صحيحِ السنةِ، فإنها الميمنةُ، والموضحةُ لآياتِ القرآنِ الكريمِ، ولا يتأتى للداعيةِ مثلُ هذا العرضِ ما لم يكنْ معتنياً بعلمِ الكتابِ والسنةِ.

- أن يستلهمَ الداعيةُ اليقينَ بحجيةِ القرآنِ وكذا السنةِ من خلال ما يتعلمه من الوحيين، اللذين لا يُعلِّمانِ إلا ما ينفعُ الناسَ؛ لأنهما من لدنْ خبيرٍ عليمٍ، وكلما قويَ اليقينُ بحجيةِ الكتابِ والسنةِ انبعثتْ وانتشرتْ في نفسِ الداعيةِ الثقةُ التامةُ بوضوحِ علمِهِ، ويُسرِهِ، ونفعِهِ، وبركتهِ.

- يفيدُ الداعيةُ من هذا الحديثِ المباركِ منهجَ ردِّ الشبهةِ بأقصرِ طريقٍ، وأسهلِ عبارةٍ، فإن مَنْ أثارَ شبهةَ الاحتكامِ للقرآنِ الكريمِ بمعزلٍ عن السنةِ المطهرةِ ردَّ النبي ﷺ شبهتهِ بجوابٍ مُختَصَرٍ يدحضُ تلكَ الشبهةَ المتهافئةَ، يُركِّزُ على قضيةِ اقتِرَانِ الكتابِ بصحيحِ السنةِ، وعدمِ فصلِ الحديثِ عن القرآنِ في الاحتجاجِ؛ لأن هذا المسلكَ خطيرٌ، ينتهي بتعطيلِ كثيرٍ من الأحكامِ الشرعيةِ، والواجباتِ الدينيةِ، التي أُجْمِلَتْ في القرآنِ العظيمِ، وقامتِ السنةُ الشريفةُ بتفصيلها وبيانها. والقولُ بهذهِ الشبهةِ سنَّةُ الخوارجِ. وما زال الإسلامُ يعاني من أمثالِ هؤلاء المنكرين لسنةِ المصطفى عليه الصلاة والسلامِ. نسألُ اللهَ أن لا ترتفعَ لهم رايةٌ، وأن يكونوا لغيرهم عبرةً وآيةً.

(ج) وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ^(١) قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: (الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَصْبَنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَ)^(٢)، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ). قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ، وَاللَّهِ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، تَرَكْنَا، وَاللَّهِ، عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ)^(٣).

يوضح الحديث مسألة مهمة من مسائل الدعوة إلى الله، وهي: **وضوح علم الداعية**، فقد وصف النبي ﷺ علمه بأنه واضح كل الوضوح، فلا غموض فيه ولا التواء، بل وضوح كوضوح الشمس في رابعة النهار، مؤكداً ذلك الوضوح بتمثيل مؤثر في النفوس، فقد مثل ليل سنته كنهارها، فلا ضلال في ضلال سنته، ولا انحراف في طريق هديه، وهكذا ينبغي للدعاة أن يدعوا إلى الله بعلم واضح لا غموض فيه.

ومما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- ينبغي للداعية أن لا ينشغل بأمور الدنيا وحطامها الفاني؛ لأن الدعوة همُّه، وهداية الناس شُغله، ونشر علمه بعد جمعه له مقصده، أما من انجرف وراء الدنيا، ولهت جارياً يستزيد من متاعها، فإنه لن يتمكن من تحصيل العلم، وبثه، ودعوة الناس إليه.
- أن لا يركن الداعية إلى التدليس وإخفاء الحقائق بحجة مصلحة الدعوة، بل ينبغي له أن يكون واضحاً بعيداً عن الالتواء، مراعيّاً في إيصال دعوته الوضوح لا التدليس. فإن السنة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ليلها ونهارها سواء، ليست مما يُحاك في الظلام ولا يُكشَفُ إلا بكلمة سرٍّ متفقٍ عليها بين الناقلين لها والداعين إليها، وليست مؤمراتٌ دنيئة تُدبَّرُ في أوكارِ المحرمين، بل هي توجيهاتٌ كريمةٌ مُعلنةٌ تُرفعُ رايةَ الخير، وشعارَ النفع لكل

(١) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية بن عامر الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، يكنى بأبي الدرداء، أقام بالشام، وتوفي بها سنة ٣٢ هـ. الإصابة، ابن حجر، ٤٦/٣.

(٢) هَيْئَةٌ: بمعنى إِيو، فأبدل من الهَمْزة هَاءً. وإِيه: اسْمٌ سُمِّيَ بِهِ الْفِعْلُ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ. تَقُولُ لِلرَّجُلِ: إِيه مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، إِذَا اسْتَزَدْتَهُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَعْهُودِ بَيْنَكُمَا، فَإِنْ نَوْنَتْ اسْتَزَدْتَهُ مِنْ حَدِيثٍ مَا غَيْرَ مَعْهُودٍ. أَي لَا يُعْمَلُ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِلَّا الدُّنْيَا، النَّهْيَةُ، ابْنُ الْأَثِيرِ، مَادَّةُ: هَيْه، ٢٩٠/٥. وقد يكون هيه: هي، ضمير الدنيا. والهَاءُ فِي آخِرِهِ لِلسَّكْتِ، مِنْ تَعْلِيقِ مُحَمَّدِ فَوَادٍ عَبْدِ الْبَاقِي عَلَى سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، ح ٥، الْمَقْدَمَةُ، بَابِ اتِّبَاعِ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ٤/١.

(٣) سنن ابن ماجه، ح ٥، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، ٤/١، سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ح ٦٨٨، الرياض، مكتبة المعارف،

١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ٣٠٨/٢، وقال - رحمه الله -: إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات.

العالمين، أما غيرها من كلام البشر، وتنظيماتهم، وترتيباتهم، فيغلب عليها الالتواء، والغموض، والخفاء، والسرية.

(د) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ^(١) سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ^(٢) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحْيَانًا ^(٣) يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ^(٤)، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ ^(٥) عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ ^(٦) عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ ^(٧) رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعْبِي مَا يَقُولُ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ ^(٨) عَرَقًا ^(٩).

يوضح الحديث جوانب أخرى متصلة بعلم الداعية، وآداب العلم التي لا غنى لأي داعية عنها، بل هي ركيزة من ركائز دعوتها العلمية، والتي بها يصل إلى العزّة والتمكين بإذن الله، أذكرها على النحو الآتي:

(١) الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي أخو أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، أسلم يوم فتح مكة، قبل مات في طاعون عمواس، وقيل استشهد يوم اليرموك. الإصابة، ابن حجر، ٢٩٣/١.

(٢) الوحي: الإعلام في خفاء، وهو الكتابة، والإشارة، والرسالة، والإهام، والكلام الخفي. النهاية، ابن الأثير، مادة: وح، ١٦٣/٥. وشرا: هو كلام الله المنزل على نبي من الأنبياء.

(٣) أحياناً: جمع حين وهو الوقت. النهاية، ابن الأثير، مادة: حين، ٤٧٠/١.

(٤) صلصلة الجرس: صوت الحديد إذا حُرِّك. يقال صَلَّ الحديد. النهاية، ابن الأثير، مادة: صلصل، ٤٦/٣. (ورد إشكال على التشبيه بصوت الجرس مع أنه مذموم لصحة النهي عنه؛ لأنه مزمار الشيطان. فكيف يشبهه به ما يفعله الملك به مع أن الملائكة تنفر عنه.

والجواب عن هذا: أنه لا يلزم من التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، والمقصود هنا: بيان الجنس فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبا لأفهامهم، والحاصل: أن الصوت له جهتان: جهة قوة، وجهة طنين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به، ومن حيث الطنين وقع التنفير منه. ويحتمل أن يكون التشبيه وقع قبل النهي عنه)). فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي و عبد العزيز بن باز، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ٢٠/١، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، سيدي محمد الزرقاني، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ، ١٣/٢.

(٥) يفصم عني: أي يُقْلَعُ وينكشف، الفصم: القطع أو الصدع بلا إبانة. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: فصم، ٤٥٢/٣.

(٦) وعيت: فهمت، وجمعت، وحفظت. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: وعاء، ٢٠٧/٥.

(٧) الملك: الملك: بفتح اللام: يعني جبريل، عليه السلام، ونزوله بالوحي. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: ملك، ٣٦٠/٤.

(٨) يتفصّد: أي يسيل عرقاً. تشبيهاً في كثرتهم بالفصّاد. النهاية، ابن الأثير، مادة: فصد، ٤٥٠/٣، وانظر: كلمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني، المغرب، مطبعة فضالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص: ١٤.

(٩) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ١٨/١.

صبر الداعية على طلب العلم:

يوضح الحديث مدى الصبر الذي كان يتحلى به النبي ﷺ وهو يتلقى العلم والوحي الإلهي؛ حيث إنه كان يعاني معاناة لا يعلم بها إلا الله، وقد بينها في هذا الحديث بقوله ﷺ: (فِيْفَصْمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ)، وقوله ﷺ: (وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ) يفهم منه أن تلقي الوحي كله شديد ولكن هذه الصفة أشدها، وفي هذا درس للدعاة إلى الله بأن يصبروا على طلب العلم؛ لأنه لا يتأتى بسهولة، وإنما يحتاج إلى صبر ومصابرة، وبذل وتضحية. وإذا لم يتحلى الداعية بهذا الأدب في طلب العلم، ويلتزم بهذه الركيزة العلمية المهمة، فإنه لن يتعلم إلا التزّر القليل، لذا قال الإمام الشافعي^(١) - رحمه الله -:

اصْبِرْ عَلَى مَرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي زَفْرَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ^(٢)

حرص الداعية وانتباهه عند طلبه للعلم:

ينبغي أن يكون الداعية حاضر القلب، والذهن عند طلبه للعلم، مُصْغِيًا لمعلمه، مُطْرَقًا في الدرس؛ ليعي ويفهم ما يُلقيه عليه المعلم، يُؤخَذُ هذا من قوله ﷺ: (فِيْفَصْمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)، وقوله ﷺ: (وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعْيِي مَا يَقُولُ).

وفي تشبيهه الوحي بمثل صلصلة الجرس، بيان لقوة الصوت النازل عليه؛ وذلك ((لِيَقْرَعَ الوحيُ سَمْعَ النَّبِيِّ ﷺ فلا يبقى فيه مكانٌ لغيره))^(٣). مما يؤكِّد أهمية حضور القلب، والانتباه، عند تلقي العلم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يلاقي من نقل القول ما لا علم

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عبدالمطلب، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في مدينة غزة بفلسطين، سنة مائة وخمسين للهجرة، ونشأ في مكة، وأقبل على الأدب والعلم، والعربية والشعر، فبرع في ذلك، ثم أقبل على الفقه، والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ، طبقات الشافعية، تاج السدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلوي، محمود الطناحي، رقم الترجمة، ١٢٨٨، مصر، عيسى البابي الحلبي، ط. الأولى، دون تاريخ، ١٩٢/١-١٩٩، طبقات الشافعية، أبو بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط. الثانية، ١٩٧٩م، ص: ١١-١٤.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي، حمص، مكتبة المعرفة، ط. الثالثة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٤م، ص: ٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ١٧٧.

له به مع وجود ذلك، فإذا سُري عنه وجد القول المنزّل بيننا مُلقىً في الروع واقعاً موقعاً المسموع^(١).

ثبات العلم ورسوخه على قدر الجهد المبذول:

يجب على الداعية أن يبذل جهوداً كبيرة، ومتابعةً في تحصيل العلم، ليزدادَ علمُه، ويثبتَ، كما هو مفهوم قوله: (يَتَفَصَّدُ عَرَقًا)، فقد شَبَّه جبينه بالعِرْقِ المفصودِ مبالغةً في كثرة العرق، وإنما حصل له ذلك من كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي؛ وإنما كان ذلك كذلك ليلو صبره، فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة^(٢).

وقد عرفَ السلفُ الصالحُ قدرَ العلم، فبذلوا الأوقاتَ النفيسةَ، والجهودَ المضنيةَ في تحصيله، ودَعَوْا إلى بذلِ الجهودِ نثرًا وشِعْرًا، ومن ذلك ما قاله الإمام الشافعي - رحمه الله -:

أخي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانٍ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ، وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ وَصُحْبَةٌ أُسْتَاذٍ، وَطُولُ زَمَانٍ^(٣)

فينبغي للداعية أن تتظافرَ جهوده طالِبًا للعلم، حريصًا على تثبيته، ورسوخه، فيشمه قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، فإنها مدحٌ لهم، ورفعٌ لشأنهم، في الدنيا والآخرة.

تنوع الداعية الطرق التي يتلقى بها العلم:

كان النبي ﷺ يتلقى الوحيَ بأساليبَ متنوعةٍ ومختلفةٍ، فأحياناً يأتيه مثل صلصلةِ الجرسِ، وأحياناً يتمثل له الملك رجلاً، فيكلمه كما يكلم الرجلُ الرجلَ، وليس المراد حصر الوحي في هاتين الحالتين، بل الغالب مجيئه عليهما؛ لأنه ثبت أن جبريلَ عليه السلام كان يأتيه في

(١) انظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الحكني الشنقيطي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤١٥هـ، ١/١٩٤-٢٠٠.

(٢) انظر: كوثر المعاني، الشنقيطي، ١/١٩٤-٢٠٠.

(٣) ديوان الشافعي، ص: ٨١.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

صورته التي خلق عليها مرتين، وفوق السماء من فرض الصلاة وغيرها، وإلقاء الملك في رَوْعِهِ من غير أن يراه.

وفي هذا التنويع في طريقة تلقي الوحي فوائد تخدم علم الداعية، منها: إبعاد الملل والسآمة عن المتلقي للعلم، وتنشيطه له، وعود له في الاستمرار في التحصيل والطلب، وتجديد للدعاة، وخروج من الرثم^(١) الذي قد يكون مُمِلًّا في بعض الأحيان، فيحتاج الداعية أن يُعَيِّرَ طريقة التحصيل، لتكون فاصلاً له عن الملل.

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يُهَيِّئَ الداعية نفسه لتحمل كل الصعاب في طريق تحصيل العلم الذي هو أقوى سلاح يملكه الدعاة، ولاغنى لهم عنه بأي حال، كما سلف في ذكر أهمية طلب العلم للدعاة إلى الله، وهو بهذه التهيئة النفسية لن يفاجأ بما سينزل عليه أو يحل به، بل سيصبر مُحْتَسِبًا، متحملاً كل صعوبة تعترضه في طريق طلب العلم.

- ضرورة أن يتحلى الداعية عند طلبه للعلم بالإصغاء، وحسن الإنصات، وتدقيق الانتباه بكل وسائله السمعية والبصرية والعقلية والقلبية؛ لتحقيق الفائدة من حضور مجالس العلم، أما إذا غلبت الغفلات عليه، وكثر منه شرود الذهن، والعبثُ بسمعِهِ وبصرِهِ بيمنةٍ ويسرّةٍ، فإنه حينئذٍ لن يعي ما يقال من العلم؛ لأن الجهد المبذول لمتابعة مجلس العلم جهدٌ ضعيفٌ لا يساعد في تثبيت المعلومة ورسوخها.

(هـ) عَنِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَعْرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي

(١) الرثم: يقال: مازال الرجل رايمًا على هذا الأمر، ورايمًا، أي: مقيمًا عليه. لسان العرب، ابن منظور، مادة: رثم، ٢٢٦/١٢.

(٢) سعيد بن عمرو الأنماري المدحجي، اختلف في اسمه، أقام بالشام، نزل حمص، تجريد أسماء الصحابة، محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ،

١٩٧/٢، الإصابة، ابن حجر، ١٦٤/٤.

مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ^(١).

يُوضِّحُ الْحَدِيثُ أَحْوَالَ النَّاسِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْخَاصٍ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

- الْعَالِمُ الْغَنِيِّ الْقَائِمُ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِلْمِهِ وَمَالِهِ.

- الْعَالِمُ الْفَقِيرُ الْعَامِلُ بِعِلْمِهِ، وَنِيَّتُهُ خَيْرٌ.

- الْغَنِيُّ الْجَاهِلُ الْمُنْفِقُ مَالَهُ فِي الْبَاطِلِ.

- الْفَقِيرُ الْجَاهِلُ ذِي النِّيَّةِ السَّيِّئَةِ.

وَالصَّنْفَانِ الْأَوْلَانِ هُمَا النَّاجِيَانِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَالصَّفَةِ الْمَشْرُوكَةِ بَيْنَهُمَا هِيَ الْعِلْمُ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- يَنْبَغِي لِلدَّعَاةِ أَنْ يُتَرَجَّمُوا مَا يَحْمِلُونَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى وَاقِعِ مَلْمُوسٍ مُحْسُوسٍ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ بِمَقْتَضَى الْعِلْمِ، فَيُزَكُّونَ عِلْمَهُمْ بِالْعَمَلِ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ الْمَالُ مَعَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ سَيَنْفَعُهُمْ فِي بَذْلِ الْمَالِ، فَيَحْصِلُ لَهُمْ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ يَكُونُونَ سَبَبًا لِتَأَثُّرِ الْمَدْعُوعِينَ بِهِمْ.

- يَجِبُ أَنْ يَجَاهِدَ الدَّعَاةُ أَنْفُسَهُمْ - انْطِلَاقًا مِمَّا تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْهُدَى وَالْخَيْرِ - لِتَنْقِيَتِهَا مِنْ شَوَائِبِ حُبِّهِ الطَّوِيلَةِ، وَالْعَمَلِ الْمُتَوَاصِلِ عَلَى تَصْفِيَتِهَا لِتَصْبَحَ نَفُوسًا نَقِيَّةً طَيِّبَةً تَتَّجِهُ نَحْوَ الْخَيْرِ، وَتَطْلُبُهُ، وَتَسْعَى إِلَيْهِ سَعْيًا حَثِيثًا، فَإِنَّ مِنْ نَوَى الْخَيْرِ وَجَدَهُ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ. فَبِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ يَدْرِكُ الدَّاعِيَةُ أَجْرَ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَمَنَّى فَعَلَهُ.

- أَنْ يَحْتَرَسَ الدَّعَاةُ إِلَى اللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ وَشَرِّهِ، فَيَنْصَرِفُوا عَنْ طَلْبِ الْعِلْمِ الَّذِي يَعْصِمُهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُمْ لِلْعِلْمِ خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، لَا يَرِيدُونَ مِنْ وِرَائِهَا مَغْنَمًا، أَوْ نَفْعًا دُنْيَوِيًّا زَائِلًا، بَلْ يَرْجُونَ بِدَعْوَتِهِمْ وَجْهَ اللَّهِ وَحَدَهُ، عَامِلِينَ بِمَقْتَضَى الزَّهْدِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، لِيَحِبَّهُمُ النَّاسُ، فَيُقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَقْتَنَعِينَ.

(١) سنن الترمذي، ح ٢٤٤١، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ٥٦٣/٤، سنن ابن

ماجه، ح ٤٢٢٨، كتاب الزهد، باب النية، ١٤١٣/٢، واللفظ لابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٤٠٦، ٤١٣/٢.

(و) عن أبي بن كعب^(١) في قصة موسى عليه السلام وفيه أنه: (ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا فَاضَتْ الْعُيُونُ وَرَقَّتْ الْقُلُوبُ وَلَّى، فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا. فَعَبَّ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ. فَقِيلَ: بَلَى. قَالَ: أَيُّ رَبِّ فَأَيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ... [وفيه قول العبد الصالح]: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا. قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّورَةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ؟ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ. فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلِمِي وَمَا عَلِمْتُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ...)(٢).

وفي رواية مسلم: (...وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ...)(٣).

يوضح الحديث مسألة مهمة، من مسائل العلم، وآدابه النافعة، ألا وهي مسألة:

اعتراف الداعية بعدم الإحاطة لكل أبواب العلم:

وضَّحَ الحديثُ ضرورةَ اعترافِ الداعيةِ بِقِلَّةِ عِلْمِهِ، وبيان عجزه عن الإحاطة بكل أبواب العلم، فإن الله أراد أن يبين لموسى عليه السلام مقدارَ عِلْمِهِ، فَرحَلَ ليتعلم من عبد الله الخضر، فلما وصل إليه علمه من علم الله ما شاء الله له أن يتعلمه، وبيّن له أن العلم لا يُحاطُ به، ولا يمكن إدراكه كُله، ولا ينحصر عند شخصٍ دون الآخرين، فقال له: (يَا مُوسَى إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ)، وَعَلَّمَهُ أَنْ يَنْسِبَ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنْ عِلْمَهُ وَعِلْمَ مُوسَى عِنْدَ اللَّهِ كَأَخْذِ عُصْفُورٍ

(١) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري، أبو المنذر، شهد بدرًا والمشاهد كلها، قال له النبي ﷺ: (يُهَيِّئُ الْعِلْمَ أبا المنذر)، وهو أول من كتب للسنن ﷺ، مات في

خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ. الإصابة، ابن حجر، ١/ ٣١-٣٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ج ٤٧٢٦، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

سَرَبًا﴾ الكهف: ٦١، ٤١٠/٨.

(٣) صحيح مسلم، ج ٢٣٨٠، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ٤/ ١٨٤٧-١٨٥٠.

من البحر بمنقاره قطرة ماء، مما يدل على عدم إحاطة أحدٍ كائناً من كان بكل العلم. ففيه صورةٌ تمثيليةٌ رائعةٌ تُؤكِّدُ وتُبَيِّنُ حجمَ العلم، ومقداره عند الناس، فمهما عَظُمَ حجمُه، فإنه يتضاءلُ أمام علم الله جل وعلا، كما بين ذلك القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).

فينبغي للدعاة إلى الله عز وجل أن يقفوا أمام هذا المثل النبوي؛ ليعرفوا قدرهم في هذا الجانب، فيلزمون التواضع من باب أولى وأحرى؛ لأن موسى نبيُّ، وهم ليسوا أنبياء، فإذا كان المعصومُ خوطبَ بعدم إمكانه الإحاطة بالعلم كُلِّه، فَمَنْ دونه أولى بذلك، وبهذا يُبْلَغُونَ ما يَبْتَغُونَهُ من وراء دَعْوَتِهِمْ، ويتحقق لهم بهذا الاعتراف ما يرجون.

خلاصة القول في علم الداعية:

وموجز ما يمكن أن أقوله فيما يتعلق بعلم الداعية، أن العلم على رأس مكونات الداعية الناجح، وهو الركيزة الأساسية الأولى في تكوينه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

((وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط، وهو: أن يكون على بصيرة مما يقول، وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور)) (٣).

وقد بوب البخاري (٤) -رحمه الله- في صحيحه فقال: ((باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ ﴾ (٥)، فبدأ بالعلم)) (٦).

(١) سورة الإسراء: من الآية ٨٥.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣) التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ١٨/١٧٩.

(٤) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، صاحب الصحيح، مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، نشأ يتيمًا، ورحل مع أمه وأخيه سنة عشر ومائتين، كان رأسًا في الذكاء، والعلم، والورع والعبادة، صنَّفَ قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم وعمره ثمان عشرة سنة، كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وما تحت أديم السماء في عصره أعلم بالحديث منه، مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. تذكرة الحفاظ، السدهي، ٥٥٥/٥٥٦.

(٥) سورة محمد: ١٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ١/١٥٩.

والدعوةُ وظيفَةٌ مصطفاةٌ لأنبياءِ الله^(١)، تَمَّتْ كُلُّ التَّامِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وكان أولُ ما أُنزلَ عليه من القرآن الكريم سورة اقرأ^(٢) وفيها قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾^(٣).

ولقد كان المتوقع في مجتمعٍ وثنيٍّ مثل بيئة قريشٍ أن تتزل الآياتُ الأولى داعيةً إلى التوحيد، ناعيةً على الوثنية والوثنيين، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم الخبير قد أنزل أولاً الآيات التي تأمرُ بالعلم، وتقييده بالقلم^(٤) ليعين أن طريق الدعوة إلى الله يبدأ قبل كل شيء بطلب العلم، بل أكد القرآن الكريم هذه الأهمية للعلم، فلا تجد في القرآن طلبَ الزيادة من شيءٍ إلا من العلم. قال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥).

قال ابن حجر^(٦) - رحمه الله - قوله: ((﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ واضحُ الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة من شيءٍ إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يُفيدُ معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتزويجه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقهاء^(٧))).

(١) انظر: الداعي إلى الله (تكوينه-مسؤوليته)، زيد عبدالكريم الزيد، الرياض، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٥هـ، ص: ٢٣، وما بعدها.

(٢) انظر: صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣، كتاب بدء الوحي، باب ٣، ٢٢/١.

(٣) سورة العلق: ١-٥.

(٤) انظر: تأملات في سيرة الرسول ﷺ، محمد السيد الوكيل، جدة، دار المجتمع، ط. الأولى ١٤٠٨هـ، ص: ٣٦.

(٥) سورة طه: ١١٤.

(٦) أحمد بن علي بن محمد الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي المعروف بابن حجر. الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة، ولد في ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٣هـ، ونشأ بها يتيماً وحفظ القرآن وهو ابن تسع ثم حفظ الكتب، أقبل على الحديث محبا وارتحل في طلبه وألف فيه الكتب النافعة ولي القضاء إحدى وعشرين سنة، ثم تركه. مات رحمه الله في أواخر ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ وتراحم الأمراء والكبراء على حمل نعشه. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ١٨٧/١-٩٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١٤١/١.

المَبْحَثُ الثَّانِي: فَهْمُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعِبَادَةِ الدَّاعِيَةِ

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بعبادة الداعية

لامرية أن يكون العاملون في حقل الدعوة من خيرة الناس، تعبدًا لله؛ لذا فإنني سأعرض في هذا المبحث ما يتعلق بعبادة الداعي من خلال ما ورد في أحاديث الأمثال المتعلقة بالعبادة التي ينبغي أن تكون صفة تميز الدعاة إلى الله؛ لأنهم الصفوة، والأسوة للمدعوين، وحينما يكون شأنهم عظيمًا في جانب العبادة، فإن الدعوة ستربح أفرادًا بل جماعاتٍ بإذن الله تعالى؛ لأن العبادة صلة بين العبد وربّه، فمتى كانت صلة الداعية قويةً بالله تعالى كان ناجحًا موفقًا في جميع أموره، وكلما زاد صلةً بالله، فإنه سيصل إلى درجة الإحسان الذي ذُكرت في حديث جبريل عليه السلام الطويل وفيه سؤاله: (مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ)^(١).

وسوف أورد جملاً من العبادات الواردة في أحاديث الأمثال، والتي ينبغي للداعية الاعتناء بها، أذكرها على النحو الآتي:

أولاً-اهتمام الداعية بالصلاة وما يتعلق بها:

إن أوجب الواجبات على العبد المسلم بعد التوحيد: الصلاة، فهي الركن الثاني في الإسلام، وعموده الذي يقوم عليه، فمن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع. وإن مكانتها عند المسلمين عظيمة، فبها يُفرَّق بين الكفر والإيمان، وبها يُعصم الدم؛ لذلك كله فإنه يلزم الدعاة إلى الله العناية بشأنها، وحسن أدائها.

ولقد وقفت على بعض جوانبها مما ورد في أحاديث الأمثال، وما تضمنته من آداب فرعية تُتمُّها وتجعلها أدعى للقبول، سأتناول ذكرها في الصفحات التالية على النحو الآتي:

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ج ٥٠، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، ١١٤/١.

١- ما يقال في الاستفتاح:

عن أبي هريرة^(١) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً^(٢) قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ هُنَيْةٌ^(٣)، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: (أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُتَقْنَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلْجِ وَالبَرْدِ)^(٤).

يوضح الحديث ما يقوله العبد المؤمن وهو قائم بين يدي الله لأداء الصلاة، وقبل أن يشرع في القراءة، وهو ما يسمى بدعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام في الصلوات السرية والجهرية. وقد ورد لهذا الدعاء عددٌ من الصيغ، لكني أورد ما فيه تشبيه وتمثيل دون غيره، ومن أراد الوقوف للاستزادة من هذه الصيغ فليراجعها^(٥).

قال ابن دقيق العيد^(٦) - رحمه الله -: ((قوله ﷺ: بالماء والتلج والبرد.. عبر بذلك عن غاية المحو، فإن الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النقاء، ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد من هذه الأشياء مجاز عن صفة يقع بها المحو، وكأنه كقولهِ

(١) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني يكنى بأبي هريرة، كناه النبي ﷺ، بهذه الكنية هرة كان يلعب بها، كان عريف أهل الصفة، أسلم عام خيبر، وشهدها مع الرسول ﷺ، كان أكثر الصحابة رواية، حمل عن النبي ﷺ، علما كثيرا مباركا، دعا النبي ﷺ، له بالحفظ وعدم النسيان، أقام بالمدينة ومات بها سنة ٥٧ هـ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، نسخة مصورة عن الطبعة المنيرية، دون تاريخ، ٢٧٠/١، سير أعلام النبلاء، السدي، ٥٧٨/٢-٦٣٢، الإصابة، ابن حجر، ٣٥٩/٢.

(٢) إسْكَاتَةٌ: بكسر أوله بوزن إفعالة من السكوت، قال الخطابي: سكوت يقتضي بعده كلاما مع قصر المدة فيه. فتح الباري، ابن حجر، ٢٢٩/٢.

(٣) هُنَيْةٌ: قليلا من الزمان، وهو تصغير: هُنَيٌّْ، ويقال: هُنَيَّْةٌ أيضا. النهاية، ابن الأثير، مادة: هنا، ٢٧٩/٥.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٤٤، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، ٢٢٧/٢.

(٥) من ذلك: كيفية صلاة النبي ﷺ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مكة المكرمة، مطبعة، الصفا، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م، ص: ٢، صفة صلاة النبي ﷺ، محمد ناصر السدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الحادية عشر، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م، ص: ٧٢-٧٦.

(٦) محمد بن علي بن وهب القشيري، ولد في شعبان، سنة ٦٢٥ هـ، الحافظ الزاهد الورع الناسك، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة، الجامع بين العلم والسدين، إضافة إلى أدب أزهي من الأزهار، كان حافظا للسانه، مقبلا على شأنه، وقف نفسه على العلوم وقصرها، وأما دأبه في الليل علما وعبادة فأمرٌ عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر، له عدد من المؤلفات، في الحديث والأصول والقواعد الكلية، نفع الله بها خلقا كثيرا، توفي سنة ٧٠٢ هـ. انظر: طبقات الشافعية، السبكي، ٢٠٧/٩-٢٤٤، الأعلام، خير الدين الزركلي، ط. الثالثة، دون باقي معلومات النشر، ١٧٣/٧.

تعالى: ﴿وَأَعْفُفْنَا وَأَعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا﴾^(١)... ويمكن أن يكون المطلوب من ذكر الثلج والبرد بعد الماء شمول أنواع الرحمة والمغفرة بعد العفو لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة، ومنه قولهم: برّد الله مضجعه، أي: رحمه ووقاه عذاب النار^(٢).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ضرورة التجاء الدعاة لربهم بالدعاء في كل أوقاتهم وأحوالهم.
- تفعيل الداعية لمبدأ الاستمرارية في الدعوة إلى الله، والإلحاح في مسألته لربه.
- وجوب اعتراف الداعية بين يدي الله بالتقصير في العبادة، واقتراح الخطايا.
- تأكيد الداعية رغبته الصادقة في الخلاص من الخطايا بألفاظ دالة على ذلك.
- اعتناء الداعية بنظافة مخبره كاعتنائه بنظافة مظهره، فاجتماع النظافتين ضرورة لنجاح الدعوة، وتأثيرها في المدعوين.
- إن تقديم الداعية بين يدي عبادته لربه يمثل هذا الدعاء المبارك دافعاً قوياً لحسن تلك العبادة، وإتقانها، وقبولها بإذن الله.

٢- ما يقال بعد الرفع من الركوع:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلءُ السَّمَاءِ، وَمِلءُ الْأَرْضِ، وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ)^(٤).

يوضح الحديث ما يقوله العبد المؤمن في صلاته بعد أن يرفع من الركوع، قائلاً سمع الله لمن حمده، يعقبه بقوله: اللهم لك الحمد ملء السماوات إلى آخر الحديث، وهذا الحمد من أبلغ الحمد لله، وأعمه. وقد ورد في هذا الموضع عدد من الصيغ في الحمد، يمكن لمن أراد الاستزادة الرجوع إليها^(٥).

(١) سورة البقرة: من آية ٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٢٣٠/٢.

(٣) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، واسم أبي أوفى علقمة، وله ولولده عبد الله صحبة، وأورده ابن حجر في القسم الثاني في من لم يره النبي ﷺ ولم يرد أنه سمع منه لصغره، وذكر أنه لم يره لولده أوفى ذكراً، وقال: وكأنه مات قبل الإسلام، الإصابة، ابن حجر، ٥٨/٣.

(٤) صحيح مسلم، ح ٤٧٦، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، ١/٣٤٦-٣٤٧.

(٥) صفة صلاة النبي ﷺ، الألباني، ص: ١١٦-١١٩.

يدعو رسول الله ربه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن يباعد بين خطاياها كالبعد الذي بين المشرق والمغرب، وفي نفس الحديث وحديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه دعاء بمحو الخطايا والتنقية من الذنوب كما تنقى الثياب البيضاء من الوسخ العالق بها، وهذا التشبيه والتمثيل يدل بوضوح على حرصه الكبير للخلاص من الخطايا، والآثام، وعدم الوقوع فيها، ليقينه بأنها مهلكة، وعاقبتها بوار.

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((المراد بالمباعدة: هو محو ما حصل منها، والعصمة عما سيأتي منها، وهو مجاز؛ لأن حقيقة المباعدة إنما هي في الزمان والمكان، وموقع التشبيه أن التقاء المشرق والمغرب مستحيل، فكأنه أراد أن لا يبقى لها منه اقتراب بالكلية))^(١).

قال النووي^(٢) - رحمه الله -: ((وقوله عليه السلام: اللهم طهرني بالثلج، والبرد، والماء البارد استعارة للمبالغة في الطهارة من الذنوب وغيرها))^(٣).

شَبَّهَ البُعْدَ بينه وبين الخطايا بالبعد بين المشرق والمغرب، وشبه الخلاص من الخطايا بنقاء الثوب الأبيض من الدنس، ووجهُ الشبهِ الخلوصُ من الشوائب في الطرفين. وفي الحديث استعارة، الغرضُ منها المبالغةُ في التنظيف من الذنوب^(٤).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دُرُوسٍ وَفَقِهِ دَعْوِيٍّ فِي الحديث السابق ما يلي:

- إبداء الداعية الحرص والسعي الحثيث للطهارة بنوعيتها الحسية والمعنوية.
- استعانة الداعية بربه لينقيه من الذنوب، ويمنع شؤمها عنه، فَيَسْلَمَ، وَتَسْلَمَ دَعْوَتُهُ.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٢/٢٣٠.

(٢) يحيى بن شرف بن حسن الحوراني، النووي الشافعي أبو زكريا يحيى الدين كان - رحمه الله - سيداً وحصوراً وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا، ولد في الحرم سنة ٦٣١ هـ بنوى، قرأ القرآن في بلده، وختم وقد ناهز الاحتلام، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ولم يتزوج، توفي في نوى ليلة الأربعاء رابع عشرين، شهر رجب سنة ٦٧٧ هـ، ودفن بها، انظر: طبقات الشافعية، السبكي، رقم الترجمة، ١٢٨٨، ٨/٣٩٥-٣٩٧، طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الدمشقي، تحقيق: د/الحافظ عبدالمعلم خان، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، ٩/٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغري برسودي الأتابكي، مصر، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومية، دون تاريخ. ٧/٢٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، يحيى بن زكريا النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. الثالثة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ٤/١٩٣.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: يحيى الدين ديب مستو وآخرين، بيروت، دار ابن كثير، ط. الأولى،

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ٢/٨٤.

- توسل الداعية بربه بأعظم الحمد، وأبلغه، وأعمه بين يدي دعوته لربه، ليستجيب دعوته الصادقة في التطهير، ومحو الذنوب، والحفظ من الوقوع في وحل المعاصي المهلكة.

- استحباب هذا الذكر، لاشتماله على ثناء بليغ لله تعالى.
- وجوب أن يتقن الداعية الصلاة، وذلك بالعمل بأركانها وواجباتها، ومن ذلك: الاعتدال والطمأنينة فيها.
- استحباب قول: سمع الله لمن حمده لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد، وكذلك قول: ربنا لك الحمد، ويجمع بينهما، فيكون قوله: سمع الله لمن حمده في حال ارتفاعه، وقوله: ربنا لك الحمد في حال اعتداله^(١).

٣- ما يقال في السجود:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ)^(٢).

وفي رواية وردت بشأن دعائه ﷺ في وتره عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي وَتْرِهِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ)^(٣).

يوضح الحديث سؤال العبد ربه أن يوفقه للثناء عليه ثناء يرضيه، ممثلاً له بثنائه سبحانه على نفسه؛ لأن العبد لا يقدر على حصر الثناء على الله، فمِنْنُهُ لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ، فكذلك الثناء عليه لا يحصى ولكن العبد الحريص على رضوان ربه يطلب منه جل وعلا أن يَعْفُوَ تَقْصِيرَهُ فِي عَدَمِ بَلُوغِهِ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ.

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٩٣/٤.

(٢) صحيح مسلم، ح ٤٨٦، كتاب الصلاة، باب ما يقال في لاركوع والسجود، ٣٥٢/١.

(٣) سنن الترمذي، ح ٣٥٦٦، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب دعاء الوتر، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ٥٦١/٥.

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٨٢٤، ٣/١٨٠.

قال الخطابي^(١) - رحمه الله -: ((في هذا الكلام معنى لطيف، وهو أنه قد استعاذ بالله، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته. والرضا والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير. ومعنى ذلك: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه. وقوله: لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أي: لا أطيعُه ولا أبلغه^(٢))).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- اعتراف الداعية بعجزه عن القيام بحق التبعّد لله.
- تحلي الداعية بالأدب في العبادة، وذلك بإظهار التذلل والاستسلام لله جل وعلا.
- التماس الداعية للأوقات التي تكون فيها استحابة الدعاء أقوى وأقرب.
- انصراف همة الداعية للعبادة مؤكّداً بهجره لذّة النوم وراحة الفراش، وإقباله على الله والناس نيام.

٤- ما يقال في سجود التلاوة:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدْتُ الشَّجَرَةَ لِسُجُودِي، وَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. ... قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي البستي، ولد سنة ٣١٩هـ، كان يُشَبَّه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلامَ علماً وأدباً، وزهداً وورعاً، وتديساً، وتأليفاً، ومن مشهور كتبه في اللغة: كتاب غريب الحديث، ومعالم السنن، وله شعرٌ جيدٌ، مات رحمه الله في حدود سنة ٤٠٠هـ، وقيل: سنة ٣٨٨هـ، انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص: ١٦٠/١، الأعلام، الرزكلي، ٣٠٤/٢.

(٢) معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٤٢١/١، شرح صحيح مسلم، النسوي، ٢٠٤/٤.

(٣) عبدالله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ لبابة بنت الحارث، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، كان حبر هذه الأمة وعالمها، كان يقال له: البحر، لكثرة علمه، دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، وقال ابن مسعود ﷺ نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وهو أحد العبادة الأربعة، وهو أحد السنة من الصحابة الذي هم أكثر رواية عن رسول الله ﷺ وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقربه ويشاوره بين أجلة الصحابة، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير، وهو ابن إحدى وسبعين سنة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٢٧٦-٢٧٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٣١/٣-٣٥٩، الإصابة، ابن حجر، ٣٢٢/٢-٣٢٦، ترجمة رقم ٤٧٨.

فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ
عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي صِصٍ وَقَالَ: (سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً
وَنَسَجَدُهَا شُكْرًا)^(٢).

إن الداعية يفتقر إلى ما عند الله تعالى، وَلَنْ يَصِلَ إِلَى حَاجَتِهِ إِلَّا بِالتَّزَوُّدِ بِالعِبَادَةِ. وَإِنَّ
أَعْظَمَ مَا يُجَلِّي العِبَادَةَ وَيُظْهِرُهَا: السُّجُودُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى، وَالدُّعَاءُ فِيهِ؛ لِذَلِكَ يَعْبرُ عَنِ
الصَّلَاةِ بِالسُّجُودِ، وَيَعْبرُ عَنِ الدُّعَاءِ بِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مَرْفُوعًا: (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً،
وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً)^(٣).

وكذلك يوضح فضل السجود وأهميته ما ورد عن ربيعة بن كعب الأسلمي^(٤) قَالَ:
كُنْتُ أُبَيِّتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ، فَقَالَ لِي: (سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ
مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ
السُّجُودِ)^(٥).

وإضافة لفضل السجود لله رب العالمين عموماً، فإنه قد اجتمع في حديث ابن عباس
فضل السجود، وتعظيم القرآن الكريم وآياته الآمرة بالسجود، والدالة على أن من أداه فهو
من عباد الله الخاضعين له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

(١) سنن الترمذي، ح ٣٤٢٤، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما يقول في سجود القرآن، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ٥/

٤٨٩، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٧٢٢، ٣/١٥١.

(٢) سنن النسائي (بشرح جلال الدين السيوطي)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ح ٩٥٦، كتاب الافتتاح، باب سجود القرآن في سورة ص، بيروت، دار المعرفة،

ط. الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢/٤٩٨، و صححه الألباني في صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ح ٩١٧، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط.

الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ١/٢٠٨.

(٣) صحيح مسلم، ح ٤٨٨، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، ٣٥٣/١.

(٤) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، كان من أهل الصفة، ولم يزل مع النبي ﷺ إلى أن قبض، فخرج من المدينة فتر في بلاد أسلم، ومات سنة ثلاث وستين في ذي

الحجة. الإصابة، ابن حجر، ١/٤٩٨.

(٥) صحيح مسلم، ح ٤٨٩، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، ٣٥٣/١.

عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١﴾. وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَهُوَ مِنَ الْمَعْرُضِينَ
 المتكبرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿١١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُكْذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿١٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤﴾﴾. فالسجود هيئة
 تسر المؤمنين وتبهجهم، بل إن النبي ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بأثر السجود. وهذا الأثر هو
 الذي يميزهم عن غيرهم، وصفوا به في القرآن العظيم، وفي التوراة، وفي الإنجيل، كما قال
 تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
 سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
 مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾﴾

قال النووي-رحمه الله- عن سجود التلاوة: ((قد أجمع العلماء عليه، وهو عند الجمهور
 سنة ليس بواجب...، وهو سنة للقارئ والمستمع له... قال العلماء: إذا سجد المستمع
 لقراءة غيره وهما في غير صلاة لم يرتبط به، بل له أن يرفع قبله، وله أن يطيل السجود
 بعده، وله أن يسجد إن لم يسجد القارئ سواء كان القارئ متطهراً، أو مُحَدَّثًا، أو امرأة،
 أو صبيًا أو غيرهم)) (٤).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ذِكْرُ الداعية لإخوانه الدعاء بالخير والذكر الحسن فيما يخصُّ عبادتهم لله.
- ابتعاد الداعية عن الاعتراض بالعمل الصالح وسؤال الله أن يقبله منه.
- إدراك الداعية لفضائل العبادة ومن ذلك: كَسْبِ الأجر، وحَطِّ الأوزار، والوصول
 إلى المنازل العالية في الجنة.

(١) سورة الأعراف: ٢٠٦.

(٢) سورة الانشقاق: ٢١-٢٤.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، ٧٤/٥.

- إبراز مدى عناية الداعية بأمر العبادَة مِنْ خلالِ انشغالِ النفسِ والعقلِ بها في كل أحواله يقظةً ومناماً.

٥- ما يقال في قنوت النوازل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ يَقُولُ: (... اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفُ)^(١).

كان عليه الصلاة والسلام يقنت عند اشتداد الأمر على الإسلام وأهله، ويسمي من يقنت عليهم، بعد أن يبلغوا من العنت والأذى ما يبلغوه من إلحاق الأذى بالمسلمين لاسيما المستضعفين منهم، فيلجأ عليه الصلاة والسلام لربه بالدعاء، الذي هو سلاحه الأقوى في مواجهة كل الخطوب، والخروج من الشدائد والحن، ومن ذلك الدعاء في الحديث السابق، وهو ما يسمى بقنوت النوازل، الذي نحن بأمس الحاجة إليه في مثل هذه الأيام الشديدة على المسلمين من قبل أعداء الدين.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِيقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- استصحاب الداعية في شؤون عبادته سيرة من مضى من عباد الله، والدعاة المنتفعين بالعبادة.

- قيام الداعية بكل ما من شأنه أن يوفر مناخاً آمناً لعبادته.

- إزالة الداعية لأي عقبة تعيق ممارسة الداعية للعبادة.

- ترجمة الداعية لما يعتقد من أن النفع والضرر بيد الله، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ

يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا

مَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢)

- أهمية إحساس الداعية بالمدعوين الذين يقع عليهم جورٌ، وظلمٌ، واضطهادٌ، وانتهاكٌ

لحقوقهم، فيبرز هذه الأهمية بدعائه على من ظلمهم، واعتدى عليهم.

- ضرورة التجاء الدعاة إلى الله في كل وقت، وتزيد هذه الضرورة عند اشتداد البلاء.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٠٠٦، كتاب الجمعة، باب دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، ٤٩٢ / ٢.

(٢) سورة النمل: ٦٢.

٦- سجود السهو:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ، وَفِيهِ: (فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا. فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ. فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ) (١).

يُجَسِّدُ الْحَدِيثُ صُورَةً مِنْ صُورِ الْحَيَاةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُهَا الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَعَ نَبِيِّهِمُ الْمُصْطَفَى، الْمَهِيْبِ عِنْدَهُمْ، الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ إِلَيْهِمْ، كَمَا يُظْهِرُ عَنَايَتَهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ، وَحِرْصَهُمْ عَلَى صِحَّتِهَا، وَعَدَمَ الْإِخْلَالَ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَكَانَ هَذَا الْحَوَارِ الْمُبَارَكِ، الَّذِي يُوْضِحُ كَيْفِيَّةَ مَعَالِجَةِ النِّقْصِ الطَّارِئِ عَلَى الصَّلَاةِ بِسَبَبِ النِّسْيَانِ، الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ لِأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ مَا نَقَصَ مِنْهَا ثُمَّ السُّجُودِ سَجْدَتَيْنِ لِلْسَّهْوِ الْحَادِثِ، كَمَا يُظْهِرُ مِنَ الْحَدِيثِ رُوحَ الْحُبِّ، وَفَتْحَ الْحَوَارِ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى أُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَاسْتِعْمَالَ الْمُرُونَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي يَنْتِجُ عَنْهَا تَغْيِيرُ الْخَطَأِ، وَعَدَمُ الْإِسْتِمْرَارِ فِيهِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إصغاء الداعية للناصحين وتقدير مناصحتهم له لاسيما في الأمور المهمة.
- إسراع الداعية لتصحيح أي خلل طرأ على العبادة.
- أهمية إتقان الداعية لعبادته والإقبال عليها قلباً وقالباً.
- استكمال الداعية للعبادة وإتمامها على وجهها المطلوب، وعدم إلغائها وإبطالها وخاصة إذا كان النقص فيها خارجاً عن قدرة العابد وعلمه.

٧- ما يقال دبر الصلوات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْدَّرَجَاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. قَالَ: كَيْفَ ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّوْا كَمَا صَلَّيْنَا، وَجَاهَدُوا كَمَا جَاهَدْنَا، وَأَنْفَقُوا مِنْ فُضُولِ

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٠١، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ٥٠٣/١، صحيح مسلم، ح ٥٧٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب

السهو في الصلاة والسجود له، ٤٠٠/١.

أَمْوَالِهِمْ وَكَيْسَتْ لَنَا أَمْوَالٌ. قَالَ: أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ وَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُمْ بِهِ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدُونَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُونَ عَشْرًا^(١).

يوضح الحديث اهتمامات الصحابة الكرام، وما يشغل أفئدتهم، فيحققون الغاية من خلقهم في الحياة، إنها العبادة شغلهم الشاغل، أحبوها فأصبحوا يدندنون بها دائماً، حتى أهل الأموال منهم لم تكن أموالهم لتشغلهم عن العبادة، وكانوا يتنافسون في الإكثار منها، رغبة لإدراك ما عند الله من المنازل، والأجور العظيمة، وفي الحديث صورة من صور تنافسهم العالي والغالي، فقد قدموا يطلبون التوجية لبلوغ مقاماتٍ عاليةٍ في العبادة، فأجابهم النبي ﷺ، وعرض لهم ما يتقدمون به على من سبقهم، وعلى من سيلحقهم، ودلهم على أمر يتفوقون به تفوقاً مطلقاً على من سواهم ممن لم يفعله، إنه التسبيح والتحميد والتكبير دبر الصلوات، والمحافظة عليه. فما أيسرَ العمل! وما أعظمَ الأجر!

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دَعَوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن حاجة الدعاة إلى الإكثار من العبادة ضرورية، وهي أعظم من كل مُتَع الدنيا، وجمع حطامها.

- عناية الدعاة بالعبادة غير محدودة؛ لأنها مصدر استلهاهم، وسر قوتهم وتحركهم في الدعوة إلى الله؛ لذلك كلما ازدادوا تعبداً ازدادوا قوة.

- توفير الداعية جواً من التنافس المندوب إليه، وبث روح التنافس في الطاعات والعبادات، خاصة الصلاة وما يتعلق بها.

- نصح الداعية لمن معه في التوجيه، وعدم إخفاء أي أمر ينفعهم مهما قل.

٨ - ما يقال في الصلاة على الجنابة:

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ^(٢) قَالَ: قَالَ: (صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ،

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٣٢٩، كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، ١١/١٣٢-١٣٣.

(٢) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، كانت معه راية أشجع يوم الفتح، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١/٤٢٩.

وَأَبْدَلُهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَعَدَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ^(١).

صلاة الجنائز من العبادات التي يقف كثير من الناس عند مجرد معرفة الحكم الشرعي لها، هل هي واجبة أم سنة ونحو ذلك، لكن الداعية إضافة إلى معرفة حكمها الشرعي، فإنه في مقدمة من يحافظ على مثل هذه العبادات، لأنه قدوة صالحة، ولأنه يبحث عن كل عمل يقربه من الله، وصلاة الجنائز قد ورد في فضلها عدد من الأحاديث منها: قوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً فَلَهُ قَبْرًا طَيِّبًا، وَمَنْ اتَّبَعَهَا حَتَّى تُوضَعَ فِي الْقَبْرِ فَقَبْرًا طَيِّبًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَا الْقَبْرُ الطَّيِّبُ؟ قَالَ: مِثْلُ أُحُدٍ)^(٢).

والدعاة أحرص الناس على اكتساب هذا الفضل والأجر. وقد اشتملت صلاة الجنائز على دعاء عظيم جامع، يستحب فيه المبالغة في الترحم على الميت، والدعاء له؛ لأنه قد أتى به لإخوانه المسلمين ليدعوا له، وليسألوا الله مغفرة ذنوبه، وستر عيوبه، وهو دعاء ينفع الميت بإذن الله، وصلاة الجنائز أربع تكبيرات، موضع الدعاء بعد التكبيرة الثالثة^(٣)، نسأل الله عز وجل تأدية هذه العبادة، ونحن موقنون بالرحيل، وأنه سيصلي علينا كما نصلي على الجنائز الحاضرة، وهذا ما يدعوننا إلى التزود من أعمال الآخرة، والإقلال من جمع حطام الدنيا الزائلة.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- اهتمام الداعية بمن حوله من المسلمين، أحياء وأمواتاً، ودعاء الله أن يُقِيلَ عَثْرَاتِهِمْ.
- إظهارُ الداعية شَفَقَتَهُ مِنْ خِلَالِ الدَّعَاءِ لِهَذَا المِيتِ بِالتَّنْقِيَةِ مِنَ الذَّنُوبِ، وَوَقَايَتِهِ عَذَابِ القَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ.
- ضرورة أن يبرز الداعية محاسن العبادة في مثل هذه الدعوات المباركات التي وردت عن المصطفى، والتي تدل بجلاء على التراحم، والتعاطف بين المؤمنين.

(١) صحيح مسلم، ح ٩٦٣، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة، ٦٦٢/٢-٦٦٣.

(٢) صحيح مسلم، ح ٩٤٥، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز، ٦٥٣/٢.

(٣) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالحسن البدر، الكويت، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص: ٢٣٠.

٩- صلاة الكسوف:

ورد التفصيل لصلاة الكسوف في الحديث التالي:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: حَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَامَ وَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى،... ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ وَأَنْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ، وَقَالَ أَيْضًا: فَصَلُّوا حَتَّى يُفْرَجَ اللَّهُ عَنْكُمْ^(١).

توجه التمثيل في حديث صلاة الكسوف، بأداء الركعة الثالثة والرابعة مثل الركعة الأولى والثانية، فركع أربع ركعات وأربع سجعات، ثم خطب الناس، فاتضحت بذلك صفة صلاة الكسوف، التي سنّها النبي ﷺ. والداعية الأريب لا يقف عند معرفة جوازها ومشروعيتها دون الاعتبار، بل لا بد من أخذ العبرة من مشروعيتها، وحكمة وقوع الكسوف.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أن يستحضر الداعية عظمة الله، والخوف منه من خلال النظر في الآفاق، تصديقا لقوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

- أن يُمَعِّنَ الداعية نَظْرَهُ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ لِيَتَذَكَّرَ بِذَلِكَ قُرْبَ النِّهَايَةِ، فَيَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ، وَيَتْرَكَ التَّسْوِيفَ.

- أن يستيقن الداعية أن من مات، فقد قامت قيامته، حيث لا عمل ولا استدراك، إنما هو الحساب في دار البرزخ، ثم دار القرار.

(١) صحيح مسلم، ج ٩٠١، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، ٧٢٠/٢.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

- أن يعنى الداعية المشفقُ على من لَمْ يَتَّعِظْ بِالآيَاتِ الْمُبْتَوَّةِ بِالْآفَاقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْأَيْتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

- أن يجليّ الداعية الحِكمَ البالغةَ لله في مثل هذه الحوادثِ، فكم لله من حِكمٍ في خلق السماوات والأرض، ولكن كما قال سبحانه: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ (٢).
وينبغي عليه أن يبين أن الكسوف لا يرتبط بموت أحدٍ ولا بحياته، ولكنه ظاهرةٌ كونيةٌ يأتي بها الله، لتخويف عباده، فينتبهوا لغدهم، ومستقبلهم، ويتوبوا من ماضيهم نادمين، مستغفرين، أوابين، خاضعين، باكين.

- أن يفزع الداعية عند حلولِ الحوادثِ المخيفةِ إلى مَنْ بيده الضر والنفع، وييده الخير كله فيدعوه، ويرجوه ويطلب الوقوفَ والقراءةَ، والدعاءَ، والتسبيحَ إلى أن يزولَ الفزعُ، وينقشعَ الكسوفُ (٣).

(١) سورة يونس: ١٠١.

(٢) سورة القمر: ٥.

(٣) تبيينها: الأول- الحسوف والكسوف هما أوقات مقدرة كما لطلوع الهلال وقت مقدر وذلك ما أجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر، والإخبار بزمن الكسوف قبل حدوثه ليس من علم الغيب، ولا من باب ما يخبر من الأحكام التي يكون كذبه أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح. بل هو من العلوم العادية التي قد يتعلمها البشر قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه: أجرى الله العادة أن الشمس لا تكسف إلا وقت الاستسرار، وأن القمر لا يخسف إلا وقت الإبدار ووقت إبداره هي: الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فالقمر لا يخسف إلا في هذه الليالي والهلال يستسر آخر الشهر ليلة تسعة وعشرين وليلة ثلاثين والشمس لا تكسف إلا وقت استسرار الهلال وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها عرف الكسوف والحسوف، وقال رحمه الله: ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك يعني على الإخبار بزمن الكسوف فلا يكادون يحطون ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي فإن صلاة الكسوف والحسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك وقال: إذا استعد الإنسان ذلك الوقت- يعني الذي أخبر به أهل الحساب- لرؤية ذلك كان ذلك من باب المسارعة إلى طاعة الله تعالى وعبادته. مجموع الفتاوى، أحمد ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، بيروت، السار العربية، ط. الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٢٤/٢٥٤-٢٥٦.

الثاني- أن ما شغلنا به الصحف من الحديث حول هذا الموضوع إنما يدل على إفلاسها من القيم حتى إنها اشتغلت بالأشياء التافهة وتركت الأمر العظيم الذي نبه له ﷺ، وبعض الصحف اليوم تسخر من ذلك وتعلم الناس أحسن طريقة لرؤية هذا الكسوف هذا الحدث الكوني كيف تستمتع برؤية هذا الحدث، ثم يبينون للناس صور الأطفال الأوربيين وغيرهم في شتى بقاع الأرض الكافرة يرسمون لهم صورهم وهم يلبسون النظارات السوداء أو غيرها لينظروا إلى الكسوف ما لنا ولهم، ولكن بعض صحفنا اليوم تجعلهم كالمثل الأعلى للناس ترسم صورهم وصور كلامهم وهم يلبسون النظارات وربما تحدثت أيضا بعض الصحف عن سهرة بالنهار تقام في هذا البلد أو ذاك واشغلت الناس بعدد الناس الذين سيتعرضون للعلمي أربعة ملايين أو أربعة مليون فاشتغلوا بمعنى البصر وتركوا الحديث عن عمى البصائر الذي عليه عامة أهل الأرض اليوم، فلو ==

ثانياً - اهتمام الداعية بالصيام وما يتعلق به:

عني النبي ﷺ بهذه العبادة الجليلة، فكان يصوم ويواصل الصوم، يصوم رمضان، والست من شوال، والأيام البيض، والاثنين والخميس، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وغيرها من مواسم الصوم، التي دعا النبي ﷺ أمته لصيامها وتحصيل بركة هذه العبادة، والتي على رأسها التقوى التي هي أعظم أسرار الصوم. وفيما يلي بعض جوانب هذه العبادة الجليلة مما ورد في أحاديث الدراسة:

١- صوم التطوع:

كان ﷺ إن لم يجد في بيته ما يأكله نوى الصوم كما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، ثُمَّ مَرَّ بِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدْ أَهْدَيْتَنِي إِلَيَّ حَيْسٌ^(١)، فَخَبَّاتُ^(٢) لَهُ مِنْهُ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحَيْسَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَهْدَيْتَنِي لَنَا حَيْسٌ، فَخَبَّاتُ لَكَ مِنْهُ، قَالَ: أَذْنِيهِ^(٣) أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ الْمُتَطَوِّعِ مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا، وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا^(٤).

يدل الحديث على جواز إفطار من صام تطوعاً، ولا يلزمه الاستمرار على الصوم، وليس عليه قضاء ذلك اليوم، وإن كان الأفضل إكمال الصوم^(٥).

ويتبين من الحديث الفرق بين صيام الفريضة وصيام التطوع في الأمور التالية:

١- النية: في صيام الفريضة لابد من تبييت النية من الليل، أما في صيام النافلة فلا يلزم ذلك، بل يجوز أن ينوي صيام التطوع في أي وقت من النهار، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ حينما لم يجد ما يأكله، فقال: أُنِي صَائِمٌ.

== اشتغلنا ولو اشتغلت صحفنا بتعليم الناس أمر دينهم وحثهم على التوبة والاستغفار وتبديل أحوالهم إلى أحسن الأحوال لكان خيراً لهم وأقوم. التنبهان: من خطبة

للشيخ عبدالرحمن السديس، إمام وخطيب المسجد الحرام، بعنوان الحكمة من كسوف الشمس، وقد تصرف في نقلها قليلاً.

(١) الحَيْسُ: هو الطعام المَّتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَالْأَقْطِ وَالسَّمْنِ، وَقَدْ يُجْعَلُ عَوَضَ الْأَقْطِ الدَّقِيقِ، أَوْ الْفَيْتِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: حيس، ١/٤٦٧.

(٢) الخبءُ: كُلُّ شَيْءٍ غَائِبٍ مُسْتَوْرٍ، يُقَالُ خَبَّاتُ الشَّيْءِ أَحْبَبُوهُ خَبَأً إِذَا أَخْفَيْتَهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: خبأ، ٢/٣.

(٣) الدُّتُو: القُرْب، أَذْنِيهِ: أَمْرٌ بِالتَّقْرِيبِ، وَهَاءٌ لِلسَّكْتِ جِيءَ بِهَا لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ. النهاية، ابن الأثير، دنا، ٢/١٣٨.

(٤) سنن النسائي، ح ٢٣٢١، كتاب الصيام، باب النية في الصيام، ٤/٥٠٦-٥٠٧، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح ٢١٨٨، ٢/٤٩٢.

(٥) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤/٢٧٢.

٢- الإفطار: يجوز في صيام التطوع، أن يفطر المتطوع متى شاء؛ لأنَّ المتطوعَ أمينٌ نفسه كما أخبر بذلك النبي ﷺ: (الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ آمِنٌ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ) (١).

وقد شبه النبي ﷺ المتطوعَ في الصومِ - كما في حديثِ عائشة رضي الله عنها - كالرجل يخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها، وإن شاء حبسها، أما في صوم الفريضة فليس للصائم الفطر إلا بعذرٍ.

٢- وصال النبي ﷺ الصوم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصالِ في الصومِ، فقال له: رجلٌ من المسلمين إنك تُواصلُ يا رسولَ الله، قال: (وَأَيْكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْلَالَ، فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَرِدُّكُمْ، كَالْتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا) (٢).

(١) سنن الترمذي، ح ٧٣١، كتاب الصوم، باب ما جاء في إفطار الصائم المتطوع، ١٠٩/٣-١١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٥٨٥، ٢٢٣/١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٩٦٥، كتاب الصوم، باب الصوم التَّنْكِيلُ لمن أكثر الردود، ٢٠٥-٢٠٦. فإن قيل: فما حكم هذه المسألة وهل الوصال جائز أو

محرم أو مكروه؟ قيل: اختلف الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال

أحدها- أنه جائزٌ إن قدر عليه. وكان ابن الزبير يواصل الأيام. ومن حجة أرباب هذا القول أن النبي ﷺ واصل بالصحابة مع نية لهم عن الوصال، ولو كان النهي للتحريم لما أبوا أن ينتهوا ولما أقرهم عليه بعد ذلك. قالوا: فلما فعلوه بعد نية وهو يعلم ويقرهم، عَلِمَ أنه أراد الرحمة بهم والتخفيف عنهم. الثاني- لا يجوز الوصال، فإن من رحمة بهم أن حرمه عليهم، وأما مواصلته بهم بعد نية، فلم يكن تقريراً لهم، كيف وقد نهاهم! ولكن تقريراً وتكبيراً فاحتل منهم الوصال بعد نية؛ لأجل مصلحة النهي في تأكيد زجرهم، وبيان الحكمة في نهيهم عنه بظهور المفسدة التي نهاهم لأجلهم، فإذا ظهرت لهم مفسدة الوصال، وظهرت حكمة النهي عنه كان ذلك أدعى إلى قبولهم وتركهم له، فإنهم إذا ظهر لهم ما في الوصال، وأحسوا منه الملل في العبادة والتقصير فيما هو أهم وأرحح- من وظائف الدين من القوة في أمر الله والخشوع في فرائضه والإيمان بحقوقها الظاهرة والباطنة. والجوع الشديد ينافي ذلك ويحول بين العبد وبينه- تبين لهم حكمة النهي عن الوصالِ والمفسدة التي فيه لهم دونه. وقد ذكر في الحديث ما يدل على أن الوصال من خصائصه عليه الصلاة والسلام، فقال: (إني لست كهيتكم) ولو كان مباحاً لم يكن من خصائصه.

القول الثالث- وهو أعدل الأقوال أن الوصال يجوز من سحرٍ إلى سحرٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا تُوَاصِلُوا، فَإِنَّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ قَلْبُوَصِلَ حَتَّى السَّحَرِ. قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيْتُ لِي مُطْعَمٌ يُطْعِمُنِي، وَسَاقٍ يَسْقِينِي). صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ١٩٦٣، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، ٢٠٢/٤، وهو أعدل الوصال وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشاؤه إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة إذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره. زاد المعاد في هدي حير العباد، ابن القيم محمد بن أبي بكر، بيروت، مؤسسة الرسالة،

١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ٣٨-٣٥/٢. بتصرف.

قال ابن تيمية^(١) - رحمه الله -: ((وأما الوصال في الصيام، فقد ثبت أنه ﷺ نهي عنه أصحابه، ولم يُرخص لهم إلا في الوصال إلى السحر، وأخبر أنه ليس كأحدهم. وقد كان طائفة من المجتهدين في العبادة يواصلون، منهم: من يبقى شهراً لا يأكل ولا يشرب، ومنهم: من يبقى شهرين وأكثر وأقل، ولكن كثيراً من هؤلاء ندم على ما فعل، وظهر ذلك في بعضهم؛ فإن رسول الله ﷺ أعلم الخلق بطريق الله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفضل الخلق، وأطوعهم له، وأتبعهم لسنة.

والأحوال التي تحصل عن أعمال فيها مخالفة السنة أحوالٌ غيرٌ محمودة، وإن كان فيها مكاشفاتٌ وفيها تأثيراتٌ، فمن كان خبيراً بهذا الباب، علم أن الأحوال الحاصلة عن عباداتٍ غيرٍ مشروعة، كالأموال المكسوبة بطريقٍ غيرٍ شرعي، والمُلْك الحاصل بطريقٍ غيرٍ شرعي. فإن لم يتدارك الله عبده بتوبة يتبع بها الطريق الشرعي وإلا كانت تلك الأمور سبباً لضررٍ يحصل له^(٢).

قال ابن القيم^(٣) - رحمه الله -: ((قد اختلف الناس في هذا الطعام والشراب المذكورين على قولين:

أحدهما - أنه طعامٌ وشرابٌ حسيٌّ للفم. قالوا: وهذه حقيقة اللفظ، ولا موجب للعدول عنها.

الثاني - أن المراد به ما يُعَدِّيهِ اللهُ به من معارفه، وما يفيضُ على قلبه من لذة مناجاته، وقرّة عينه بقربه، وتنعمه بحبه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي: غذاء القلوب،

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، أحد الأعلام، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، شيخ الإسلام، وعلم الزهاد، ونسادة العصر، كان من بحور العلم والأذكياء المعدودين، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد، أتى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاثمائة مجلد، امتحن وأوذى وحبس عدة مرات، وتوفي بالسجن في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وشهده أمم لا يحصون. تذكرة الحفاظ، الذهبي، ٤/١٤٩٦-١٤٩٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٠٥/٢٢.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١، كان واسع العلم، كان محباً لابن تيمية وملازماً له وأخذ عنه الكثير من العلوم، كان كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق، كثير التودد لا يحسد ولا يحقد، وله تصانيف كثيرة منها أعلام الموقعين، وبدائع الفوائد، وطرق السعادتين، ومفتاح دار السعادة، وغيرها من المصنفات المفيدة والمرغوبة، مات في ثالث عشر شهر رجب سنة ٧٥١هـ. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي ابن حجر

العسقلاني، بيروت، دار الجيل، دون تاريخ، ٤٠٠/٣ - ٤٠٣.

وَنَعِيمُ الأرواحِ، وَقُرَّةُ العَيْنِ، وَهَجَّةُ النفوسِ والروحِ والقلبِ بما هو أعظمُ غذاءٍ وأجودُهُ وأنفعُهُ. وقد يَقْوَى هذا الغذاءُ حتى يُعْغِي عن غذاءِ الأَجسامِ مَدَّةً مِنَ الزمانِ^(١).

٣- قيام ليلة القدر وعلامتها:

عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ الأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَظِيئًا صَبِيحَةَ عَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ: (مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي وَثْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ. وَكَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ، فَأَمْطَرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَرْنَبَتِهِ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ)^(٢).

يوضح الحديث عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتكاف في رمضان أوله ووسطه وآخره. والتماس ليلة القدر في الوتر من عشره الأواخر طلباً لفضلها وأجرها وسعادتها.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ فيما يتعلق بالصوم وما يلحق به ما يلي:

- أهمية أن يحرر الداعية نفسه من العادات التي تحكم كثيراً من بني الإنسان، وأصبح الكثير منهم- في ظل تلك العادات التي تحكمهم- آلاتٍ تسير على نَسَقٍ مُعَيَّنٍ، يؤدون أعمالاً محدودةً مبتعدين عن المرونة التي تفرق بينهم وبين الآلات. وبالصوم يتحرر المرء من تلك العادات المُدَلَّةِ لِلإنسان.

- ضرورة إحساس الداعية بالآخرين الذين يكابدون ألمَ الجوع بسبب قلة ذات اليد، وفي الصوم يشعر المرء بالجوع، فتتجه نفسه للتفكير في الفقراء الذي لا يجدون الطعام، ويبيتون معظم لياليهم طاوئين من الجوع، فينشأ عن تفقد أولئك الفقراء تماسك المجتمع وسعادته، وتربطُ الداعية مع المدعويين بالقول والفعل.

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٢/٣٢٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٨١٣، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، والسجود على الطين، ٢/٢٩٨.

- إن عناية الداعية بالصوم مهمة؛ لأنَّ الصوم يعد بمثابة مدرسةٍ، ودوراتٍ دعويةٍ ناجحةٍ للارتقاء بنفسه وسموها، وتربية الإرادة لديه، وتقوية العزيمة عنده، وتحصيل الصبر وممارسته.

- أهمية أن يحرص الداعية على قيام رمضان والتماس بركة ليلة القدر في العشر الأواخر منه وذلك لعظم أجورها، والسعيد من وفقه الله لقيامها.

ثالثاً - اهتمام الداعية بالحج وما يتعلق به:

الحج من العبادات الشاقة، والمضنية، لا يُوفَّقُ إليها وإلى فضلها إلا من يحبه الله؛ لذلك رتب الله على فعلها أموراً وأجوراً عديدةً منها:

- ضمان الله للحاج^(١).

- أنه يهدم ما قبله من سوء^(٢).

- أنه يقضي على الفقر، والذنوب^(٣).

- أن الحج المبرور جزاؤه الجنة^(٤).

وإن أول من يحتسب أجرَ عبادة الحج الدعاء إلى الله؛ لأنهم أحرصُ الناسِ على الخير، ومواسمِهِ. وموسمُ الحجِّ من أنفعِ المواسمِ، وأعظمِها زاداً للدعاة إلى الله، والحج تشريعٌ ومناسكٌ عمليةٌ، وعبادةٌ روحيةٌ، فيه تشرق النفوسُ بأنوار الطاعات، ويسطعُ الحقُّ في حسن الأسوة بالنبي ﷺ، واقتفاء أثر سنته في المناسك.

وفي الحج دون ذلك منافعٌ مادية للفرد والجماعة بشرهم الله بها في كتابه الكريم، فقال

سبحانه وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾^(٥)

فالمنافعُ بعمومها روحيةٌ وماديةٌ تتحقق بالطاعة لله، والتعاون فيما بين المسلمين، وتبادل المنافع المادية بين الحجاج.

(١) كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ح ٣٠٥١، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) كما في صحيح مسلم، ح ١٢١، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، ١١٢/١.

(٣) انظر: صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، ح ٢٣٣٤، ١٤٨/٢.

(٤) انظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني، ح ٧٤١، ٢٧٦/١.

(٥) سورة الحج: ٢٨.

ومما ارتأيت أن أوردته فيما يتعلق بعبادة الداعية بشأن فريضة الحج المباركة، التركيز على صفة حج النبي ﷺ التي ذكرها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، والقيام بتجزئ الحديث حسب الأعمال التي قام بها عليه الصلاة والسلام، في حجه الشريف على النحو الآتي:

١- الاستعداد للحج والتهيؤ للخروج، والمرور بالمبقيات:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١) قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِشَرِّ كَثِيرٍ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ. حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ) (٢).

إن عبادة الحج، من أجل العبادات، وأسمى وسائل قيادة المسلم إلى الله تبارك وتعالى، فإنها ترفعه وترتقي به إلى عالم الطهر، والنظافة، والبراءة من الذنوب، إذا أدب على وجهها المشروع؛ لذلك دعا النبي ﷺ لتأدية هذه العبادة، وأعلم الناس أنه خارج في سنته تلك إلى الحج، فلما وصل الخبر إلى الناس قَدِمُوا إليه من المدينة ومن خارجها، يريدون الحج معه، وقد تم لهم ما أرادوا، ونتج عن تلك الحجة تعاليم خالدة، وآداب رفيعة، ودعوة للرفق الإنساني، ووصايا كريمة، فيها الخير كله.

٢- أنواع النسك:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (١) ... قَالَ: أَهَلَّلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ... فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ وَقَالَ: (أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النَّسَاءِ... وَلَمْ يَعْزَمِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّهِنَّ لَهُمْ، فَبَلَّغَهُ أَنَا

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، وهو أحد المكثرين عن النبي ﷺ، شهد العقبة، وشهد تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، ومات سنة ٧٨ هـ. الإصابة، ابن حجر، ١/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ٢/٨٨٦-٨٨٧. ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ما يقارب: تسعة أكيال، تقع بوادي العقيق عند سفح جبل غير الغري، تعرف اليوم بأبيار علي، ومنها مبقات أهل المدينة، ومن مر بها حاجاً أو معتمراً، وبها مسجد الشجرة، معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م، ٢/٢٩٥، العالم الأثيرة في السنة والسير، محمد محمد حسن شراب، دمشق، دار القلم، ط. الأولى،

١٤١١ هـ/١٩٩١ م، ص: ١٠٣.

تَقُولُ: لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ^(١) إِلَّا خَمْسٌ أَمَرْنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا، فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَنْظُرُ مَذَاكِيرِنَا الْمَذِي!... فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَنْتَقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَصْدُقُكُمْ، وَأَبْرُكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ، فَحِلُّوا، فَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُمْ، فَحَلَلْنَا، وَسَمِعْنَا، وَأَطَعْنَا)^(٢).

يوضح الحديث أنواع الإهلال التي تُشَرَعُ في الحج وهي ثلاثة:

- ١- الإحرام مفرداً بالحج. وهو ما يسمى بالإفراد.
 - ٢- الإحرام مقترناً بالحج والعمرة. وهو ما يسمى بالقران.
 - ٣- الإحرام بالعمرة ثم الإهلال بالحج من مكانه بمكة. وهو ما يسمى بالتمتع.
- ولا خلاف بين العلماء على جواز الإحرام بأحد الأنساك الثلاثة.

وقد ورد تصريح بهذه الأنواع الثلاثة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوَافِينَ لِهَيْلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، فَقَالَ لَنَا: (مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُهَلَّ بِالْحَجِّ فَلْيُهَلِّ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهَلِّ بِعُمْرَةٍ، فَلَوْلَا أَنِّي أَهْدَيْتُ لِأَهْلَتِي بِعُمْرَةٍ. قَالَتْ: فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ، وَكُنْتُ مِمَّنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ..)^(٣).

وفي رواية لمسلم: (فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ. وَأَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَجِّ؛ فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَحَلَّ، وَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ أَوْ جَمَعَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَلَمْ يَحِلُّوا حَتَّى كَانَ يَوْمَ النَّحْرِ)^(٤). والداعية يراعي في عبادته الأفضل والأكمل له، ولا يُلْزَمُ أحداً من المدعوين بما يختاره من هذه الأنساك الثلاثة، فالكل مشروعٌ وجائزٌ.

٣- التزول بنمرة والخطبة فيها:

من حديث جابر رضي الله عنه السابق: (فَأَجَّازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنِمْرَةٍ، فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرَحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،

(١) عَرَفَةُ: حدّها من الجبل المشرف على بطنِ عَرَفَةَ إلى جبالِ عَرَفَةَ، وهي المشعر الأقصى من مشاعر الحج على الطريق بين مكة والطائف، على ثلاثة وعشرين كيلاً شرقاً من مكة، معجم البلدان، الحموي، ١٠٤/٤، المعالم الأثير، محمد شراب، ص: ١٨٩.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٣٦٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلا ما تعرف بإباحته، ٣٣٧/١٣.

(٣) صحيح البخاري، ح ١٧٨٣، كتاب الحج، باب العمرة ليلة الحصى وغيرها، ٦٠٥/٣.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٢١١، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع، ٨٧٣/٢.

فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِيَّ مَوْضُوعٌ...^(١). قرر النبي ﷺ في هذا الحشد الكبير من المسلمين مبادئ خالدة وعظيمة، نتجت عن هذه العبادة الجليلة، ومن تلك المبادئ: تحريم انتهاك الدماء والأموال، والاعتداء عليها، مشبهاً حرمتها بجرمة يوم عرفة عند الله، وتعظيم ذلك في نفوسهم كتعظيمهم لحرمة شهر الحج، وكحرمة البلد الحرام المعظم عندهم، كما اشتملت خطبته على إلغاء كل أمور الجاهلية المذمومة، المشتملة على ما حرم الله.

٤ - الذهاب إلى منى ورمي جمرة العقبة:

قال جابر رضي الله عنه: (حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ^(٢) رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ...^(٣)). يوضح الحديث ما فعله النبي ﷺ بعد أن وقف بعرفة، ثم بات بمزدلفة^(٤)، فلما صلى الفجر ذكر الله عند المشعر الحرام^(٥)، فلما أسفر جداً انطلق بمن معه من المسلمين إلى منى لرمي الجمرة الأقرب إلى مكة، وهي جمرة العقبة مُعَبَّرًا بِذَلِكَ الرَّمِي عَنْ هَجْرِ الْمَعَاصِي، وَمُبَارَزَةِ الشَّيْطَانِ بِالْعِدَاوَةِ، وَمَوْضِحًا مَجَانِبَةَ الْغُلُوِّ فِي الرَّمِي بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ بَعْدَهَا نَحْرَ الْهَدْيِ وَأَكْثَرَ ﷺ مِنَ النَّحْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقِهِ دَعْوِيٍّ مُتَعَلِّقٍ بِالْحَجِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مَا يَلِي:

- استسهال الداعية لكل مشقة تعبداً لله، واحتساباً لأجر العبادة.

- التزام الداعية في عبادته بفرائض تلك العبادة وشروطها، ويتجلى التزامه في عبادة الحج بعدد من الأمور:

الأول - التجرد من لباس المخيط والاكتفاء بالإزار والرداء.

الثاني - المرور بالميقات أو محاذاته.

(١) صحيح مسلم، ح ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ٨٨٩/٢.

(٢) حَصَى الْخَذْفِ: أي صغاراً. وَالْخَذْفُ: هو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي بها، النهاية، ابن الأثير، مادة: خذف، ١٦٢/٢.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ٨٩٢/٢.

(٤) مُزْدَلِفَةٌ: هي أحد المشاعر التي ينزلها الحجاج، ينحدرون إليها من عرفة ليلة العاشر من ذي الحجة، فيصلون بها المغرب والعشاء قصرًا وجمعًا، ويبتون. المعالم الأثرية،

محمد شراب، ص: ٢٥١.

(٥) الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ: هو مزدلفة، وجمع ويسمى بمجموعاً. وهو عند المسجد الكبير في مزدلفة، انظر: المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٢٧٥.

الثالث - الإهلال وعقد النية بالنسك متلفظاً بها.

الرابع - التلبية كلما صعد أو نزل.

الخامس - الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة.

السادس - الوقوف بعرفة.

السابع - المبيت بمزدلفة.

الثامن - رمي الجمار.

التاسع - طواف الإفاضة.

العاشر - طواف الوداع.

- أهمية موافقة العبادة لهدي المصطفى، وتحري الداعية التأسى برسول الله ﷺ في أعمال الحج، امتثالاً لأمره عليه الصلاة والسلام: (لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)^(١). وفي لفظ: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ)^(٢).

- أن يتعد الداعية عن إيقاع الحرج على المدعوين فيما يتعلق بشعيرة الحج، وما يخص نوع النسك، فأنواع النسك جائزة، وإلزامهم بواحدٍ دون الآخر يُلْحِقُ بهم المشقة والحرج، مع بيان الأفضل عنده حسب الدليل.

- أهمية إظهار الداعية التجرد الكامل لله، والإقبال عليه، فإنه بلبسه الإزار والرداء يعلن تجرده من كل مُتَمَعِ الدنيا، وزيفها.

- ضرورة أن يقوم الداعية بالدعوة المستمرة للوحدة الإسلامية، التي تتجلى في الحج، فالكل يلهج بالتلبية، والكل يقف في صعيدٍ واحدٍ، والكل مرتبطٌ بزمنٍ واحدٍ، والكل يبارزُ عَدُوًّا واحدًا، فهي وحدةٌ بكل معنى الكلمة، فيستثمر الداعية مثل هذه المظاهر التي تُشَاهَدُ عند ممارسة هذه العبادة الجليلة، فيؤكد في دعوته أهمية الوحدة الإسلامية، وثمراتها.

- عناية الداعية في دعوته ببيان حرمة الدماء البريئة، وتعظيمها، وكذلك الأموال، فيبين ما لذلك من قُدْسِيَّةٍ عند الله، وعند عباد الله الصالحين، ولا سيما في زمن الفتنة، وهو ما

(١) صحيح مسلم، ح ١٢٩٧، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمره العقبة، ٩٤٣/٢.

(٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ح ١٠٧٤، ٢٧١/٤. وقال:

شهده اليوم من تقتيل، وترويع للآمنين من المسلمين والمكاتبين المستأمنين، من قبل أناسٍ يجهلون حرمة الدماء البريئة، ويعبثون بحالة الأمن المستقرة التي يحتاج إليها الناس كحاجتهم إلى الطعام، والشراب، بل أشد.

- أن يتعد الداعية عن الغلو والتنطع في العبادة، فإن الغلو مهلكة للمرء ولعمله، وذم الناس له، وبعدهم عنه، فيقترف بغلوه وتنتطعه ذنب نفور المدعوين؛ لأن الفطر السليمة لا تقبل بغير اليسر، والتوسط.

والتزام السنة في كل عبادة هو المخرج من أي غلو وتنتطع، ويظهر من الحديث أن النبي ﷺ رمى الجمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، وكانت الحصى مثل حصى الخذف، ذات أحجام صغيرة بخلاف ما يركبها الحجاج اليوم من مخالفات هذه السنة، فيرجمون بحجار كبيرة، وبالنعال، وبالخشب ونحو ذلك، وبأعداد كثيرة من الحصى مما لم يُشرع، حتى وإن كانوا يعبرون بذلك عن شدة عداوتهم للشيطان، إلا أن العمل التعبدي يُشترط فيه الموافقة لهدي النبي ﷺ، لذا يجب على الداعية موافقة عمله للسنة في الرمي، ودعوة الناس للعمل بالسنة الصحيحة فيما يتعلق بأعمال الحج ومنها رمي الجمار.

- أهمية شكر الله في آخر حج الداعية، والذكر الكثير، وحمد الله على إتمام النعمة، وإظهار ذلك بالنحر في يوم النحر، وإراقة دماء الهدي تقرباً لله، وجبراً لما حصل من تقصير في أعمال الحج، وقد سئل النبي ﷺ أي الحج أفضل؟ فقال ﷺ: (العج^(١)، والنح^(٢)).

رابعا- اهتمام الداعية بالجهاد:

لا يخفى على أهل العلم والفضل ما للجهاد من مكانة في الإسلام، فهو القلعة الحصينة له، والسياج الذي يرهب أعداء الدين الاقتراب منه، وقد أكد فضله وأهميته القرآن الكريم في مواضع عديدة منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^(٣). وقوله

(١) العج: رفع بالصوت بالتلبية. النهاية، ابن الأثير، مادة: عجع، ١٨٤/٣.

(٢) سنن الترمذي، ح ٨٢٧، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، قال أبو عيسى: حديث غريب، ١٨٩/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن

الترمذي، ح ٦٦١، ١/٢٤٩. والنح: سيلان دماء الهدي والأضاحي. النهاية، ابن الأثير، مادة: نج، ٢٠٧/١.

(٣) سورة الحجرات: ١٥.

سبحانه: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وكذلك أكد فضله صحيحُ سنَّةِ المصطفى ﷺ في كثيرٍ من الأحاديثِ تُبين ما له من مكانةٍ، وقوةٍ للمسلمين، ومن ذلك قوله ﷺ: (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا يُرْعَبُ مِنِّي الْعَدُوُّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهُ، فَاحْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا) (٢).

والداعيةُ أولُ من يَحْرِصُ على هذا الفضلِ، ويمارسُ هذه العبادة؛ لأنه القدوةُ للمدعوين في هذا الجانب، وسيتبين من الحديث التالي من أحاديث الأمثالِ مكانةُ الجهادِ في نفس النبي ﷺ، ومحَبَّةُ العظيمةِ للقيام به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا) (٣) فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ (٤)، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ (٥) يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ

(١) سورة التوبة: ٤١.

(٢) سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ح ٢٤٦٧، كتاب السير، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا، كراتشي، قديمي كتب خانة، دون تاريخ، ٢/٢٩٥، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، ح ٢٨٥، ١/٣١٥-٣١٧.

(٣) جهادًا، وإيمانًا، وتصديقًا: نصبت هذه الكلمات باعتبار أنها مفعول لأجله، انظر: الديباج، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أي إسحاق الحسيني، السعودية، الخبر، دار ابن عفا، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٤/٤٧٢.

(٤) يحتمل أن يكون المراد دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلا حساب ولا عذاب ولا مواخظة بذنب، وتكون الشهادة مكفرة لذنوبه. شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣/٢١-٢٢.

(٥) الكَلْمُ: الجَرْحُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: كلم، ٤/١٩٩.

عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ،
ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ^(١).

و في رواية قال ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْ لَهُ مَا عَلَى
الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ
الْكَرَامَةِ)^(٢).

يوضح الحديث فضائل هذه العبادة، وما أعدّه الله عز وجل من النعيم المقيم لمن أداها
مخلصاً يبتغي بها وجهه سبحانه وتعالى.

ومما يُستخلص من دروس وفقه دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ينبغي أن يدرك الداعية ما أوجب الله بفضلها وكرمه من دخول الشهيد الجنة، والتزول
في أعلى درجاتها، فيحرص على نيل هذا الفضل العظيم.

- يتوجب على الدعاة إلى الله، العمل بمقتضى هذه الدعوة المباركة، ورفع راية الدعوة
للجهاد في مجالسهم، ومواعظهم، وخطبهم، ومراسلتهم، وبيان مكانة الجهاد في الإسلام،
على أن يكون ذلك وفق منهج شرعي يعتمد على الفهم الصحيح لأحكام الجهاد،
واستشارة أهل الحل والعقد فيما يتعلق بالجهاد وأحكامه؛ لأن في إقامته حمايةً للدعوة
وأهلها.

- ينبغي للداعية الناجح أن يطبق دعوته للجهاد بالعمل والمبادرة إلى ميادين القتال، والبعد
عن الأقوال التي لا تصدقها الأفعال، فقد حذر المولى من ذلك، فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣).

- وجوب أن يخلص الداعية في كل عباداته لينتفع بها، ومن تلك العبادات الجهاد في سبيل
الله؛ لأنه بذلٌ لأعلى ما يملكه الإنسان، وهي نفسه التي بين جنبيه، فهل يبيعها ببيعة
صحيحة، أم ببيعة باطلة؟ محتسباً أجر ميثته؛ لأنه خرج طلباً للشهادة، وإعلاءً لكلمة الله.

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٧٦، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ٣/ ١٤٩٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٨٧٧، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ٣/ ١٤٩٨.

(٣) سورة الصف: ٢.

- أهمية أن يوقن الداعيةُ أبرزَ ثمراتِ الجهادِ، وهي: إما النصر، والأجر، والغنائمُ، وإما الشهادة في سبيل الله.

خامسا - مكانة الذكر عند الداعية:

إن ذكرَ الله خيرٌ ما أمضيتَ فيه الأوقات، ونفدتَ فيه الأنفاسُ، وأفضلُ ما يتقربُ به العبدُ إلى ربه سبحانه وتعالى، وهو مفتاحٌ لكلِّ خيرٍ يرجوه الداعي، لتحقيق ما يريدُ، وسببٌ لما يناله العبدُ في الدنيا والآخرة من السعادة، والحفظِ ونحو ذلك.

قال ابن القيم-رحمه الله:- ((فمتى أعطى الله العبدَ هذا المفتاحَ، فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلَّهُ بقي باب الخير مُرتجاً دونه))^(١).

وقد عرضتُ من أحاديث الأمثالِ ما وقفت عليه فيما يتعلق بشأن هذه العبادة، وأهميتها في حياة الداعية، وآثارها على دعوته ومن ذلك ما يلي:

(أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ) وفي رواية: (كَأَذْنِهِ)^(٢).

(ب) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قَالَ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)^(٣).

يوضحُ الحديثانِ الفضل العظيم لقارئ القرآن المرتل له، والمعنى بمخارجه، وصفاته، ومدوده، وفواصله، ووقفه ووصله، ونحو ذلك من الأمور التي تبين كلمات القرآن، وتتمم معانيه، فيحصل التأثير به، من قارئه، ومستمعه، إضافة إلى حبِّ الله تعالى، وحبِّ رسوله إلى تحسين القراءة بالصوت، والتنغيم فيها، وبيان ما أعده الله عز وجل لمن يقرؤه من الفضل والأجر، فإن منزلة قارئ القرآن عند آخر آية يقرؤها، والله ذو الفضل العظيم.

(١) الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص: ٩٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٥٤٤، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة، ٥١٨/١٣، صحيح مسلم، ح ٧٩٢، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ٥٤٦/١، واللفظ لمسلم.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٩١٤، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، ١٧٧/٥،

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٣٢٩، ١٠/٣.

قال النووي-رحمه الله-: ((أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها))^(١).

وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ مَا يَلِي:

- إن من أفضل الذكر وأجله قراءة القرآن، والجهربه، وترتيله، ومن أعظم ما ينبغي أن يتزود به الدعاة.

- إن التشبيه في الحديث السابق ارتكز على إذن الله تعالى في التغني بكلامه، وتجويده، وترتيله؛ ليكون التأثير به أدهى، وأسرع، فالإذن كما يفهم من التشبيه في الحديث إذن مفتوح ومطلق غير مقيد؛ مما يعطي أهمية لهذا الأمر، شريطة ألا يخرج عن المشروع في القراءة، فيذهب القارئ بقراءته إلى التمطيط، والتلحين، بحيث يتعد القارئ والمستمع عن التدبر والخشوع، ويصبح الهم منصباً على اللحن، والصوت.

- أن يعمل الداعية بمقتضى الترتيل والتغني بالقرآن حسب مافهمه العلماء، فإن جمهور العلماء يفرقون بين القراءة بالتحزين والتشويق، وبين القراءة بالألحان، فالجمهور يثنون على الأولى، ويكرهون الثانية لخروجها عما جاء في القرآن من الخشوع والتفهم^(٢).

ج) عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ^(٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمَسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ)^(٤).

(١) شرح صحيح مسلم، ٨٠/٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ٨٠/٦.

(٣) زيد بن الصامت، وقيل: عبيد بن معاوية بن الصامت الزرقى، صحابي، وهو والد النعمان بن أبي عياش، شهد أحدًا. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١٩٠/٢.

(٤) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، ح ٥٠٧٧، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، بيروت، دار الحديث، ط.

الأولى ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٣١٧/٥، صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، وقال-رحمه الله-:

صحيح، ٢٤٨/٣.

يوضح الحديث أن من الأذكار التي كان يقولها النبي ﷺ كلَّ صباح هذا الذكر العظيم، الذي يعين المرء على أعماله ووظائفه، ويحصنه من كيد ومكر أعدائه، وعلى رأسهم الشيطان، الذي يجلس في كل طريقٍ للصدِّ عن سبيل الله.

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- ما أجمل أن يفتح الداعية يومه بهذه الكلمات الخفيفات المباركات! المشتمة على تجديد الإيمان، وإعلان التوحيد، فكلمة لا إله إلا الله، هي: أفضل الكلمات العظيمة، وأجلها على الإطلاق، بل هي رأس الدين وأساسه ورأس أمره، لأجلها خلقت الخليفة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وهي زبدة دعوة المرسلين وخلاصة رسالاتهم، وهي أعظم نعم الله على عباده؛ لذا حُرِّيَّ بالداعية إلى الله أن يلتزم هذا الذكر، المعين له على القيام بدعوته، والقيام بسائر العبادات^(١).

- إن الداعية يجب أن يُقَوِّيَ صِلَتَهُ بالله من خلال مثل هذه التحصينات النافعة؛ لأنه يواجه جماهير الناس، ويتعرض لمواقف عديدة، فهو بحاجة إلى رعاية إلهية تمنعه من الخطل والغلط الفاحش مع المدعوين، وإن مصدر الغلط، والخطل العدو اللدود الشيطان الرجيم، فكان هذا الذكر المبارك حرزاً وحصناً يتحصن به الداعية من عدوه، إضافةً إلى ذلك ما أعدّه الله من الأجر العظيم المترتب على هذا الذكر.

وموجز القول في شأن عبادة الداعية: أن العبادة من أبرز مكونات الداعية، التي بدونها ينتهي أمره، فشأنها عظيم؛ لأنها الزاد الذي يتزود به الداعية الناجح ليحتمل دعوته، ويصبر

في طريقها، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢)

وقد قام الرسول ﷺ بالدعوة، وتحمَّلَ عنت قريش وعداوتهم، ممثلاً أمر ربّه عز وجل القائل له: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾^(٣)

(١) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الكويت، بدون، ط. الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣/٣٢-٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) سورة طه: ١٣٠.

وعندما ضاق صدره ﷺ باستهزائهم، نزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٤٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٤٩﴾ ۝ (١)

فإن هذه الآيات الكريمة تعرضُ توجيهاتٍ نحوَ العبادةِ لتخفيفِ وطأةِ التكليفِ لحملِ الدعوةِ إلى الله، وتبليغها.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رَجُلًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) (٢).

وقد تأسَى الصحابة الكرام بنبيهم، فكانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، كما وصفهم الله تعالى بقوله العزيز: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

وتابعهم مَنْ بَعْدَهُمْ فِي شَأْنِ الْعِبَادَةِ، وَحُبِّهَا، وَتَأْدِيتِهَا عَلَى وَجْهِهَا، وَاحْتِسَابِ بَرَكَتِهَا وَثَمَرَتِهَا الْمُبَارَكَةِ، فَهَذَا ابْنُ الْقِيمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: ((سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ يَقُولُ: الذِّكْرُ لِلْقَلْبِ، مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ)) وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ((حَضَرْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ مَرَّةً صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: هَذِهِ غَدَوَاتِي. وَلَوْ لَمْ أَتَعَدَّ الْعَدَاءَ سَقَطَتْ قُوَّتِي، أَوْ كَلَامًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا، وَقَالَ لِي مَرَّةً: لَا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي، وَإِرَاحَتِهَا لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لَذِكْرِ آخَرَ)) (٤).

(١) سورة الحجر: ٩٧ - ٩٩.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٨٢٠، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والإحتماد في العبادة، ٤/٢١٧٢.

(٣) سورة السجدة: ١٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص: ٦٣.

فواحسرةً بعد هذه الكلماتِ العظيمةِ على دعاةِ اليومِ، إلا من رحمِ ربِّي، يا حَسْرَةً على الأوقاتِ المهْدَرَةِ في غيرِ طاعةٍ، وعبادَةٍ، وذكْرٍ؛ لأنَّ العَمْرَ قصيرٌ، والزادَ قليلٌ، والرحلةُ بعدَ الموتِ طويلةٌ، واللحظاتُ محسوبةٌ إمَّا للمرءِ أو عليه.

وقد أفاد وأجاد ابن القيم -رحمه الله- إذ يقول: ((السَّنةُ شجرةٌ، والشهورُ فروعها، والأيامُ أغصانها، والساعاتُ أوراقها، والأنفاسُ ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعةٍ، فثمره شجرته طيبةً، ومن كانت في معصيةٍ فثمرته حنظلٌ، وإنما يكون الجَدَادُ يومَ المعادِ، فعند الجَدَادِ يتبين حلوُ الثمارِ من مُرِّها))^(١).

وعليه فإن الدعوة بلا عبادة يتزود الداعية بها في مكابدة الناس سينقطع صاحبها سريعاً وينفذ صبره^(٢)، فهي مصدرُ طاقته التي تمده بالحركة لنشر دعوته، ومصدرُ قوةِ نفسه وصفائها، وتزكيتها، فإذا فقد تزكيتها، فكيف يُزكِّي الآخريين؟! وإذا فقد الطاقة فكيف يقطع الطريق؟! قال تعالى: ﴿ وَيَقَوْمٍ أَستَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾^(٣).

(١) الفوائد، ابن القيم، ص: ١٦٤.

(٢) انظر: الداعي إلى الله (تكوينه-مسؤوليته)، زيد الزيد، ص: ٣٦-٤١.

(٣) سورة هود: ٥٢.

المَبْحَثُ الثالثُ - فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِأَخْلَاقِ الدَّاعِيَةِ

المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بأخلاق الداعية

من الضرورة الملحة في الدعوة إلى الله جلّ وعلا، أن يتحلى الداعية بالأخلاق الفاضلة، ويتزين بها، إلى جانب العلم والعبادة الخالصة لله تعالى؛ ليكون بذلك وارثاً للنبي الأوفى من إرث النبي ﷺ، علماً وعبادةً وخُلُقاً، وحينئذٍ تجتمع القلوب على محبته، والتأسي بسيرته^(١)، وتنهل من معينه؛ لأن طبيعة الرسالة التي يبلغها للناس تتطلب منه الخلطة والاجتماع، وتحمّله أمانة التبليغ والدعوة، فإن لم يكن على المستوى اللائق من الخلق الفاضل، والصفات الحميدة، فإن الناس لا يقبلون دعوته، ولا ينجذبون إليه، بل يرفضونها، وينفرون منه، بسبب خلوه من الأخلاق الفاضلة، والسجايا الطيبة، والصفات الحميدة.

وسأتناول في هذا المبحث بعضاً من الصفات التي تحلى بها النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أوردتها على النحو التالي:

أولاً - الحِلْمُ^(٢):

بين النبي ﷺ مكانة، ومترلة هذه الصفة عند الله تعالى، فإنه سبحانه يُحِبُّ الحِلْمَ، كما هو واضح من قوله عليه الصلاة والسلام: لِلأَشَجِّ^(٣) أَشَجُّ عَبْدِ القَيْسِ: (إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الحِلْمُ وَالْأَنَاةُ)^(٤).

(١) انظر: كلمات في مناسبات، للدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص: ١١٠.

(٢) الحِلْمُ: الأناةُ والعقلُ، وحلْمٌ حِلْمًا: صار حليماً، وحلْمٌ عنه وتحلّمٌ سواء. وتحلّم: تكلف الحِلْمَ. والحليم في صفة الله: معناه الصبور، وقيل: معناه أنه الذي لا يستخفُّ عسيان العصابة، ولا يستغزُّه الغضبُ عليهم، وحلْم الرجل: إذا تألَّى وسكّن عند غضبٍ أو مكروه مع قُدرة، وقُوّة، وصفح، وعقل، والحِلْمُ: هو الطمأنينة عند سَوْرَةِ الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مصر، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط. الثانية، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، باب الميم، فصل الحاء، ٤/١٠٠. لسان العرب، ابن منظور، مادة: حلم، ١٢/١٤٦، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة: حلم، ١/١٩٤. كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص: ٩٢.

(٣) المنذر بن عائد بن الحارث العبدي المعروف، أشج عبد القيس، كان سيد قومه، رجع بعد إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة ومات بها. الإصابة، ابن حجر، ٣/٤٣٩، أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق محمد البنا وآخرون، دار الشعب، دون باقي معلومات النشر، ٥/٢٦٧، وانظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط. الأولى، ١٣٢٧هـ، ١/٢٦٧.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٧، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، ورسوله ﷺ، ١/٤٨.

والتأمل في سيرة النبي ﷺ وشمائله يجد هذه الصفة جلية في شخصه، ومما ورد في أحاديث الأمثال موضحاً لهذه الصفة ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فإن لصاحب الحق مقالا، ثم قال: (أعطوه سنناً^(١) مثل سننهم)، قالوا: يا رسول الله! إلا أمثل من سننهم فقال: (أعطوه؛ فإن من خيركم أحسنكم قضاءً)^(٢).

يبين الحديث حلم النبي ﷺ وتحمله للجفاة من المدعويين، فإن هذا الرجل جاء يتقاضى من النبي ﷺ وأغلظ القول له، فغضب أصحاب النبي ﷺ لسوء تعامله مع النبي ﷺ، فهموا به، لكن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك، وحلم بالرجل وأحسن له القضاء. ووجه دعوته المباركة لمن حضر من صحابته الكرام أن يحسنوا القضاء، فكانت دعوة قولية وفعلية.

وعلى الدعاة إلى الله أن يتصفوا بهذه الصفة، فيحلموا بالمدعويين؛ لتنجح دعوتهم، وتميل قلوب المدعويين إليهم. ومن الحديث تبرز هذه الخلة العظيمة والتي يخرج الدعاة منها بما يلي:

- أن يحسد الداعية ما يدعو إليه من الحلم ونحوه، فيكون واقعه، وسلوكه ترجمة حية لأقواله التي يدعو إليها.

- أن يرفع الداعية شعاراً يمارسه في دعوته وفي كل حياته ألا وهو: (قول الحق وإن كان على نفسه) والاعتراف بالخطأ دون غضاظة، ودون اكتراث لما سيقوله الناس عند اعترافه بالحق على نفسه؛ لأن هم الداعية الصادق مع الله هو رضوان الله وإن سخط الناس. وهذا ما يجب أن يكون عليه الدعاة وهم يمارسون دعوة الله مع الناس.

(١) مثل سننهم: أي مثل سننهم، كما فسرت الرواية الأخرى، وفيها: (واشترؤا له بغيراً فأعطوه إياه وقالوا لا نجد إلا أفضل من سننهم قال اشترؤا فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاءً). صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٢٣٩٠، كتاب الاستقراض، باب استقراض الإبل، ٥/٥٦، ويقال: أصابت الإبل سنناً من الرعسي، إذا كان مرعى صالحاً، فالإبل ذات السنن، إذا أحسن صاحبها رعيها سمت وحسنت في عينه، فيبخل بها من أن تُنحر، ويقال: السنن في السنن، يعني: الرقيق والدواب وغيرهما من الحيوان، وسنن الجارحة مؤنثة، ثم استعيرت للغمر استدلالاً بما على طول وقصره. النهاية، ابن الأثير، مادة: سنن، ٤١١/٢-٤١٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٣٠٦، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدين، ٤/٤٨٣.

ثانياً - الثقة بالنفس (١):

الثقة بالنفس من الصفات المهمة لكل داعية؛ وذلك لأنها تعينه على المشاركة الفعالة، وتُسهم في إنجاح دعوته، ومن أحاديث الأمثال التي تدل على هذه الصفة الحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري^(٢) مرفوعاً: (وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!)(٣)، وفي رواية: (أَلَا تَأْمُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!)(٤)، وفي رواية: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ. قَالَ ﷺ: (وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟!)(٥) وفي رواية: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتَهُ! أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُونُنِي!!)(٦) وفي رواية: (فَقَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ...، فبلغ ذلك النبي ﷺ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ (٧) ثُمَّ قَالَ: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ!! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِر!!)(٨)، وفي رواية: (وَاللَّهِ لَا تَجِدُونَ بَعْدِي أَعْدَلَ عَلَيْكُمْ مِنِّي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)(٩).

(١) الثقة: مصدر قولك: وثق به يتثق: ائتمنه، وأنا واثق به وهم موثق بهم. واليقنة: هي التي يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. لسان العرب، ابن منظور، مادة: وثق، ١٠/٣٧١. التعريفات، الجرجاني، ص: ٧٢.

(٢) سعد بن مالك بن سنان، الأنصاري الجزرجي، أبو سعيد الخدري _ مشهور بكنيته، قيل أنه كان من أفتة أحداث الصحابة، اختلف في سنة وفاته، قيل أنه توفي سنة ٧٤هـ. الإصابة، ابن حجر، ٣٢/٢ - ٣٣.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٦١٠، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٧ - ٦١٨.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ٧/٦٦٥.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ٧/٦٦٥.

(٦) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب إعطاء المولفة قلوبهم، ٢/٧٤١.

(٧) الصَّرْفُ: هو بالكسر شجر أحمر يُدْبَغُ بِهِ الْأَدْمُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: صرف، ٣/٢٤.

(٨) صحيح مسلم، ح ١٠٦٢، كتاب الزكاة، باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام ونصر من قوي إيمانه، ٢/٧٣٩.

(٩) المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، ح ١١١٩٦، ح ١١٢٧٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، ١٧/٢٩٠.

تبين هذه الروايات الثقة بالنفس، وهي ثقة مؤيدة من رب العالمين، فإنه عندما قال ذو الخويصرة^(١): يا رسول الله اعدل، ردَّ ﷺ قوله بأسلوب استفهامي استنكاري يبرز ثقته بالله وبما هو عليه من الحق والعدل، ولم يعبأ بقول ذي الخويصرة وأمثاله بل بين له عظم فريته، وقبح قوله، مجيباً إياه إجابة الواثق من عدله، على غرار قوله عليه الصلاة والسلام ردّاً على من كذبه رداً واثقاً برسالته: (وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي)^(٢)، وكذا في رده على ذي الخويصرة كان واثقاً بدون امتراء ولا تردد.

ويجدر بالدعاة إلى الله أن يعززوا الثقة فيما يدعون إليه؛ لأنهم على الحق. فترسخ بذلك الثقة في النفس شريطة أن لا تصل هذه الثقة إلى درجة الغرور والإعجاب بالنفس، فإن الأولى ممدوحة والأخرى مذمومة، وأن لا يضعفوا ويتأثروا بما يدور حولهم من أقاويل يؤز الشيطان بها اتباعه أزا، ويدفع بها المتبعين لأهوائهم دفعاً.

ومما يُستخلص من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة ترسيخ الداعية ثقته بالله؛ لأنه سبحانه بيده الأمر منه يبدأ وإليه يعود، وكما قويت ثقة الداعية بربه كان التأيد مكنته.

- أهمية ثقة الداعية بنفسه ثقة لا يهتز معها لقول المرجفين والمثبطين، ولا يخوض بوجودها مع الخائنين المبطلين.

- وجوب ثقة الداعية بالحق الذي يحمله. فلا يلتفت لأقوال المشككين في دعوته؛ لأن ما يدعو إليه هو الحق وما عداه فهو الضلال وشتان شتان بينهما. ولكن من الأهمية بمكان أن يكشف الداعية اللثام عن أهل الباطل، ويحرص على الوقوف ضدّهم بحزم ودون تقهقر.

ثالثاً- الدِقَّةُ^(٣) في الوصف:

كان ﷺ يدقق الوصف أحياناً لبيان الأمور التي يحتاجها المدعوون، ويتضح ذلك من الأحاديث التالية:

(١) حُرْقُوصُ بن زهير السعدي، ذو الخويصرة التميمي، قتل مع الخوارج في النهروان، وهو من طلب النبي ﷺ، من أبي بكر، ثم من عمر، ثم من علي قتله، ولكن لم يتم ذلك. الإصابة، ابن حجر، ١/ ٤٧٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٧٣٤، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ٥/ ٣٣١.

(٣) الدِقَّةُ: دَقَّقَ الرَّجُلُ: تَبَّعَ الدَّقِيقَ مِنَ الْأُمُورِ، وَدَقَّقَ فِي الشَّيْءِ: اسْتَعْمَلَ الدَّقَّةَ فِيهِ. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١/ ٢٩٠.

(أ) عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه مرفوعاً وفيه قوله ﷺ: (... دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ^(١)، يَمْرُقُونَ^(٢) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(٣)، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ^(٤) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ^(٥) فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيئِهِ^(٦) وَهُوَ قِدْحُهُ، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ^(٧) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالْدَّمَ...^(٨)).

وفي رواية: سئل أبو سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه عن الحُروريةِ^(٩) فَقَالَ: (لَا أَدْرِي مَا الْحُروريةُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ -وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا- قَوْمٌ تَحْفِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)^(١٠).

وفي رواية: (ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ. يَخْرُجُونَ فِي فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ. سِيَمَاهُمْ التَّحَالُقُ. قَالَ: هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ أَوْ مِنْ أَسْرِّ الْخَلْقِ. يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ. قَالَ:

(١) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. وهما ترقوتان من الجانبين. والمعنى أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، فكأنها لم تتجاوز حُلُوقَهُمْ. وقيل

المعنى أنهم لا يعملون بالقرآن، ولا يتأبون على قراءته، فلا يحصل لهم غير القراءة. النهاية، ابن الأثير، مادة: ترق، ١/١٨٧.

(٢) يَمْرُقُونَ: يَخْرُجُونَ وَيَخْرُقُونَهُ وَيَتَعَدُونَهُ، كَمَا يَخْرُقُ السَّهْمُ الشَّيْءَ الرَّمِيَّ بِهِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: مرق، ٤/٣٢٠.

(٣) الرَّمِيَّةُ: الصَّيْدُ الَّذِي تَرْمِيهِ فَنَقْضُهُ وَيَنْقُذُ فِيهِ سَهْمُكَ. وقيل هي كل دابة مرمية. النهاية، ابن الأثير، مادة: رمى، ٢/٢٦٨.

(٤) نصله: رأس السهم. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: نصل، ٥/٦٦.

(٥) الرِّصَافُ: واحدها رِصْفَةٌ وهي العقب التي فوق الرُّعْظِ والرَّعْظُ مدخل النصل في السهم. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١/١٦١. وانظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: رصف، ٢/٢٢٧.

(٦) نَضِيئِهِ: النَّضِيُّ الْقِدْحُ قِيلَ أَنْ يُنْحَتَ. الفائق في غريب الحديث، جلال الله محمود بن عمر الرمشمري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، عيسى البياي

الحلي، القاهرة، دون باقي معلومات النشر، ط. الثانية، ٣/٣٥٥. وقيل النضي: هو من السهم ما بين الريش والنصل، قالوا: سمي نضيا لكثرة البري والنحت. النهاية، ابن

الأثير، مادة: نضا، ٥/٧٣.

(٧) الْقُدْذُ: ريش السَّهْمِ واحدها قُدْذٌ. النهاية، ابن الأثير، مادة: قذذ، ٤/٢٨.

(٨) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٦١٠، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٦١٧ - ٦١٨.

(٩) الْحُروريةُ: طائفة من الخوارج نُسبوا إلى حُروراء، بالمد والقصر، وهو: موضع قريب من الكوفة، كان أول مجتمعهم، وتحكيمهم فيها، وهم: أحد الخوارج الذين قاتلهم

علي كرم الله وجهه، وكان عندهم من التشدد في الدين ما هو معروف. النهاية، ابن الأثير، مادة: حرر، ١/٣٦٦.

(١٠) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٩٣١، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم، ١٢/٢٨٣، صحيح

مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٣ - ٧٤٤.

فَضْرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمْ مَثَلًا، أَوْ قَالَ قَوْلًا: الرَّجُلُ يَرْمِي الرَّمِيَّةَ، أَوْ قَالَ الْغَرَضَ، فَيَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً^(١). وَيَنْظُرُ فِي النَّضِيِّ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً. وَيَنْظُرُ فِي الْفُوقِ^(٢) فَلَا يَرَى بَصِيرَةً^(٣).

يتبين من هذه الروايات دقة وصف النبي ﷺ للخوارج، فقد بدأ عليه الصلاة والسلام بوصف عبادتهم، وأشار إلى كثرتها بالنسبة لعبادة أصحابه، فإن الصحابة لم يبلغوها لكثرتها ولإتقانها في الظاهر، سواء كانت صلاة أم صياماً، ورغم ما يظهر عليهم من زهد وخشوع إلا أنهم يخرجون من الدين مسرعين لا حظ لهم فيه، وشبه النبي ﷺ خروجهم من الدين بالسهم الذي ينفذ من الصيد بسرعة، فلا يعلق فيه شيء من دمه ولحمه، وهذه دقة في الوصف؛ لتناوله وصف كل أجزاء السهم، ثم ذكر عليه الصلاة والسلام علامة يعرفون بها، فقال ﷺ: (أَيْتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ^(٤) تَدْرُدُ^(٥))، وَيَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ^(٦).

وهذا يوضح زيادة التدقيق في الوصف وتثبيتته من خلال التمثيل بأن إحدى عَضُدَيْ ذلك الرجل مثل ثدي المرأة، وغرضه من هذا التمثيل تثبيت الأوصاف، وتمييزها لئلا تختلط بغيرها من الصفات، فذكر:

أولاً: أن علامتهم رجل أسود اللون.

ثانياً: في إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل القطعة من اللحم المتحركة.

ثالثاً: خروجهم والناس متفرقون، وزاد ﷺ في وصفهم؛ ليحليلهم أكثر، فقال في رواية:

(١) بصيرة: أي شيئاً من الدَّمِ يَسْتَلِئُ بِهِ عَلَى الرَّمِيَّةِ وَيَسْتَبِينُ بِهِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: بصر، ١٣١/١.

(٢) الفوق: هو موضع الوتر من السهم. النهاية، ابن الأثير، مادة: فوق، ٤٨٠/٣.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٥/٢.

(٤) الْبَضْعَةُ: بالفتح القطعة من اللحم. النهاية، ابن الأثير، مادة: بضع، ١٣٣/١، المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، دون معلومات طباعة أخرى، ٥٠/١.

(٥) تَدْرُدُ: التَّدْرُدُ أَنْ يَجِيءَ وَيَذْهَبُ. الفائق، الزمخشري، ٣٥٥/٣.

(٦) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٦١٠، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦/٧١٤-٧١٥، صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٤/٢.

(... سِيَمَاهُمْ^(١) التَّحْلِيْقُ^(٢) أَوْ قَالَ التَّسْيِيْدُ)^(٣) وكما أوضح ﷺ صفاتهم الخلقية الآنفه الذكر أوضح صفة فعلية غريبة كل الغرابة أن تصدر من مسلم، بل لا تصدر إلا من عدو يحقد على الإسلام و أهله، فقال ﷺ: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)^(٤). وهذه صفة أخرى لهم، وهي معادتهم لأهل الإسلام وموالاتهم لأهل الكفر من عبّاد الوثن، كما وصف عليه الصلاة والسلام نهايتهم التي يستحقونها وهي أن مقتلهم يكون على يد أولى الطائفتين بالله فقال: (يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِاللَّهِ)^(٥) وقد تحقق كل ما ذكره النبي ﷺ في وصفه الدقيق لهؤلاء المارقة عن الإسلام.

وهكذا نجد الوصفَ الدقيقَ من الصحابة الكرام متأسين برسولهم الذي علّمهم الدقة في إيصال المعلومة وتتبّع وصفها حتى تُعرف وتستبين. فها هو أبو سعيد الخدري ﷺ يصف الرجل الذي تناول على النبي ﷺ وافترى عليه بأوصاف متتابعة محددة، فيقول كما في رواية البخاري: (... فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرٌ^(٦) الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفٌ^(٧) الْوَجْهَيْنِ، نَاشِزٌ^(٨) الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ...)^(٩).

توضح هذه الرواية التتبع للوصف والتفصيل فيه حيث تناول أموراً هي:

- غَوْرُ الْعَيْنَيْنِ.
- كَثَاةُ اللَّحْيَةِ.
- ارْتِفَاعُ الْوَجْهَيْنِ.
- حَلْقُ الرَّأْسِ.
- ارْتِفَاعُ الْجَبْهَةِ.
- تَشْمِيرُ الْإِزَارِ.

(١) السّمة: العلامة. النهاية، ابن الأثير، مادة: سوم، ٤٢٥/٢.

(٢) التَّحْلِيْقُ: حَلْقُ الشَّعْرِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: حلق، ٤٢٧/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٥٦٢، التوحيد، قراءة الفاجر، ٥٤٥/١٣، والتَّسْيِيْدُ: الحَلْقُ واستئصال الشَّعْرِ، وقيل: تركُ غَسْلِ الرَّأْسِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: سبى، ٣٣٣/٢.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب الخوارج وصفاتهم، ٧٤١/٢.

(٥) المسند، ح ١١١٩٦، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، ٢٩٠/١٧، السلسلة الصحيحة، الألبان، ح ٢٤٠٦، ٥٣٠/٥-٥٣١.

(٦) الْغَوْرُ: ما انْحَضَّ من الأرض، غَوْرَ كل شيء: عُمِقَ وَبُعِده، غَائِرٌ الْعَيْنَيْنِ: أي داخله العينين. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: غور، ٣٩٣/٣.

(٧) مُشْرِفٌ: مُرْتَفِعٌ. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: شرف، ٤٦١/٢.

(٨) نَشِزٌ: ارتفع وعلا، وكبر حجمه، ناشِزُ الْجَبْهَةِ: أي مرتفعها. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: نشز، ٥٥-٥٦.

(٩) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وحالد بن الوليد إلى اليمن، ٦٦٥-٦٦٦.

وعليه ينبغي أن يتحلى الداعية بدقة الوصف في نقله المعلومات ذواتاً كانت أو معاني، وفي نقل مسائل العلم في الدعوة إلى الله بدون زيادة أو إخلال، بل وكل قضايا العلم الشرعي أصولاً وفروعاً وأخلاقاً وآداباً ونحو ذلك.

(ب) عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ^(١) طَوَالًا^(٢) جَعْدًا^(٣) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ^(٤))، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ^(٥) الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطًا^(٦) الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالِدَجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ^(٧).

وفي رواية: (... سئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ فَقَالَ: أَقْمَرُ^(٨) هِجَانًا^(٩) [وفي لفظ] رَأَيْتُهُ فَيْلَمَانِيًّا^(١٠) أَقْمَرَ هِجَانًا إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ^(١١) كَأَنَّهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ كَأَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى شَابًّا أَبْيَضَ جَعْدَ الرَّأْسِ حَدِيدَ الْبَصْرِ مُبْطِنَ الْخَلْقِ، وَرَأَيْتُ

(١) آدَمَ: السُّرَّةُ الشَّدِيدَةُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: آدَمَ، ٣٢ / ١.

(٢) طَوَّلَ: طُولُ الْقَامَةِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: طُولَ، ١٤٤ / ٣.

(٣) الْجَعْدُ فِي صِفَاتِ الرِّجَالِ يَكُونُ مَدْحًا وَدَمًا: فَاَلْمَدْحُ أَنْ يَكُونَ شَدِيدَ الْأَسْرِ وَالْخَلْقِ، أَوْ يَكُونُ جَعْدَ الشَّعْرِ، وَهُوَ ضِدُّ السَّبِطِ؛ لِأَنَّ السَّبِطَةَ أَكْثَرُهَا فِي شُعُورِ الْعَجَمِ. وَأَمَّا الدَّمُ فَهُوَ الْقَصِيرُ الْمُرْتَدُّ الْخَلْقِ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْبَخِيلِ أَيْضًا، يُقَالُ رَجُلٌ جَعْدُ الْيَدَيْنِ، وَيُجْمَعُ عَلَى الْجَعَادِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: جَعْدَ، ٢٧٥ / ١. والمراد به هنا المدح؛ لأنه قصد به الشعر.

(٤) الشَّنَا: أَي الْبُغْضُ. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: شَنَا، ٥٠٣ / ٢. كأنه من رجال شَنْوَةَ: هو حي من اليمن ينسبون إلى شَنْوَةَ وهو عبد الله بن كعب بن الأزد، ولقب شَنْوَةَ لِشَنَانِ كَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، وَقِيلَ لِرِجَالِ الْأَزْدِ مَعْرُوفُونَ بِالطُّولِ. فتح الباري، ابن حجر، ٤٢٩ / ٦.

(٥) الْمَرْبُوعُ: بَيْنَ الطُّوِيلِ وَالْقَصِيرِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: رَبِعَ، ١٩٠ / ٢.

(٦) السَّبِطُ مِنَ الشَّعْرِ: الْمُبْسِطُ الْمُسْتَرْسِلُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: سَبِطَ، ٣٣٤ / ٢.

(٧) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٢٣٩، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٣١٤ / ٦، صحيح مسلم، ح ١٦٥، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ١٥١ / ١.

(٨) أَقْمَرُ: وَهُوَ الشَّدِيدُ الْبَيَاضِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: قَمَرَ، ١٠٧ / ٤.

(٩) الْهِجَانُ: الْأَبْيَضُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: هَجَنَ، ٢٤٨ / ٥.

(١٠) الْفَيْلَمُ: الْعَظِيمُ الْجُمَّةِ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ، وَالتَّوْنُ لِلْمَبَالِغَةِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: فَلَمَ، ٤٧٤ / ٣.

(١١) قائمة: فسر معناها الرواية الأخرى قوله ﷺ: (... أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةٌ طَافِيَةٌ). صحيح مسلم، ح ١٦٩، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ١٥٥ / ١. وطافئة: هي الحبة الطافئة من العنب هي التي قد خرجت عن حدّ نبات أحوالها في العنقود وتنت وتظهرت من يئبها وارتفعت. النهاية، ابن الأثير، مادة: طَافَا، ١٣٠ / ٣، جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت، دار الفكر، ط. الثانية، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م، ابن الأثير، ح ٣٤٦ / ٧٨٤٠، ١٠١٠.

مُوسَى أَسْحَمَ^(١) آدَمَ كَثِيرَ الشَّعْرِ... شَدِيدَ الْخَلْقِ، وَنَظَرْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَلَا أَنْظُرُ إِلَى إِرْبٍ^(٢) مِنْ آرَابِهِ إِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنِّي، كَأَنَّهُ صَاحِبُكُمْ، فَقَالَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَلِّمْ عَلَيَّ مَالِكٍ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ^(٣).

يوضح الحديثُ دقةَ وصفه عليه الصلاة والسلام، بتشبيهه يضيفي على الوصف دقةً وتحديدًا، فإنه وصف موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، والدجال بصفات محددة، وكأن السامع يراهم رأي العين يسهل تمييز كل واحد منهم من غير حيرةٍ أو تردُّدٍ، ويسهم في تثبيت الوصف في أذهان المخاطبين؛ لأنه محسوسٌ وواضحٌ، ويعطي السامع إجاباتٍ عدَّةً، ولا سيما في وصفه للدجال بأن إحدى عينيه ناتئةٌ (جَاحِظَةٌ)^(٤)، مشبهاً إياها بالكوكب المتوقد. وهذا يوحي على الشر، وخبث النفس. وهذا ما يعطي الداعية تحفيزاً ليستقي من هذا المنهج النبوي الكريم دقة الوصف التي يحتاجها في دعوته.

قال الطَّيِّبِيُّ^(٥) - رحمه الله -: ((فإن قلت: ما الفرق بين تشبيه موسى وبين التشبيهين الآخرين؟ قلت: التشبيهات الثلاثة للبيان، والأول من باب قولك: لون عمامي من لون هذه العمامة لعمامة بين يدي المخاطب، والثاني والثالث كقولك: لون هذه العمامة كلون عمامي، فالتشبيه الأول لمجرد البيان، والأخيران للبيان مع تعظيم المُشَبَّهِ في مقام المدح))^(٦).

(١) الأَسْحَمُ: الأسود. النهاية، ابن الأثير، مادة: سحَم، ٣٤٨ / ٢.

(٢) الإِرْبُ: العضو من الجسم. النهاية، ابن الأثير، مادة: إرب، ٣٦ / ١.

(٣) المسند، ح ٣٥٤٦، وقال محققه: إسناده صحيح، ٤٧٧ / ٥، مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، ح ٢٧٢٠، بيروت، دار المأمون للتراث، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١٠٨ / ٥، وقال محققه: إسناده صحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٣٣٧ / ٤، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٦٩، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ١٥٥ / ١.

(٥) الحسين بن محمد بن عبد الله الطَّيِّبِيُّ، صاحب شرح المشكاة، من علماء الحديث والتفسير والبيان، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأفقهها في وجوه الخير حتى افتقر في آخر عمره، وكان شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة، والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعاً. كان يوم مات متوجهاً إلى مجلس الحديث، فدخل مسجداً عند بيته، فصلَّى النافلة قاعداً، وجلس ينتظر الإقامة للفريضة، ففضى نَحْبَهُ متوجهاً إلى القبلة، وذلك يوم الثلاثاء، ثالث عشر شعبان سنة سبع مائة وثلاث وأربعين. الدرر الكامنة، ابن حجر، ٦٨/٢-٦٩، البدر الطالع، الشوكاني، ٢٢٩-٢٣٠.

(٦) الكاشف عن حقائق السنن، (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي (كذا اسمه على غلاف الكتاب، وهو غير ما أثبتته الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة كما تقدم)، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، مكة المكرمة، مكتبة الباز، ط. الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٣٦١٥ / ١١.

ويعلم مما سبق أن الروايات التي وردت عنيت بتحديد أوصاف تناولت فريقين من الناس:

الفريق الأول: أهل الخير مثل الأنبياء موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام.

الفريق الثاني: أهل الشر مثل الخوارج والمسيح الدجال.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثين السابقين ما يلي:

- ضرورة أن يبرزَ الدعاةُ سماتِ المخالفين لمنهج الله ليحذر الناس منهم، وأن لا يكون القصد من التحذير منهم مجرد التشهير بهم، بل لبيان خطرهم وضلالاتهم.

- أهمية اجتناب الدعاة الغلو في دين الله، وأن يأخذوا فيه بالرفق. ويدعوا الناس إلى ذلك.

- ضرورة أن يجتهد الدعاة في تزكية أنفسهم وتطهيرها من أسباب الضلال وعلى رأس ذلك الإعجاب والغرور والشذوذ.

- الحاجة الملحة لإدراك أهمية وصول القرآن إلى شغاف القلوب مستقرًا فيها مؤيداً بالعمل بما فيه من توجيهات ربانية تقود المسلم إلى سلامة المنهج، وسلامة العاقبة بإذن الله.

- ينبغي أن يعلم الداعية أهمية الوقوف على أوصاف أهل الخير ليزداد الإيمان بهم، فيستشعرون قربهم، وصورهم التي أكملها الله، فهم صفوة البشر خلقاً وخلقاً، وفي المقابل أن يعلموا أهمية الوقوف على أوصاف أهل الشر؛ ليميزوهم عن غيرهم ويكفرون بهم وبياطلهم ويرعون إلى الله منهم ويتولون بهم الحق.

رابعاً- الصبر^(١):

الصبر من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها كل مؤمن عموماً، والداعية إلى الله على وجه الخصوص؛ لأنه في أمس الحاجة إلى خلق الصبر؛ إذ أن سنة الله اقتضت أن يكون لأهل الدعوة إلى الحق أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا

(١) الصبر: مصدر من الفعل: صَبَرَ، ومن أسماء الله تعالى الحسن الصبور. وهو الذي لا يُعاجل العُصاة بالانتقام. الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله، لا إلى

الله؛ لأن الله أتى على أيوب عليه الصلاة والسلام بالصبر قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّىْ إِنِّى مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ سورة الأنبياء: ٨٣، انظر لسان

العرب، ابن منظور، مادة: صبر، ١/ ٤٤٢.

وَنَصِيرًا ﴿^(١)﴾. فعلى الداعية الصبر على دعوة الناس، وأن يعلم أنه ليس عليه إلا البلاغ. والهداية بيد الله عز وجل، لا بيده، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْنَا الْإِلَهَ الْبَلَّغُ﴾ ﴿^(٢)﴾.

قال السعدي^(٣) - رحمه الله -: ((فإذا أدت ما عليك، فقد وجب أجرك على الله، سواء استجابوا أم أعرضوا، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها وباطنها))^(٤).

والصبر في حقل الدعوة وحياة الدعاة يشمل أنواع الصبر الثلاثة، فالداعية يصبر على طاعة الله وعن معصيته، ويصبر على ما قدره الله عليه من عقبات وصعوبات في طريق دعوته. وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالصبر قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَغَ فَبَلَغَ فَبَلَغَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿^(٥)﴾.

وفي أحاديث الأمثال النبوية ما يبين صبر النبي ﷺ واشتماله على أنواع الصبر الثلاثة الآنفه الذكر، تتضح فيما يأتي:

(١) سورة الفرقان: ٣١.

(٢) سورة الشورى: ٤٨.

(٣) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وأسرّة آل سعدي ينتهون في نسبهم إلى بني عمرو أحد بطون الكبار من قبيلة بني تميم، ولد في عنيزة عام ١٣٠٧هـ، نشأ يتيمًا، فكفله زوجة والده، فنشأ نشأة صلاح وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز عمره الثانية عشرة، وانقطع للعلم ونبيغ فيه وصرف أوقاته لتعلمه وتعليمه، له العديد من المؤلفات النافعة، توفي رحمه الله بعد مرض ألم به خمس سنوات، في جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ، ودفن في مدينة عنيزة. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ، ٢/٤٢٢-٤٣١.

(٤) تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٧٦١.

(٥) سورة الأحقاف: ٣٥.

١- الصبر على طاعة الله:

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَثَلُ الْمُدْهِنِ^(٢) فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا^(٣) سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَأَ، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ. فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ^(٤)).

وفي رواية: (... فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ، فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤَذُّونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا فَتَسْتَقِي، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنْعُوهُمْ نَجَّوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكَوهُمْ غَرَّقُوا جَمِيعًا^(٥)).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- خطورة مجانبة الصبر، وعدم احتمال الآخرين؛ لأنه يؤدي إلى أمور لا تحمد، وأفعال قد تكون خطيرة ومهلكة للجميع، فإن مما يلحظ في الحديث أن الضجر والضييق الذي لحق بالقوم أعلى السفينة جرأء مرور القوم الذين هم أسفل السفينة، أحدث سلوكًا خاطئًا يؤدي إلى هلاك جميع من في السفينة. وعليه فإن الحديث يتضمن دعوة أكيدة للصبر

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبدالله وهو أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، كان كريمًا جوادًا شجاعًا، قُتِلَ سنة أربع وستين وقيل خمس وستين في ذي الحجة. أسد الغابة، ابن الأثير، ٥/ ٣٢٦-٣٢٨، الإصابة، ابن حجر، ٣/ ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) المدهن: الخالي، والمدهن والمداهن واحد، والمراد به من يراني ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر. فتح الباري، ابن حجر، ٥/ ٢٩٥. وقد بحث فيما توفر لي من كتب غريب الحديث لشرح المفردة منها فلم أجد.

(٣) استهَمُوا: أي اُقْتَرَعُوا. النهاية، ابن الأثير، مادة: سهم، ٢/ ٤٢٩.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٦٨٦، كتاب الشهادات، باب القُرْعَةِ فِي الْمُسْكَاتِ، ٥/ ٢٩٢.

(٥) سنن الترمذي، ح ٢١٧٣، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ٤/ ٤٧٠،

السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٦٩، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/ ١٠٨.

واحتمال الآخرين، وعدم إغفال توجيههم ونصحهم وإرشادهم. قال ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) (١).

- حري بأهل الدعوة والقائمين عليها، أن يتحلوا بالصبر؛ لأن من شأنه تقوية عود الدعوة، وإطالة عمرها، والوصول بها إلى عالم فسيح، وبرّ آمن.

- أن يستيقن الدعاة أهمية الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وأنه من أعمال الدعوة التي لا تنجح بدون صبر، واحتمال للأذى المترتب على هذه الشعيرة العظيمة.

- عناية الداعية لاكتساب الأخلاق الكريمة، والتي منها الصبر بكل أنواعه، تنطلق من أمور تسهم في تحصيل هذا الخلق الكريم، ومنها: إعمال النظر، للتأمل، والتفكير بالعواقب.

- إن تَلَبُّسَ الداعية بخلق الصبر، يَجْلِبُ للدعوة النجاح، والظفر، والاستمرار، بعيداً عن مصلحة ذاتية، أو متاع دنيوي، بخلاف من يُبْدِي صَبْرَهُ ريشماً يتحقق له ذلك المتاع، وتلك المصلحة، بل إن صَبَرَ الداعية يرتكز على مسألة مهمة للغاية في الدعوة إلى الله، ألا وهي تحقيق المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، والتضحية من أجل ذلك بما يستطيع.

٢- الصبر عن معصية الله:

إن مما يعين المؤمن على الصبر عن معصية الله الاستعانة بكل أمر يوصل لذلك، ومن ذلك ما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى امْرَأَةً، فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ (٢)، فَقَضَى حَاجَتَهُ، وَخَرَجَ، وَقَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ، أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ امْرَأَةً، فَأَعْجَبْتَهُ، فَلْيَاتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا (٣). وفي رواية: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ (٤) مَنِيَّةً (٥) لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٩٣، كتاب الأمانة، فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، ١٥٠٦/٣.

(٢) زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ، سنة ثلاث ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وقد وصفت عائشة زينب بالوصف الجميل في قصة الإفك وأن الله عصمها بالورع قالت: وهي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ بألها بنت عمته، وبأن الله زوجها له وهن زوجها أولياؤهن، ماتت سنة عشرين، وكانت أول نساء النبي ﷺ، لحاقاً به. الإصابة، ابن حجر، ٣٠٧/٤.

(٣) سنن الترمذي، ح ١١٥٨، كتاب الرضاع، باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه، قال أبو عيسى: حديث جابر حديث صحيح حسن غريب، ٤٦٤/٣، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٢٣٥، ١/٧٣.

(٤) تمعس: أي تدبغ. وأصل المَعْسِ: المَعْكُ والدَّلْكُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: معس، ٣٤٢/٤.

(٥) المنيّة: الدباغ يقال للأدم منيّة ما دام في الدباغ. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: منأ، ٣٦٣/٤.

أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدَكُمْ امْرَأَةً، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ^(١).

قال النووي-رحمه الله-: ((يستحب لمن رأى امرأة، فتحركت شهوته أن يأتي امرأته، أو جاريته إن كانت له، فليواقعها ليدفع شهوته، وتسكن نفسه، ويجمع قلبه على ما هو بصدده))^(٢).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إعطاء الدعاة إلى الله درساً في أهمية الصبر في كل موطن، ومن ذلك الصبر عن معصية الله عز وجل.

- إرشادهم إلى ما يعينهم على الصبر في مثل هذا الموطن، وذلك بأن يأتي المرء أهله، ففي ذلك حصول أجر الصبر عن معصية الله، وإعفاف النفس والأهل.

- ضرورة إدراك خطورة الفتن، ومن ذلك النساء، وأنه لا يسلم من هذه الفتنة أحد، إلا أن المؤمن عموماً والدعاة خصوصاً لا ينساقون وراءها، بل يبادرون إلى تجاهلها، وبغضها، وتحديدها بما يرضي الله ويقربهم منه، صابرين محتسبين، فيسلمون من شرها، وخطورتها.

٣- الصبر على البلاء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ^(٣) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا. قَالَ: أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ. قُلْتُ: ذَلِكَ بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ. قَالَ: أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذى - شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا - إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَبْعَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ^(٤) الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا^(٥).

(١) صحيح مسلم، ح ١٤٠٣، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي، ١٠٢١ / ٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧٨ / ٩.

(٣) الوَعَكُ: الحُمَى. وقيل: ألمها. النهاية، ابن الأثير، مادة: وعك، ٢٠٧ / ٥.

(٤) تَحُطُّ: أي تنزل وتلقي عنه الخطايا والذنوب. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: حطط، ٤٠٢ / ١.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٦٤٨، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأمم، ١١١ / ١٠، صحيح مسلم، ح ٢٥٧١، كتاب السر والصلوة

والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، ١٩٩١ / ٤.

كان النبي ﷺ يصبر على البلاء ويحتسب؛ لما يترتب على الصبر من مضاعفة الأجر، مؤكداً ثمرة الصبر، وعاقبته بتشبيهه وتمثيل جميل، فقد شبه إزالة ومحو الذنوب بتساقط الورق من الشجرة، فتنظف، وتظهر بصورة حسنة بعد ذلك. قال ابن حجر - رحمه الله -: ((والحاصل أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر، ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها))^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ضرورة إدراك الدعاة أنهم عرضة للبلاء؛ لأن طريقتهم طريق الأنبياء، والأنبياء أشد الناس بلاء، ومما يمكن أن يسليه في هذا الشأن، قصة يعقوب، ويوسف، وأيوب، ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من عباد الله الصالحين الصابرين.

- وجوب معالجة البلاء، بالصبر عليه، واحتساب أجره عند الله، وبما هو مشروع من الأدعية لدفعه ورفعته، من كتاب الله وسنة مصطفاه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٢٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٤﴾﴾^(٢).

- تجلية، وإبراز ثمرة الصبر على البلاء، ودروسه النافعة. ومن ذلك قول الله حكايةً عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا أَتَىٰكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾﴾^(٣).

- تزويد المدعوين بصورة مشرقة للدعوة وحملتها، عندما يرون أو يسمعون أن أهل الدعوة يرضون ويقبلون ما نزل من البلاء بنفوس مطمئنة، لا يعرف السخط طريقاً إليها، ولا الضجر مكاناً فيها.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/١١٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٣-٨٥.

(٣) سورة يوسف: ٩٠.

خامساً - الشفقة^(١) والرحمة^(٢):

الشفقة والرحمة: كمال في الطبيعة تجعل المرء يرقّ لآلام الخلق، ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم، فيتمنى لهم الهدى، وكل ذلك كان ملازماً للنبي ﷺ كما أوضح القرآن الكريم في غير موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٥).

وتظهر هذه الصفة المباركة من أحاديث الأمثال التالية:

(أ) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ^(٦)، فَالْتَّجَاءُ^(٧)، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ، فَأَذْلَجُوا^(٨)، فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ،

(١) الشَّفَقَةُ: من الفعل شَفَقَ شَفَقَةً، وصيغة المبالغة شَفِيق وهو: الخيفة مع شدة النصح، فيكون الناصح خائفاً على المنصوح. تقول: أشفقت عليه أن يناله مكروه والشَّفِيق: الناصح الحريص على صلاح المنصوح. ومنه أشفق عليه أي: حرص على يناله مكروه. وعليه فإن الشَّفَقَةَ: هي صَرْفُ الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس. انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة: شفق، ١٠/ ١٧٩-١٨٠، كتاب التعريفات، الجرجاني، ص: ١٢٧.

(٢) والرَّحْمَةُ: الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، وتراحم القوم؛ رَحِمَ بعضهم بعضاً. والرَّحْمَنُ: اسم من أسماء الله عز وجل، ومعناه: ذو الرَّحْمَةِ التي لا غاية بعدها في الرَّحْمَةِ. والرَّحْمَةُ: هي إرادة إيصال الخير. لسان العرب، ابن منظور، مادة: رحم، ١٢/ ٢٣٠-٢٣١، كتاب التعريفات، الجرجاني، ص: ١١٠.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٥) سورة الكهف: ٦.

(٦) العريان: من عَرِيَ يَعْرِى إذا خلع ثوبه، وخصَّ العريان لأنه أبن للعين وأغرب وأشنع عند المبرص. وذلك أن عين القوم يكون على مكان عالٍ، فإذا رأى العدو قد أقبل نزع ثوبه وألح به لينذر قومه ويبقى عرياناً. النهاية، ابن الأثير، مادة: عرا، ٣/ ٢٢٥. والمقصود أن هذا كان من عادتهم المنتشرة في الجاهلية.

(٧) التجاء: أي انجوا بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر، أي انجوا التجاء، وتكراره للتأكيد. والتجاء: السرعة. يقال: تجأ تجئوا تجاءً، إذا أسرع. ونجأ من الأمر: إذا خلص، واتجأه غيره. النهاية، ابن الأثير، مادة: نجأ، ٥/ ٢٥.

(٨) فاذلجوا: دلج. يقال أدلج بالتخفيف: إذا سار من أول الليل، وأدلج بالتشديد: إذا سار من آخره، ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كُله. النهاية، ابن الأثير، مادة: دلج، ٢/ ١٢٩.

فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ^(١) فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ^(٢).

مثل النبي ﷺ نفسه وبعثته إلى الناس واختلاف استجابتهم لدعوته، بحال رجل رأى خطراً عظيماً يهدد قومه، فأسرع لإنذارهم، مشفقاً عليهم مؤكداً هذه الشفقة بتلك الهيعة، هيئة النذير العريان، الذي لا ينذر قومه إلا من خطرٍ عظيمٍ يحدق بهم، قد هوَّله وأذهله فنسي نفسه، فخلع ثوبه ملوحاً لقومه بما باغتهم وفاجأهم من الجيش الغائر عليهم، ثم مثل عليه الصلاة والسلام لأصحابه الكرام بمثال يبين تلك الشفقة النبوية عليهم، واصفاً لهم ما ينبغي لهم أن يفعلوه في مثل ذلك الظرف، ألا وهو طاعته، فمثل من أخذ كلام النذير العريان بمحمل الجدِّ، وتصرف التصرف السليم، فإنه سينجو من ذلك الهجوم الشرس، ومن تباطأ وأخذ يسوّف في التصرف، ولم يحمل الأمر محمل الجد، فإن العدو سيهجم عليه ويستأصله، فكذلك حال من أطاع الرسول ﷺ في دعوته وقبلها نجا من عذاب الله، ومن لم يُعِر لها بالاً فأدركه العذاب في الدنيا والآخرة، فيالله ما أروع هذا المثل النبوي، الذي يأخذ بلب المستمع والقارىء حتى لكأنه يرى شخوص الرواية، وهم:

- النذير العريان.
- القوم الطائعون له المسرعون في العمل بالنصيحة.
- القوم المتباطئون المستهترون.
- الجيش المهاجم.
- النهاية المساوية لأولئك النفر المسوّفين للعمل بالنصيحة.

كل تلك الصور تمر بذهنه، وهو يسمع أو يقرأ هذا المثل، فيتغلغل أثره في أعماق النفس، ومن ثم سيختار ما فيه سعادته.

(١) اجتاحتهم: استأصلهم . والاحتياح من الجائحة: وهي الآفة التي تُهلك الثمار والأموال وتُستأصلها، وكل مُصيبه عظيمة وفتنة مُبيرة: جائحة. النهاية، ابن الأثير، مادة: جوح، ١/ ٣١١-٣١٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٨٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ١٣/ ٢٦٤، صحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب الفضائل، باب شفقتي ﷺ على أمته، ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، ٤/ ١٧٨٨-١٧٨٩.

(ب) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ^(١) وَيَعْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ^(٢) عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)^(٣).

وفي رواية مسلم: (فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ: أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، فَتَعْلِبُونِي، تَقَحَّمُونَ فِيهَا)^(٤).

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف شفقتة بمثل رائع حيث بين أن مثله في دعوته الناس الراضين له ولما جاء به، كمثل رجل أشعل ناراً يستضيء بها، وينتفع، وبينما هو كذلك إذ بالفراش ونحوه يتجه إلى النار؛ لعدم إدراكه أنه سيلقي حتفه في تلك النار، والرجل يمنع، ولكنه يأبى إلا الوقوع في النار، فكذلك أولئك الراضون. يبذل النبي صلى الله عليه وسلم كل جهده، ويظهر كل شفقتة لإنقاذهم من نار الآخرة، فيدعوهم إلى ما ينجيهم منها، لكنهم يرفضون دعوته، ويأبون الاستجابة له جهلاً واستكباراً، فيلجئون بذلك النار عياداً بالله.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحَدِيثِينِ السَّابِقِينَ ما يلي:

- أهمية إبراز الداعية شفقتة بالمدعويين لكسبهم.
- استحباب استعمال الداعية كل ما يؤكد كلامه من الأقوال والأفعال.
- إدراك الدعاة لخطورة تجاهل نصح الناصحين وتحذير العارفين، فهم أحوج الناس لقبول النصح والتحذير وعدم إغفالهما.
- ضرورة إدراك الداعية حقيقة بعض المدعويين من حيث الجهل، أو العناد، أو الاستكبار، فتوجه الدعوة لكل بما يناسبه.

(١) التُّرْع: الحَذْبُ وأقْلَع، ومن تَرُوعَ المَيِّتَ رُوْحَهُ، ونَزَعَ القَوْسَ إِذَا حَذَبَهَا. النهاية، ابن الأثير، مادة: نزع، ٤١/٥.

(٢) حَجَزِكُمْ: أصل الحجز: موضع شد الإزار، النهاية، ابن الأثير، مادة: حجز، ٣٤٤/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤٨٣، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ٣١٦/١١، وحديث ٣٤٢٧، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله

﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ أُوَابٌ ﴾ ص ٤٥٨/٦.

(٤) صحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب الفضائل، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، ١٧٨٩/٤.

- استحباب القيام بعملٍ موازنةٍ بين قبولِ الدعوةِ ورفضها من حيث النهاية، فيبين الداعية أنَّ من قَبِلَ الدعوةَ أنقذ نفسه، ونال السعادة في الدارين، ومن رفض الدعوة أهلك نفسه وشقي في الدارين.

- ضرورة تجليةِ الدعاةِ لثمراتِ الشفقةِ والرحمةِ في حقلِ الدعوةِ، وعلى رأس ذلك الإسراع في قبول الدعوة عندما يثق المدعوون بشفقة الداعي ورحمته بهم.

سادساً - التواضع^(١):

التواضع من خير الخلال، وأحبُّ الخصال إلى الله، وإلى الناس، وهو موجبٌ للرفعة، وباعثٌ على التآلف، ومُحَقِّقٌ للحب والودِّ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتواضع للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

أمر الله النبي ﷺ بأن يخفض جناحه للمؤمنين، فأطاع الله حقَّ طاعته، وكان ﷺ أسوة يُقتدى به في التواضع. وبقدر تواضع الداعية تجدُّ احترامَ المدعوين ومحبَّتَهُم له، وتقبُّلَهُم لدعوته، كما سيتضح من الحديث التالي:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ، وَفِيهِ: (فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَتْ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا. فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ. فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ)^(٣).

(١) التواضع: التذللُ. وتواضع الرجل: ذلُّ. وتواضعت الأرضُ: انخفضت عما يليها. التواضع: خضوع للحق، وانقياد له، وقبوله من قائله، مع خفضِ جناحٍ ولينِ جانبٍ. الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دون باقي معلومات النشر، مادة: وضع، ٣ / ١٣٠، لسان العرب، ابن منظور، مادة: وضع، ٨ / ٣٩٧، انظر: تهذيب مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، الإمارات العربية المتحدة، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، دون تاريخ، ص: ٤٢٩.

(٢) سورة الحجر: ٨٨.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٠١، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١ / ٥٠٣، صحيح مسلم، ح ٥٧٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ١ / ٤٠٠.

وفي رواية: (صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا. فَقَالُوا: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ) (١).

يتضح من التمثيل في قوله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنَسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي) بيان لحقيقة بشريته، التي يعترها النسيان كما يعترى الآخرين، فوجه عليه الصلاة والسلام صحابته بأنه إذا حصل منه نسيان فلا يترددوا في تذكيره، وهو بهذا التوجيه يفتح الباب على مصراعيه للمدعوين، ليقولوا ما لديهم، فلا حواجز ولا حجاب بينه وبينهم تمنع من الوصول إليه، وهذا ما يبرز تواضعه ﷺ وقربه من صحابته.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة التناصح بين كل الناس مهما اختلفت طبقاتهم. بمعنى أنه يُشْرَعُ أن يَنْصَحَ الصغيرُ الكبيرَ، والموظفُ المديرَ، والمحكومُ الحاكمَ، على أن يكون ذلك محاطاً بالأدب والتقدير.

- أهمية أن يتقبل الداعية كُلَّ نقدٍ وتوجيهٍ، وكلَّ نصحٍ هادفٍ دون غضاضةٍ، ودون استعلاءٍ، بل ينطلق من مبدأ له قيمته في ميدان الدعوة إلى الله ألا وهو ((رحم الله من أهدى إلي عيوبي)) (٢). ولا ريب أن من كان بهذه المثابة، فإن ذلك علامةُ الإخلاصِ، فإن المخلصَ الذي قد يحب شهرةً ولا يشعرُ بها إذا عوتب في ذلك لا يُبْرِيءُ نفسه، بل يعترفُ ويقولُ: رحم الله من أهدى إلي عيوبي (٣).

- أهمية تبرير الداعية لما يحدثُ منه من أخطاءٍ، وزلاتٍ مع التأكيد للمدعوين بعدم إخفاء شيءٍ من البلاغ والنصح في الدين.

- ينبغي أن يُقرنَ الداعيةُ أعماله التي يؤديها مع الناس، وعلى مرآى منهم بأقوالٍ تدعم تلك الأعمالَ، وتبين سببها وتحدها.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٠٤، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها، ١/٥٠٧.

(٢) وينسب هذا القول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. سنن الدارمي، رسالة عباد الخواص، ١/١٦٩.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٧/٣٩٣.

سابعاً- الزهد^(١):

مما كان يتخلق ويتصف به النبي ﷺ سيد الدعاة وإمامهم: الزهد، بل كانت حياته كلها حياة تقشف وزهد، تتأكد تلك الحياة الزهدية-التي لا نظير لها- فيما نقل عنه عليه الصلاة والسلام من سيرته مع أهله، وفي بيته، ومع أصحابه في حلهم وترحالهم، ومن ذلك ما ورد في الحديث التالي:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأنثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، فقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال: رسول الله ﷺ: (ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها)^(٢).

وفي رواية: (ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها)^(٣).

يوضح هذا الحديث زهد النبي ﷺ، وابتعاده عن زخرف الحياة، ومتاعها الزائل، وعيشها الفاني، فحين طلب منه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يأذن له بوضع شيء على الحصير حينما رأى أثره على جسد النبي ﷺ رفض، ثم نطق بكلمات تُبين حاله في هذه الدنيا، مؤكداً ذلك بتمثيل واقع معروف ومحسوس، حيث شبه نفسه ومثلها كممثل الراكب المسافر في يوم حار، فإنه عندما يتعبه الرحيل وتلهبه الحرارة، فإنه سيبحث عن ظل يخفف معاناته وتعبه، وعندما وجده تظلل تحته، ولكنه ظل زائل لا يدوم، فمتى ذهب الظل، فإن المستظل تحته سوف يرحل، إذ لا فائدة من بقائه تحت الشجرة.

(١) الزهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، وقيل: الزهد في اللغة: هو ترك الميل إلى الشيء. والزهد: هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً

لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلقت منه يدك. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: زهد، ١٩٦/٣، كتاب التعريفات، الجرجاني، ص: ١١٥.

(٢) المسند، ح ٣٧٠٩، وقال محققه: حديث صحيح، ٢٤١-٢٤٢، سنن الترمذي، ح ٢٣٧٧، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، وقال: هذا حديث

حسن صحيح، ٥٨٩/٤، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ح ٥٢٩٢، ١٩٦/٩، وقال محققه: إسناده ضعيف، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٤٣٩، ١٧٩/١.

(٣) المسند، ح ٤٢٠٨، وقال محققه: حديث صحيح إسناده حسن، وفيه عبد الرحمن المسعودي، وهو مختلط، ولكن حدث به قبل الاختلاط، وبقية رجاله ثقات، رجال

الشيخين. ٢٥٩/٧، المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، جدة، دار المدني، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، ٢١٧/١٣، مسند

أبي يعلى، ح ٤٩٩٨، ٤١٦/٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٤٤٠، ١٨٠/١.

وهكذا الدنيا إنما هي ظل زائل ودار ارتحال لا دار دوام. وهكذا عرف عباد الله الصالحين حقيقتها وقدرها فزهدوا فيها.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يتخلص الدعاة من التعلق بالدنيا الفانية؛ لأنَّ أخلاقهم تمنعهم من اللهث ورائها، كما يلهث عاشقوها، مدركين ما قاله النبي ﷺ في شأنها: (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أَوْ مُتَعَلِّمٌ)^(١).

- أهمية العناية بالزهد في حياة الدعاة من حيث إدراكهم لحقيقة الدنيا، وكشف زيف زخارفها، وغرورها، متأسين بنبيهم عليه الصلاة والسلام، موقنين ببحث أصحابه للعزوف عنها، في مثل قوله ﷺ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا)^(٢).

- استحباب اعتناء الدعاة بعرض ثمرات الزهد في الدنيا، وعلى رأسها الطمأنينة النفسية، وقد أكد حصول هذه الطمأنينة للزاهدين فيها قولُ رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)^(٣).

- ضرورة أن يدرك الداعية خطورة الالتفات، والطمع فيما عند المدعويين، وأن يحذر من سلبياتها على الدعوة؛ لأن الداعية إذا تطلع إلى ما عند الآخرين، وأصبح همُّه أن يستفيد من الماديات لديهم، فإنهم سينفرون منه، وسيدركون أنه لا يدعوهم صادقاً، وإنما يرجو متاعاً زائلاً، فلا يكاد يستجيب لدعوته أحد.

ثامناً - حُسْنُ العِشْرَةِ: المرادُ بحسن العِشْرَةِ: اللطفُ، وإدخالُ السرورِ، والمتعةِ على الأهل. ولا يخفى أن هذه الصفة الكريمة كانت من شمائل المصطفى ﷺ، وهو القدوة

(١) سنن الترمذي، ح ٢٣٢٢، كتاب الزهد عن رسول الله، باب منه، وقال: هذا حديث حسن غريب، ٥٦١/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٨٩١، ٢٦٩/٢.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٣٢٠، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزوجل، ٥٦٠/٤، سنن ابن ماجه، ح ٤١١٠، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ١٣٧٧/٢، واللفظ لابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٣١٨، ٣٩٤/٢.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٤٦٥، كتاب صفة القيامة، باب ٣٠، ٦٤٢/٤، سنن ابن ماجه، ح ٤١٠٥، كتاب الزهد، باب الهمة بالدنيا، ١٣٧٥/٢. واللفظ لابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٣١٠، ٣٩٣/٢.

فيها، حيث كان يتلطف بأهله، ويداعبهم، ويخدمهم ﷺ، وقد بين مكانته في هذا الأمر فقال: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) (١).

ومما يبرز هذا الخلق الفاضل في حياة النبي ﷺ ما كان يدور في بيته من باب المسامرة في العلم، والمؤانسة في الوقت ذاته للأهل، في مثل حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: (جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدَنَ، وَتَعَاقَدَنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا) [فذكرت مقالة كل واحدة منهن إلى أن قالت رضي الله عنها] قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ وَمَا أَبُو زَرَعٍ، أَنَسٌ (٢) مِنْ حُلِيِّ أَدْنِيِّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، وَبَجَحَنِي (٣) فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةَ بِشِقِّ (٤)، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ (٥)، وَدَائِسٍ (٦)، وَمُنَقِّ (٧)، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبِحُ (٨)، وَأَرْقُدُ فَاتَّصَبِحُ (٩)، وَأَشْرَبُ فَاتَّفَتَّحُ (١٠). أُمُّ أَبِي زَرَعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ، عَكُومُهَا (١١) رَدَاخُ (١٢)، وَبَيْتُهَا فَسَاخُ (١٣)، ابْنُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ

(١) سنن الترمذي، ح ٣٨٩٥، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي، ٣٣٣/٢، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، سنن الدارمي، ح ٢٢٦٠، كتاب النكاح، باب حسن عشرة النساء، ٢١٢/٢، و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٢٨٥، المجلد الأول، ١٦٩/٣.

(٢) أناس: كل شيء يتحرك متدليا فقد ناس يئوس ونؤسا، وأناسه غيره، تُريد أنه حالها قرطه وشئوفاً تئوس بأدنيها. النهاية، ابن الأثير، مادة: نؤس، ١٢٧/٥.

(٣) بَجَحَنِي فَجَحَتِ: أي فَرَحَنِي فَفَرِحْتُ. وقيل عَطَمَنِي فَعَطَمْتُ نَفْسِي عِنْدِي. يقال فلان يَبَجَحُ بكذا أي يَتَعَطَّمُ ويفتخر. النهاية، ابن الأثير، مادة: بجح، ٩٦/١.

(٤) بشيق: يروى بالكسر والفتح فالكسر من المشقة، يقال هم بشق من العيش إذا كانوا في جهْد، وأما الفتح فهو من الشَّقِّ: الفَصْلُ في الشيء، كأنها أرادت أنهم في موضع حَرَجٍ صَبِيٍّ كَالشَّقِّ في الجبل. وقيل شَقَّ: اسم موضع بعينه. النهاية، ابن الأثير، مادة: شقق، ٤٩١/٢.

(٥) صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ: تريد أنها كانت في أهل قِلَّةٍ فَتَقَلَّهَا إلى أهل كَثْرَةٍ وَتَرَوَّهَ؛ لأن أهل الحِيلِ والإبل أكثرُ مالا من أهل العَنَمِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: سهل، ٦٣/٣.

(٦) دَائِسٍ: الدائسُ هو الذي يُدَوِّسُ الطَّعَامَ وَيُدَقُّهُ بِالْفَدَانِ لِيُخْرِجَ الْحَبَّ مِنَ السَّنْبِلِ، وهو الدِّيَّاسُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: دوس، ١٤٠/٢.

(٧) مُنَقِّ: يفتح النون هو الذي يُنَقِّي الطَّعَامَ: أي يُخْرِجُهُ مِنْ قَشْرِهِ وَيُثَبِّتُهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: نقا، ١١١/٥.

(٨) أَقْبِحُ: أي لَا يَرِدُ عَلَيَّ قَوْلِي؛ لِمَيْلِهِ إِلَيَّ وَكَرَامَتِي عَلَيْهِ. يقال: قَبِحْتُ فَلَانَ إِذَا قُلْتُ لَهُ: قَبِحَكَ اللَّهُ، مِنْ الْقَبْحِ، وهو الإِنْعَادُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: قبح، ٣/٤.

(٩) أَتَّصَبِحُ: أرادت أنها مكفئة، فهي تنام الصُّبْحَةَ. النهاية، ابن الأثير، مادة: صبح، ٧/٣.

(١٠) أَتَّفَتَّحُ: أي أَقْطَعُ الشَّرْبَ وَأَتَمَهِّلُ فِيهِ. وقيل: هو الشُّرْبُ بَعْدَ الرَّيِّ. النهاية، ابن الأثير، مادة: فتح، ١١٢/٤.

(١١) العُكُومُ: الأُخْمَالُ وَالغَرَائِرُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الأُمَيْعَةُ وَغَيْرُهَا، واجدها: عِكْمٌ، بالكسر. النهاية، ابن الأثير، مادة: عكم، ٢٨٥/٣.

(١٢) رَدَاخُ: يقال: امرأةٌ رَدَاخٌ: ثَقِيلَةُ الكَفْلِ، والعُكُومُ: الأَعْدَالُ، جَمْعُ عَكْمٍ، وصفها بالنقل؛ لكثرة ما فيها من المتاع والنياب. النهاية، ابن الأثير، مادة: رذح، ٢١٣/٢.

(١٣) فَسَاخُ: أي واسع. النهاية، ابن الأثير، مادة: فسح، ٤٤٥/٣.

مَضَجُهُ كَمَسَلٍ^(١) شَطْبَةٍ^(٢)، وَيُسْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ^(٣)، بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمَّهَا، وَمِلُّ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارِيَتِهَا^(٤)، جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ، لَا تُبْتُ^(٥) حَدِيثَنَا تَبِيثًا، وَلَا تُنَقِّتُ^(٦) مِيرَتَنَا^(٧) تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيثًا^(٨)، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ^(٩) تُمَخَضُ^(١٠)، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا^(١١)، رَكِبَ شَرِيًّا^(١٢)، وَأَخَذَ خَطِيئًا^(١٣)، وَأَرَاخَ^(١٤) عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ^(١٥) زَوْجًا، وَقَالَ كَلْبِي أُمُّ زَرَعٍ، وَمِيرِي^(١٦) أَهْلِكَ، قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ

(١) الْمَسَلُّ: مصدر بمعنى المسلول: أي الخارج من قشره. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: سلل، ٣٩٢/٢.

(٢) الشَّطْبَةُ: السَّعْفَةُ من سَعَفِ النخلة ما دامت رطبة، أرادت أنه قليل اللحم دقيق الخصر، فشبهته بالشَّطْبَةِ: أي موضع نومه دقيق؛ لنحافته. وقيل أرادت بمسَلِّ الشَّطْبَةِ سَيْفًا سُلَّ من غمده. النهاية، ابن الأثير، مادة: شطب، ٤٧٢/٢.

(٣) الجفْرَةُ: الأثني من أولاد المعز إذا بلغت أربعة أشهر وقُصِلت عن أمها وأخذت في الرعي، وفي الحديث (يَكْفِيهِ ذِرَاعُ الجفْرَةِ) مَدَحَتْهُ بِقَلَّةِ الأكل. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: جفر، ٢٧٧-٢٧٨.

(٤) الحارَّة: الضَّرَّة، من الحارَّة يَبْتُهُمَا: أي أما ترى حُسْنَهَا فَيَعْضُهَا ذلك. النهاية، ابن الأثير، مادة: جور، ٣١٣/١.

(٥) لَا تُبْتُ: أي لا تنشر القبيح من الحديث نشرًا. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: بث، ٩٥/١.

(٦) التَّقَّتْ: التَّقَلَّ. أرادت أنها أمينة على حفظ طعامنا، لا تُثْقَلُهُ وتُخْرِجُهُ وتُفَرِّقُهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: نقث، ١٠٣/٥.

(٧) الميرة: الطعام. النهاية، ابن الأثير، مادة: مير، ٣٧٩/٤.

(٨) تَعْشِيثًا: أي أما لا تحوِّننا في طعامنا فتجأ منه في هذه الزاوية وفي هذه الزاوية، كالطيور إذا عَشَشَتْ في مواضع شتى. وقيل: أرادت لا تملأ بيتنا بالمزابل كأنه عُشٌّ طائر. النهاية، ابن الأثير، مادة: عشش، ٢٤١/٣.

(٩) الوَطْبُ: الرُّقُّ الذي يكون فيه السَّمَن واللبن وهو جلدُ الجَدَعِ فما فَوْقَهُ، وجمعه أَوْطَابٌ وَوَطَابٌ. النهاية، ابن الأثير، مادة: وطب، ٢٠٣/٥.

(١٠) المَخَضُ: تحريك السَّقاء الذي فيه اللبن؛ ليخْرُجَ زُبْدُهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: مخض، ٣٠٦/٤.

(١١) سَرِيًّا: أي نفيسًا شريفًا. وقيل سَخِيًّا ذا مِرْوَعَةٍ. النهاية، ابن الأثير، مادة: سرى، ٣٦٣/٢.

(١٢) رَكِبَ شَرِيًّا: أي ركب فرسًا يَسْتَشْتَرِي في سيره، يعني يَلِجُ وَيَجِدُ. وقيل الشَّرِيُّ: الفائق الخیار. النهاية، ابن الأثير، مادة: شرا، ٤٦٩/٢.

(١٣) الحَطِيٌّ بالفتح: الرُّمَحُ المنسوب إلى الحَطِّ، وهو سيفُ البحر عند عمان والبحرين؛ لأنها تحمل إليه وتُثَقَّفُ به. النهاية، ابن الأثير، مادة: حطط، ٤٨/٢.

(١٤) أَرَاخَ عَلَيَّ: أي أعطاني؛ لأنها كانت هي مَرَاحًا لنعمة. النهاية، ابن الأثير، مادة: روح، ٢٧٣/٢.

(١٥) رَائِحَةٌ: أي مما يروح عليه من أصناف المأل أعطاني، نصيبًا وصنفاً. النهاية، ابن الأثير، مادة: روح، ٢٧٣/٢.

(١٦) مَارَهُمْ بِمِيرِهِمْ: إذا أعطاهم الميرة. النهاية، ابن الأثير، مادة: مير، ٣٧٩/٤.

أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْعَرَ آنِيَةَ أَبِي زَرَعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأَمِّ زَرَعٍ)^(١). وفي رواية: (غَيْرَ أَنَّهُ يُطَلَّقُ وَأَنَا لَا أُطَلَّقُ)^(٢).

شبه النبي ﷺ نفسه بأبي زرع في الأمور الطيبة من عشرته لأهله، وهذا لا يلزم منه مساواة المُشَبَّهِ بِالْمُشَبَّهِ به من كل جهة؛ لأن النبي ﷺ أكمل الرجال خلقاً فلا يُشَبَّهُ بِمَنْ دُونَهُ بل يُشَبَّهُ بِغَيْرِهِ به، ولكن أراد النبي ﷺ أن يُضْفِيَ إلى الجلسة الانبساط والمتعة والمداعبة الحسنة، فقال لها ذلك، أي: أنه كان لعائشة كأبي زرع في الألفة والوفاء، لا في الفرقة والجلاء؛ لذلك قال في ختام الحديث غير أنه يُطَلَّقُ وَأَنَا لَا أُطَلَّقُ. وفي ذلك تطييب لها وطمأنينة لقلبها، ودفع لإيهاهم عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع، إذ لم يكن فيه ما تدمه النساء سوى ذلك.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- القدوة في رسول الله ﷺ بحسن المرء لأهله، وإدخال الأنس عليهم، والأنسُ بابٌ في الأخلاق واسعٌ، يكون بكلمة، يكون بهدية، بقبلة، بمداعبة، بلقمة يضعها الرجلُ في فم أهله، بإعانة على قضاء حاجةٍ، ونحو ذلك مما يصعب حصره، وأدنى درجات الأنس تبسم الرجل في وجه أهله. وكل ذلك مما يثاب عليه، فقد ثبت عن النبي ﷺ في وصيته لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ^(٣): (وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ)^(٤).

- مشروعية المحادثة بالأمور المباحة، ما لم يفرض ذلك إلى ما يمنع. وفي ذلك ما لا يخفى من المصالح الإيجابية في الروابط الأسرية.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥١٨٩، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ٩ / ٢٥٤ - ٢٥٥، صحيح مسلم، ح ٢٤٤٨، كتاب فضائل الصحابة، ذكر حديث أم زرع، ٤ / ١٨٩٦ - ١٩٠١.

(٢) هذه الرواية: عزاها الألباني في مختصر الشمائل، ص: ١٣٤ للنسائي في عشرة النساء. الفردوس بمأثور الخطاب، شبرويه بن شهرذار بن شبرويه الدلمي الهمداني، تحقيق السعيد بن بسوي زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ح ٤٨٥٣، ٣ / ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٣) سعد بن مالك بن أهب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين الجنة، وآخرهم موتاً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، كان محاب الدعوة مشهوراً بذلك، وهو الذي فتح مدائن كسرى، اختلف في سنة وفاته قيل خمس وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك. الإصابة، ابن حجر، ٢ / ٣٠ - ٣١.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٢٧٤٢، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفوا الناس، ٥ / ٣٦٣.

- جواز المزاح للترويح عن النفوس، غير أنه يجب ألا يكون المزح في الباطل، بل في الحق ولا يخرج عنه، كما كان هديه ﷺ فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تُداعِبُنَا، قَالَ: (إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا) (١).

- مظهر القدوة في سيرته ﷺ، وتطبيق هذه القدوة المباركة، من خلال مداعبة الرجل أهله، وإيناسه لهم، وإدخال السرور على نفوسهم، وإعلامه بمحبته لهم، ما لم يؤدي ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك، من تجني الزوجة عليه، أو إغراضها عنه (٢).

لذلك يُطالَبُ الدعاة إلى الله عز وجل بالأخذ بهذه الأسوة الحسنة في حسن العشرة؛ لأنها زينة، وجمال له بريقه في سير دعوتهم، وحملٌ خفيف لا يكلفهم سوى صفاء النفس، وطيب السريرة، حيث إنهم أحوج إليها من غيرهم؛ إذ كيف يدعو إلى خلقٍ من يفقده، وإلى أمرٍ من يفسدُهُ! إنه لعمر الله التناقض الذي لا يُقبلُ من أحد، ولا سيما من حاملي لواء الدعوة الإسلامية.

وتتأكد العشرة الحسنة مع الأهل، بالصبر على الزوجة، وتحمل أخطائها، وإكرامها، وعدم تقيحها، وضربها ضربًا مُبرحًا، وغير ذلك من أمور العشرة الحسنة التي جرت السنة على الندب إليها، والدعوة إلى التزامها، ومن ذلك الحديث التالي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الْمَرْأَةُ كَالضَّلَعِ (٣) إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ) (٤).

يوضح الحديث أن النساء في خلقهنَّ أعوجاجٌ في الأصل، فلا يستطيع أحدٌ أن يغيِّرهنَّ عمدًا جبَلنَ عليه، فالمرأة إذا أراد زوجها إصلاحَ أخطائها، وبالغ في ذلك، وتشدَّد، وتعتت ولم يعاملها بالمساحة، ولم يتغافل عن بعض أفعالها، فإن نهايتها طلاقها كحال العود

(١) سنن الترمذي، ح ١٩٩٠، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في المزاح، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، ٣٥٧/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٦٢١، ١٩٢/٢.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٢٧٥ - ٢٧٧.

(٣) الضَّلَعُ: أي: العود المائل. وهو عظم الجنب وهو معوج. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: ضلع، ٩٦/٣. تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط. الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ٣٦٧/٤.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥١٨٤، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، ٢٥٢/٩، سنن الترمذي، ح ١١٨٨، كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله، باب ما جاء في مداراة النساء، قال أبو عيسى: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وإسناده جيد، ٤٩٤/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٩٤٩، ٣٤٩/١.

المُعَوَّجُّ الشَّدِيدُ الْيَابِسُ إِذَا حَاوَلَ الْمَرْءُ إِقَامَةَ أَعْوَجَاجِهِ فَإِنَّهُ سَيُكْسَرُ، فَكَذَا الْمَرْأَةُ، إِلَّا أَنْ كَسَرَهَا هُوَ طَلَّاقُهَا، فَلَا حِلَّ لِلرَّجُلِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ إِلَّا أَنْ يَحْرُصَ عَلَى بَقَائِهَا، وَالِاسْتِمْتَاعُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ الْعَوَجِ الَّتِي خُلِقَتْ عَلَيْهِ^(١).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إنَّ حَسْنَ مَعَاشِرَةِ الزَّوْجِ لِلْمَرْأَةِ سَبَبٌ لِاسْتِمْرَارِ حَيَاتِهَا مَعًا، وَسَعَادَتِهَا، وَالِدَاعِيَةِ أَوَّلُ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَفَّ بِالْعَشْرَةِ الْحَسَنَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْوَةٌ لِلآخَرِينَ.

- إِنَّ تَحْلِيَّ الدَاعِيَةِ بِحَسَنِ الْعَشْرَةِ مَعَ أَهْلِهِ، يَقْتَضِي أَنْ يَظْهَرَ تَقْدِيرَهُ وَاحْتِرَامَهُ لَهُمْ، مَوْقِنًا أَنْ مَنْ كَانَ زَوْجًا بِالْكَذِبِ، فَإِنَّ زَوَاجَهُ كَذِبٌ، وَنَهَايَةَ هَذَا الزَّوْاجِ نَهَايَةُ الْيَمَةِ وَمَأْسَاوِيَّةٌ.

- كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ فِي هَذِهِ الْأَزْمَنَةِ يَجَانِبُونَ الْعَشْرَةَ الْحَسَنَةَ لِزَوْجَاتِهِمْ، وَمِنْهُمْ بَعْضٌ مَنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الدَّعْوَةِ، فَيَسْتَأْسِدُونَ عَلَى زَوْجَاتِهِمْ، وَيَمَارِسُونَ سَائِرَ أَنْوَاعِ الشَّدَةِ وَالْغَلْظَةِ، فَإِذَا مَا خَرَجُوا لِلنَّاسِ أَلَانُوا الْكَلَامَ، وَانْبَسَطَتْ أَسَارِيرُ وَجُوهِهُمْ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لِلْغَلْظَةِ طَرِيقًا، وَتَشْدُقُوا بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْمَعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ وَحَسَنِ الْمَعَاشِرَةِ، وَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ، وَفِي هَذَا إِضْرَارٌ بِالدَّعْوَةِ كَبِيرٌ، يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِحْتِرَاسُ مِنْهُ، وَالْبَعْدُ عَنْهُ، كَمَا يَجِبُ التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَسَنِ عَشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ.

وإنَّ أَعْجَبَ مَا فِي سِيرَتِهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ الْعَظِيمِ، مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ، وَعَظِيمِ مِثْلَتِهِ، عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَا وَرَدَ فِي شَمَائِلِهِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ، حِينَ سُئِلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)^(٢).

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط. الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٣٦٣/١٦، تحفة

الأحوذى، المباركفوري، ٣٦٧/٤-٣٦٨.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٦٧٦، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، ١٦٢/٢.

الفصلُ الثَّانِي: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمَدْعُوِّ
الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ - فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِاسْتِجَابَةِ الْمَدْعُوِّ
المُبْحَثُ الثَّانِي - فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِإِعْرَاضِ الْمَدْعُوِّ

الفصل الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالمدعو

مقدمة: في أصناف المدعويين:

إنَّ المتأملَ لأحاديثِ الأمثالِ يتبينُ له تَنوعُ أحوالِ المدعويين، وتعدُّدُ أصنافِهِمْ، وتبايُنُ مَوَاقِفِهِمْ، فمنهم مَنِ استجاب، ومنهم مَنِ أَعْرَضَ بالكليَّة، ومنهم من استجاب لبعض تعاليم الدين وأعرض عن البعض الآخر، ويتضحُ هذا التنوعُ، والتعدُّدُ، والتبايُنُ، من أحاديثِ الأمثالِ التالية:

(أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجْتَدَّةٌ^(١)، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)^(٢).

يتبين من تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمعادن الفضة والذهب تباينهم، واختلافهم كاختلاف معادن الفضة والذهب مبيناً لهم أَنَّ خَيْرَهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ وَفَقَّهُ.

قال النووي { . البنوي } - رحمه الله -: ((قوله: خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ. معناه: أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَاتِ، وَمَكَارِمَ الْخَلَائِقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَسْلَمُوا وَفَقَّهُوا، فَهُمْ خِيَارُ النَّاسِ))^(٣).

(ب) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبْلَ الْمَاءِ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَحَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِمَّا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)^(٤).

(١) مُجْتَدَّةٌ: أي مَجْمُوعَةٌ، كما يقال أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، وقناطير مَقْنَطَرَةٌ، ومعناه: أَنَّ الْأَرْوَاحَ خُلِقَتْ أَوَّلَ حَلْقِهَا عَلَى قَسْمَيْنِ: مِنْ اتِّلَافٍ وَاخْتِلَافٍ، كَالْجُنُودِ الْمَجْمُوعَةِ إِذَا تَقَابَلَتْ وَتَوَاجَهَتْ. وقيل: أَنَّ الْأَجْسَادَ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ تَلْتَقِي فِي الدُّنْيَا فَتَأْتَلَفُ وَتَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ مَا خَلَقَتْ عَلَيْهِ، وَهَذَا تَرَى الْخَيْرَ يَحِبُّ الْأَخْيَارَ وَيُبْغِضُ الْبِغْيَةَ، وَالشَّرَّيرَ يَحِبُّ الْأَشْرَارَ وَيُبْغِضُ الْبِغْيَةَ. النهاية، ابن الأثير، مادة: جند، ١/ ٣٠٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٦٣٨، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، ٤/ ٢٠٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٥/ ١٥.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٩، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ١٧٥/ ١.

يتبين من الحديث تصنيف النبي ﷺ للمدعوين على النحو التالي:

١ - منهم من استجاب للدعوة فعلم وعلم غيره ودعا إلى ذلك.

٢ - ومنهم من أمسك العلم ولم ينتفع به، ولكنه نفع به من حوله.

٣ - ومنهم من لم ينتفع به ولم ينفع به غيره.

وفي الحديث مثل بليغ يبين حال المدعو، وموقفه من دعوة الهدى والعلم. فالدعوة مثل الغيث، وقلوب المدعوين مثل الأرض، فالغيث ينزل على سائر الأرض، ولكن لا يثبت إلا الأرض الصالحة للإنبات، فتتفع حينئذ، وينتفع غيرها منها، وكذلك تقبله الأرض الجذباء فيحجز الماء فيها؛ لينتفع الناس منه شراباً وسقياً وزراعة، وهي لا تتفع بذلك، وإنما هي مكان لحفظه ليس إلا، وهذا القسم: هو الذي قال فيه النبي ﷺ: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرَهُ، فَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ) (١).

ذكر النووي - رحمه الله - في شرحه لحديث الباب معلقاً على هذا الصنف من الناس: ((النوع الثاني من الناس: لهم قلوبٌ حافظةٌ لكن ليست لهم أفهامٌ ثابتةٌ، ولا رسوخٌ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهادٌ في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالبٌ محتاجٌ متعطشٌ لما عندهم من العلم أهلٌ للنفع والانتفاع، فيأخذهم منهم، فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم)) (٢). وأما الصنف الثالث من الأراضي فلا يثبت ولا يمسك، بل كلُّ الذي يقع عليه يسقط منه كالحجارة الصلدة المساء التي لا يستقر فيها الماء. فكذلك القلوب منها: ما يقبل الهدى، فينتفع وينفع الآخرين، ومنها: ما يحفظ الهدى والعلم، ولا يعمل بمقتضاه كما ينبغي، ولكنه ينفع الآخرين بنقله ونشره، ومنها: ما يرفض الهدى، فلا ينتفع هو ولا ينفع الآخرين، فهذا خسارته أعظم وأكبر. وسينقسم الكلام في الأسطر التالية إلى مبحثين: المبحث الأول: فقه الأمثال المتعلقة باستجابة المدعو. المبحث الثاني: فقه الأمثال المتعلقة بإعراض المدعو.

(١) سنن الترمذي، ح ٢٦٥٦، كتاب العلم، باب في الحث على تبليغ السماع، قال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديث حسن، ٣٢٣/٥-٣٤، سنن ابن ماجه،

ح ٢٣٠، المقدمة، باب من بلغ علماً، ٨٤/١-٨٥، صحيح سنن الترمذي، الألباني، ح ٢١٣٩، ٢/٢٣٧-٣٣٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٤٨/١٥. انظر: الكاشف، الطيبي، ٦١٦/٢-٦١٨، فتح الباري، ابن حجر، ١/١٧٧.

المبحث الأول: فقه الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِاسْتِجَابَةِ الْمَدْعُوِّ

المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة باستجابة المدعو

أولاً - تعريف الاستجابة:

الاستجابة في اللغة: من الفعل جَوَّبَ ومعناه: مراجعة الكلام وترديده، والإجابة والاستجابة بمعنى واحدٍ، يقال: استجاب الله دعاءه. ويقال: استجاب له^(١)، وقد ورد في القرآن: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾^(٢)، ومعناه: فليطيعوا لي، وكذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٣). أي: الذين سارعوا بطاعة الرسول ﷺ، وكذلك حكاية عن الشيطان: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(٤). أي: أطيعوني^(٥).

ومن المعاني اللغوية للاستجابة، يظهر المعنى الدَّعْوِيُّ لها وهو: قبولُ دعوة الحق والنور التي أتى بها النبي ﷺ، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر^(٦).

ثانياً: نفع المستجيبين لدعوة النبي ﷺ وكثرتهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ)^(٧).

(١) انظر: تمهيد اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، الدار المصرية للتأليف، دون تاريخ، مادة: جاب، ٢١٨/١١، لسان العرب، ابن منظور، مادة: جوب، ٢٨٣-٢٨٦.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مصر، المطبعة الخيرية، ط. الأولى، ١٣٠٦هـ، فصل الجيم من باب الباء، ١/١٩٣.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٢.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ، ١٦٦/٢، ٤٣٦/٧.

(٦) انظر: دعوة النبي ﷺ، للأعراب، حمود بن حابر الجارثي، الرياض، دار المسلم، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص: ٣٠٧.

(٧) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٩، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب مثل الصلوات الخمس، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ١٥٢/٥، وقال الترمذي:

وهذا حديث حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، صحيح سنن الترمذي، الألباني، ح ٢٣٠٢، ٣٨١/٢، وقال: حسنٌ صحيحٌ.

نقل الطيبي عن التوربشتي^(١) -رحمهما الله-: ((قوله: (لا يُدْرَى أَوْلُهُ خَيْرٌ) لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون لا يشاركهم في هذا الفضل غيرهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وإنما المراد منه: نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة)). وقال: أقول: تمثيل النبي ﷺ بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، كما أن تمثيله ﷺ بالغيث والهدى والعلم، فتختص هذه الأمة المُشَبَّهة بالمطر الكاملين منهم والمُكَمَّلِينَ لغيرهم، فيستدعي بهذا التفسير: أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية. ولو ذهبَ إلى الخيرية، فالمراد وصفُ الأمة كلها سابقها ولاحقها، أولها وآخرها بالخيرية، وأنها ملتحمةٌ بعضها مع بعض، مرصوفةٌ كالبنيان، مفرغةٌ كالحلقة التي لا يُدْرَى أين طرفاها، على منوال قوله تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

قال الزمخشري^(٣) -رحمه الله-: ((أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في باها، ثم قال: والذي أنزل إليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها))^(٤). فالحاصل أن الآية بأسرها مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية، بحيث أبهم أمرها، وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وهو قريب من باب سَوِّقَ المعلوم مساق غيره^(٥).

إن تشبيه النبي ﷺ لهذه الأمة بالمطر يدل على نفعهم وكثرهم؛ لأن حبات المطر النازلة من السماء لا حصر لها. كما يدل الحديث على استمرارية خيرية هذه الأمة، وبقائها إلى

(١) فضل الله شهاب الدين أبو عبد الله التوربشتي الحنفي، محدث فقيه، من أهل شيراز، قال السبكي -رحمه الله-: وأظن أن هذا الشيخ مات في حدود الستين والستمائة، من آثاره شرح مصابيح السنة للبيهقي، طبقات الشافعية، السبكي، ٣٤٩/٨، معجم المؤلفين، عمر رضا كخالة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ٧٣/٨-٧٤.

(٢) سورة الرعد: ١.

(٣) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي النحوي، صاحب الكشاف، العلامة كبير المعتزلة، ولد بزَمَخْشَر، في خوارزم، في رجب سنة سبع وستين وأربع مئة، وكان رأساً في البلاغة، والعربية، والمعاني، والبيان، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٥١/٢٠-١٥٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، سورة الرعد، مصر، مكتبة مصطفى الباني الحلبي، ط. الأخيرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٣٤٨/٢.

(٥) الكشاف، الطيبي، ج٦، ٦٢٨٦، ١٢/٣٩٦٧-٣٩٦٨.

قيام الساعة. يؤيد هذا قوله ﷺ: (لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)^(١).

ومما يؤكد كثرة المستجيبين من أمة محمد ﷺ حديث الإسراء وفيه: (فإذا موسى... فسلمت عليه فردّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)^(٢).

قال ابن حجر- رحمه الله-: ((لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله... بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم، المستلزم لتنقيص أجره؛ لأن لكل نبي مثل أجر كل من أتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع النبي ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة))^(٣).

والمراد بالخيرية- في حديث أنس ﷺ السابق- هي: النفع في بث الشريعة والذب عن الحقيقة. وكما أن كل نوبة من نوبات المطر لها فائدة في النشوء والنماء، فكذلك كل طبقة من طبقات هذه الأمة تختص بخاصية وفضيلة توجب خيريتها، فالأولون آمنوا بما شاهدوا من المعجزات، وتلقوا دعوة الرسول ﷺ بالإجابة والإيمان، والآخرون آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بإحسان^(٤).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يبعث الدعاء روح التفاؤل في نفوس المدعويين رجاء هدايتهم، والابتعاد عن اليأس والقنوط من هداية المدعويين مهما كانت أصنافهم.
- أهمية نظرة الداعية إلى المستقبل حتى وإن كان بعيداً، عند وضع خطط الدعوة، والابتعاد عن العمل الوقي الذي ينتهي في الحال.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٣١١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي) ١٣/٢٩٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٨٨٧، كتاب المناقب، باب المعراج، ٧/٢٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧/٢١١.

(٤) انظر: تحفة الأحوذى، المبار كفوري، كتاب الأمثال، باب مثل الصلوات الخمس، ٨/١٧١.

- إن استجابة المدعو للدعوة لن تأتي وهو لا بد، وقابع في مكانه، دون أن تصل إليه الدعوة، ويسمعها، ويطمئن لها؛ لذا فإنه يجب أن يقوم الدعاة بممارسة الدعوة في كل ميدان، ومع كل أحد، دون انتظار لنتائج سريعة، يفرحون بها.

- ضرورة الاستمرارية في الدعوة إلى الله، والمثابرة في ذلك، والإصرار على هداية الناس ودعوتهم، وبإذن الله سيصل المصرون من الدعاة إلى ما يبتغون.

- من الأمور الناجحة في الدعوة إلى الله، والمعينة على تسريع استجابة المدعو، أن يستعمل الداعية أسلوب التعزيز، والدافعية للمدعويين، بذكر جوانب الخير عندهم، وإثارة كوامن الخير التي تحملها نفوسهم؛ لإثباتهم من أمة محمد الموصوفين بأنهم مثل المطر النافع بإذن الله.

ثالثاً: فضل المستجيبين لدعوة النبي ﷺ:

إنَّ السعيدَ حقاً في هذه الحياة من استجاب لدعوة النبي ﷺ؛ لما يترتب عليها من حيازة خيرَي الدنيا والآخرة، والفضل العظيم المُعدَّ لمن استجاب. كما سيتضح من الأحاديث التالية:

(أ) حديث عبد الله بن عمر^(١) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ النَّصَارَى، ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ. قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ^(٢).

يوضح الحديث تمثيل أجل هذه الأمة في مقابل الأمم الأخرى بقصر الوقت وقصر العمر، وهذا يدل على قلة العمل بالنسبة للأمم الأخرى، وقد أكد هذا الأمر بتمثيل آخر في نفس الحديث، حيث عقد عليه الصلاة والسلام مقارنةً مبنيةً على التشبيه والتمثيل لهذه

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، أمه زينب بنت مظعون الجمحية، شهد الخندق وعمره ١٥ سنة، وهو من الكثيرين عن النبي ﷺ، كان أشد الصحابة اتباعاً لسنة النبي ﷺ، كان يحبى ليله بالصلاة، وإذا أسحر يكثر من الاستغفار، مات سنة ٧٣هـ، وعمره سبع وثمانون سنة. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٢/ ٣٣٨ - ٣٤١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٠٢١، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، ٦٦/٩.

الأمة، وفي مقابلها اليهود والنصارى، كمثل من جلب عمالاً واتفق معهم على عملٍ شيءٍ مُحدِّدًا لهم الوقتَ والأجرةَ وهي قيراط، بينما جاء عمالٌ آخرون فعملوا أقلَّ من وقت أولئك وكانت أجرُتهم قيراطين. وهذا ما يثير العجبَ والتساؤل: لماذا هذا التفريق في الأجرة؟! مع أن العملَ للفريق الأول أكثر؟! فجاء الجواب: أن هذا فضل من صاحب العمل يعطيه من يشاء.

وفي هذا بيان واضح لفضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم^(١). وفضلها من فضل نبيها ﷺ فهو أفضل الأنبياء، والإيمانُ به واجبٌ على كل الناس: اليهود، والنصارى، وغيرهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)^(٢). وقال فيمن آمن به ولم يره: (طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَّنَ بِي، وَطُوبَى سَبَعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمَّنَ بِي)^(٣).

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يقوم الداعيةُ بعرض دعوته للناس مبيِّناً ما أعدده الله لأمة محمد ﷺ من مضاعفة الأجر في حالة الاستجابة، كما هو واضحٌ في مواضع عديدةٍ من القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

- من الأمور المساعدة على استجابة المدعوين، توضيح طريق الاستجابة، وإزالة العوائق عنها، وحرص الداعية على أن يستبين المدعوون سبل نجاة الفرقة المؤمنة من النار، وهي واضحةٌ مبثوثة في القرآن العظيم، وهدى النبي ﷺ، في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٦٧/٩.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٥٣، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس، ١٣٤/١.

(٣) المسند، ٢٢١٣٨، وقال: حسن لغیره، ٤٥٣/٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ١٢٤١، ٢٤٤/٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٢.

أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٦﴾
 وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
 فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ (١).

- أهمية أن يرسم الدعوة للمدعوين منهجا للنجاة من النار، يقوم هذا المنهج على المقارنة بين الحق والباطل، والتمييز بينهما، ومفارقة طريق الباطل وأهله، كما هو هدي القرآن الكريم والسنة النبوية، في مواضع عدة منهما، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٣٨﴾ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾﴾ (٢).

- إن من أبرز ما يُدرك به فضل المستجيبين للدعوة هو: إدراك المنهج المبارك الذي عملوا به، المؤكّد على عبادة الله وحده، والإيمان بمحمد ﷺ وشريعته، وبهذين الأمرين الجليلين يفضل حاملهما، والعامل بمقتضاهما، كما أفصح بذلك القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٧﴾ يَلْقَوْنَآ أَجْبِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَامِنُوا بِهِ ۗ يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَٰئِكَ فِي

(١) سورة الشورى: ٣٦-٤٠.

(٢) سورة الرعد: ١٨-١٩.

صَلَّلِ مُبِينٍ ﴿١﴾ . وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢) .

(ب) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ... فَقَالُوا: إِنَّ لِمَا أَحْبَبْتُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، ... فَقَالُوا: فَالِدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ (٣) .

يرتكز التمثيل في الحديث على توضيح حال المدعوين مع الدعوة إلى الله، فإن الدعوة يحرصون على أن يحضر المدعوون إليهم ليكرمهم، كما يكرم الرجل صاحب المأدبة ضيوفه الذين حضروا وأجابوا الدعوة، أما من لم يجبه ولم يحضر تلك المأدبة، فلن ينال من ذلك الكرم، فكذلك الدعوة إلى الله يحرصون على هداية الناس، ودعوتهم إلى النجاة والفلاح، فمن أجاب هذه الدعوة المباركة، فاز بنجورها، ومن لم يجب لم ينل خيرها وبركتها وهداها.

وما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يعرض الداعية دعوته المباركة، بلطف وإكرام، وأن يقوم بإكرام المدعوين، والإحسان إليهم؛ لأن الإحسان يأسر القلوب، والطباع تميل إلى حب من أحسن إليها.

- أن يوضح الداعية للمدعوين أن فوزهم ونجاتهم لا تتم إلا بطاعتهم لنبينهم محمد ﷺ، وأن على المرء أن يستجيب لدعوة الحق، وينضوي تحت رايتها طلبا للنجاة، ورجاء رضوان الله تعالى.

(١) سورة الأحقاف: ٢٩-٣٢.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٨١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله. ١٣ / ٢٤٩.

- إن المبادرة للاستجابة إلى دعوة الحق، والهدى، والرشاد لا تتحقق إلا بجهود دعوية كثيرة، منها: إبراز الداعية لشرف ما يدعو إليه، والغاية من دعوته، وعلى رأس ذلك اللجنة التي أعدها لكل من استجاب إلى ربه وأناب.

- إن الاستجابة لدعوة الحق لَيْسَتْ أَمْرًا سَهْلًا، بَلْ تَحْفُهُ الصَّعوباتُ والعقباتُ من كل جهة، ومن تلك الصعوبات النفسُ وهواها ورغباتها، والأهلُ، والعشيرةُ، والأصحابُ، وقد تكون ضريبتها البراءة من كل ذلك إن لم يرضوا بالحق، أو صدُّوا عنه، أو حاربوه كما حصل لكثير من صحابة رسول الله ﷺ عندما استجابوا لدعوة النبي محمد ﷺ، وذكر ذلك الله تبارك وتعالى في كتابه في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١) قُلْ إِن كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجْرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

(ج) عَنْ حُذَيْفَةَ (٢) قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ (٣) عَوْدًا عَوْدًا (٤)، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا (٥) نُكِتَ (٦) فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ

(١) سورة التوبة: ٢٣-٢٤.

(٢) حذيفة بن اليمان العبسي، اسم أبيه حسل، وقيل اليمان لقب جدتهم، شهد أحد والخندق، روى كثيراً من الأحاديث عن النبي ﷺ، وهو صاحب سر النبي ﷺ، ومات في دمشق سنة ٣٦هـ. الإصابة، ابن حجر، ٣١٦/١، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١٢٥/١.

(٣) كالحصير: كما يُنْسَجُ الحَصِيرُ عَوْدًا عَوْدًا، وَشَطِيبَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِجَ الحَصِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كَلِمًا صَنَعَ عَوْدًا أَخْرَجَ وَنَسَجَهُ، فَذُبِّيَّةٌ عَرَضُ الْفِتْنِ عَلَى الْقُلُوبِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى بَعْرَضُ قَضِيانِ الحَصِيرِ عَلَى صَانِعِهَا، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧٢/٢.

(٤) عَوْدًا: الْعَوْدُ وَاحِدُ الْعِيدَانِ، يَعْنِي: مَا يُنْسَجُ بِهِ الحَصِيرُ مِنْ طَاقَاتِهِ، وَيُرْوَى: عَوْدًا عَوْدًا بِالْفَتْحِ، أَي: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَيُرْوَى بِالْفَتْحِ مَعَ ذَالٍ مَعْمَةً عَوْدًا عَوْدًا كَأَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الْفِتْنِ. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: عود، ٣١٧/٣-٣١٨. والمعنى الثاني: أمكن وألحق بالتنبيه والله أعلم. المفهم، القرطبي، ٣٥٨-٣٥٩.

(٥) الإِشْرَابُ: خَلَطُ لَوْنٍ بِلَوْنٍ، كَانَ أَحَدُ اللَّوْنَيْنِ سَقَى اللَّوْنَ الْآخَرَ، وَأُشْرِبَ الْقَلْبُ: حَلَّ مَعْلَى الشَّرَابِ وَاحْتَلَطَ بِهِ كَمَا يَخْتَلَطُ الصَّبْغُ بِالنُّوبِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: شرب، ٤٥٤/٢.

(٦) نُكِتَ: أَي أُنْزِلَ فِيهِ، وَالنُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ، أَي: أُنْزِلَ قَلِيلٌ مِنَ النَّقْطَةِ، وَهِيَ: شِبْهُ الْوَسْخِ فِي الْمَرَاةِ وَالسِّيفِ وَنَحْوِهِمَا. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: نكت، ١١٣/٥-١١٤.

أَنْكَرَهَا نُكِرَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيَضَاءٍ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا^(١) فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا^(٢) كَالْكُوزِ^(٣) مُجْحِيًّا^(٤) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^(٥).

يوضح الحديثُ تمثيلَ قلوبِ العبادِ بأمرٍ ممدوحٍ وآخر مذموم. أما الممدوحُ، فهو استجابةُ القلوبِ للحق، والهدى، والاعتصامُ بهديِ الكتابِ والسنة، بعيداً عن الخوضِ في الفتن. وأما المذمومُ فهو استجابةُ القلوبِ للفتنِ والخوضِ فيها، ممثلاً على هذين الأمرين بمثالين راعين:

المثال الأول: تمثيل القلب الذي يرفض الفتنة ويتجنبها بالحجر الأملس، والبياض والنقاء، لا تجد الفتنة فيه مكاناً تستقر فيه، ولا مأوىً تلجأ إليه.

((وليس تشبيهه بالصفا من جهة بياضه، ولكن من جهة صلابته على عقد الإيمان، وسلامته من الخلل والفتن، إذ لم يلصق به ولم يؤثر فيه كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، بخلاف القلب الآخر الذي شبهه بالكوز الخاوي؛ لأنه فارغ من الإيمان والأمانة))^(٦).

والمثال الثاني: تمثيل القلب الذي يتشرف للفتنة، ويخوض فيها، ويتلبسها بكوز الماء المنكوس يتخبط صاحبه، فلا يُفَرِّقُ بَيْنَ المعروفِ والمنكرِ لِمَا مُلِيَءَ مِنَ الفتنِ وَالظُّلْمَةِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- ضرورة أن يحذر الداعية المدعويين من الفتن، ويبينها لهم، ويعلمهم بشرها، وويلاتها، وعواقبها التعيسة، وأخطارها العظيمة، والتخبطات التي تصيب من ابتلي بها وخاض فيها حتى يصل إلى درجة عدم التمييز بين المعروف وبين المنكر، ولا يسير إلا وفق هواه، وإملاءات الشيطان عليه.

(١) الصفا: جمع صفاة، وهي: الصخرة والحجر الأملس. النهاية، ابن الأثير، مادة: صفا، ٤١/٣.

(٢) مُرْبَادًا من: ارتبَدَ وارتبَادٌ، ويريد ارتداد القلب من حيث المعنى لا الصورة. وقيل: الرُبْدَةُ: لون بين السواد والغبرة. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: ربد، ١٨٣/٢.

(٣) الكُوزُ: هو ما يُعْتَرَفُ بِهِ. انظر: الفائق، الزمخشري، ٢٨٧/١، النهاية، ابن الأثير، مادة: كوز، ٢٠٩/٤.

(٤) الْمُجْحِيُّ: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء. النهاية، ابن الأثير، مادة: جح، ٢٤٢/١.

(٥) صحيح مسلم، ح ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يارز، ١٢٨-١٣٠.

(٦) المفهم، القرطبي، ٣٥٨/١-٣٥٩.

- أهمية بيان الداعية للمدعوين- ممن خاضوا، أو توقفوا، أو سلموا من الفتن- حالة القلوب التي لم تتأثر بالفتن، ولم تضرها، فهي سليمةٌ معافاةٌ من كل فتنة، وفي هذا ترغيبٌ للاتصاف بهذه السلامة، كما فيه تعزيز لصاحبها.

(د) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا التَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالتَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذَلُّوهُ، فَأَنْطَلَقُوا عَلَيَّ مُهَلِّتِهِمْ، فَجَوًّا... فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ...)^(١).

يُوضِّحُ الحديثُ أَنَّ الذين استجابوا لمنذرهم من خطر الجيش الغائر عليهم نجحوا من شره، فكذلك من استجاب لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فقد نجح. فهو تمثيلٌ يسوقك إلى الإيمان؛ لما فيه من موازنةٍ مقبولةٍ نتيجتها معروفةٌ ومُتَحْتَمَةٌ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دَرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن الاستجابة للدعوة، أمرٌ له أثره ليس على المستجيب فقط، بل وحتى الداعي؛ لذلك فإن فقه الداعية لدعوته هو الذي يدفعه لأن يحرص على هداية الآخرين بكل ما أوتي من قُوَّةٍ بيانيةٍ تَبْرُزُ من خلال التأكيد على فضل الاستجابة، وقُوَّةٍ نَفْسِيَّةٍ تَبْرُزُ من خلال إظهار الشفقة على المدعو، فَتَنْفُذُ بِهَاتَيْنِ القوتين الدعوة إلى القلوب بإذن الله.

- أن يحرص الداعية الحذيق والمستوعب لدعوته على عرض الدعوة عن طريق ذكر الأسباب الداعية لقبول الدعوة، ونتائج ذلك؛ لأن المدعو يتأثر إذا أدرك الأسباب، فيؤمن ويقبل، وإذا عرف نتائج العمل، وقبول تلك الأسباب، ارتاحت نفسه واطمأنت وثبتت، فالسبب في الحديث واضح، وهو: تنفيذ أمر الله في إيصال الدعوة، والنتيجة هي: مَنْ أجاب نجح، ومن أعرض هلك.

- إن مخاطبة المدعوين بالفاظٍ تتضمن تقديراً واحتراماً لهم، نحو قول الداعي لهم: (يَا قَوْمِ)، يضيفي إلى الدعوة قُوَّةَ التأثير على المدعوين؛ لتذكيره لهم بأنه واحدٌ منهم، ولا يريد لهم إلا الخير والفلاح، فيبادرون للاستجابة.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٨٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٣/٢٦٤، صحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب

الفضائل، باب شفقتي صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ٤/١٧٨٨-١٧٨٩.

- ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين أن من أراد أن يسلك طريق الهداية، فعليه أن يسير في حطوات ثابتة ومحددة ليصل بذلك إلى طريق الهداية، منطلقاً من أمرين هامين:
الأول: تغيير السلوك غير المرغوب فيه.

الثاني: المبادرة في التغيير.

هـ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَتُنْتَفُونَ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلْيَبْقَيْنَنَّ شِرَارُكُمْ؛ فَمَوُتُوا إِنْ اسْتَطَعْتُمْ)^(١).

اشتمل الحديث على تمثيلٍ لانتقاء المستجيبين للحقِّ بفضل الاستجابة لدعوة النبي ﷺ. وهذا الانتقاء شبيهٌ بانتقاء التمر الجيد من الرديء، فإذا مات الأخيار، ولم يبق إلا الأشرار، فحينئذ الموت أفضل من الحياة؛ لأن ذلك نذير قيام الساعة وهي لا تقوم إلا على الأشرار. وقد كان من توجيهاته ﷺ: (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي)^(٢).

وما يُسْتَخْلَصُ من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- من الأمور التي ينبغي ألا تحفى على أهل الدعوة، إدراك أن المستجيب يحتاج مزيداً من تجسيد الداعية فضل الاستجابة للدعوة بوسائل مؤثرة، ومن ذلك تمثيلهم حال استجابتهم بما يشرح صدورهم؛ لما سيتحقق لهم إن هم أجابوا الدعوة وقبلوها.

- إن من القضايا المهمة في الدعوة إلى الله - والتي ينبغي أن يستوعبها العاملون في حقل الدعوة إلى الله - قضية صهر الرجال، وتمحيصهم، وصقلهم؛ لتقوى أعوادهم، ويتمرسوا على تحمل كل بلاء في الدعوة إلى الله، يقيناً منهم أن العاقبة لهم، طال الزمان أم قصر، فتحقق استجابتهم الكاملة للدعوة دون ريب أو تردد.

(١) سنن ابن ماجه، ح ٤٠٣٨، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ١٣٤٠/٢، وانظر صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، ح ٣٢٦٣، ٢/٣٧٥، وقال: ضعيف بهذا التمام،

وهو ثابت دون قوله (فموتوا...)، وذكره في السلسلة الصحيحة، ح ١٧٨١، ٤/٣٨٤. وجاء بلفظ (لَتُنْتَفُونَ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ).

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٣٥١، كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، ١١/١٥٠.

- أهمية أن يوضح الدعاة ضرورة مجانية الأشرار، وخطر صُحبتهم، وموافقتهم؛ لأنهم يجذبون المرء معهم، فتكون نهايته كنهايتهم، وحينئذ الموت على الخير أفضل من الحياة في الشر، وبناءً عليه فإنه لا خيار للمدعو سوى أن يستجيب لينقذ نفسه من تلك الشرور.

(و) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه بيان للناجين من الخلود في النار بفضل الاستجابة والعبادة لله فقال رضي الله عنه: (... حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِّنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا^(١) فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبِتُونَ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ^(٢) فِي حَمِيلِ السَّيْلِ^(٣)، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ...^(٤)).

يوضح الحديث تمثيل حال من دخل النار من أهل القبلة، وسلموا من الشرك الموجب للخلود فيها، ولكنهم قارفوا ذنوباً أوردتهم النار، فدخلوها وعذبوا فيها، فمن الله على من شاء منهم بالخروج، مؤكداً عليه الصلاة والسلام خروجهم وقد برزت عظامهم بعد أن احترقت جلودهم، فيصب عليهم ماء الحياة، وينبتهم الله إنباتاً.

وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِيهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إظهارُ الدعاة ما يتميز به المستجيبون عن غيرهم، وأسباب ذلك التميز، وإن أبرز ما يتميزون به أثر السجود؛ لمحافظةهم على الصلوات التي تعد أبرز ما يجب أن يستجيب له العبد، فالنار لا تأكل مناطق السجود.

- أهمية استخدام الداعية لعنصر التشويق في دعوة الناس، مما يسهم بشكلٍ فاعلٍ في إقبالهم على الداعية، واستجابتهم لما يقول.

(١) امتحشوا: المُنْحَشُ: احتراق الجلد وظهور العظام. غريب الحديث، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: د/ عبدالعطي أمين قلعجي، ط. الأولى،

بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٨٥م. ٣٤٥/٢، النهاية، ابن الأثير، مادة: محش، ٣٠٢/٤.

(٢) الحبة بالكسر: بُزُورُ البقل، وَحَبُّ الرِّياحِين، وهو: نبتٌ يَنْبِتُ فِي الحَشِيشِ صِغَارًا. غريب الحديث، ابن سلام، ٥١/١، النهاية، ابن الأثير، مادة: حب، ٣٢٦/١.

(٣) حميل السيل، الحميل: ما حملة السيل من كل شيء، وكل محمول فهو حميل، غريب الحديث، ابن سلام، ٥١/١.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٨٠٦، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣.

- ينبغي للداعية أن يبين الآثار المترتبة على الاستجابة، سواء أكانت الاستجابة كاملة كاستجابة السابقين بالخيرات، أم ناقصة كاستجابة المقتصدین، أو من الذين عملوا أعمالاً صالحة مخلوطة بغيرها، وتوضيح بركة الاستجابة وإن لم تكن كاملة، فإنها لا تنقطع عن أهلها، شريطة اجتنابهم الشرك الموجب للخلود في النار.

(ز) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه (١) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحُطُوطٌ مِنْ حُطُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحُطُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا [إِلَى أَنْ قَالَ] فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طِيبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِيرٌ بِالَّذِي يَسْرُكَ هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُوهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ... (٢).

يوضح الحديث أن العبد المؤمن المستجيب لأوامر الله تأتيه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، فيحاطبونه ويبشرونه، وينتزعون روحه بيسر وسهولة،

(١) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي، أبو عمارة، أول مشاهده أحد، وقيل: الخندق، وقيل: أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أربع عشرة غزوة، وفي رواية خمس عشرة، وإسناده صحيح، وافتتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد مع علي الجمل وصفين، والنهران، ونزل الكوفة، وروى الكثير، مات في إمارة مصعب بن الزبير، سنة اثنتين وسبعين، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٤٦/١، والإصابة، ابن حجر، ١٤٦/١-١٤٧.

(٢) المسند، ح ١٨٥٣، وقال محققه: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح، ٣٠/٤٩٩-٥٠٣، سنن أبي داود، ح ٤٧٥٣، كتاب السنة، باب في المسألة في القر وعذاب القبر، ٥/١١٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٣٩٧٩، ٣/٩٠١، المصنف، ابن أبي شيبة، ٣/٣١٠، ١٠/٣٧٤، ١٩٤، وأورده الهيثمي في المجمع، ٣/٤٩-٥٠، وقال: هو في الصحيح باختصار، ورواه أحمد ورجالته رجال الصحيح.

شبهها النبي ﷺ بخروج القطرة من فم السماء، ثم تُكْرَمُ تلك الروح الطيبة التي استجابت لأوامر الله، فتنبعثُ منها رائحة طيبة كأطيب نَفْحَةٍ مِسْكِ وجدت على الأرض، فيصعدون بها إلى السماء السابعة، ويُفْتَحُ له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويستأنس بعمله الصالح واستجابته لله ورسوله في قبره.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن العبد المستجيب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ لن يجيب سعيه في الدنيا، لأن الله يجازي بالإحسان إحساناً، وعلى الدعاة إلى الله بث هذه الروح الوثيقة بما عند الله من النعيم.

- إن الاستجابة لله ولرسوله عمل صالح طيب؛ لذلك تفتتح لصاحبها أبواب السماء، ويصل إلى الملكوت الأعلى، ويُنشَرُ بأحسن البشارات، كما ورد في القرآن الكريم شيء من هذه البشارات المباركة للمؤمنين المستجيبين لدعوة الخير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ (١).

- ينبغي للدعاة أن يعنوا في دعوتهم بذكر الموت، وما ينتج عنه، وتقرير المصير الحسن لكل من آمن، واستجاب، فبادر للاستعداد لما بعد الموت من الأهوال والشدائد، مبينين أن الموت محتوم وساعته لا تعرف، وأن من مات انقطع عمله، وأصبح مرثناً به، وقد ورد في القرآن الدعوة للاستعداد لما بعد الموت في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (٢).

- أن يبرز الدعاة مظاهر حب الله، وعباد الله الصالحين من الملائكة الأبرار لعباده المستجيبين لأمره والقائمين بحق طاعته، ليرغب المدعوون في ذلك، فيستجيبون للداعي.

(١) سورة التوبة: ٢٠-٢١.

(٢) سورة المنافقون: ١٠-١١.

رابعاً - أبرز دواعي الاستجابة:

لاستجابة المدعو للحق دواعٍ عديدة، سأعرضُ أبرزها حسب ما يظهر من أحاديث الأمثال، وهذا لا يعني أن دواعي الاستجابة محصورة فيما يذكر هنا، بل هي أكثر، ولكني أوردت منها ما يتعلق ببحثي، وسأذكرها على النحو الآتي:

١- احتساب الأجر عند الله:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللَّحَافِ ^(١)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ! قَالَ: إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدَهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّيَهَا ^(٢) وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ ^(٣).

يتبين من الحديث استجابة المؤمن، وعظم صبره؛ لأنه علم أن كل ما يصيبه من هم، أو غم، أو شوكة يشاؤها فله بذلك الأجر من الله، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فرحهم بالبلاء كما يفرح غيرهم بالرخاء، وما ذلك إلا لعلمهم بالأجر الذي يجنونه من وراء ذلك الابتلاء.

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية أن يوقن المستجيبون لدعوة الحق أنهم عرضة للبلاء في كل وقت، ويشمل هذا المدعويين والدعاة أنفسهم، وأن يُنشرَ هذا الوعي بين الناس احتساباً للأجر المترتب عليه.
- أن يوطن المستجيبون لدعوة الحق أنفسهم لتحمل البلاء ناظرين إلى العاقبة الحسنة لكل من رضي به، متأسين بمن أصيبوا به من أنبياء وصالحين.

(١) اللِّحَافُ: ما يستخدم كغطاء. يقال: لَحَفْتُ الرَّجُلَ بِاللِّحَافِ: طَرَحْتُهُ عَلَيْهِ. انظر: النهاية، ابن الأثير، ٤/ ٢٣٨.

(٢) يحويها: التَّحْوِيَةُ؛ أن يدبر كساء حول سنام البعير، ثم يركبه، والمعنى هنا: أي: يربط ويضم بطنه بالعباءة ليخفف آلام الجوع، انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: حوا، ٤٦٥/١.

(٣) سنن ابن ماجه، ح ٤٠٢٤، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ٢/ ١٣٣٤، صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٢٥٠، ٢/ ٣٧١، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ١٤٤٤،

ووافق الألباني كلام الحاكم والذهبي في قولهما: صحيح على شرط مسلم، ١/ ٦٦.

- مما يسهم في تخفيف معاناة بعض الناس من عدم التسليم، والرضا بما قسم الله، واستجابتهم لدعوة التسليم بما كتب الله وقدر، أن يبيث الدعاة إلى الله دعوة الرضا بما قسم الله، ودعوة العفة والزهد عما في أيدي الناس، فترتفع نفوس المدعوين، وترتقي إلى درجات لا يدركها أنعم الناس، ويستجيبوا لذلك.

- من الأمور المعينة على الاستجابة للتسليم بما أنزل الله من بلوائه على عباده، أن يروض الداعية نفسه وإخوانه ومدعويه ترويضاً يصل بهم إلى تلك الدرجة العظيمة من تحمل البلاء، وهي درجة مثالية رائعة ألا وهي: الفرح بالبلاء كالفرح بالرخاء، وهذه الدرجة أعلى وأرقى ما يمكن أن تصل إليه النفوس.

٢- قَهْرُ الْمُؤْمِنِ لِعَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي ^(١) شَيْطَانِيَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدَكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ) ^(٢).

يلمح من الحديث، ما يغري المرء المؤمن، ويجفزه، للاستجابة للدعوة، والإيمان بكل ما يحبه الله ويرضاه؛ لما يترتب على ذلك الإيمان من إضعافٍ للشيطان، فيصعب عليه إغواء المؤمن، وهو حريص على ذلك؛ لأنه العدو المتربص بالإنسان قال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ أَلشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ^(٣). وإن الإنسان العاقل الذي أدرك عداوة الشيطان له لا يزال يقهر الشيطان بطاعته لربه.

وفي الحديث تمثيلٌ بديعٌ في تصوير المؤمن بمن يقود دابةً، والشيطان بالدابة المركوبة؛ فكما أن الراكب للدابة يقهرها، ويهلكها في السفر؛ ليصل إلى مكانه المنشود في أقرب وقتٍ، فلا تكاد تستريح حتى تعود إلى نفس جهدها وتعبها، فكذلك حال المؤمن مع الشيطان. إن الشيطان يتسلط عليه وقد يوقعه فيما حرم الله، فإذا وقع تذكّر ربه وخطر ذنبه، فإذا به يئوب إلى الله ويتوب، ويستغفر مولاه فيغفر له، فيندحر الشيطان، ويتقزم

(١) ينضي: أي: يُهزله، ويجعله نضواً. والنضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها. النهاية، ابن الأثير، نضا، ٧٢/٥.

(٢) المسند، ح ٨٩٤٠، وقال محققه: إسناده حسن، فيه ابن لهيعة سيء الحفظ، لكن الراوي عنه قتيبة بن سعيد وهو لم يكتب حديث ابن لهيعة إلا من كتب عبد الله بن

وهب، ثم يسمعه من ابن لهيعة، وابن وهب إنما سمع من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه. ٥٠٤/١٤-٥٠٥.

(٣) سورة الزحرف: ٦٢.

حتى لا يكاد يكون له وجود، ثم يعود ثانية لإغوائه، فيعود المؤمن للاستغفار، فلا يقرر للشيطان قرار، ويحقق كل الحق، ويقهر القهر كله؛ لأنه كلما أغوى المؤمن وكاد له بطل ذلك، كما أبان عن ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١).

فلا ريب إذا من صحة هذا الدافع وسلامته، وأحقية وجوده في نفس كل مؤمن ومؤمنة، كما أن المؤمن يُضْعَفُ عدوَّ الله وعدوه الشيطان بالذكر عموماً، ومن ذلك: التسمية عند دخول المنزل فلا يجد له مأوى، وعند الطعام والشراب فلا يطعم ولا يشرب، وبهذا يهزل ويضعف على قهر المؤمن.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقه دَعْوِيٍّ من الحديث السابق فيما يتعلق بداعي قهر الشيطان، ومبارزته العداوة ما يلي:

- أن يهيء الدعوة إلى الله القوى النفسية لهم ولمدعويهم، فتقوى على قهر العدو الأول لها، الشيطان الرجيم.

- أن يبث الدعوة إلى الله الدعوة للتسلح بالإيمان والصدق مع الله وبذلك يجبطون كل مكائد الشيطان وجنوده، ومخططاتهم.

٣- الخوف من العقوبة:

(أ) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا)^(٢).

في الحديث تشبيه المؤمن الخائف من ذنوب قارفها بحال مَنْ قَعَدَ تَحْتَ جَبَلٍ وَاِتْتَابَهُ شُعُورٌ بِوُقُوعِ الْجَبَلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي حَالَةِ خَوْفٍ، فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَخَافُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْ تُهْلِكَهُ، وَأَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ كَمَا سَيَقْضِي ذَلِكَ الْجَبَلُ إِذَا وَقَعَ عَلَى مَنْ هُوَ قَاعِدٌ تَحْتَهُ. وهذا يدل على شدة الخوف من سخط الله وغضبه.

(١) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٣٠٨، كتاب الدعوات، باب التوبة، ١١/١٠٢.

والسر في التمثيل بالجليل: أنه إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة. وحاصله: أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم، دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيء^(١).

(ب) عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ^(٢) قَالَ: (ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ... إِنَّهُ شَابُّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قَطَنِ)^(٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ حَدِيثًا بِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَسِيحِ الضَّلَالَةِ وَفِيهِ: (خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ بَيَّنْتُ لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَمَسِيحِ الضَّلَالَةِ، وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ، فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ أَجْلَى الْجَبْهَةِ عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَفَأٌ كَأَنَّهُ قَطْنٌ بِنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ^(٤)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَضُرُّنِي شَبَّهُهُ؟ قَالَ: لَا، أَنْتَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ)^(٥).

اشتمل الحديث على تمثيل لا يرغب فيه أحد، فمن يجب أن يُمثَّلَ بالمسيح الدجال؟ الجواب قطعاً: لا أحد؛ لذلك عندما مثَّلَ الرسولُ المسيحَ بقَطَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ اهتز قَطْنٌ خوفاً من هذا التشبيه، فسارع مستجيباً لما يقوله الرسولُ ﷺ مبادراً إياه بسؤال عن أمر تشبيهه بالدجال، فبين له أن الشبه في الصورة لا في القلوب، فقلب قَطْنٌ مُسْلِمٌ وَقَلْبُ الْمَسِيحِ كَافِرٌ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَسِرُّ هَذَا التَّشْبِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ تَأْكِيدَ الْإِيمَانِ بِظُهُورِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَوُجُودِهِ، وَتَقْرِيْبَ حَقِيْقَتِهِ وَصِفَتِهِ لِلْأَذْهَانِ، وَلَمْ يَكُنِ الْقَصْدُ دَمَّ قَطْنٍ.

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١١/١٠٥.

(٢) النواس بن سمعان بن خالد العامري الكلابي، شامي له صحبة. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١١٤/٢، والإصابة، ابن حجر، ٣/٥٤٦.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٩٣٧، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، ٤/٢٢٥٠-٢٢٥٢.

(٤) قَطْنٌ بِنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ الْخَزَاعِي. والمخفوظ أن القصة لعبد العزى بن قطن وهو عند البخاري. وفي بعض طرقه عنده قال الزهري-رحمه الله:- ((وهو رجل من خزاعة،

وفي لفظ: بني المصطلق هلك في الجاهلية، والمخفوظ: أن الذي قال: يضربني شبهه كلثوم، والمراد بالمشبه: عمرو بن لحي الخزاعي)). الإصابة، ابن حجر، ٣/٢٢٩.

(٥) المسند، ح ٧٩٠٥، وقال محققه: حديث حسن، ١٣/٢٨٢، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، في تحقيقه للمسند، أحمد بن حنبل، ح ٧٨٩٢، صر، دار المعارف،

١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ١٥/٢٨-٣٠، المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ح ٨٦٠، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط. الأولى، العراق، مطبعة الوطن

العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٨/٣٣٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح، ٣/١٧٨، وفي موضع آخر من مجمع الزوائد من حديث الفلتان بن

عاصم^{رضي}، وقال: رجاله ثقات، ٧/٣٤٨.

(ج) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَحَدَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ^(١).

وفي رواية عن أبي رزین العقيلي رضي الله عنه (٢) (... فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمَانِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ لِي بِأَنْ أَعْلَمَ أَنِّي مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: مَا مِنْ أُمَّتِي أَوْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَازِيهِ بِهَا خَيْرًا، وَلَا يَعْمَلُ سَيِّئَةً، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا هُوَ إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ^(٣)).

((في قوله ﷺ: (حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ) استعارةٌ تخيلية^(٤))، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيءٍ حُلُوٍّ وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه، وفيه تلميحٌ إلى قصة المريض والصحيح؛ لأن المريض الصفراوي يجدُ طعامَ العسلِ مرًا والصحيحُ يذوقُ حلاوته على ما هو عليه، وكلما نَقَصَتِ الصِّحَّةُ شيئًا ما نَقَصَ ذَوْقُهُ بقدر ذلك... وعبرَ الشارعُ عن هذه الحالةِ بالحلاوة؛ لأنها أظهرُ اللذائذِ المحسوسة، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذُ الطاعات، وتحملُ المشاقِ في الدين، وإيثارُ ذلك على أعراض الدنيا، ومحبةُ العبدِ لله تحصلُ بفعلِ طاعته وتركِ مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ^(٥)). وفي قوله ﷺ: (وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ...)) (هذه

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٩٤١، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٣١٥/١٢، صحيح مسلم، ح ٤٣، كتاب الإيمان، باب

بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ٦٦/١.

(٢) لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق العامري، أبو رزین العقيلي وافد بني المنتفق. وبعضهم قال: لقيط بن عامر. وقال ابن معين: إجماع واحد، ومن قال لقيط بن عامر

نسبه إلى جده، انظر: تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٣٩/٢، الإصابة، ابن حجر، ٣١١/٣. ورجح ابن حجر أنهما اثنان.

(٣) المسند، أحمد بن حنبل، أول مسند المدنيين، حديث لقيط بن عامر، ١٢/٤، المعجم الكبير، الطبراني، ح ٤٧٠، ٢٠٨/١٩، المستدرک على الصحيحين في الحديث،

محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، وهامشه تلخيص المستدرک، محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ح ٨٦٨٢، ٦٠٥/٤، وقال: صحيح

الإسناد، ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح ١٣٤٦، ٤٢٠/١.

(٤) الاستعارة التخيلية: ذكر لفظ المشبه فقط، وحذف المشبه به، وأشار إليه بذكر لازمه. انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، بيروت،

دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ص: ٣٠٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٦٠/١.

الكرهية موحية لما انكشف للمؤمن من محاسن الإسلام، ولما دخل قلبه من نور الإيمان،
ولما خلصه الله من رذائل الجهالات، وقبح الكفران، والحمد لله^(١).

وفي هذا الحديث دليل على استجابة من تحققت فيه العلامات الثلاث الناتج عنها
حلاوة الإيمان، طمعا في تحصيلها، وخوفاً من العقوبة، وبهذا يكون المؤمن متقلبا بين
الخوف والرجاء؛ لأن كلاً منهما لازم في الاستجابة لأوامر الله، ونواهيه، ووعده،
ووعيده، وترغيبه، وترهيبه.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الأحاديثِ الثلاثةِ فيما يخصُ داعي

الخوف من العقوبة، وسخط شديد العقاب سبحانه وتعالى ما يلي:

- ضرورة تعظيم الله في النفوس. وإن أولى من يستجيب لهذا الأمر هم الدعاة إلى الله،
وبقدر تعظيمهم لربهم، تعظم دعوتهم وتستقر في نفوس مدعويهم.

- حفزُ الداعية والمدعويين على حد سواء للاستجابة من خلال إظهار الخوف، والقلق، من
الذنوب، وأضرارها، وشؤمها، وتعظيم شأنها عند المؤمن لشعوره بعظمة من يعصيه، وما
ينتج عنها من الحرمان، والعقوبات العاجلة والآجلة. فإن تشبيه الذنوب بالجبل يدفع المرء
دفعاً ليفر منها؛ لأن الجبل إن وقع على أحد فإنه سيقضي عليه.

- أهمية الشعور بالخوف لدى الدعاة والمدعويين من العقوبة؛ لأنه يدفعهم إلى القرب من
الله، واللجوء إليه، وحبه، وحب رسوله، وحب الآخرين في الله، وبغض الكفر، وتحصيل
كل مراضيه المكفرة للذنوب المهلكة.

- وجوب تحصين الداعية لدعوته، ولنفسه، وللمدعويين من كل خطر يُحدق بالدعوة،
ويفتن أهلها، ويُفرق جماعتهم، وهذا التحصين بمثابة صمامات أمانٍ للدعوة وأهلها، من
كل الفتن الغابرة، والحاضرة، والمستقبلة، وإن من أعظم الفتن التي ستظهر للناس فتنة
المسيح الدجال، لذلك حذر منها جميع الأنبياء.

- وجوب العناية بصلاح الباطن وحسن الطوية، فهذا قطن يشبه خلقته خلقة الدجال
ومع ذلك حكم له النبي ﷺ بالإسلام، وإن الله لا ينظر إلى الصور، وإنما إلى القلوب. وقد
استعمل التمثيل به للتقريب والتجسيد لا لدم قطن بن عبد العزى.

(١) المفهم، القرطبي، ١/ ٢١٥.

خامساً- الخصائص العامة لاستجابة المدعوين، وبعض تطبيقاتها:

- أولاً- نَفْعُ آثارِها، وعدم انحصارِها في وقت دون وقت، ومكان دون آخر.
- ثانياً- تعزيزها للدعوة، وشدُّ أزرِها.
- ثالثاً- عِظْمُ ثوابِها، مقابل قلة العمل.
- رابعاً- لزومها على كل أحدٍ دون استثناء؛ لأن الدعوة المحمدية لكل العالمين.
- خامساً- تحققُ نتائجها الراجحة لكل المدعوين.
- سادساً- إسهامها في سلامة القلوب، ورفضها للشُّبُه والفتن.
- سابعاً- قهرها للشيطان، وإضعافه.
- ثامناً- إحداثُ الخوفِ في قلوب المستجيبين من الله وعقوبته، ومراقبته باستمرار.
- تاسعاً- سهولة الوصول لقلب المؤمن ويؤكد هذا قول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

- هذه أبرز الخصائص التي توصلت إليها من خلال الأحاديث المتعلقة باستجابة المدعوين، وفيما يلي بعض التطبيقات المعينة على الاستجابة، وثباتها أذكرها على النحو الآتي:
- ١- تشجيع الداعي مدعويه، والأب أبناءه والمعلم تلاميذه على عمل سائر الطاعات، وفي مقدمتها الصلاة، والحرص على الصف الأول، والمبادرة عند سماع المؤذن.
 - ٢- القيام بعقد مسابقات في القرآن الكريم والعلوم الشرعية تشتمل على الآتي:
 - حفظ جزء من القرآن الكريم خلال مدة معينة.
 - الإجابة عن أسئلة تُعرضُ.
 - تلخيص كتابٍ أو شريطٍ.
 - ٣- نشر الشريط الإسلامي النافع.
 - ٤- نشر فتاوى العلماء لتوعية الناس^(٢).

(١) سورة الذاريات: ٥٥.

(٢) انظر الراحل، دروس في التربية والدعوة، مازن بن عبد الكريم الفريح، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

المبحث الثاني: فقهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِإِعْرَاضِ الْمَدْعُوِّ

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بإعراض المدعو

تود الباحثة ابتداءً التنبيه إلى أمر هام، وهو: أن عدم استجابة المدعويين للدعوة لا يدل بالضرورة- على قصور في تبليغها، فقد كان الأنبياء يدعون أقوامهم أزمنة طويلة ليلًا ونهارًا، سرًا وجهارًا، فلا يستجيب منهم إلا القليل، كما يتضح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ)^(١). وفي رواية: (لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَعَلَ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّينَ وَمَعَهُمُ الْقَوْمُ، وَالنَّبِيَّ وَالنَّبِيِّينَ وَمَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَالنَّبِيِّينَ وَلَيْسَ مَعَهُمُ أَحَدٌ)^(٢).

ولعدم استجابة أولئك أسباب: إما كبير أو جهل، أو اتباع للأهواء، والشهوات ونحو ذلك من الأسباب التي سيأتي الحديث عنها، وسأكتب في هذا المبحث ما يجلي إعراض المدعويين عبر أربعة محاور على النحو الآتي:

أولاً- تعريف الإعراض:

الإعراض في اللغة: من أعرض عن الشيء إذا ولاه ظهره^(٣)، وقد وردت كلمة الإعراض في القرآن في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٤) وعليه فإن الإعراض: هو عدم الإذعان لدعوة الخير والهدى كبيراً، أو حسداً، أو غير ذلك.

ثانياً- ضرب المثل لكثرة المعرضين وإصرارهم على الإعراض:

أ) ضرب النبي ﷺ المثل لكثرة المعرضين بمثل بليغ محسوس حتى كأنه رأي عين، على ما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّنِي

(١) صحيح مسلم، ح ٢٢٠، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، ١/ ١٩٩.

(٢) سنن الترمذي، الألباني، ح ٢٤٤٦، كتاب صفة القيامة، باب ١٦، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ٤/ ٦٣١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ١٩٨٩، ٢/ ٢٩٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة: عرض، ٧/ ١٧٦.

(٤) سورة الشورى: ٤٨.

لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ^(١).

وفي رواية: (يقول الله تعالى: (يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾^(٢) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ:

أَبَشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَّعْرَةِ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ^(٣).

قال القرطبي^(٤) - رحمه الله -: ((لما سمع أصحاب النبي ﷺ أن ألفاً إلا واحداً في النار، وواحداً في الجنة، اشتدَّ خوفهم لذلك، واستقلُّوا عددَ أهلِ الجنةِ منهم، واستبعد كلُّ واحدٍ منهم أن يكونَ هو ذلك الواحدُ، فسكَّنَ النبي ﷺ خوفهم، وطَيَّبَ قلوبهم، فقال: أبشروا، فإن من يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ألفاً، ومنكم رجل...، ومقصود هذا الحديث: الإخبارُ بقلَّةِ أهلِ الجنةِ من هذه الأمة بالنسبةِ إلى كثرةِ أهلِ النارِ من غيرها من الأمم...، وأما نسبة هذه الأمة إلى من يدخل الجنة من الأمم فهذه الأمة شطر أهل الجنة^(٥))).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٢٨، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ٣٧٨/١١، صحيح مسلم، ح ٢٢١، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ٢٠٠/٢.

(٢) سورة الحج: ٢.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٣٤٨، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ٣٨٢/٦.

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قُرَحِ القرطبي، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة وكان مطرحاً للتكلف، يمشي ثوب واحد وعلى رأسه طاقية، توفي بمغنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ - رحمه الله - نفع الطيب، المقرئ التلمساني، ٤٠٩/٢ - ٤١٠.

(٥) المفهم، القرطبي، ٤٧٠/١ - ٤٧١.

إن تشبيه النبي ﷺ لأصحابه، ولمن استجاب لدعوته بالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، يدل على قلتهم، وتميزهم حيث إنهم يعرفون دون عناء، فكما أن الشعرة البيضاء تدرك بمجرد وقوع النظر على جلد الثور الأسود، فكذلك من استجاب لدعوة الحق والإيمان يعرفون دون عناء في مقابل المعرضين عن الحق فهم الكثير والغالب، فقد شبههم بجلد الثور الأسود.

كما نلمح من هذا اللون الأسود ظلمة ما عليه الأكترون، والمعرضون عن الحق والهدى، بينما المستجيبون للحق أنقياء، ويعيشون حياة النور الذي يُوحى به اللون الأبيض. وكذلك تشبيهُهم بالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر يدل على تميزهم، وانفرادهم بالحق مع قلتهم في مقابل الكثرة الكاثرة، والتي شُبِّهت بجلد الثور الأحمر الذي هو سائر اللون فيه، فهم على الحق والهدى ظاهرون مهما بدا المفارقون لطريقهم كثيرين. ولا عبرة بهذه الكثرة، فقد ذمها الله عز وجل في مواضع من كتابه العزيز مبيناً أنها ليست ميزاناً للحق والحكم الصحيح على الأمور، فقال تعالى: ﴿ وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- لا يحق لأحد أن يتهم أحداً بالإعراض إلا بعد إقامة الحجة عليه؛ لذا فإنه ينبغي للدعاة الاستفادة من حوار النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم عن طريق السؤال والاستفهام لأغراضٍ، منها: تقريرُ البشارة للمدعو، ومنها الإقناع لتبني موضوع الدعوة ونحو ذلك.
- إنَّ مما يساعد على عدم وقوع إعراضٍ من المدعو، ويخفف من احتمال نفور المدعو عناية الداعية بالتدرج في الدعوة إلى الله لغرضٍ مُستحبٍّ؛ فإنَّ تدرُّجَه عليه الصلاة والسلام في إلقاء التساؤلات المراد منه: المبالغة في إدخال السرور على نفوسهم.
- قد يجهل المعرض عن الحق عاقبة السوء الذي سيصير إليها، أو أنه سمع عنها وعرفها من قبل الداعية، إلا أنه أصرَّ على إعراضه، وكلاهما بحاجة إلى ذكاءٍ دعويٍّ يقوم على استثمار الداعية للحظة المناسبة للتأكيد على سوء عاقبة المعرضين عن الإسلام، والتنفير من الإعراض عن الحق، وقد تكون اللحظة المناسبة مختلفة من شخص لآخر، والداعية بدقّة

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

ملاحظته لأحوال المدعو يستطيع استثمار مثل تلك اللحظات المناسبة، راجياً أن يعود المعرض عن الحق إلى صوابه.

- قد يشعر المعرضون عن الحق براحةٍ، وطمأنينة؛ لأنهم ليسوا وحدهم، بل إن أكثر من يعرفونهم، وأكثر من يرونهم هم ممن لا يقبل الدعوة، ويصر على الإعراض عنها، وصور إعراضهم متنوعة، بعضهم يعرض عن دعوة الإسلام برمتها، والبعض يعرض عن دعوة الاستقامة مع أنه مسلم، إلى غير ذلك من الصور التي يقتحم ميادينها المعرضون، وعليه فإنه يجب على الدعاة ترسيخ عدم الاعتراض بكثرة المعرضين، فإن من اغتر بهذه الكثرة فقد أهلك نفسه، فقد أفصح القرآن الكريم عن هذه القضية فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١).

- من الأمور المهمة التي يلجأ إليها الداعية في توجيه المعرضين، أن يبعث القوة النفسية، ويشعلها عند أصحابها، ليشعروا بالعلو والعزة والسيادة وإن قل عددهم، وكثرت مواجهتهم لتيارات متنوعة وجارفة، فينبغي الداعية الحذيق بتحويل المشاعر المتدنية، والمحبطة، إلى مشاعر مرتفعة، ومفتخرة، فرفع المعنويات في الدعوة إلى الله من الأمور المهمة لإنجاح الدعوة، واستمرارها، ومنع حدوث الإعراض عن الدعوة.

(ب) ومن الأمثلة التي ضربها النبي ﷺ لتقرير المعنى السابق نفسه -الذي مضى في الحديث السابق- ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (بينا أنا قائم إذا زُمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زُمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل (٢) النعم) (٣).

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

(٢) الهمل: ضوال الأبل، واجدها: هامل. أي إن التاجي منهم قليل في قلة النعم الضالة. النهاية، ابن الأثير، مادة: همل، ٥/ ٢٧٤.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٨٧، كتاب الرقاق، باب في الخوض، ١١/ ٤٦٥.

يبين الحديثُ كثرةَ المعرضين عن الدينِ الحقِّ، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رأى جماعةً من أمته قد عرفهم، ثم إنه يحال بينه وبينهم بعد أن كادوا الدُّثُورَ منه، وحين سأل النبي ﷺ عن السبب قيل له: إنهم ارتدوا بعدك، وشبه النبي ﷺ قَلَّةَ الناجين من تلك الردةِ بِهَمَلِ النَّعَمِ، وهي الإبلُ الضالَّةُ، وخصَّ الإبلُ الضالَّةَ دون غيرها؛ لأن الضَّوَالَ من الإبل قليلةٌ بالنسبةِ لغيرها، وفي هذا دليلٌ على قلةِ الناجين من النار، وكثرةِ المعرضين الواقعين في مخالفةِ هدي النبي ﷺ.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن من صور الإعراض عن هدي المصطفى الإحداث في الدين بعد تمامه، فكان لزاماً على الدعاة أن يبينوا سوء عاقبة ذلك، ليحذر المدعوين منها.
- إن من أخطر أنواع الإعراض الإعراض عن الحق بعد الهداية، والنكوص على الأعقاب بعد الإقبال على الدعوة، وعليه فإنه يجب على الدعاة بيان خطورة الكفر بعد الإيمان، وأن هذا الارتداد إنما هو من إملاء الشيطان، ليحرمهم الاستقامة على هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (١).
- أهمية أن يبين الداعية عاقبة المُبدِّلين دينهم والمرتدين على أدبارهم، فهم محرومون من شفاعة النبي ﷺ، مهددون ببغض الله، واستبدالهم بمن هم خيراً منهم، كما بين ذلك القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).
- إبراز الداعية لكثرة المعرضين بتمثيل محسوس مشاهد، ليستقر الفهم، ويترسخ إدراكه في أن الكثرة لا عبرة بها.

(١) سورة محمد: ٢٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

- ضرورة أن يبين الداعية أن المراد بمؤلاء المرتدين الذين يعرفهم النبي ﷺ هم ممن سيأتي من أمته ﷺ لا من أصحابه؛ فليس الأمر على ظاهر الحديث، ومن زعم أن الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه قد ارتدوا على أدبارهم بعد وفاة النبي ﷺ، فقد أعظم الفريسة عليهم.

(ج) ضَرَبُ المثل محسوساً لبيان أثر دعوة النبي ﷺ وأسلوبه الحكيم في الدعوة لإنقاذ المعرضين: فمن الأمثلة التي ضربها النبي ﷺ لبيان هذا المعنى ما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَعْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)^(١). وفي لفظ: (أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَعْلِبُونِي إِلَّا تَقَحُّمًا فِي النَّارِ)^(٢).

في قول النبي ﷺ: (فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ). أي: عند وضوح الحق وتبينه لهم، ورغم هذا الوضوح ورؤية الحق، إلا أن كثيراً منهم ساروا وراء أهوائهم وشهواتهم، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا)، قال ابن حجر-رحمه الله-: ((شبه تمهات أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعاً لشهواتها، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم بذب صاحب النار الفراش عنها، وقال عياض^(٣)-رحمه الله-: ((شبه تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا))^(٤).

قال الطيبي-رحمه الله-: ((واعلم أن تحقيق هذا التشبيه في الحديث موقوف على معرفة معنى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤٨٣، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ٣١٦/١١.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، ١٧٨٩/٤.

(٣) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبيعي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة، تولى القضاء ببلده مدة طويلة في مدينة سبتة، ولد رحمه الله فيها في النصف من شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع من جمادى الآخرة، وقيل: في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسماية. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، ٤٨٣-٤٨٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٣١٨/١١.

الظلمون»^(١). وذلك أن حدود الله هي: محارمه ونواهيه، كما ورد: (أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ)^(٢)، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها، واستيفاء لذاتها وشهواتها. شبه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيقاد الرجل من النار، وشبّه فُشُو ذلك في مشارق الأرض ومغاريها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبّه الناس - وعدم مباليتهم بذلك البيان، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حزمهم - بالفراش التي تقتحم في النار وتغلبن المستوقد على دفعه إياها عن الاقتحام)^(٣).

يوضح الحديث كثرة المعرضين عن الدين الحق، وإصرارهم على ذلك، ويوضح أثر أسلوب النبي ﷺ الحكيم في الدعوة لإنقاذ المعرضين قال ابن حجر - رحمه الله -: ((مثلي أي: في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار، ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل، كمثل رجل أوقد ناراً. والمراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد))^(٤).

وفي تشبيههم بالفراش دليل على الكثرة والتراكم، فقد شبه الله تعالى الناس في المحشر بالفراش المبتوث في الكثرة والانتشار، والإسراع إلى الداعي.

والمقصود من الحديث كما قال النووي - رحمه الله -: ((ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله))^(٥).

(١) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٥٩٩، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/١٢١٩-١٢٢٠.

(٣) الكاشف، الطيبي، ٦١٤/٢-٦١٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر، ٣١٩/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٤٦٣/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠/١٥.

وقال ابن العربي^(١) - رحمه الله -: ((المعنى في هذا الحديث بديع، ضرب النبي ﷺ فيه المثل لثلاثة بثلاثة:

أحدها - تمثيل النبي عليه السلام برجل.

الثاني - تمثيل الأمة بالفراش، وشبهها بما يتهافت في النار.

الثالث - ضَرَبَ النار في الدنيا مثلاً بنار الآخرة التي نار الدنيا جزءٌ منها، وينشأ من ذلك معانٍ بديعةٌ:

الأول - تمثيل الأمة بالفراش وذلك لكثرة تَلَبُّسِ الخَلْقِ بالشهواتِ ووقوعهم في حبالها صارت كالفراش التي تقع في النار قاصدةً إليها من غير تثبتٍ فيما تصير إليه ولا معرفةً بما تقع فيه.

الثاني - ضَرَبَ لجهالة الخلقِ بحال الشهواتِ وغفلتهم عن مواقع الخطايا والسيئات جهالة الفراش بالنار التي تقع فيه وغفلتها عما ترد عليه منه.

الثالث - يقال إن الفراش في ظلمة فإذا رأت الضوء اعتقدت أنها كوةٌ يستطيع منها النور، فتقصدها لأجل ذلك، فتحترق فيها، كذلك الخلق في عقائدهم الفاسدة، وشهواتهم الغالبة التي يعتقدون أنها صحيحة نافعة وهي باطل مضرة. قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾^(٢).

الرابع - ضرب الحُجْزَةَ مثلاً دون سائر جهات الثوب؛ لأنها أوثق الثياب على البدن عُقْدَةً، وأخصُّها منها بستر العورة، لما كان منه ﷺ من البيان للخلق والإرشاد إلى الحق. والله أعلم^(٣).

(١) أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٦٨ هـ، برع في فنون العلم، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً، ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، ولي القضاء، ثم انشغل بالعلم ونشره وتدوينه، وكان ممن يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، صنف كثيراً من الكتب، وعلى رأسها عارضة الأحوذى في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، توفي بفارس في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٣ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، رقم الترجمة ١٢٨، ٢٠/١٩٧-٢٠٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٣) انظر: عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، بيروت، مكتبة المعارف، دون تاريخ، ٣٢٥-٣٢٤/١٠، باختصار.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- أن يقوم الداعية ببيان الدعوة للناس بياناً واضحاً، وبيان أن إصرار المدعو على مخالفة الحق والابتعاد عنه، والبقاء في وحل المعصية والخوض فيها طريقاً إلى هلاكه لا محالة، ومن أراد النجاة، فليبادر إلى قبول الحق والعمل بطاعة الله ومرضاته لينجو من غضب الرب تبارك وتعالى وسخطه ومن النار التي أخبر الله سبحانه أنه: ﴿لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١) أَلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾. فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعويين عاقبة من اتبع شهوته، وما يجده من الخسران في الدنيا والآخرة.

- أن يفيد الدعاة من جهد النبي ﷺ في الدعوة رغم كثرة المعرضين، وإصرارهم على المعاصي، فرغم دعوة النبي ﷺ للناس، وبيان الحق لهم، وتحذيرهم من الشر إلا أن هناك من يصرُّ على المعصية، ولا يعني هذا ترك دعوتهم واليأس منهم، فكم من مجرمٍ مُعْتَدٍ بِالْأَمْسِ أصبح اليومَ من خيرة الناس، فلا قنوط ولا يأس، بل استمرارٌ في دعوة الناس والشفقة عليهم من سوء العاقبة. فمن اهتدى نفع نفسه ومن ضل ضررها وليس على الدعاة تغيير قلوب المدعويين ونفوسهم بل هذا لله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (٢).

- أن يعلم الدعاة أن الناس من حيث أمراض قلوبهم صنفان:

قلب مرضه الشهوات. وقلب مرضه الشبهات.

وكلا القلبين على خطر وإن كان الثاني خطرته أعظم، والذي أفردته بالحديث النوع الأول؛ لأنه مما يستنبط من الحديث فالفراش يقع في النار متبعاً لشهوته وكذلك يقع في النار من اتبع شهواته من حيث لا يشعر؛ لأنه ينساق وراءها دون بصيرة، بل إنه يُلقَى بكل قواه ويجور أمام تلك الشهوات. ولا علاج لصاحب هذا القلب إلا باجتنب تلك الشهوات.

(١) سورة الليل: ١٥-١٧.

(٢) سورة الشورى: ٤٨.

- إدراك الدعاة لحقيقة كثرة المعرضين عن الدعوة، فيؤدون، وما يتوجب عليهم فعله في طريق دعوة النبي ﷺ والأنبياء قبله، دون مفاجآت، بل ينبغي استصحاب توقعات عدم الاستجابة في الغالب مع الأخذ بالتفاؤل وطلب الدعاء من الله هداية المدعويين.

- العمل الجاد والدؤوب لإيصال الخير للناس، وبذل الطاقة في ذلك، فإن استجاب الناس لهم بفضل الله ورحمته، وإن لم يستجيبوا لهم، فلا ضير ولا حرج عليهم، ولن يجرموا أحر دعوتهم.

- الإدراك التام لقضية استجابة المدعويين، فإن السواد الأعظم منهم لا يستجيبون. وهذه هي الحقيقة التي يجب على الدعاة عدم إغفالها؛ ليستمر عطاؤهم في درب الدعوة المبارك دون يأس أو إحباط.

ثالثاً - دواعي الإعراض عن الحق:

١- الكبر:

يعد الكبر على رأس الأسباب لإعراض المدعويين، وأشدّها خطراً عليهم؛ لأن المتكبر يمتنع عن سماع النصح والتوجيه، ويحسب أن في استماعه للناصحين إنقاصاً لحقه ومترلته ونحو ذلك. كما يتضح من الحديث التالي:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا... إِلَى أَنْ قَالَ: (فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) ^(١).

يوضح الحديث السبب في عدم قبول هدى الله عند هذه الطائفة الثانية، وهو الكبر، وهو السبب الرئيس في عدم قبول إبليس أمر ربه بالسجود لآدم، وإعراضه عنه، فاستحق الطرد من رحمته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٢).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٩، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ١/١٧٥، صحيح مسلم، ح ٢٢٨٢، كتاب الفضائل، باب ما بعث به النبي من الهدى

والعلم، ٤/١٧٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام ...، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين يحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمرتلة الأرض الطيبة شربت، فانتفعت في نفسها، وأنبتت، فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمرتلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله ﷺ: (نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا)^(١)، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه، أو سمعه فلم يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمرتلة الأرض السبخة، أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وأشير إليهم بقوله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا).

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين؛ لاشتراكهما في الانتفاع بهما وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم^(٢).

وقوله ﷺ في آخر الحديث: (وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ) أي: أن هذه الطائفة لم تنتفع ولم تنفع غيرها؛ لأنها استعلت واستكبرت على الهدى وأعرضت عن أسباب نجاتها بسبب الكبر، فهم كالموتى لا إحساس لهم ولا شعور، ولا فائدة منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَحْيِبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣).

وما يُستخلص من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يسعى الدعاة في مخاطبتهم المدعوين لبيان شؤم الكبر وخطورته العظيمة، وشقاء المعرضين عن هدي الكتاب والسنة.

(١) مسند الزبار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالحق الزبار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ، ٣٤١٦، ٣٤٢/٨.
وقد خرج بعض أصحاب السنن وأحمد هذا الحديث بالفاظ مختلفة منها ما رواه الترمذي بلفظ: (نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ قُرْبَ مُبَلِّغِ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) قَالَ أَبُو عِيْسَى - رحمه الله -: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ح ٢٦٥٧، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، صحيح الجامع، الألباني، ح ٦٦٤٢، ٣٠/٦.

(٢) انظر: الكاشف، الطيبي، ٦١٦/٢-٦١٨، فتح الباري، ابن حجر، ١/١٧٧.

(٣) سورة الأنعام: ٣٦.

- إن المعرضَ عن دعوة الحق والنور، إذا شاهدَ اعتزاز الداعية بما يحملهُ من الهدى والخير للمدعوين، والزهو بذلك، وعرض ما يدعو لكل الناس بكل ثقة، وعدم التأثر بمن أعرض، فإن المعرض قد يمتنع عن الإعراض، ويقبل الدعوة.

- ضرورة اعتماد الدعاة إلى الله نصوص الوحيين في نقل دعوتهم الخير والهداية للناس، وانطلاقهم من توجيهاتهما السديدة، والمباركة، والنافعة.

٢- النظرة القاصرة لما تؤول إليه الأمور:

إن النظرة القاصرة لعواقب الأمور تعد سبباً لإعراض بعض الناس عن الحق حيث يتسم أصحابها بالعجلة، وعدم التريث، فهم لا ينظرون إلى الأفق ولا يفكرون في العواقب، وهذه علةٌ خطيرةٌ حيث إن أحكامهم واستنتاجاتهم مخطئةٌ، بسبب هذه النظرة القاصرة، لذا أدرجت الباحثة هذا السبب للإعراض لأهميته، والذي يوضحه حديثُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذُّوا بِهِ فَأَخَذَ فَأَسَأَ، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوَهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ. فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ)^(١).

وفي رواية: (... فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ، فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤَذُّونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا فَتَسْتَقِي، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنْعُوهُمْ نَجَّوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكَوهُمْ غَرَقُوا جَمِيعًا)^(٢).

(فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا)^(٣). فهو لاء رأوا أنهم تسببوا في أذية من فوقهم، ففكروا فيما يمنعهم من الصعود إليهم، إما لشعورهم بالخجل أو عزة

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٢٦٨٦، كتاب الشهادات، باب الفرعة في المشكلات، ٢٩٢ / ٥.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢١٧٣، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب، وقال: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، ٤٧٠ / ٤، المسند،

ح ١٨٣٧٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٣٠ / ٣٢٢، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٦٩، ١ / ١٠٨.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٤٩٣، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ١٣٢ / ٥.

النفس أو غير ذلك مما أدى إلى رغبتهم في البعد عن أصابوا القسم الأعلى من السفينة، بحجة اجتناب أذيتهم، وهذه نظرة قاصرة حيث لم ينظروا إلى عاقبة هذا الفعل، التي هي الغرق والهلاك للجميع، فكانت هذه النظرة القاصرة سبباً لعزمهم على فعل سيء يهلك الجميع، فتوجب على الذين في أعلى السفينة - في مثل هذه المواقف وأمام هذا المسلك المنحرف، والتصرف السيء - معالجة ذلك بحكمة تقتضي منعهم بكل وسيلة؛ لأن في ذلك نجات الجميع.

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي يتعلق بإعراض المدعويين في الحديث ما يلي:

- يتوجب على الدعاة والأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر أن يمنعوا الجهلة والسفهاء ذكوراً وإناثاً من أفعال منكرة تخالف أمر الله وأمر رسوله، وتساعد على تفشي الفساد والإفساد، فتكون سبباً في سخط الله وهلاك الجميع، على أن يكون ذلك بالحكمة التي تقتضي مراعاة تلك النظرة القاصرة للمنحرفين، لأنه يكثر منهم مثل هذا المزلق، فينبغي للدعاة بذل الجهد في إبعادهم عن ذلك.

- أهمية ترسيخ الدعاة قضية إعمال الفكر لإدراك حواتم الأمور ونتائجها، بعيداً عن النظرة الآنية المحدودة.

- ضرورة اجتناب الدعاة الارتجال في الدعوة إلى الله، بل ينبغي الإعداد والتنظيم المسبق، ومعالجة كل موقف بما يناسبه من حيث الرفق واللين والحزم؛ لتكون النتائج بعيدة عن العشوائية والتخبطات.

- وقد يلمح في الحديث إلى أن شعور المدعو بوجود حواجز وعقبات بينه وبين الداعي كان له أثره في مثل هذا الأمر، حيث يشير الحديث إلى وجود شعور بالدون للذين هم أسفل السفينة، وعلو مكانة الذين هم أعلاها.

٣- تضجر الداعية:

مما يجب أن يتحلّى به الدعاة إلى الله، احتمال المدعويين، وعدم إظهار الانزعاج منهم، والضجر لوجودهم، لأنهم أحد أركان العملية الدعوية، فلا يصح أن يكون التعامل معهم شرساً، غليظاً، بل يجب أن يؤخذوا بالعطف والتحمل، لتكون خلطتهم بالدعاة مكان حب وتقدير لهم؛ لذا فإنني تلمست في حديث النعمان بن بشير ما يسببه الضجر من

الآخرين من بُعدٍ، ونفورٍ، وتصرفاتٍ غير حميدةٍ، فقد ورد فيه ما نصه: (فَتَأْذُوا بِهِ فَأَخَذَ فَاسًّا... فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي) (١).

وفي رواية: (فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُوذُونَنَا) (٢).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفِيقِهِ دَعْوِيٌّ يتعلق بإعراض المدعويين في حديث النعمان المذكور آنفا ما يلي:

- ينبغي للدعاة الاقترابَ من المدعويين، ومشاركتهم في مشاكلهم، وإعانتهم على الاستجابة، ليتوجهوا إلى الحق دون تردد. والصبر عليهم، وعدم إظهار التضجر منهم، لأن ذلك ربما يكون سبباً في إعراضهم عن الحق، والابتعاد عن الدعاة، ومن ثم فعلهم ما يحلو لهم من فساد وإفساد في الأرض.

- ضرورة أن يُوجَدَ الدعاةُ جُسُورَ حُبِّهِ تَرْبِطُهُم بِالمدعويين، لخطورة فقدان الحب والألفة بين الفريقين، وتناحجه السلبية على الدعوة والدعاة.

٤- الجهل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَعْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا) (٣).

يبين الحديث أن الرجل ((المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به: من الاهتداء، والاستدفاء، وغير ذلك. والفراشُ لجهلها جعلته سبباً لهلاكها، فكذلك كان القصدُ بتلك

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٢٦٨٦، كتاب الشهادات، باب الفرعة في المشكلات، ٥/ ٢٩٢.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢١٧٣، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ٤/ ٤٧٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٦٩، ١/ ١٠٨.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤٨٣، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ١١/ ٣١٦، وح ٣٤٢٧، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله :

﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ سورة ص: ٣٠، ٤٥٨/٦.

البيانات^(١): اهتداء الأمة واجتنبها ما هو سبب هلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبةً لترديهم^(٢). وفي قوله: (أَخِذْ بِحُجَزِكُمْ): استعارة. (مَثَلُ حَالَةِ مَنْعِ الْأُمَّةِ عَنِ الْهَلَاكِ بِحَالَةِ رَجُلٍ أَخَذَ بِحُجَزَةِ صَاحِبِهِ الَّذِي يَكَادُ يَهُوِي فِي قَعْرِ بئرٍ مُرْدِيَةٍ)^(٣). فالجهل يحمل المرء على الأمور الموبقة والمردية، ويقحمه المتالف والهلكات.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِإِعْرَاضِ الْمَدْعُوِينَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- ضرورة أن يكشف الدعاء للمدعويين عواقب الجهل ومآلاته المهلكة وأن يجتهدوا في علاجه. وذلك بتعليم الناس؛ لتستنير عقولهم فيستجيبوا لدعوة الحق؛ لأن الجهل يضر صاحبه والجاهل عدو نفسه، فكم تسبب الجهل في كوارث ومصائب عديدة؛ لأنه ظلام وظلمات، ولا يعالج الجهل والجاهل إلا بالعلم؛ لأنه نور وسائق إلى الرشاد والسداد وقد ورد في سنة النبي ﷺ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِّنَّا حَجْرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمَمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَأَعْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: (قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟! فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَّمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ حِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ)^(٤).

والجهل يعد من أكبر العقبات التي تواجه الدعاء.

- أهمية اعتناء الدعاء بتوعية العقول وتربيتها على الفهم الصحيح الذي يقود بحول الله إلى الاختيارات الصحيحة.

- إيراد الدعاء دعوتهم للناس للقصص والمواقف الدالة على النتائج المخزية للجهل وأصحابه، وكيف أنه يقودهم لما لا يحمد عقباه في الدنيا والآخرة.

(١) المراد بالبيانات: ما ورد في الحديث من تشبيه المعرضين عن الدعوة والمندفعين إلى الهروب منها، مع تحقق نجاحهم إن هم قبلوها، ومع ذلك يفعلون كما يفعل الفراش الذي يدفعه المستوقد بالنار؛ لتلايق فيها؛ لأن المستوقد لم يرد إهلاك الفراش بتلك النار، وإنما أراد أن يهتدي الناس نحو النار، ويستندفون بها، ولكن الفراش لجهله بأبي إلا الوقوع فيها.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٣١٩.

(٣) الكاشف، الطيبي، ٢/٦١٤-٦١٥.

(٤) سنن أبي داود، ح ٣٣٦، كتاب الطهارة، باب في المرحوح يتيمم، ٢٤٠/١، حسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/١٠١.

٥ - البخل:

إن البخلَ غَوَايَةٌ مُهْلِكَةٌ، واستهواءٌ من الشيطانِ للمرءِ بكيدِهِ، يستحوذُ به الشيطانُ على صاحبه فيصرفه عن الرُّشْدِ وَيَدْفَعُهُ إِلَى التَّعَدِّيِّ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْفِيقِ، وَيُطْبِقُ خَاتَمَ الحِرْصِ عَلَى قَلْبِهِ فَيُطْبِعُهُ بَغْرورَهُ؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾^(١).

وقد ورد في أحاديث الأمثال ما يوضح أضراره فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان^(٢) من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تدييهما وتراقييهما^(٣) فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تعشى^(٤) أنامله^(٥) وتغفو^(٦) أثره^(٧)... وفي لفظ: وكلما هم البخيل بالصدقة انقبضت كل حلقة إلى صاحبيتها، وتقلصت عليه، وانضمت يده إلى تراقيه، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: فيجتهد أن يوسعها فلا تتسع^(٨).

يوضح الحديث أن البخيل يضيق صدره، وتقبض يده فلا ينفق في المعروف، فإذا أريدت المبالغة في القبض، قيل: يده مغلولة إلى عنقه، وثديه وتراقيه. والأسلوب من التشبيه

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) تننية جبة اللباس، وورد لفظ جبتان أي: وقابتان. انظر: النهاية، ابن الأثير، ٣٠٨/١. وقال ابن حجر: ثوب محصوص، ولا مانع من إطلاقه على الصدر. فتح الباري، ابن حجر ٣/٣٠٦.

(٣) الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، والمعنى: أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها، فكأنما لم تتجاوز خلوقهم، وقيل: المعنى أنهم لا يعملون بالقرآن، ولا يناهون على قراءته، فلا يحصل لهم غير القراءة. النهاية، ابن الأثير، مادة: ترق، ١/١٨٧.

(٤) تعشى: أي تستر أنامله. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: غشا، ٣/٣٦٩.

(٥) الأنامل: أطراف الأصابع. مفردها: أنملة وهو: ما تحت الظفر من طرف الأصابع. الإفصاح في فقه اللغة، عبدالفتاح الصعدي، وحسين يوسف، بيروت، دارالكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ص: ٥٣.

(٦) الغفو: أصله الخو والطمس. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: عفا، ٣/٢٦٥.

(٧) الأثر: أصله من أثر منبث في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر. النهاية، ابن الأثير، مادة: أثر، ١/٢٣. وقد يكون معنى تغفو أثره: تطيل عمره. على غرار (وينسا له في أثره). فيكون الأثر بمعنى الأجل. انظر النهاية، ابن الأثير، ١/٢٣.

(٨) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٩١٧، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، والقميص في الحرب، ٦/٩٩، ح ٥٧٩٧، كتاب اللباس، باب حجب القميص من عند الصدر وغيره، ١٠/٢٦٧.

المفروق^(١)؛ حيث شبه السخيَّ الموفقَ بمن عليه الدرع ويده تحت الدرع، فإذا أراد أن يُخرِجَها منها ويَنزَعَهَا يسهل عليه، والبخيل على عكسه، والله أعلم^(٢).

قال ابن حجر- رحمه الله-: ((شبه النبي ﷺ البخيل كمثل رجل غلَّتْ يده إلى عنقه كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته، والمراد أن البخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه، فضاق صدره، وانقبضت يده))^(٣).

قال الخطابي - رحمه الله -: ((وهذا مثلُ ضَرْبِ النبي ﷺ للبخيلِ والمتصدقِ، فَشَبَّهَهُمَا برجلين أرادَ كُلُّ واحدٍ منهما أَنْ يَلْبَسَ دِرْعًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِنْ سِلَاحِ عَدُوِّهِ، ... وَجَعَلَ البخيلَ كَمَثَلِ رَجُلٍ غُلَّتْ يده إلى عنقه كلما أرادَ لِبْسَهَا اجتمعتُ في عُنُقِهِ، فَلَزِمَتْ تَرْقُوتَهُ. والبخيلُ إذا حَدَّثَ نَفْسَهُ بالصدقةِ شَحَّتْ نَفْسُهُ، فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَانْقَبَضَتْ يده،... والمرادُ: أَنَّ اللهَ يَسْتَرُ المُنْفِقَ فِي الدنْيَا وَالآخِرَةِ بِمُخَالَفَةِ البخيلِ))^(٤).

وقيل: ((ضرب المثل عادة بهما؛ لأن المنفق يستر الله سبحانه وتعالى عوراتِه في الدنيا والآخرة، كستر هذه الجبة لابسها، والبخيل كمن لبس جبة إلى ثدييه، فبقي مكشوفاً بادي العورة مفتضحاً في الدنيا والآخرة))^(٥).

قال القاضي عياض- رحمه الله -: ((هذا تمثيل منه ﷺ بالعيان للمثل الذي ضربه))^(٦).
وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِيهِ دَعْوِيٌّ مِنْ الحَدِيثِ السَّابِقِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَخْلِ كَدَاعٍ مِنْ دَوَاعِي الإِعْرَاضِ مَا يَلِي:

- إن من أعظم أسباب الإعراض البخل، فإنه صفة مذمومة، حيث يدفع حب المال صاحبه للإعراض عن مرضي الله تعالى، فيجب على الداعية أن يعتني بدعوة الناس لتطهير

(١) التشبيه المُفْرَقُ هو: أن يؤتى بمشبه ومُشَبَّه به، ثم يَأخُرُ وَآخِر. معجم البلاغة العربية، بدوي بطانة، جدة، دار المنارة، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص: ٤٩٥.

(٢) انظر: الكاشف، الطيبي، ١٥٢٤/٥-١٥٢٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٠٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٠٦، وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليقات: نخبة من العلماء، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية،

١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ٥/٥٠٦.

(٥) الديباج، السيوطي، ٣/٩٨.

(٦) شرح سنن النسائي، السيوطي، ٥/٧٢.

أنفسهم؛ وذلك بتخليصها من هذه الخصلة المذمومة عند الله وعند المؤمنين، بل والناس الأسياء.

- إن الخطر الذي يسببه البخل على المعرضين عن الصدقة، يحتم على الدعاة - وهم حملة راية الشفقة بالمدعويين - أن يجعلوا في دعوتهم نصيباً للتحذير من البخل، وبيان عواقبه الخبيثة، وأضراره على الأفراد والمجتمعات.

- أن يبرز الدعاة الوصف البغيض للمعرض عن الصدقة، الذي لا يحبه الله ولا يحبه الناس.

- الإفادة من وصف النبي ﷺ للمعرض عن الصدقة بالبخل وهي صيغة مبالغة مما يدل على ملازمة هذه الصفة لذلك المعرض عن التصدق، وفرق كبير بين من تلازمه صفة العطاء والسخاء، وقد يمنع ويبخل مرة، وبين من تلازمه صفة البخل، فالأول: كريم، والثاني: بخيل. والفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا.

- إن استعمال الدعاة للتمثيلات النبوية للتفنير من الصفات المذمومة - والتي تجلب سخط الله - استعمالٌ ناجح له أثره في التقدم بالدعوة للصفات الطيبة، واجتناب الصفات الخبيثة، كما يتضح من تمثيل البخل في صورة منفرة لا يطبقها أحد من العقلاء وهي صورة إنسان مقيد لا يستطيع التحرر من قيوده، بل هو رهن تلك القيود مهان عديم الحركة. وهذا التمثيل يبعث على الاشمئزاز من صفة البخل، والنفور منها.

٦ - طلب الدنيا والعمل من أجل متاعها:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: (اقْرَأُوا فِكْلٌ حَسَنٌ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يُتَأَجَّلُونَهُ)، وفي لفظ: (كَمَا يُقَوْمُ السَّهْمُ يُتَعَجَّلُ أَجْرُهُ وَلَا يُتَأَجَّلُهُ) ^(١).

يوضح الحديث خطر التكلف في القراءة، والتشدد بها والمبالغة في المخارج والصفات رياءً وسمعة وشهرة، يتكثرون بها الدنيا لا الأخرى. مثل هؤلاء يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل. وبذلك يكون حب الدنيا وإيثارها على الأخرى أحد الدواعي القوية والفاعلة في الإعراض عن الحق.

(١) سنن أبي داود، ح ٨٣١، ٨٣٠، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأعمى والأعجمي من القراءة، ١/٥٢٠-٥٢١، صحيح سنن أبي داود، الألباني، وقال: حسن

صحيح، ١/٢٣٤-٢٣٥.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن التعلق بالدنيا، وغرورها الزائل من الأسباب المؤدية إلى الإعراض، فينبغي للدعاة العناية بالمدعو، فيما يتعلق بالقرآن الكريم حفظاً، وتلاوةً، وتدبراً، وعملاً، لنيل ما عند الله من الثواب والأجر، وعدم التكسب به، فإنه أعظم من أن يُتَاجَرَ به.

- ضرورة أن يتفقد الدعاة المدعويين فيما يتعلق بقضية إخلاص المدعو في كل أعماله لله رب العالمين؛ لأن الأعمال الصالحة إذا لم تكن خالصة لله، فإن صاحبها لن ينتفع منه بشيء، كما هو واضح من قول الله تبارك وتعالى: إخلاص الدعاة أعمالهم لله، فلا حظوظ لدنيا تشوب أعمالهم الدعوية.

- قد يكون الإعراض سببه الداعية نفسه، عندما يراه المدعوون يطمع في دنياهم، مما يدل على خطورة تطلع الدعاة إلى متاع الدنيا، وأجرها الزائل، والاستشراف لما في أيدي الناس، بل وتزداد الخطورة إذا وجدت مشاركة في العمل الصالح. أعمل كذا مقابل كذا، فحينئذ تتأخر الدعوة مراحل، ولا تصل إلى المدعويين إلا هزيلة ضعيفة؛ لتعلق صاحبها بما في أيديهم. وقد بين الله حقيقة الداعي المحتسب أجر دعوته من الله، فقال سبحانه: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١).

٧- اتباع الأهواء والبدع:

(أ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيئِهِ... فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ نُدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرَدْرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)^(٢).

(١) سورة يس: ٢١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ٣٦١٠، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ٦/٦١٧-٦١٨، صحيح مسلم، ح ١٠٦٣، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج، ٢/

وفي رواية: (قَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَمِنْهُمْ رَجُلٌ مُخَدَّجُ الْيَدِ كَأَنَّ يَدَيْهِ تَدْيِي حَبَشِيَّةٍ)^(١).

يتبين من الحديث إعراض هؤلاء الخوارج عن الحق، وإسراعهم في الخروج من الإسلام. وقد شبه النبي ﷺ ذلك بسرعة خروج السهم من الرمية، ودخوله في الصيد وخروجه دون أن يعلق في السهم من الصيد شيء. وهذا يدل على خطورة البدع واتباع الأهواء وإبعاد أصحابها عن الهدى والنور.

ب) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قام فينا، فقال: (أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِيْنَا، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِْلَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِْلَةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي رِوَايَةٍ: وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى^(٢) بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ^(٣) لِصَاحِبِهِ وَفِي لَفْظٍ: الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَتَّقِي مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ)^(٤).

يؤكد الحديث خطورة اتباع الهوى والابتداع في الدين فقد شبه أهل الأهواء الواقعيين فيها بمن أصابه داء الكلب فجعله يتخبط بمنه ويسره كما يتخبط السكران، ثم قتله. فما أشبع هذا التشبيه؟! وما أشنع! وبعد ذلك هل من معتبر ومتعظ؟!

ج) حديث المقدم بن معديكرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ^(٥) يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-

(١) المسند، ح ١٩٧٨٣، وقال محققه: صحيح لغيره، ٢٧-٢٦/٣٣.

(٢) تنجاري: أي يتوافتون في الأهواء الفاسدة، ويتداعون فيها، تشبها بحري الفرس. النهاية، ابن الأثير، مادة: حرا، ١/ ٢٦٤.

(٣) الكلب: داء معروف يعرض للكلب، فمن عضه قتله. النهاية، ابن الأثير، ١/ ٢٦٤، والكلب: جنون يعرض للكلب لاستحالة مزاجه إلى السوداء، وعلامته: احمرار عينيه، وخروج لسانه، وسيلان اللعاب من فيه، وأن يطأطأ رأسه نحو الأرض، ويرخي أذنيه، ويلدس ذنبه بين رجليه، ويجرب جلده، ويعود دائما، ولا ينبج إلا قليلاً مع بحة صوته، ويهرب منه الكلاب، ويمتنع من الأكل والشرب، ويهرب من الماء إذا رآه، فإذا عض إنساناً فإن العضوض يفزع من الماء، ويستوحش من جميع من يراه، ويرى وجهه في المرآة صورة كلب. الطب من الكتاب والسنة، موفق الدين عبداللطيف البغدادي، تحقيق: د/ عبدالعطي أمين قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص: ٢١٣.

(٤) سنن أبي داود، ح ٤٥٩٧، كتاب السنة، باب شرح السنة، ٥/ ٥، حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٣٨٤٣، ٣/ ٨٦٩، المسند، ح ١٦٩٣٧، ٢٨/ ١٣٤-١٣٥، السنة، عمرو بن أبي عاصم الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد بن ناصر الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ح ١٢، ١/ ٧. وقال الألباني -رحمه الله-: الإسناد صحيح.

(٥) الأريكة: هو كل ما يُتَكأ عليه من سرير أو فراش أو منصّة. النهاية، ابن الأثير، مادة: أرك، ١/ ٤٠.

مَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ^(١).

يشير النبي ﷺ إلى صنف من المعرضين، قد ركبوا موجة خطيرة لا طاقة لهم بها بدافع الهوى، زاعمين أنهم في غنى عن هدي السنة وتعاليمها الغراء، مدعين أن التحريم والتحليل لا يكون إلا للقرآن دون السنة، فضلوا وأضلوا. وقد بين النبي ﷺ أن ما حرمه عليه الصلاة والسلام مثل ما حرم الله.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ مَا يَلِي:

- ضرورة ارتباط الدعوة والدعاة بمنهج الكتاب والسنة وفق منهج سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، وأن يبينوا للمدعويين خطورة متابعة الأهواء، ومجانبة السنة المطهرة.

- إن إبعاد هذا الصنف من الناس عن الإحداث في الدين، واتباع الأهواء ضرورة ملحة، تنطلق من إدراك الدعاة لخطر الابتداع في الدين واتباع الأهواء المضلة عن الصراط المستقيم، فيسعون سعيًا حثيثًا، لإنقاذ هؤلاء مما هم فيه، مع ما في هذه الدعوة من عناء، ومشقة، لأن صاحب الهوى يصعب جلبه واجتذابه، لما يحسنه الشيطان له من أعماله الضالة المضلة، ولكن الداعية مكلف بالنصح والبيان، وليس عليه بعد ذلك شيء.

- ينبغي أن يُعنى الدعاة إلى الله ببيان منهج الكتاب والسنة وما خرج عن هديهما وخالفهما بيانًا واضحًا للمدعويين؛ لئلا ينزلقوا في مهاوي البدع والضلالات.

- ينبغي أن يبرز الدعاة حقيقة مهمة وخطيرة في الدعوة إلى الله، ألا وهي عدم الاغترار بمظاهر الناس، وإنما ينبغي معاملتهم بميزان الشريعة فما أقرته الشريعة من أعمالهم أقرناه وما أنكرته ورفضته أنكرناه ورفضناه، وهذا الميزان هو الحكم والفاصل بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(١) سنن ابن ماجه، ح ١٢، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله والتعليق على من عارضه، ٦/١، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ١٢، ٧/١.

- يجب أن يحرص الدعاة على العناية بقضية مهمة في الدعوة، ألا وهي قضية وحدة المسلمين، وعدم تفرقهم وتشردمهم والخروج عنهم بشذوذات لا معتمد لها سوى الهوى، مما يشكل صدعاً في بناء جماعتهم، ويحدث وهناً في جسدكم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يقوموا بتبصير المدعوين ببعض المناهج المنحرفة والضالة لاسيما في هذا العصر التي كثر في الضلالات والانحرافات وتشعبت بحيث لا يمكن حصرها. ومن ذلك: مناهج مدعي النبوة، والخوارج، والمُسمّين بالقرآنيين، وغيرهم كثير، بقدر ما يتاح للدعاة من وقت ومناسبة للحديث عنها. ليستبصر المدعوون ويدركوا ما يحيط بهم من خطر نتيجة تبني تلك المناهج وترويجها والرضا عنها.

رابعاً - عاقبة المعرضين عن دعوة النبي ﷺ:

إن الإعراض عن الهدى والنور خسران مبین في الدنيا والآخرة، وسوف تتوضح عاقبة المعرضين من خلال الأحاديث التالية:

(أ) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ... وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ^(١) فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَأَتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ)^(٢).

وضح الحديث بتمثيلٍ بليغٍ الفرق بين المستجيبين والمعرضين، وبين العاقبة الحسنة للمستجيبين، والعاقبة السيئة للمعرضين. والجزاء من جنس العمل، فمن صدق واستجاب نجا، ومن كذب وأعرض هلك. والتمثيل المتصل بالمكذبين المعرضين هو: أَنَّ مَثَلَهُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَمْ يَصْدُقُوا مِنْ أَنْذَرَهُمْ مِنْ خَطَرِ عَدُوِّهِمْ وَأَعْرَضُوا عَنْ كَلَامِهِ، فَاسْتَيْقَظُوا صَبَاحاً مَذْهُولِينَ بِإِغَارَةِ الْجَيْشِ عَلَيْهِمْ.

(ب) عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ

(١) اجْتَاَحَ: أي استأصل، وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيدة جائحة، والجمع جوائح. وَاجْتَاَحَهُمْ يَجُوْحُهُمْ جَوْحًا: إذا غَشِيَهُمْ بِالْجَوَائِحِ وَأَهْلَكَهُمْ. النهاية، ابن الأثير، مادة:

جوح، ٣١١/١ - ٣١٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٨٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٣/٢٦٤، صحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب

الفضائل، باب شفقتي صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، ٤/١٧٨٨-١٧٨٩.

فِيهِ نُكْتَةٌ بَيضاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى فَلَينٍ: عَلَى أبيضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ
مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^(١).

يبين الحديث خطورة الفتن والخوض فيها ومجالسة أهلها، لذلك يجب على العبد أن
يبتعد عنها كل البعد؛ لأنها تؤثر على القلب تأثيراً بليغاً كما دل عليه آخر هذا الحديث
الشريف.

إن الفتن تعرض على القلوب، وتؤثر فيها، فتنة بعد أخرى، فأى قلب دخلت فيه
دخولاً تاماً وحلت منه محل الشراب نكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصبح هذا القلب أسود
لا يدخله الخير؛ لأنه اتبع هواه وارتكب المعاصي فبكل معصية تحل في قلبه ظلمة، وإذا
صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، وإن من قبل هذه الفتن فقد أعرض عن الحق
إعراضاً كلياً ومثل هذا لا خير فيه^(٢).

(ج) عَنْ ثَوْبَانَ^(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى^(٤) عَلَيْكُمْ كَمَا
تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا^(٥))، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ
وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءٌ^(٦) كَعُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ
المَوْتِ^(٧).

(١) صحيح مسلم، ح ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يارز، ١/١٢٨-١٣٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧٣/٢.

(٣) ثوبان بن جُحْد، مولى رسول الله ﷺ، يكنى بأبي عبد الله، كان باقياً على ولاء النبي ﷺ، إلى أن توفي النبي ﷺ، فخرج إلى الشام وشهد فتح مصر، ومات بجمص سنة ٥٤ هـ. أسد الغاية، ابن الأثير، ١/٢٩٦.

(٤) تَدَاعَى عَلَيْكُمْ: أي اجتمعوا ودعا بعضهم بعضاً. النهاية، ابن الأثير، مادة: دعا، ١٢٠/٢.

(٥) القَصْعُ: ضمك الشيء على الشيء حتى تقتله أو تهمسه، والمراد شدة المضغ وضَمَّ بعض الأسنان على بعض. غريب الحديث، ابن سلام، ١/٣٨٦، وانظر الفائق، الزمخشري، ٣/١٠٢، وانظر النهاية، ابن الأثير، مادة: قصع، ٧٢/٤.

(٦) عُثَاءٌ: الغنَاء بالضم والمد: ما يجيء فوق السَّيْلِ مِمَّا يَحْمِلُهُ مِنَ الرَّبْدِ وَالْوَسَخِ وَغَيْرِهِ. والمراد به: أُرْدَالُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. النهاية، ابن الأثير، مادة: غنأ، ٣/٣٤٣.

(٧) سنن أبي داود، ح ٤٢٩٧، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ٤/٤٨٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٤٢٩٧، ٣/٢٤-٢٥.

يمثل النبي ﷺ حالة أمته بتمثيل مؤثر، وهذه الحالة هي: تكالب الأمم الكافرة والعدوة المتربصة بالإسلام وأهله، حيث مثلهم بالسباع المفترسة التي تنقض على فريستها الضعيفة فتنهشها من كل جهة دون رحمة، وفي هذا تأكيد يجسد عاقبة المعرضين.

(د) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا فِيهِ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودٌ أَلْوَجُوهُ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَحِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي حَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّقُودُ^(١) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ نِ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٢)، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٣)،

فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي حَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي

(١) السَّقُودُ: الحديد الذي يُشَوَّى بِمَا لِلحَم. الصحاح، الجوهري، مادة: سفد، ٤٨٩ / ٢.

(٢) سورة الأعراف: ٤٠.

(٣) سورة الحج: ٣١.

يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟
فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١).

في الحديث تشبيهات توضح عاقبة الإعراض عن الله ودينه وردت على النحو التالي:
- بيان كيفية خروج روح الكافر؛ وذلك بانتزاعها كما تنتزع الحديد من الصوف المبلول، فإنه يصعب انتزاعها منه.

- الرائحة الكريهة لروحه، لم يكتف عليه الصلاة والسلام بالتنفير السابق من الكفر والإعراض بل زاد الصورة تنفيراً وتشبيحاً حيث أبان ﷺ عن نتن رائحة روح الكافر عندما تخرج، فهي كأنتن رائحة وجدت على وجه الأرض، والغرض من هذا التمثيل النبوي الكريم أن ينفر المرء من الإعراض عن الله ويُقْبِلَ بالإيمان والحب والرضا؛ لتسعد روحه وتطيب نفسه ويطمئن قلبه، إن خبث رائحة هذه الروح ناتج عن خبث الكفر بالله والإعراض عن صراط الله المستقيم، صراط الأنبياء والصالحين والصدّيقين والشهداء.

- النهاية البشعة للمعرض، ختم النبي ﷺ تشبيهاته المباركة بتشبيهه بليغ له أثره في النفوس المؤمنة، حيث ذكر أن المشرك مثله مثل من حرّ من السماء إلى مكان في باطن الأرض عميق، أخذت الطيور تنخطفه من كل جهة. ولا ريب أن المرء إذا سقط من مكان عال فإنه سيكون بحالة لا يحسد عليها، وهي إما موتٌ مفزعٌ، أو إعاقةٌ مستديمة تؤلمه طيلة حياته. والمكان العالي هنا في الآية ليس أي مكان، إنه السماء فتخيل الصورة وهذا المثل كم فيه من التنفير من سبيل المعرضين، إنه الأسلوب القرآني العظيم الذي يسحر العقول والقلوب، فلا تملك إلا الإعجاب والوقوفات تلو الوقفات للتأمل والتدبر والتأثر الذي لا ينتهي أبد الدهر.

(هـ) حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول في النَّجْوَى: (يَدُّو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَجٌ^(٢))، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ: أَي يَسْتُرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ

(١) المسند، ح ١٨٥٣٤، وقال محققه: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح، ٣٠/٤٩٩-٥٠٣، سنن أبي داود، ٤٧٥٣، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب

القبر، ١١٤/٥، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٣٩٧٩، ٣/٩٠١، المصنف، ابن أبي شيبة، ٣/٣١٠، ٣٧٤، ١٠/١٩٤، وأورده الهيثمي في المجمع، ٣/

٥٠-٤٩، وقال: هو في الصحيح باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) البَدَج: ولد الضأن وجمعه بَدَجَان. النهاية، ابن الأثير، مادة: بدج، ١/١١٠.

أَعْرِفُ. ثُمَّ يَقُولُ: أَتَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ. فَيَقُولُ: أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا
أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، وَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى
رُءُوسِ الْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(١).

يؤكد الحديث مسألة عقد المقارنات، والموازنة بين الأضداد، والتي من مقاصدها: البعد
عن الإعراض، وسلوك طريق الإيمان والاستجابة. وجوانب الموازنة النبوية في هذا الحديث
تتركز فيما يلي:

أولاً- ثمرة استجابة المؤمن، وهي القرب من الله، يقابله الطرد من رحمة الله للمعرضين
المكذبين.

ثانياً- إحاطة المؤمن بستر الله يوم القيامة، يقابلها الفضيحة للمعرضين الكفار وهتك
أستارهم.

ثالثاً- إعطاؤه صحيفة الحسنات، يقابلها صحيفة السيئات بمفهوم المخالفة.

(و) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ مِيلٍ،
وَيَزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا يَعْلِي مِنْهَا الْهَوَامُّ كَمَا يَعْلِي الْقُدُورُ يَعْرِفُونَ فِيهَا عَلَى قَدَرِ
خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى
وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ)^(٣).

(١) المسند، ح ٥٨٢٥، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الوهاب بن عطاء فمن رجال مسلم وهو ثقة، ٨٥/١٠،
صحيح البخاري، ح ٤٦٨٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم}، ٣٥٣/٨، دون التمثيل، صحيح ابن ماجه، الألباني، ح
١٥١، ٣٦/١. أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٢/٢١٦ بهذا الإسناد.

(٢) أبو أمامة صُدِّي بن عجلان بن الحارث الباهلي مشهور بكنيته، شهد أحدا، كان مع علي بصغين مات سنة ست وثمانين وله مائة وست سنين. الإصابة، ابن حجر،
١٧٥/٢.

(٣) المسند، ح ٢٢١٨٦، وقال محققه: ((إسناده قوي من أجل الحسن بن سوار وهو أبو العلاء المروزي وباقي رجاله ثقات، ٥٢٣/٣٦، وأخرجه الطبراني في الكبير،
٧٧٧٩، إتحاف الخيرة، ح ١٠٠٦٥، بهذا الإسناد. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الذي يلجمه العرق الكافر، أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه. قال:
(يشند كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق. قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: على الكرسي من ذهب، ويظل عليهم الغمام)، ويسند قوي عن أبي موسى قال: (الشمس
فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلمهم) وأخرج بن المبارك في كتاب الزهد، في الجزء الخاص بزوائد نعيم بن حماد، في آخر الكتاب، ح ٣٤٧، ص: ١٠٠،
== وابن أبي شيبه في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال: (تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدن من جاحم الناس حتى تكون قباب قوسين،
فيعرفون حتى يرشح العرق في الأرض قامة ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل زاد بن المبارك في روايته: (ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة). يدل عليه حديث حديث المقداد
وغيره (أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم) وفي الحديث عن ابن مسعود عند الطبراني، ١٠/٢٧١، والبيهقي: (أن الرجل ليفيض عرفا حتى يسبح في الأرض قامة ثم

يوضح الحديث العاقبة الخطيرة للمعرضين بقدر إعراضهم عن سبيل الله المستقيم، وذلك يوم أن تَدْنُو الشمسُ المحرقةُ التي تغلي الرؤوسَ كما تَغْلِي النارُ الماءَ في القِدْرِ؛ فَمَنْ لَدَيْهِ لُبٌّ، لَنْ يَغْفَلَ عَنْ تِلْكَ النِّهَايَةِ.

قال عياض-رحمه الله-: ((ومن تأملَ الحالةَ المذكورةَ عرفَ عظمَ الهولِ فيها وذلك أن النارَ تحفُ بأرضِ الموقفِ وتَدْنُو الشمسُ من الرؤوسِ قدرَ ميلٍ، فكيف تكون حرارة تلك الأرض! وماذا يُروِيها من العرقِ حتى يبلغَ منها سبعينَ ذراعاً؟! مع أن كل واحد لا يجد إلا قدرَ موضعِ قدمه! فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه! إن هذا لَيَبْهَرَ العقولَ، ويدلُّ على عظيمِ القدرة، ويقنضي الإيمانَ بأمورِ الآخرة. ومن توقف في ذلك دل على خسارته وحرمانه. وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع، فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونهِ على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه))^(١).

ومَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَاقِبَةِ الْمَعْرُضِينَ مَا يَلِي:

- أهمية أن يعنى الدعاء بمنهج من مناهج دعوة الحق يحتاج إليه الدعاء، تناولته تلك الأحاديثُ بالعناية، ألا وهو: مَنْهَجُ الْمَوَازِنَةِ الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَى عَرْضِ الْأَمْرِ وَنَقِيضِهِ، وَهُوَ مَنْهَجُ وَرَدِّ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

يرتفع حتى يبلغ أنفه). وفي رواية عنه عند أبي يعلى وصححها ابن حبان: (أن الرجل ليلحمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يارب أرحني ولو إلى النار))، ح ٧٣٣٠،

٣٢٥/١٦.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٣٩٣-٣٩٥.

(٢) سورة ص: ٢٨.

الْأَلْبَبِ ﴿١﴾ . وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ . ونحو ذلك من الآيات الدالة على هذا المنهج المبارك.

- تبشيع الدعوة لسوء عاقبة المعرضين في الدنيا، وحياة البرزخ وفي الآخرة، وتذكير المدعويين بها ليحانبوا طريق المعرضين.

- أن يحرص الدعوة على رعاية القلوب، وتعاهدتها، وتحصينها من الفتن، فلا تجد منفذاً لتلك القلوب، وأن يعنوا عناية فائقة بإصلاح قلوب المدعويين وصولاً إلى سلامتها، وعندها يكون الفلاح، في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ ﴿٣﴾ . كما عليهم أن يعنوا ببث التوعية الإيمانية، والوقائية، والعلاجية لتلك القلوب.

- من المهم أن يبرز الدعوة قضية خطيرة قد تشكل عقبة في الدعوة إلى الله وهي: قضية استدراج الشيطان للناس شيئاً فشيئاً، وخطوة بعد خطوة، وقد نهى الله عن اتباع خطواته، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٤﴾ .

- أهمية تجلية الدعوة لحقيقة المعرضين، ومن ذلك: أنهم غناء سبيل لا نفع منه، فهم في عداد سقط المتاع الذي لا قيمة له، ولا يعبأ به.

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة القلم: ٣٥.

(٣) سورة الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٨.

الفصل الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بمناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها
المبحث الأول - المناهج الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.
المبحث الثاني - الأساليب الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.
المبحث الثالث - الوسائل الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.

المبحث الأول: المناهج الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة

الفصل الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بمنهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها

المبحث الأول: المنهج الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة:

أولاً: المنهج العاطفي: إن للعاطفة دوراً كبيراً في إقبال الإنسان على الحق أو إداره؛ لذلك عني علماء الدعوة بدراسة المنهج العاطفي وطبقوه في دعوتهم؛ لأن العاطفة إذا استثمرت استثماراً حسناً، وأثيرت إثارةً إيجابيةً، ستكون من دواعي قبول الحق والرضا به.

والمراد بالعاطفة: هي الأحاسيسُ القلبية، والنفسيّة المتغيرة بتغير الشعور، كالإحساس بالأمن، والخوف، والفرح، والحزن، والرغبة، والرغبة ونحوها من الأمور التي تدرك بالوجدان.

وقبل الشروع في عرض أحاديث الأمثال التي يظهر فيها المنهج العاطفي، يحسن بي أن أقدم بين يدي ذلك بذكر المراد بالمنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، ثم أعرج على ذكر ضوابطه.

المراد بالمنهج العاطفي هو: ((النظامُ الدعويُّ الذي يرتكزُ على القلب، ويُحرِّكُ الشعورَ والوجدانَ))^(١).

ضوابطه: مما ينبغي مراعاته؛ لتحقيق المنهج العاطفي على الوجه المأمّل: السير في حدوده وضوابطه على النحو التالي:

الضابط الأول - ينبغي أن تُحكَم العاطفة بالعقل:

وذلك لأنَّ العلاقة بين العاطفة والعقل علاقة توازن، ومقارنة، وترجيح. والداعية عندما يخاطب العواطف ويثيرها فإنه في الوقت ذاته يُنبه العقول لتقارن بين الطيب، والخبيث، والمعروف، والمنكر.

وعندما ترتبط العاطفة بالعقل فإنها حينئذ تكون محكمة، محفوظة من الثورة الهوجاء، والبعد عن التورط في الحكم على الأشياء لمجرد التأثر بها.

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص: ٢٠٤.

الضابط الثاني - ينبغي ربط العاطفة بالواقع والبعد عن الخيالات:

إن ارتباط العاطفة بالواقع أمرٌ يحقق للنفوس إدراك الحقيقة، وحصول السعادة، فتكون العاطفة عاملاً إيجابياً يُبرز الحقائق، ويقود صاحبها إلى الهدى، وتزيد من حماسه، وتدفعه بقوة إلى التمسك بما آمن به. وبهذا تنجح الدعوة، ويبلغ الداعية إلى غايتها، وتُفعل الأبواب في وجوه المعارضين، فلا يستطيعون الوصول للإفساد والصد عن الدعوة.

الضابط الثالث - ينبغي إحاطة العاطفة بالرعاية حتى لا تحرف وذلك بدعوة صاحبها نحو الخير:

إن عناية الدعاة بالمنهج العاطفي - تأصيلاً، وعلماً، وعملاً - أمرٌ مهم في الدعوة إلى الله؛ لأن الدعوة في ضوء هذا المنهج تستميل القلوب، وتأسيروها؛ لما في هذا المنهج من إثارة للعواطف: عاطفة الحب، وعاطفة الرغبة، وعاطفة البغض، وعاطفة الرهبة. فهو يغرس في النفوس حبَّ الله تعالى، وحبَّ رسوله ﷺ، وبُغضَ كلِّ ما يخالفهما، ويحيط ذلك بسياج قوي من الترغيب والترهيب، فيربط القلوب، ويوثق صلتها بالله^(١).

وقد كان النبي ﷺ يستحث عاطفة المدعو، ليُقبل قلبه على الطاعة راضياً، وينفر عن المعصية مقتنعاً، موضحاً ما أعده الله جل وعلا من الثواب للمطيع، وما ينتظر العصاة من العقاب الأليم.

ويعدُّ هذا الأمرُ أبرز سمات المنهج العاطفي في دعوة النبي ﷺ، وستظهر جوانب المنهج

العاطفي من أحاديث الأمثال التي سأعرضها في الصفحات التالية:

عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَكَيِّ عَلَى أُرِيكَتِهِ ^(٢) فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ ^(٣)).

(١) انظر: تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل، ص: ١٩٤ - ٢٠٥.

(٢) الأريكة: السرير، وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منضأة. ومعنى متكئ على أريكته: أي على سريره المزين بالحلل والأثواب، وأراد بهذه الصفة: أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم من مظانه. النهاية، ابن الأثير، مادة: أرك، ٤٠/١، عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط. الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ١٢/٢٣٢-٢٣٣.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٦٦٤، كتاب العلم عن رسول الله، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، ٣٦/٥، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٦٦٤، ٢/٣٣٩.

وفي رواية: (أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) (١).

وفي رواية: (أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ (٢) عَلَى أُرِيكَيْهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ...) (٣).

يعظ النبي ﷺ أصحابه الكرامَ مُعَرِّضًا بِرَجُلٍ يَدَّعِي الْأَخْذَ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَشْرِيعَاتٍ وَتَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ، وَنَبْذِ السَّنَةِ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا، مَبِينًا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِطَلَانٍ هَذِهِ الدَّعْوَى، وَتَهَاوُفُهَا.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ يَجَلِّي أُبْرُزَ قَضَايَا الْمَنْهَجِ الْعَاطِفِيِّ فِي الْحَدِيثِ

السابق ما يلي:

- وضوح المنهج العاطفي في حديث المقدم المذكور آنفًا، وهذا الوضوح، يتناغم مع العاطفة، وينسجم معها، فيقع فيها التأثير، والميل، فتستجيب.

- قيام المنهج العاطفي على اللطف ورقة العبارة، وهذا اللطف من أبرز ما يحتاجه الدعاة والمدعوون. لما فيه من إثارة للعاطفة، واستمالة لقلوب المدعوين. فقد اشتمل الحديث على عبارات مؤثرة تبعت على الارتياح، والأنس، والقبول، وانسراح النفس لأمر الدعوة، وتلك العبارات هي: أَلَا، وَهَلْ، وَعَسَى. وهذه المفردات تحمل لطفًا في التعبير لا يخفى على المتأمل. وبذلك يسهم المنهج العاطفي في إنجاح الدعوة إلى الله؛ لخلوه من التعنيف، والفضاضة، والخشونة، ونحو ذلك مما يشكل عقبات في طريق دعوة الله.

- غزارة المعاني والأفكار التي يتناولها المنهج العاطفي، بألفاظ موجزة مختصرة.

(١) سنن ابن ماجه، ح ١٢، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله، ٦/١. وضححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ١٢، ٧/١.

(٢) ((رجل شبعان: هو كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشيء عن الشيع، أو عن الحماقة الملازمة للتنعم والغرور بالمال والجاه... ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع ما أثير به، فإن رجلا خرج من البنجاب من إقليم الهند ونسب نفسه إلى أهل القرآن، وشتان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد والمرتدين، وكان قبل ذلك من الصالحين، فأضله الشيطان وأغواه، وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في إهانة النبي ﷺ، ورد الأحاديث الصحيحة بأسرها، وقال: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط، دون أحاديث النبي ﷺ وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال، وجعلوه إمامًا، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده، وخروجه عن دائرة الإسلام. والأمر كما قالوا. والله أعلم)). عون المعبود، محمد آبادي، ١٢ / ٢٣٢ -

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٦٠٤، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ١٠/٥ - ١١، وضححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١١٧/٣.

- يعمد المنهج العاطفي إلى تأكيد الدعوة لتعظيم السنة وتوقيرها من خلال التأكيد والتشبيه، مراعاةً للمقام المناسب لمثل ذلك. فقد بين الحديث مكانة هديه عليه الصلاة والسلام، ومترلة سنته، والتحذير من مخالفتها؛ لأنها تماثل القرآن وتساويه حيث مثل عليه الصلاة والسلام تحريمه كتحريم الله؛ لأنه ﷺ لا يحرم إلا بوحى، ولا ينطق عن الهوى. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١). ولقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢).

وقد أوضحت هذه الآية حجية الحديث النبوي متى ثبت عن رسول الله ﷺ، على أنه يلزم مراعاة ضوابط الاستنباط والاستدلال بذلك الحديث.

- قد يلجأ المنهج العاطفي للتهكم والذم والتوبيخ، بالتلميح لا بالتصريح في حق كل من ترك السنة استغناء عنها بالكتاب، فضلاً عما رجح الرأي عليها، أو قال: لا علي أن أعمل بها، فإن لي مذهباً أتبعه، فلا شك أن من كانت هذه مقالته، فهو بالذم، والتوبيخ أولى وأحرى.

(ب) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أَعَلَّمَكُم، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْخَلَاءِ، فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ). وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ (٣) وَالرَّمَّةِ (٤).

إن تمثيل النبي ﷺ نفسه بالوالد يجلي أهمية إثارة العاطفة لدى المدعوين؛ لأن الوالد من شأنه الرحمة والشفقة، فكذلك الرسول ﷺ، رحيمٌ شفيقٌ، فإذا لامست هذه الكلمات الحانية آذان المدعوين استراحت نفوسهم وسكنت واستجابت بإذن الله لما يدعو إليه.

(١) سورة النجم: ٣-٤.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) الروث: رجيع ذوات الحافر، وقيل المراد به كل نجس. النهاية، ابن الأثير، مادة: روث، ٢/ ٢٧١.

(٤) سنن النسائي، ح ٤٠، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، ٤١/١، صحيح سنن النسائي، الألباني، ح ٣٩، ١/١٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع،

ح ٢٣٤٢، ٢/ ٢٨٤. والرمة: هي العظم البالي، يسمى بذلك لأن الإبل ترميها أي تأكلها، والمراد ههنا مطلق العظم، كما سبق، ويحتمل أن يقال: العظم البالي لا ينتفع به

فإذا منع عن تلويثه فغيره بالأولى. النهاية، ابن الأثير، مادة: روم، ٢/ ٢٦٦.

قال السندي-رحمه الله-: ((إنما أنا لكم مثل الوالد، أعلمكم، كما يعلم الوالد ولده ما يحتاج إليه مطلقاً، ولا يبالي بما يستحيا بذكره، فهذا تمهيد لما يبين لهم من آداب الخلاء، إذ الإنسان كثيراً ما يستحي من ذكرها))^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ركز المنهج العاطفي في الحديث السابق على الجانب التعليمي، وعني به، فشمّل كُلاًّ أمور الحياة. ومن ذلك آداب قضاء الحاجة.

- تميز المنهج العاطفي في أحاديث الأمثال بالتمهيد للدعوة بما هو ملائم، ومناسب لها دون إطالة، لأن الإطالة داعية لنفور العاطفة، وسآمتها.

- اعتنى المنهج العاطفي كما هو واضح في الحديث بالخطاب غير المباشر، بل نجد الخطاب فيه معمماً لا يخص أحداً دون غيره ليعمل الجميع بالدعوة المقصودة في المنهج.

- إظهارُ الداعيةِ الشفقةَ بالمدعوين من خلال الأقوال والأفعال، فالعبارة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ) لطيفة، والمقارنة مؤثرة.

- أن يعرضَ الداعيةُ دعوتهَ المشتملةَ على أوامرٍ ونواهٍ، وحثٍّ، وتحذيرٍ بألفاظٍ رقيقةٍ، تُيسِّرُ للدعوةِ النفوذَ إلى قلوب المدعوين.

- أن يعتنيَ الداعيةُ في دعوته بكلِّ شيءٍ يُوجِّهُ العاطفةَ نحو الخير، ويوصلُ صاحبها إلى رضوان الله، حتى ولو كان الأمرُ يتعلق بقضاء الحاجة.

- أن يبرز الداعية ما يدعو إليه بصورة متكاملة، يستوعب فيها جوانب موضوع الدعوة، فقضاء الحاجة يستلزم عدة أمور هي:

- البعد عن أعين الناس بالذهاب إلى الخلاء.

- عدم استقبال القبلة أو استدبارها.

- عدم الاستنجاء باليد اليمين.

- الاستجمار بثلاثة أحجار.

- اجتناب الاستجمار بالعظم والنجاسات.

(١) حاشية السندي، نور الدين بن عبدالحادي السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ١/ ٣٨.

فقد أوضح الحديث درساً متكاملًا في آداب قضاء الحاجة؛ لذلك ينبغي للدعاة الإفادة من هذا الهدى النبوي في مجاهم الدعوي، فلا يُنْهوا الدرسَ قَبْلَ تَمَامِهِ والوقوف عند جزئياته المتممة له.

(ج) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الَّذِي تَفُوتُهُ^(١) صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّما وَتِرَ^(٢) أَهْلُهُ وَمَالُهُ)^(٣).

يدعو النبي ﷺ في هذا الحديث إلى المحافظة على صلاة العصر، مبيناً مكانتها ومزلتها من خلال التحذير بأن ما يفوته من الثواب يلحقه عليه من الأسف والحزن مثل ما يلحق من أخذ أهله^(٤).

وفي هذا إيقاظ العاطفة حيث إن المرء لا يجب أن يفقد أهله، ولا ماله، وبالتالي سيسعى للمحافظة على صلاة العصر وعدم تفويتها، باذلاً كل جهد في سبيل ذلك. قال ابن عبد البر^(٥) - رحمه الله -: ((إِنَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، لَمْ يَحْفَظْ عَلَى الصَّلَوَاتِ، كَمَا أَنْ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَى كَمَالِ وَضُوءِهَا وَتَمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا فَلَيْسَ بِمُحَافِظٍ عَلَيْهَا، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَيَّعَهَا، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لَمَّا سِوَاهَا أَضْيَعٌ، كَمَا أَنْ مَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظٌ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ))^(٦).

(١) قيل: هو فيمن لم يصلها في وقتها المختار، وقيل: هو أن تفوته بغروب الشمس، وقيل فواتها في الجماعة. تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ، ١/ ٢٩، الديباج، السيوطي، ٢/ ٢٧٥. وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف، ط. ١٣٨٧هـ، ١٤/ ١٢١ - ١٢٣.

(٢) وَتِرًا: بمعنى نُقِصَ، يقال وَتِرْتُهُ، إِذَا نَقَصْتَهُ. فَكَأَنَّكَ جَعَلْتَهُ وَتِرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا. وهو من الجنابة التي يجنبها الرجل على غيره، من قتل أو نهب أو سبي. فشبه ما يُلْحَقُ مَنْ فَاتَهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ بِمَنْ قُتِلَ حَبِيبُهُ أَوْ سُلِبَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ؛ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ غَمٌّ: غَمُ الْإِثْمِ، وَغَمُ فَقْدِ الثَّوَابِ، كَمَا يَجْتَمِعُ عَلَى الْمَوْتُورِ غَمَّانِ: غَمُ السَّلْبِ، وَغَمُ الطَّلَبِ بِالنَّارِ. النهاية، ابن الأثير، وتر، ٥/ ١٤٨، فتح الباري، ابن حجر، ٢/ ٣٠. تنوير الحوالك، السيوطي، ١/ ٣١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٥٥٢، كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر، ٢/ ٣٠.

(٤) انظر: حاشية السندي، ١/ ٢٣٨.

(٥) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، ولي القضاء، وتوفي بشاطبة. الأعلام، الزركلي، ٩/ ٣١٦.

(٦) التمهيد، ابن عبد البر، ٢٣/ ٣٠٠.

وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- اهتم المنهج العاطفي بجانب تعميم الخطابِ بألفاظٍ تدلُّ على التعميم والاستغراق، ومن ذلك الاسم الموصول: (الذي) في أول الحديث السابق، فإنه يدل على الشمول والاستغراق دون استثناء، إلا الأعداء الشرعية.

- عني المنهجُ العاطفي عنايةً فائقةً بالمبالغة في تعظيم خطرِ التهاون في الفرائض، والواجبات أو تركها بغرسِ الخوفِ في النفوس نتيجة تركها، والتفريط فيها ومنها: صلاة العصر، ليرسخ الشعور بالخوف من ذلك.

- رَبَطَ المنهجُ العاطفيُ المخالفةَ للشرع بالحرمانِ وفواتِ أعلى ما يملكه المرء ويحرص عليه، وفي هذا الربط تأكيدٌ قويٌّ للحرص على الطاعات الواجبة، والمحافظة عليها، ومن ذلك صلاة العصر.

(هـ) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه مرفوعاً: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاحِرٍ وَغَبْرٍ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيَدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ ^(١) يَحْطِمُ ^(٢) بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يَدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ^(٣)).

(١) السراب: هو الذي يترأى للناس في الأرض القفر، والقاع المستوي، وسط النهار في الحر الشديد لامتداد الماء بحسبه الظمان ماء حتى إذا جساء لم يجده شيئاً،

فالكفار يأتون جهنم أعادنا الله الكريم وسائر المسلمين منها ومن كل مكروه وهم عطاش فيحسبونها ماء، فيتساقطون فيها. شرح صحيح مسلم، النووي، ٣/ ٢٦.

(٢) الحطم: من حطم، يحطم وللمبالغة في تكثير الحطم، سميت النار الحطمة: لأنها تحطم كل شيء. يحطم بعضها بعضاً فمعناه: لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها. انظر:

النهاية، ابن الأثير، مادة: حطم، ١/ ٤٠٣، شرح صحيح مسلم، النووي، ٣/ ٢٦.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٨٣، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٦٧ - ١٦٨.

يوضح الحديث أنّ من عبد غير الله من اليهود والنصارى وغيرهم، ستَحَبُّطُ أعمالهم، ويحيطُ بهم الخزيُّ، ويعطشون، فيسألون ربهم أن يسقيهم، لكنهم يُحَرِّمُونَ الماءَ، بل إن جهنم ترفع لهم كأنها سراب، فيظنونها ماءً، فيتساقطون فيها^(١).

وفي تمثيل النار بالسراب إيقاظٌ للعاطفة لكي تنفر عن المعبودات الباطلة وتتوجه بالعبادة لله الواحد الأحد سبحانه وتعالى؛ لأن المشركين والكافرين والمنافقين يظنون أنهم على شيء، وليسوا على شيء، ويقدمون من الأعمال الشركية ما يتقربون به إلى الله، فلا يجدون شيئاً كما قال الله سبحانه وتعالى واصفاً حالهم وأعمالهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢)

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- اهتمام المنهج العاطفي بترسيخ عقيدة الولاء لله الواحد الأحد، والبراءة من سائر المعبودات الباطلة.

- تقبيحُ المنهج العاطفي للنهيات المهلكة لكل من عبد غير الله، ويُعدُّ هذا التقبيحُ من سمات المنهج العاطفي، والذي يسعى بقوة لتغيير الناس من تلك الأعمال التي تُنتجُ نهاياتٍ قبيحةً.

- قيامُ المنهج العاطفي بعرض الدعوة بطريقة حوارية تُردُّ الباطل بالحجة البينة، وتؤكد الدعوة بالبراهين الواضحة.

(و) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَفَّلٍ رضي الله عنه^(٣) أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ امْرَأَةً كَانَتْ بَغِيًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَعَلَ يَلَاعِبُهَا حَتَّى بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: مَهْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَهَبَ بِالشَّرْكِ وَجَاءَنَا بِالإِسْلَامِ، فَوَلَّى الرَّجُلُ فَأَصَابَ وَجْهَهُ الْحَائِطُ فَشَجَّهُ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ،

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١١ / ٤٦٦.

(٢) سورة النور: ٣٩.

(٣) عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني، ليس له صحبة ولا إدرارك، وقيل هو تابعي ثقة من خيار التابعين، مات سنة ٨٨ هـ. الإصابة، ابن حجر، ٣ / ١٤٢.

فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدُ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا. إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ عَلَيْهِ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوفَّى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ عَيْرٌ^(١).

يوضح الحديث شؤم المعصية وخطرها على المرء في الدنيا والآخرة، كما يوضح الحديث أن الله إذا أراد بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا بسبب ما اقترفه من الذنوب، فيطهره، وتكفر سيئاته بتلك العقوبة، فيأتي يوم القيامة بلا أوزار، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه ما يستحقه من العقوبة في الدنيا حتى يوافي به يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(٢).

قال المناوي^(٣) - رحمه الله -: ((يُتَلَى بالمصائب لِيُطَهَّرَ من خبائثه مع كراهته لما أصابه قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرُّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ولهذا كان الأب، أو الأم يسوق لولده الحمام أو الطبيب ليعالجه بالمراهم المؤلمة الحادة، ولو أطاعوه ما شفي))^(٥).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- يعنى المنهج العاطفي بمقارنات الحالات المتناقضة بقصد الدعوة إلى اختيار الأنفع والأصلح منها.

(١) العَيْر: الحمام الوحشي. وقيل: أراد الجبل الذي بالمدينة اسمه عَيْر، شبه عظم ذئب به. النهاية، ابن الأثير، مادة: عير، ٣/٣٢٨. المسند، ح١٦٨٠٦، وقال محققه: صحيح لغیره، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد فمن رجال مسلم، ٢٧/٣٦٠، صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ح٢٩١١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٧/١٧١، المستدرک، الحاكم، ٤/٣٤٩، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ح٩٨١٧، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٧/١٥٤، دون قوله صلى الله عليه وسلم: (كأنه عير)، جمع الزوائد، الهيثمي، ١٠/١٩١، وقال: رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) سورة طه: ١٢٧، انظر: فيض القدير، المناوي، ١/٢٥٨.

(٣) المناوي: محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي. الأعلام، الزركلي، ٧/٧٥.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

(٥) انظر: فيض القدير، المناوي، ١/٢٥٧.

- يغرس المنهج العاطفي في نفوس المدعوين بُغْضَ المعصية أياً كانت، والنفورَ منها، وإدراكَ خطورتها وشؤمها على العبد في الدنيا والآخرة.
- يهتم المنهج العاطفي ببعث الأمل في النفوس، وإبعادها عن القنوط من رحمة الله ومغفرته عندما يقارف أصحابها المعاصي.
- يحدد المنهج العاطفي المفارقات الكبيرة في عواقب الطائعين، والعصاة لاسيما في الآخرة. والمقصدُ حثُّ النفوسِ على الطاعات وتحذيرها من المعاصي.
- من سمات المنهج العاطفي أنه يراوح بين الترغيب وبين الترهيب، كما هو واضحٌ في الحديث، ويقارن بين قبول الدعوة وبين رفضها، ونتائج كل منهما.
- (ز) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)^(١).
- يدعو النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى جنة الله ممثلاً للفضل العظيم المُعدَّ لأهلها، ولكلِّ درجةٍ فيها وأهلها بالكوكب البعيد؛ فتحرص النفوس على نيل أعلى الدرجات في الجنة، ثم يبين عليه الصلاة والسلام أن ذلك الفضل وتلك المترلة تخص كل من آمن بالله ورسوله وصدق المرسلين. والمقصود أن منازل أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم في الفضل حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم^(٢).
- وفي التمثيل بالكوكب الدرّي لطيفة: وهي صفاء اللون، وبعده عن العيون^(٣).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٢٥٦، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأهلها مخلوقة، ٦/٣٢٠.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٧/٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) انظر: فيض القدير، المناوي، ٤٣٤/٢.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((فإن قلت: ما فائدة تقييد الكوكب بالدري، ثم بالغاير في الأفق؟ قلت: للإيدان أنه من باب التمثيل^(١) الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه^(٢))).

(ح) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ^(٣) يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءٌ وَجُوهُهُمْ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ^(٤)) فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مِخُّ^(٥) سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهَا^(٦)).

يبرز الحديث المنهج العاطفي من خلال عرض الثواب الذي جعله الله لعباده الصالحين والسابقين في الخيرات حيث إنهم يدخلون الجنة أول الناس بهيئة ليست لغيرهم، ثم دونهم الزمرة الثانية^(٧).

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ مَا يَلِي:

- يتجه المنهج العاطفي إلى دعوةٍ جديرةٍ بعناية الدعاة وهي: فرز المتميزين وإعطاؤهم حقهم من التقدير.
- يعتني المنهج العاطفي بمسألة مهمة في الدعوة إلى الله هي: البعد عن تحجير ما وسعه الله، وحصر فضل الله الذي لا يحصر.

(١) التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور: هو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزِعاً من متعدد: حسياً كان أو غير حسّي، وهو: أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو: أعظمُ أثرًا في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذمّاً كان أوجع، أو برهاناً كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه؛ لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة. جواهر البلاغة، الهاشمي، ص: ٢٦٢، ٢٦٥.

(٢) الكاشف، الطيبي، ح ٥٦٢٤، ١١/٣٥٥٩.

(٣) زمرة: أي فوج. أي أول فوج. غريب الحديث، الخطابي، ١/٤٠٢.

(٤) دُرِّيٌّ: أي الشديد الإنارة، كأنه نُسِبَ إلى الدُرِّ، تشبيهاً بصفائه. وقيل: الكوكب الدُرِّيُّ عند العرب هو العظيمُ القدارِ. وقيل: أحد الكواكب الخمسة السَّيَّارة. النهاية، ابن الأثير، مادة: درر، ٢/١١٣.

(٥) مِخُّ: مِخُّ الشَّيْءِ خالصة. النهاية، ابن الأثير، مادة: مِخ، ٤/٣٠٥.

(٦) سنن الترمذي، ح ٢٥٣٥، كتاب صفة الجنة: باب في صفة نساء أهل الجنة، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، ٤/٦٧٧. صحيح سنن الترمذي، الألباني، ح ٢٠٥٧، ٢/٣١٢. السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ١٧٣٦، ٤/٣١٥.

(٧) انظر: تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٧/٢٠٢، فيض التقدير، المناوي، ٣/٨٥.

- يضيف المنهج العاطفي ما يسهم في تأثيره من مؤكداتٍ قد تستعمل عند وجود الحاجة إليها، ومن تلك المؤكدات القسم، كما في حديث أبي سعيد، وأداة «إن» في صدر الحديث.
- يولي المنهج العاطفي اهتماماً كبيراً للجانب الترغيب في الأعمال الصالحة مُرتباً عليها الثواب والأجر الذي أعده الله لعباده في الآخرة.

- ضرورة أن يراعي المنهج العاطفي جانب الإكثار من ذكر الثواب، وإنشاء كثافة عاطفية نحوه، والثواب هنا: رَفْعَةُ المَرتَلَةِ، والخوريتان وفرطُ جمالهما.

(ط) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ^(١) أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ^(٢) فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ^(٣)).

في الحديث إلهابٌ للعواطف المؤمنة كي تستزيد من فضل الله الذي أعده في جنات الخلد، وتحفيزٌ لها لتصل إلى أعلى الدرجات في الجنة وذلك عن طريق الجهاد في سبيل الله، مشبهًا ﷺ تفاوت ما بين كل درجة ودرجة كتفاوت ما بين السماء والأرض.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

(١) قوله كان حقا على الله معناه: معنى قوله تعالى ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ الأنعام: ٥٤، وليس معناه أن ذلك لازم له لأنه لا أمر له ولا ناهي يوجب

عليه ما يلزمه المطالبة به وإنما معناه إنجاز ما وعد به من الثواب وهو لا يخلف الميعاد . فتح الباري، ابن حجر، ١٣ / ٤١٣ .

(٢) الفردوس: هو البستان الذي فيه الكرم والأشجار، وجمعه فراديس، ومنه جنة الفردوس. وقيل هو الذي يجمع كل شيء وقيل: هو الذي فيه العنب، وقيل: الفردوس الأودية التي تنبت ضروباً من النبت. أعلى الجنة وأوسطها، أي أعدها وأفضلها وأوسعها وخيرها، قيل: النكتة في الجمع بين الأعلى والأوسط أنه أراد بأحدهما: الحسني وبالآخر: المعنوي، فإن وسط الشيء أفضله وخياره وإنما كان كذلك؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محفوفة، وقيل: المراد بالأوسط السعة وبالأعلى الفوقية. النهاية، ابن الأثير، مادة: فردوس، ٤٢٧/٣. تحفة الأجوذي، المباركفوري، ١٩٩/٧ - ٢٠٠.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٧٩٠، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المهاجرين في سبيل الله، ١١ / ٦.

- يعلل المنهج العاطفي لبعض الأعمال الصالحة، ومن ذلك سؤال الله الفردوس يعقبه التعليل بأنه أوسط الجنة وأعلاها، ومنه تصدر أنهار الجنة، وفوقه العرش، فينتج عن هذا وصول العاطفة الإيمانية إلى أوج طمأنينتها وأمنها وارتياحها.

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((أنزه الموجودات، وأظهرها، وأنورها، وأشرفها وأعلاها ذاتاً وقدرًا وأوسعها: عرش الرحمن جل جلاله ولذلك صلح لاستوائه عليه وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان))^(١).

- يعنى المنهج العاطفي بقضية من قضايا الدعوة المهمة هي: الطموح، وعلو الهمة، والتطلع إلى القمة.

- في الحديث إثارة لعواطف المدعويين للعمل بفريضة الجهاد في سبيل الله، فقد بين ﷺ أن من خرج للجهاد في سبيل الله، لا يخرج إلا بالإيمان بالله، مخلصاً لمولاه جل في علاه، فقد تكفل الله له بالجنة، لأنه بذل أعلى ما يملكه، وهي نفسه. والوجود بها، كما هو معلوم، أقصى غاية الجود، وقول النبي ﷺ: (تضمن الله لمن خرج مجاهداً في سبيله) لا يعنى إلزام الله بذلك، وإنما تفضله سبحانه على عباده المجاهدين، فهو المنعم أولاً وآخراً عليهم، فقد وهبهم الأنفس، ليعيشوا في هذه الدار، وعرض عليهم شراءها منهم إن بذلوها رخيصة من أجله، مع أنه سبحانه المالك الحقيقي لتلك الأنفس، فما أعظم هذه الصفقة، التي يُنعم الله بها على عباده فضلاً وكرماً ومنة منه سبحانه، عطاء غير محدود. وعن هذا المعنى عبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٢)

(١) الفوائد، ابن القيم، ١/ ٢٧.

(٢) سورة التوبة: ١١١.

- يُعنى الخطاب الدعوي في المنهج العاطفي بالإكثار من الوعود الطيبة والمباركة نتيجة العمل الصالح، ومن ذلك الجهاد، وتتميز تلك الوعود والعهود في المنهج العاطفي بصدق الوقوع والتحقق.

- يثير المنهج العاطفي الخيال والتصورات في الأمور الغيبية ليكون وقوع الثواب والحصول عليه فوق ما يتصوره المرء.

- يبعث المنهج العاطفي في المؤمن حب التضحية بأعلى ما يملكه المرء وهي نفسه التي بين جنبيه.

- يعطي المنهج العاطفي مساحة للمدعوين لتوجيه عواطفهم لاختيار الأنفع والأسلم لهم، وذلك بدليل الحث والعرض.

(ي) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^(١) رضي الله عنهما قَالَ: (أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لأصومَنَّ النَّهَارَ ولَأقومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتَهُ بِأبي أنتَ وَأُمِّي، قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَاشِرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأفْطِرْ يَوْمَيْنِ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)^(٢).

بين النبي ﷺ لهذا الصحابي المبارك المنهج الوسط في الصيام والقيام، موجهًا له بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فإن ذلك كصيام الدهر.

ولاريب في أن المرء عندما يدرك هذا الفضل والخير والأجر سيحرص على صيام ثلاثة أيام من كل شهر رغبة في أن ينال أجر صيام الدهر.

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، يكنى بأبي عبد الرحمن، كان أصغر من أبيه باثني عشرة سنة، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالمياً، واستأذن النبي ﷺ، في أن يكتب عنه، فأذن له، قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب، شهد مع أبيه بعض المعارك مثل فتح الشام، معركة اليرموك، ومعركة صفين، وتوفي سنة ثلاث وستين في الطائف. أسد الغابة، ابن الأثير، ٣/ ٣٤٩-٣٥١. وقيل: كنيته أبو محمد، كان يقرأ الكنايين التوراة والقرآن، مات بالشام سنة خمس وستين، وهو ابن اثنتين وسبعين، وقيل غير ذلك. الإصابة، ابن حجر، ٣/ ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٩٧٦، كتاب الصوم، باب صوم الدهر، ٤/ ٢٢٠.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- يعنى المنهج العاطفي بتجسيد العمل الصالح، وتعظيم الأجر المترتبة عليها في مضاعفة أجره، وهذا ما يشعل العاطفة لتتجه نحو العمل الصالح وفعل الخيرات من صيام وقيام ونحو ذلك برضاً وقبول ورغبة صادقة، حيث إن العمل قليل، ولكن الأجر المترتبة عليه كثيرةٌ وعظيمةٌ.

- يهتم المنهج العاطفي بتلبية رغبات المدعوين، وحبهم للتعبد، وإشباع تلك الرغبات، لا إغائتها، من خلال بيان المنهج الوسط في ذلك، وهو ما تقوم عليه التربية النفسية الحديثة؛ إلا أن هناك فرقاً بين ما يقوله الرسول ﷺ وبين ما يقوله المنظرون لعلم النفس، فإن ما يقوله الرسولٌ وحيٌّ ونورٌ، وما يقوله المنظرون لعلم النفس عرضة للبطلان والاضطراب والتناقضات.

- أهمية المنهج العاطفي في تقرير مبدأ الرعاية للجسد والروح معاً؛ لأن الأمرين متلازمان، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر انتهى، بمعنى أنه لا جسد بلا روح، ولا روح بلا جسد.

- يتجه المنهج العاطفي لإيصال الدعوة باللطف واللين، ولكنه يعالج بعض المواقف بالحزم للحاجة لمثل هذا، كما لو كان الأمر متعلقاً ببيان حكم شرعيّ يجب الوقوف عنده.

ثانياً: المنهج العقلي:

إن المنهج العقليّ فوق كونه أهمّ وسائل الإقناع في البيئة التي ظهرت فيها الدعوة فهو ذو أثرٍ عظيمٍ في تكوين العقل وتنميته^(١).

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يستدل بالأدلة العقلية ولا يذمها إلا إذا خالفت الكتاب والسنة، أو كان الخوض فيها بلا علم^(٢).

وقبل الشروع في عرض أحاديث الأمثال التي يظهر فيها المنهج العقلي، يحسن بي أن أقدم بين يدي ذلك بذكر المراد بالمنهج العقلي في الدعوة إلى الله.

(١) انظر: تقنين الدعوة، محمد السيد الوكيل، ص: ١٨٦.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ٧ / ١٥٥.

المراد بالمنهج العقلي هو: «النظام الدعوي الذي يركز على العقل، ويدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار»^(١). وتتضح جوانب المنهج العقلي من خلال عدد من أحاديث الأمثال أذكرها في الصفحات التالية:

(أ) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ^(٢) مَرْفُوعاً فِي شَأْنِ الْمُتَلَاعِنِينَ وَفِيهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَنْظُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرٌ^(٣) قَصِيْرًا مِثْلَ وَحْرَةٍ^(٤) فَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمٌ^(٥) أَعْيَنَ^(٦) ذَا أَلْتَيْنِ^(٧)، فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا. فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ^(٨)).

يوضح الحديث معالجة النبي ﷺ لموضوع المتلاعنين مؤكداً ذلك بتمثيل يحرك عقول أصحابه ويدعوهم إلى النظر وإعمال العقل؛ لأنه طريق إلى الإقناع، فإذا ما استضاءت العتمة وبانت الحقيقة، فإن العقل حينئذ يسلم ويدرك بيقين الأمر الذي دُعي له ويصدق. ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- يمنح المنهج العقلي في الدعوة إلى الله فرصاً لإعمال العقل والإفادة منه في إصدار الأحكام السليمة، ويهدف إلى إيصال الدعوة بالإقناع الذي ينتج عنه الرضا والقبول من خلال تقريب المعاني للأذهان بما هو معلوم عند المخاطبين.

(١) المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص: ٢٠٨.

(٢) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، من مشاهير الصحابة، يقال كان اسمه حزنًا فغيره النبي ﷺ، مات النبي ﷺ، وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة ٩٦ هـ. الإصابة، ابن حجر، ٨٧/٢.

(٣) المراد بالأحمر: الأبيض مطلقاً؛ لأن الحمرة إنما تبدو في البياض. والعرب لا تطلق الأبيض في اللون وإنما تقوله في نعت الطاهر والنقي والكرام ونحو ذلك. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: حمر، ١/٤٣٧ - ٤٣٨، فتح الباري، ابن حجر، ٩/٤٥٣.

(٤) الوحرة: دويبة كالعظاءة تُلزق بالأرض. النهاية، ابن الأثير، مادة: وحر، ٥/١٦٠.

(٥) الأسحَم: الأسود. النهاية، ابن الأثير، مادة: سحَم، ٢/٣٤٨.

(٦) أَعْيَنَ: أي واسع العين. النهاية، ابن الأثير، مادة: عين، ٣/٣٣٣.

(٧) أَلْتَيْنِ: مثنى ألية: وهو عجز الإنسان. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: ألي، ١/٦٤.

(٨) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ٧٣٠٤، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، ١٣/٢٧٦-٢٧٧، صحيح مسلم، ح ١٤٩٢، كتاب اللعان، ٢/١١٢٩.

- أهمية أن يراعي الداعية إعطاء العقل فرصته ليقرر ما يعود بالخير على صاحبه ويبعده عن الشر.

- أهمية إعانة الدعاة للمدعوين بوضع علاماتٍ، وضوابطٍ مساعدةٍ لاستيعاب عقول المدعوين، من خلال دعوتهم لتفعيل الترجيحات العقلية الناتجة عن المقارنات المنطقية.

- استخدام الدعاة للصور الذهنية لدى المدعوين يسهم في فهم الدعوة واستيعابها على الوجه المطلوب؛ لأن الداعية الناجح إذا ربط الأحداث الجارية في ساحته بصورةٍ موجودةٍ في أذهان المدعوين معروفةٍ لديهم، فإنهم حينئذ يفهمون ويدركون ما هو المراد، ولا سيما إذا كان المقام خطيراً، كهذا المقام في الحديث السابق، وهو مقام العِرضِ والشرفِ والطعنِ في صحة النسب، ونحو ذلك من القضايا الحساسة في المجتمع المسلم.

ب) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ) ^(١).

وفي رواية: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبْرَكَةِ الْمُسْلِمِ) ^(٢).

شبه النبي ﷺ النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها، وسعفها، وجريدها، فيستعمل جذوعا، وحطباً، وعصياً، وحصيراً، وجبالاً، وأواني، وغير ذلك، ثم ينتفع من نواها علفاً للابل، ثم ينتفع بحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها وخيرٌ وجمالٌ، كما أن المؤمن خيرٌ كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على صلاته، وصيامه، وقراءته وذكره، وسائر الطاعات ^(٣).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦١، كتاب العلم، قول المحدث حدثنا، ٦١ / ١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٤٤٤، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، ٥٦٩ / ٩.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧ / ١٥٣ - ١٥٤.

- اشتمل التمثيل على دعوة لتحريك العقول للتفكير في حال المسلم في كل أمورهِ، فقد شبه النبي ﷺ النخلة التي ينتفع بها في كل أحوالها بالمسلم الذي ينتفع به حتى بعد موته، فبركته في دنياه موصولة بأخرآه، وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تبيس توكل أنواعاً، ثم بعد ذلك يُنتفع بجميع أجزائها حتى التوى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته.

- ينبغي مشاركة الداعية لرفاقه ومدعويه فيما يتعلق بالدعوة، وإنجاحها، والتقدم بها، لتبطل كل الدعوات الباطلة ويواجهها بالحق والعدل، والبرهان، ويُطبّق الدعاء تلك المشاركة ويفعلونها من خلال ما يُسمّى بالعصف الذهني، واستنطاق العقول، وإخراج ما فيها من أمورٍ قد تُسهم جميعها، أو معظمها، أو بعضها في خدمة الدعوة.

- أهمية أن يقوم الدعاء بتبسيط المسائل، والسؤال فيما يكون فيه فائدة للسائل والمسؤول.

- ضرورة أن يجنب الدعاء التعنت، والتعجيز في طرح الأسئلة، وبيانها لهم إن لم يفهموها.

- أهمية مخاطبة الدعاء عقول المدعويين بما يسهل استيعابه، وإدراكه، كضرب المثل، وتصوير المعاني.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يُمهّدوا للدعوة بذكر محاسن المدعويين والثناء عليهم، وتذكيرهم بمعدنهم النقي، وأصولهم الطيبة لإحداث الراحة الذهنية، فينتج عن ذلك قرارٌ متزن، وحكم واضح، وقناعة اختيار.

ج) عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ^(١) - رضي الله عنها - أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمَرَأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ، فَقَالَ: (لَيْسَ عَلَيْهَا غُسْلٌ حَتَّى تُنْزَلَ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الرَّجُلِ غُسْلٌ حَتَّى يُنْزَلَ)^(٢).

(١) خولة بنت حكيم بن أمية السلمية امرأة عثمان بن مظعون يقال: كتبها أم شريك، كانت صالحة فاضلة روت عن النبي ﷺ، وكانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، وقد مات عنها زوجها عثمان. الإصابة، ابن حجر، ٤ / ٢٨٤.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٦٠٢، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، ١ / ١٩٧، الموطأ، مالك بن أنس الأصبجي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ح ٨٤، كتاب الطهارة، باب غسل المرأة إذا رأت في المنام مثل ما يرى الرجل، مصر، دار إحياء الكتب العربية، دون تاريخ، ١ / ٥١، السلسلة الصحيحة،

الألباني، ح ٢١٨٧، ٥ / ٢١٨-٢١٩.

يوضح الحديث عدم إلزام المرأة بالغسل من الرؤية في النوم إلا إذا أنزلت، وشأنها في ذلك شأن الرجل، فإن الأحكام الشرعية تنطبق على الذكر والأنثى إلا فيما هو خاص بالنساء، أو خاص بالرجال.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يستند العقل على حجة قوية، وواضحة، لا احتمال فيها، حتى يبعد الداعية نفسه ومدعويه عن الإرباك، والاضطراب.

- أهمية استخدام الداعية للأدلة العقلية التي تنطلق من القياس المقبول، مما يجعل الدعوة تُصِلُ ويؤمن بها المدعو عن قناعةٍ ورضا.

(د) عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمِيَّةَ^(١) قَالَ: (غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَكَانَ مِنْ أَوْثَقِ أَعْمَالِي فِي نَفْسِي، فَكَانَ لِي أَجِيرٌ، فَقَاتَلَ إِنْسَانًا، فَعَضَّ أَحَدَهُمَا إصْبَعِ صَاحِبِهِ، فَانْتَزَعَ إصْبَعَهُ، فَأَنْدَرَ^(٢) ثَنِيَّتَهُ، فَسَقَطَتْ، فَاَنْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ، فَأَهْدَرَ^(٣) ثَنِيَّتَهُ، وَقَالَ: أَفِيدَعُ إصْبَعَهُ فِي فِيكَ تَقْضُمُهَا، كَمَا يَقْضُمُ^(٤) الْفَحْلُ^(٥)).

وفي رواية: (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَأْمُرُنِي؟ تَأْمُرُنِي أَنْ أَمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ؟! اذْفَعْ يَدَكَ حَتَّى يَعَضَّهَا ثُمَّ انْتَزِعْهَا)^(٦).

يوضح الحديث معالجة النبي ﷺ وهدية في ذلك الشجار بحوار وإقناع عقلي، مفاده مشروعية دفع الإنسان العدوان عن نفسه.

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الخنظلي، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك، كان حواداً معروفاً بالكرم، وهو من جهز الجيش الذي خرج بقيادة الزبير للمطالبة بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحمل عائشة رضي الله عنها على الجمل الذي شهدت القتال عليه، وقاتل مع علي رضي الله عنه بصفين. أسد الغابة، ابن الأثير، ٧٤٧/٤.

(٢) فَأَنْدَرَ: أي أسقط وأوقع. النهاية، ابن الأثير، مادة: ندر، ٣٥/٥.

(٣) فَأَهْدَرَ: أبطل، أي لم يجعل له دية ولا قصاصاً. يقال: ذهب دمه هدراً إذا لم يدرك بثأره. النهاية، ابن الأثير، مادة: هدر، ٢٥٠/٥.

(٤) الْقَضْمُ: الأكل بأطراف الأسنان. النهاية، ابن الأثير، مادة: قضم، ٧٧/٤.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٢٦٥، كتاب الإجارة، باب الأخير في الغزو، ٤/٤٤٣. والفحل: ضد الأنثى وهو الذكر. النهاية، ابن الأثير، مادة: فحل، ٣/٤١٦-٤١٧.

(٦) صحيح مسلم، ح ١٦٧٣، كتاب القسامة والحاربن والقصاص والديات، باب الصائل على نفس الإنسان أو عضوه، ٣/١٣٠١.

قال النووي - رحمه الله -: ((ليس المرادُ بهذا أمره بدفع يده ليعضها، وإنما معناه الإنكارُ عليه، أي: أنك لا تدع يدك في فيه يعضها، فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك، وتطالبه بما جنى في جذبه لذلك))^(١).

ومما يُستخلصُ من درسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة استعمال الدعوة إلى الله دليل العقل والمنطق المقبول لدى كلِّ العقلاء؛ وذلك أن من قضمه فحل ماذا يفعل؟ إنه سيخلص يده من فم الفحل حتى ولو أدى ذلك لسقوط أسنانه كلها، فكذلك الحال هنا.

- تضمن الحديث دعوةً نبويةً كريمةً بالحجة العقلية للبعد عن المطالبة بما ليس بحقٍّ، فإن الذي سقطت ثنيته عندما قضم الآخر، ماذا يريد من خصمه أن يفعل؟ هل ينتظر إلى أن يُفسد إصبَعَهُ وَيَهْشِمَهَا بِأَسْنَانِهِ؟ هل يريد أن يصبر على آلام قضمه؟! ولو أنه كان مكانه ماذا كان سيصنع؟! هل سيستسلم أم أنه سيخلص يده بأي وسيلة؟ كل هذه الحجج العقلية المنطقية دل عليها تمثيل النبي ﷺ في الحديث السابق، وأكد مسألة الاحتجاج بالقياس العقلي، في الإقناع.

(و) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)^(٢).

يدعو النبي ﷺ قارئ القرآن الكريم، وحفظه إلى معاهدة حفظهم، ورعاية ما حفظوه، وتوثيقه مؤكداً هذه الدعوة المباركة بحجة عقلية منطقية يُسلمُ بها العقلاء، ويرضون بها؛ حيث مثل صاحب القرآن بصاحب الإبل، فمتى عقل إبله وأوثقها، وتأكد من وثاقها بقيت مكانها ولم تَبْرَحْ، ومتى ترك إيثاقها وفرط في ذلك وتساهل، فإنها سترحل عنه وسيفقدوها، وكذلك صاحب القرآن إذا تعاهد حفظه، وأوثقه، وثبته بالتكرار، والمداومة على قراءته، فإنه سيثبت ولن يفقده، ومتى ما تساهل في ذلك فإنه سيضيعه لا محالة، والله

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٦٠/١١-١٦١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ٥٠٣١، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعهده، ٧٩/٩، صحيح مسلم، ح ٧٨٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها،

باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا، ١/٥٤٣.

ما أروع وأقوى هذه الحجة؛ لذا فعلى الدعاة استثمار الحجج العقلية فيما ينفع دعوتهم، ويجعل المدعويين يقبلون على الدعوة برضا وتسليم واقتناع.

ومما يُسْتَخْلَصُ من درسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يعرض الدعاة دعوتهم المرتكزة على إقناع العقل بصحة الدعوة، عن طريق التمثيل الحي بما هو مألوف، ومشاهد، وواقع في حياة المدعويين.

- ضرورة اعتماد الداعية في منهج دعوة العقل على المسلمات، والبدهيات لدى كل العقلاء، والتي لا يختلف عليها اثنان. ومن ذلك القاعدة المشهورة لدى العلماء وهي: ((اعقلها وتوكل))، فإن من توكل ولم يعقل بعيره، لن يجده، وهذا لا يُنْكَرُهُ عاقل.

(ز) عن أبي هريرة رضي الله عنه كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ^(١) هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)^(٢).

يحمل هذا الحديث في ثناياه دعوة صادقة للآباء والمربين أن يعتنوا بالنشء؛ لأنهم عجيبة طرية في أيديهم يقدرّون على تشكيلها بإذن الله، فيقومون بتربيتهم التربية الصحيحة البعيدة عن الانحراف بكل صورته، وعلى رأس ذلك: الانحراف العقدي، والأخلاقي.

وقد أكد النبي ﷺ هذه الدعوة المباركة بدليل عقلي لا يرده العقلاء وهو: أثر الوالدين على أولادهم، فاليهود يان سيهودان ولدهما، والنصرانيان سينصرانه، والمجوسيان سيمجسانه؛ لما يرى ويسمع ويتلقن، ممثلاً عليه الصلاة والسلام الحالة الفطرية النقية للمولود في أول أمرها بحالة البهيمة السليمة من العيوب عند ولادتها، ثم بعد ذلك يطرأ عليها التغيير من أصحابها، فمنهم من يشقُّ أذنها، ومنهم من يقطع أنفها وشفتها، على ما جرّت به عادتهم من تمييز أغنامهم ودواهم بعلامات تميزها عن بعضها؛ كي لا يختلط ببعضها.

(١) جَمْعَاءَ: أي سليمة من العيوب، بمجموعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها ولا كمي. النهاية، ابن الأثير، مادة: جمع، ٢٩٦/١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ١٣٥٨، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ٢١٩/٣، صحيح مسلم، ح ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد

على الفطرة، ٢٠٤٧/٤. وجدعاء: أي مقطوعة الأنف، والأذن والشفة، وهو بالأنف أحص، فإذا أطلق غلب عليه. النهاية، ابن الأثير، مادة: جدع، ٢٤٦/١.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دَرْسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إقناع المدعوين للتسليم بأهمية الدعوة لسلامة الفطرة كي يعيشوا في الحياة عيشةً مستقرةً، وحياةً مطمئنةً سعيدةً، محفوفةً برضوانِ الله، مليئةً بالحب لله تعالى، ولرسوله ﷺ وعباد الله الصالحين، وأوليائه المقربين، وحب الوالدين، والإخوان والأخوات وسائر القربات، وحب الأمور الطيبة، الجالبة للسعادة والسلامة، كحب العفاف وكره الفواحش، وحب المال الحلال وكره المال الحرام، وحب الإيثار وكره الطمع والجشع، وحب الرحمة وكره القسوة، وحب التعاون مع الآخرين والتشاور معهم وكره الانفراد والاستبداد، وغير ذلك من المعاني الرائعة التي تَجْمَلُ الحياةَ بها، وتزيدُ السعادةَ مِنْ خلالها، وَتَهْدُ النَفُوسَ بِمُمَارَسَتِهَا.

- أهمية أن يعرض الداعية حُجَجَه العقلية عن طريق إقرار المدعوين بها. واستثمار هذا الإقرار فيما يخدم الدعوة؛ لأنهم سيقبلون الدعوة المبرهنة بالدليل المقبول عندهم.

(ح) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟) قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا^(١).

تتضح من الحديث براعة النبي ﷺ في دعوته الحكيمة السديدة التي أقامها على الإقناع والرضا والقبول، فقد أكد عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث دعوته للمحافظة على الصلوات الخمس بتشبيه أثرها بنهر يغتسل منه صاحبه في كل يوم خمس مرات، مقررًا أصحابه على فضلها بدليل منطقي يسلم به العاقل، ويصدقه الواقع، وبجوار هادئ يصل بالأطراف فيه إلى القبول.

ذكر ابن حجر - رحمه الله -: ((فائدة التمثيل: التأكيد وجعل المعقول كالحسوس، وفي هذا الحديث مبالغة، فيه نفى الذنوب؛ لأنهم لم يقتصروا في الجواب على ((لا)) بل أعادوا اللفظ تأكيدًا. ووجه التمثيل: أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار المعاصي))^(٢).

(١) صحيح مسلم، ح ٦٦٧، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، ١/ ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١١/ ٢. بتصرف يسير.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إيصالُ الدعوة للمدعوين عن طريق تقريرهم بصحتها، وسلامتها، وأحقيتها. وهذا من أقوى الخطابات للعقل ليميل ويستجيب.

- الاحتكامُ إلى العقل من الأمور الناجحة في الدعوة إلى الله شريطة أن لا يخرج حكمه عن الشرع، وأن لا يعارض الشرع.

- استثمارُ الداعيةِ فرصةَ توجهِ العقولِ، وميلها مع الحقِّ والرضا به، وعدمِ رفضه عقلاً، وحثها على قبول الدعوة.

- ينبغي للدعاة إلى الله وهم يمارسون دعوة الناس أن يختاروا من الحجج والأدلة، ما هو ملزم للمدعو ومقنع دون أدنى شك، لتمضي الدعوة قدماً مخوفة، بالقبول والتوفيق.

(ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله. هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإتكم ترونه كذلك...) (١).

يوضح الحديث أن رؤية القمر تكون للناس حقيقةً بأبصارهم، فكذلك رؤية الله تكون حقيقةً بأبصارهم وفي ذلك قال ابن أبي داود (٢) في منظومته الحائية:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرُبُّكَ أَوْضَحُ (٣)

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إنَّ فتحَ أبوابِ الحوارِ للمدعوِّ مدعاةٌ لإقباله على الداعي لينهلَ من الخير الذي لديه، ولو أنَّ بابَ الحوارِ مُعلَقٌ أمامَ المدعوِّ، فأنتى يقتربُ من الداعي ويَقْبَلُ دعوته؟! وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يحاور المدعوين، ويجيب عن تساؤلاتهم دون غضبٍ وضجر.

- ينبغي للدعاة أن يُعَنِّوا بالإجابات المقنعة عن الأسئلة التي قد يختار فيها المدعوون.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٨٠٦، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ٢/ ٢٩٢.

(٢) عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، أبو بكر السجستاني، ولد سنة ثلاثين ومائتين، طاف البلاد طلباً للعلم، وسكن بغداد، كان شغوفاً بطلب العلم وتحصيله، وحمته عالية في ذلك، وكان من الحفاظ المثقنين، من بحور العلم، ومنظومته الحائية منظومة جلية القدر في تقرير المعتقد الحق لأهل السنة والجماعة، توفي رحمه الله ببغداد، شهر ذي الحجة، سنة ست عشرة وثلاثمائة، وعمره ست وثمانون سنة، وأشهر. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣/ ٢٢١-٢٣٣.

(٣) التحفة السننية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الرياض، دار الفضيلة، ط. الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص: ٢٧.

- قد يحتاج الداعية إلى عدم الإيجاز في الإجابة كالإجابة بنعم أو لا؛ لأن المقام يقتضي الإطناب والاسترسال، ولا بد أن يراعي الدعاة المقام والحال لأهمية ذلك في الدعوة إلى الله.
- أهمية أن يؤكد الداعية حججه العقلية، ويقوم بتنويعها؛ ليكون لها عمق، ورسوخ في الأذهان والنفوس.

ثالثاً: المنهج الحسي:

إن العمل الدعوي الناجح هو ذلك العمل الذي يستثمر كل موقف، وكل فرصة تخدم الدعوة، وتقوي دعائمها، وتعمق جذورها من خلال مخاطبة العاطفة وإثارتها تارة، ومخاطبة العقل وإثارته تارة، والتوجه إلى الحس وإثارته تارة، وكل هذه المناهج المباركة استخلصت من دعوة النبي ﷺ في أحاديث الأمثال وغيرها مما هو مبثوث في كتب السنة الصحيحة.

وقد تقدم ما يختص بالعاطفة والعقل، فبقي الحديث عن المنهج الحسي الذي يُعدُّ من المناهج النافعة في الدعوة إلى الله، لما في استخدامه من قوة تأثير، وسرعة أثر في المدعوين. وقبل الشروع في عرض أحاديث الأمثال التي يظهر فيها المنهج الحسي، يحسن بي أن أقدم بين يدي ذلك بذكر المراد بالمنهج الحسي في الدعوة إلى الله.

المراد بالمنهج الحسي: ((هو النظام الدعوي الذي يركز على الحواس، ويعتمد على مشاهدات المدعو بكيفية تطبيق الفعل المأمور به والمدعو إليه))^(١).

وستقوم الباحثة باستخلاص هذا المنهج من خلال أحاديث الأمثال التي يأتي بيانها في الصفحات التالية:

(أ) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)^(٢).

مثل النبي ﷺ حال المؤمنين مع بعضهم فيما يتعلق بكل شؤونهم الدنيوية والأخروية بأنهم كالبنيان، الذي يتكون من قطع وأجزاء متماسكة، مما يجعل البنيان قوياً ومتماسكاً،

(١) المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص: ٢١٤ - ٢١٥. بتصرف يسير.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ٤٨١، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ٥٦٥/١، صحيح مسلم، ح ٢٥٨٥، كتاب البر والصلة والآداب،

باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، ١٩٩٩/٤.

فكذلك المؤمنون يجب أن يكونوا متضامنين ومتعاونين ومؤتلفين ومتماسكين كتماسك
البنيان وقوته، مؤكداً هذه الدعوة المباركة للتماسك والتعاون بتشبيك أصابعه.

وذكر الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: أن وجه الشبه بين المشبه وهو: المؤمن والمُشَبَّه
به وهو البنيان: التماسك في كل منهما، مبيِّناً ذلك بتشبيك بين أصابعه. وفي هذا الفعل
فائدة ينبغي للدعاة اعتبارها والإفادة منها وهي: أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله
يُمثِّلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع^(١)؛ فإن تشبيك الأصابع جاء تشبيها لتعاقد
المؤمنين مما يدل على أن أقواهم يُعدُّ رُكناً، وضعيفهم مستندٌ إلى ذلك الركن القوي^(٢).

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أهميَّة أن يكون لدى الداعية مهارات الإلقاء الناجح؛ وذلك بتمثيل كَلِمَاتِه،
وعباراته، بالحركات المناسبة والمشاهدة والمُعَبَّرَة.

- إن الداعية الناجح يسعى بكلِّ ما أوتي لإثارة العواطف والعقول والحواسِّ،
فتتظافر المؤثرات على المدعو، فيستجيب بإذن الله، وهذا هو المقصود من الدعوة.

- ضرورة أن يحرص الدعاة على تألف أفراد المجتمع المسلم، وتماسكه من خلال حَثِّهم
على التراحم والتعاقد في غير إثم ولا مكروه^(٣).

(ب) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ)^(٤). وفي رواية: عَنْ جَابِرِ
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى)^(٥).
يوجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته للاستعداد ليوم القيامة، فالساعة قريبة جداً كقرب السبابة
والوسطى، حيث إنه مثلَّ بهما، فإن مبعثه عليه السلام إنذار وإعلامٌ باقتراب الساعة
وقيامها، فلا بد من التزود لذلك اليوم.

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٠/ ٤٥٠.

(٢) انظر: تحفة الأحمدي، المبار كفوري، ٢/ ٣٢٩.

(٣) انظر: تحفة الأحمدي، المبار كفوري، ٦/ ٤٧.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٠٤، كتاب الرقاق، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ١١/ ٣٤٧، صحيح مسلم، ح ٢٩٥١، كتاب الفتن

وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ٤/ ٢٢٦٨.

(٥) صحيح مسلم، ح ٨٦٧، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/ ٥٩٢.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- عناية الدعاة بتقريب الدعوة من خلال الإشارات المحسوسة أو المشاهدة كالإشارة باليد التي تحمل معاني كثيرة كالتضخيم والتقليل، وغير ذلك من الإشارات المعبرة.

- إن المنهج الحسي في الدعوة إلى الله يقوم بدورٍ عظيمٍ من حيث التأثير، وغازرة دلالاته وعمقها مما يبعث إلى اشتقاق الكثير من المعاني المقبولة. وهذا ما يُحدثُ التفاعلَ بين الداعية ومدعويه، ويؤدي بالمدعويين إلى الرضا والقبول.

- لاريبَ في أن الداعية عندما يحدث مدعويه، وكأنه تمثال وجماد لا يتحرك، ولا يُظهرُ أيَّ تفاعلٍ مع كلماته، فإنَّ دعوته ستكون جامدة؛ لذا ينبغي له القيامُ بتمثيلٍ وتجسيدٍ كلامه من خلال إظهار الحزن على ملامح الوجه، أو الفرح، أو الضرب بيده في الأخرى، أو الإشارة بما ذات اليمين والشمال، وحسب المعاني التي يتحدث فيها، على أن لا تكثر هذه الإشارات إلا بقدر ما تدعو إليه الحاجة الدعوية؛ لأن الغاية منها إيصال الدعوة، فلا يُخرِجها عن هذه الغاية.

(ج) عن المُستورد^(١) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ)^(٢).

يوضح الحديث قدر الدنيا، وحقيقتها، وقيمتها ووزنها بالنسبة للآخرة، ممثلاً ذلك بمثال حسيٍّ مشاهدٍ، ومعبرٍ، فمثلاً بمن يضع إصبعه في اليم، ثم يخرجها، فلا ينقص ماء البحر بذلك، فكذلك قدر الدنيا مقابل الآخرة ليست شيئاً يُذكر، أو يعبأ به.

قال القرطبي - رحمه الله -: ((هذا نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٣)). والحاصل أن الدنيا كالماء الذي يعلق في الإصبع من البحر، والآخرة كسائر البحر. ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصرٍ

(١) المستورد بن شداد بن عمرو بن حسبل بن فهر القرشي الفهري، وأمه دعد بنت جابر، كان غلاماً لما قبض النبي ﷺ، وقيل: أنه سمع من النبي ﷺ، سمعاً وأتقنه وسكن

الكوفة ثم مصر. أسد الغابة، ابن الأثير، ٤/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٨٥٨، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ٤/ ٢١٩٣.

(٣) سورة النساء: ٧٧.

مُدَّتْهَا، وَفَنَاءَ لَذَاتِهَا، ودوام الآخرة، ولذاتها، ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر^(١).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن مباشرة الدعوة، وأداءها بطريقة جامدة - لا متعة فيها بكلمة، أو طُرْفَةٍ، أو حَرَكَةٍ - أمرٌ يُحَدِّثُ المللَ والسَّامَةَ، ويفصل المدعويين عن الداعية بعد لحظاتٍ يسيرةٍ من حديثه.
- أهميةُ عنايةِ الدعاةِ بالإشارةِ الحسيَّةِ، وتحريكِ الحواسِّ لتستمرَّ متابعَةً ما يدعون إليه، متأسين في ذلك بقدوةِ الدعاةِ وسيدهم ﷺ الذي نجح في دعوته نجاحاً باهراً انطلق بامرأة ورجل وصبي إلى أن وصلت دعوته وبلغت ما بلغ الليل والنهار، فجزاه الله عن الدعاة وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(د) عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصٍ^(٢) قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ^(٣) وَالْقَمَقْمُ^(٤)).

يوجه النبي ﷺ دعوةً لأئمة للحد من المصير في الآخرة إلى جهنم إشفافاً عليهم، مؤكداً هذا التحذير من سوء الدار بصورةٍ بليغةٍ لعذاب النار، بل لأهون العذاب وأقله، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال، فأيسر أهل النار عذاباً رجلاً يوضع في أحمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه.

قال المناوي - رحمه الله -: ((انظر إلى من خُفِّفَ عليه، واعتبر به، فكيف من شُدِّدَ عليه، ومهما شككت في شدة عذاب النار، فقرب إصبعك منها، وقس ذلك به))^(٥).

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/١٩٢ - ١٩٣، فتح الباري، ابن حجر، ١١/٢٣٢.

(٢) الأحمص من القدم: الموضع الذي لا يَلصَقُ بالأرض منها عند الوطء. النهاية، ابن الأثير، مادة: حمص، ٢/٨٠.

(٣) المِرْجَلُ: الإناء الذي يُغْلَى فيه الماء، وسمي كذلك؛ لأنه إذا نُصِبَ كأنه أُقِيمَ على أُرْجُلٍ. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: مرجل، ٤/٣١٥.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٦٢، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ١١/٤٢٥، صحيح مسلم، ح ٢١٣، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ١/١٩٦.

والقَمَقْمُ: ما يُسَخَّنُ فيه الماء من نحاس وغيره، ويكون ضَبُّقُ الرأس. النهاية، ابن الأثير، مادة: قمقم، ٤/١١٠. وقيل: في هذا التركيب نظر، وقال عياض - رحمه

الله -: الصواب (كما يغلي المرجل والقمقم) بواو العطف لا بالياء وحوز غيره أن تكون الباء بمعنى مع. فتح الباري، ابن حجر، ١١/٤٣٩.

(٥) فيض القدير، ٣/٦٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر، ١١/٤٣٠ - ٤٣١، تحفة الأحمدي، المبار كفوري، ٧/٢٧٨.

إن العذاب أمرٌ غيبي لا تدرك العقول حقيقته؛ لذا قام عليه الصلاة والسلام بتمثيل شيء منه، فشبه غليان الدماغ في جهنم كغليان المرجل. وهذه الصورة الحسية معروفة لدى الناس. فينتج عن هذا التصوير إدراك عميق لذلك العذاب، علماً بأن تصوير عذاب النار وحرارتها الغاية منه التقريب، أما الحقيقة فهي أدهى وأمر، والعذاب أشد وأنكى.

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية المنهج الحسي في الدعوة إلى الله، ومدى تأثيره البليغ بسبب اعتماده على ما يحسه المدعو ويجربه ويشاهده.

- إن إضفاء الكثافة الحسية في الأمر المدعو إليه، والعناية بذلك يُسهّم في قوة أثر الدعوة، وذلك: بتحسيد الصورة، وإضافة المزيد من البروز، والوضوح في كل جوانبها، ويُحدث في النفس أثراً عميقاً لا يزول، وكأن المستمع داخل المشهد والصورة، يعيشها، ويشعر بما فيها من حلاوة أو مرارة.

- إن التصوير الفني الذي يمارسه النبي ﷺ في دعوته لم يكن لمجرد المتعة البيانية، والقوة البلاغية، وإنما كان يحمل دعوة عميقة لما هو محمودٌ ونافعٌ، وتنفيراً مما هو مذمومٌ وضارٌّ، فيبادر المدعو للاستجابة متأثراً بذلك التصوير البليغ.

هـ) عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزَعَا يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ^(١) يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَقَ^(٢) بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!)

(١) الرَّدَمُ: السُّدُّ، رَدَمْتُ الثَّلْمَةَ رَدْمًا إِذَا سَدَدْتَهَا. النهاية، ابن الأثير، ٢/٢١٦.

(٢) عند أهل المعرفة عقد الحساب مختلفة وإن اتفقت في أنها تشبه الحلقة وأعرض هنا باختصار لهذه الحسابات كما يلي:

فَعَقْدُ الْعَشْرَةِ: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا.

وعَقْدُ التَّسْعِينَ: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا.

وعَقْدُ الْمِائَةِ: مثل عقد التسعين لكن بالخصر اليسرى؛ فعلى هذا فالتسعون والمائة متقاربان ولذلك وقع فيهما الشك وأما العشرة فمغايرة لهما.

قال ابن العربي: في الإشارة المذكورة دلالة على إنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم عقد الحساب حتى أشار بذلك لمن يعرفه وليس في ذلك ما يعارض قوله في الحديث الآخر أنا أمة لا نحسب ولا نكتب فان هذا إما جاء لبيان صورة معينة خاصة. قال ابن حجر: والأولى أن يقال: المراد بنفي الحساب ما يتعانا أهل صناعته من الجمع والفذلحة والضرب ونحو ذلك ومن ثم قال ولا نكتب وأما عقد الحساب فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التلفظ وكان أكثر استعمالهم له عند

قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ^(١).

تضمن الحديث بياناً لخطر خروج يأجوج ومأجوج، فهم لا يدعون أحداً من غيرهم إلا أهلكوه، يُعْمُ شَرُّهُمْ وبلاؤهم جميع الأرض، كما أن خروجهم مؤذنٌ بقيام الساعة، مؤكداً عليه الصلاة والسلام لهم ذلك بصورةٍ حسيةٍ، تدل على معرفته بعلم الحساب.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن موضوع الدعوة ينبغي أن يُعْرَضَ بصورةٍ جذابةٍ، كما يُعْرَضُ التجارُ سِلْعَهُمْ بأنواعٍ من الذكاء والمهارة النافعة لهم. والداعية حينما يعرض دعوته ينبغي له أن يعرضها بذكاءٍ وحِذْقٍ يوصله إلى ما يريد.

- ينبغي للدعاة إلى الله الإمام بالمعارف السائدة في أوساط الناس؛ ليتسنى لهم استخدامها في أوقاتها وظروفها المناسبة، فيُدْرِك المدعوون ما يريد منهم الدعاة، ويقبلون عليهم فاهمين راضين بما عندهم من الخير.

(و) عَنْ معاوية^(٢) قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَالاً وَوَلَدًا وَكَانَ لَا يَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دِينًا^(٣))...، فَعَلِمَ أَنَّ

المساومة في البيع فيضع أحدهما يده في يد الآخر فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما مما يحضرهما. فشبّه صلى الله عليه وسلم قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم.

وعقد الثلاثين: أن يضم طرف الإهمام إلى طرف السبابة مثل من يمسك شيئاً لطيفاً كالإبرة وكذلك البرغوث.

وعقد السبعين: أن يجعل طرف ظفر الإهمام بين عقدَي السبابة من باطنها ويلوي طرف السبابة عليها مثل ناقد الدينار عند النقد. فتح الباري، ابن حجر، ١٠٨/١٣.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٣٤٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ٦/٣٨١.

(٢) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير القشيري، له صحبة، سمع النبي ﷺ، نزل بالبصرة، ومات بخراسان. الإصابة، ابن حجر، ٤١٢/٣.

(٣) ((عن أبي هريرة في هذا الحديث أنه قال: قال رجل لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد. وهذه اللفظة إن صححت، رفعت الإشكال في إيمان هذا الرجل؛ وإن لم تصح من جهة النقل، فهي صحيحة من جهة المعنى، والأصول كلها تعضدها، والنظر يوجبها؛ لأنه محال غير جائز أن يغفر للذين يموتون وهم كفار؛ لأن الله عز وجل قد أخرجهم من الجنة لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً، وهذا ما لا مدفع له، ولا خلاف فيه بين أهل القبلة، وفي هذا الأصل ما يدل على أن قوله في هذا الحديث: لم يعمل حسنة قط، أو لم يعمل خيراً قط لم يعذبه إلا ما عدا التوحيد من الحسنات والخير. وهذا سائغ في لسان العرب، جائز في لغتها أن يوتى بلفظ الكل، والمراد البعض، والسدليل على أن الرجل كان مؤمناً، قوله حين قيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: من خشيتك يا رب، والخشية لا تكون إلا لمؤمن مصدق، بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨، قالوا: كل من خاف الله فقد آمن به وعرفه، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن به، وهذا واضح لمن فهم وأهسم رشده)). التمهيد، ابن عبد البر، ١٨/٤٠ - ٤١.

لَمْ يَبْتَرِ^(١) عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَيْرًا دَعَا بِنَبِيِّهِ... قَالَ: فَإِذَا مُتُّ فَخُذُونِي، فَأَلْقُونِي فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ حُمَمًا، فَذُقُونِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ لَعَلِّي أَضِلُّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. قَالَ: فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ وَرَبُّ مُحَمَّدٍ حِينَ مَاتَ. قَالَ: فَجِيءَ بِهِ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَعَرِضَ عَلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى النَّارِ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ يَا رَبَّاهُ^(٢).

يوضح الحديث حالة الفزع والخوف عند ذلك الرجل من المصير، ففعل به ما فعل حسب توجيهاته لأبنائه، وقد أكد النبي ﷺ قول الرجل بتمثيله بيده على فخذه بيأساً وتوضيحاً أن قدرة الله العظيمة تستطيع جمع ذرات جسمه دون عناء ودون نقص، كما قال سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه، وهو على كل شيء قدير، وقال عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

نقل ابن حجر - رحمه الله - استشكالاً على الحديث جاء فيه: ((كيف يُعْفَرُ له، وهو مُنْكَرٌ للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟! والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل، فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله... وأما قوله: (لَعَلِّي أَضِلُّ اللَّهَ)، فمعناه: لَعَلِّي أفوته، وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٤). ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه، أو أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما

(١) يبتتر: أي لم يقدم لنفسه خبيثة خيرة، ولم يدخر. النهاية، ابن الأثير، مادة: بآر، ٨٩/١.

(٢) المسند، ح ٢٠٠٤٤، وقال محققه: صحيح لغیره وهذا إسناد حسن، ٢٤٣/٣٣، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢/٢٧٩، بهذا الإسناد، مشكل الآثار، أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، الهند، دائرة المعارف حيدرآباد، ط. الأولى، ١٣٣٣هـ، ١/٢٣٢-٢٣٣، المعجم الكبير، الطبراني، ح ١٠٢٦، ١٩/٤٢٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٤) سورة طه: ٥٢.

يقول ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن العناية بالمنهج الحسي، تظهر من خلال تمثيل النبي ﷺ لقول الرجل بوضعه يده على فخذيه، وهذا يُعدُّ من التعليم الحسيّ النافذِ أثره في المدعويين؛ لأنه يتضمن بياناً وتوضيحاً وتصويراً يبقى أثره في الأذهان، ويرسُخُ على مرور الزمان.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يعنوا بهذا المنهج الفاعل في الدعوة، من خلال بعض المهارات التعبيرية، والتصويرية، التي ينبغي للدعاة أن يكتسبوها، ويتقنوها ليكسبوا المدعويين، ويضيفوا رصيداً وافراً للدعوة النبوية.

(ز) عَنْ سَلْمَانَ^(٢) قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ عُصْنًا مِنْهَا، فَفَضَّضَهُ، فَتَسَاقَطَ وَرَقُهُ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي عَمَّا صَنَعْتُ؟ فَقُلْنَا: أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ)^(٣).

وفي رواية: عَنْ أَنَسٍ^(٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةٍ الْوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ، فَتَنَاطَرَ الْوَرَقُ، فَقَالَ: ((إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)) لَتَسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقِطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ)^(٤).

وجه النبي ﷺ دعوته المباركة إلى ثواب الصلاة وأجرها في محو الخطايا وتساقطها عن مؤديها كتساقط تلك الأوراق من الغصن، ثم ربطها ببيان أن الصلاة، والتحميد،

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٦/ ٥٢٢ - ٥٢٣.

(٢) هو سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير، أصله من أصبهان وقيل من رام هرمز، أول مشاهد الخندق، وكان عالماً زاهداً، مات سنة ٣٤ هـ. الإصابة، ابن حجر، ٢/ ٦٠ - ٦١.

(٣) المسند، ح ٢٣٧١٦، وقال محققه: حسن لغيره، ١٢١/٣٩، المصنف، ابن أبي شيبة، ١/ ٧-٨، والطبراني في المعجم الكبير، ح ٦١٥٢-٦١٥٣، ٦/ ٢٥٧.

(٤) سنن الترمذي، ح ٣٥٣٣، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ومنه، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، ٥/ ٥٤٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، الألباني، ح ١٦٠١،

والتسييح، والتهليل، والتكبير أمور لها نفس أثر ضربة العصا على ورق الشجر من حيث التساقط^(١).

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- يبرز الحديث المنهج الحسي في دعوة النبي الكريم لأصحابه، فها هو يدعوهم بطريقةٍ تُلْفِتُ حواسَهُم وتثيرُها، فيأخذُ غُصْنًا مما يعني أنه حرّك يده، ونزعَ الغصنَ من الشجرة، فنفضه، فتساقطت أوراقه.

- عناية الداعية بإثارة الحس، لُتَقْبَلَ الدعوة، ولتكون أوقع في النفوس، فقد أراهم عليه الصلاة والسلام كيف يتساقطُ الورقُ من الشجر اليبسِ بضربةٍ من عصاه، ثم استثمرَ هذه الصورةَ الحسيةَ المشاهدةَ، فيما يريد تقريره لهم، ودعوتهم إليه، من أبواب الخير العظيمة، التي يترتب على القيام بها غفران الذنوب.

(١) انظر: تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٩ / ٣٦١.

المبحث الثاني: الأساليبُ الدَّعْوِيَّةُ الواردة في أحاديث الدراسة

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة

إنَّ الدارسَ لأحاديثِ الأمثالِ يقف على أساليبَ متنوعةٍ مارَسَهَا النبي ﷺ في دعوته، مراعيًا المواقفَ، والأشخاصَ، وما يناسبُهما، وسَتَعَرِّضُ الباحِثَةُ الأساليبَ التي وقفت عليها في أحاديثِ الأمثالِ على النحو التالي:

أولاً - أسلوب الحكمة:

يُعَدُّ هذا الأسلوبُ في الدعوة إلى الله الأقوى والأفضل والأعمَّ. ((إنَّ أولَ واجبٍ على الدعاة إلى الله تعالى: أن يتعلموا الحكمةَ والبصيرةَ حتى يُفْلِحُوا في دعوتهم، ويُرضُوا ربَّهُم سبحانه وتعالى))^(١)؛ لأنها من نعم الله يؤتيها من يشاء من عباده كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

وقبل الشروع في سرد الأحاديث الدالة على الحكمة يحسن بي أن أذكر المقصود منها في الدعوة إلى الله على النحو الآتي:

الحكمة: فهم واقع الأمور، ومغازيها، وما يحيطُ بها من أحوالٍ، ثمَّ الإصَابَةُ في القول والعمل تُجَاهِهَا. قال ابن حجر - رحمه الله -: ((الحكمة في الأصل إصَابَةُ الْحَقِّ بِالْعِلْمِ))^(٣).
والمقصود من الحكمة في الدعوة إلى الله: حُسْنُ تَصَرُّفِ الدعاة في مختلف المواقف، ومعالجة كلِّ أمرٍ بما يناسبه رِفْقًا وتلطفًا، أو حزمًا وعزمًا، وتوجيه المدعوين بما يناسب أحوالهم، واختيار أفضل الأفعال والأقوال والمناهج والأساليب والوسائل الملائمة لواقع حال الدعوة والمدعوين^(٤).

(١) فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، عبد الرحمن عبد الخالق، الكويت، دار القلم، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، ص: ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٥٢٢.

(٤) انظر: التعريفات، الجرحاني، ص: ٩١. صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي، الرياض، دار القاسم، ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص: ٤٦. الحكمة في

الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد بن عبدالكريم الزيد، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ، ص: ١٦-١٧. أهمية الدعوة إلى الله، غزالي غزالي المطيري، الجامعة

الإسلامية، غير منشور رسالة دكتوراة، ص: ٦١.

والتأمل لسيرة النبي ﷺ يجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أمورِهِ، وخاصةً في دعوتِهِ إلى الله، امتثالاً لأمر ربه جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١). وسأورد جوانب الحكمة التي ظهرت لي في أحاديث الأمثال من خلال الحديث التالي:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْجِعْرَانَةِ^(٢) مُنْصَرَفَهُ مِنْ حَنِينٍ^(٣) وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ^(٤) فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ. قَالَ: وَيَلِكُ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟! لَقَدْ خِيتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ^(٥) دَعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي. إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(٦). وفي رواية أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه وفيها ذكر اسم الرجل قَالَ: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ)^(٧). وفي رواية: (لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ)^(٨)، وفي رواية: (قَدْ خِبتُ

(١) سورة النحل: ١٢٥ .

(٢) الجعرانة: بكسر الجيم وكسر العين المهملة وتشديد الراء. وقيل: (الجعرانة). وهي مكان بين مكة والطائف، ويقع شمال شرقي مكة في صدر وادي سرف. ولا زال الاسم معروفاً. المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٩٠.

(٣) حنين: هو المكان الذي ذكره الله في كتابه، وكانت فيه غزوة حنين، ويبعد حنين عن مكة ستة وعشرين كيلاً شرقاً، وعن حدود الحرم من عَمَلِيّ طريقاً بجبلٍ أحد عشر كيلاً، وهو: واد يُعرف اليوم بالشرائع، بل يُسمَّى رأسه الصُّدْرُ، وأسفله الشرائع. المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ١٠٤.

(٤) بلال بن رباح الحبشي، المؤدّن اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه، فلم ينسب النبي ﷺ وأذن له، وشهد معه جميع المشاهد، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي ﷺ مجاهداً إلى أن مات بالشام سنة عشرين. الإصابة، ابن حجر، ١٦٩/١.

(٥) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين، ولد قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، كان شديداً على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، ولقبه النبي ﷺ بالفاروق. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٥١١/٢، السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط. الأولى، ١٤١١هـ، ٢٩٤/١.

(٦) صحيح مسلم، ح ١٠٦٣، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٠/٢.

(٧) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٦١٠، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦١٧-٦١٨، صحيح مسلم، ح ١٠٦٣، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٠/٢.

(٨) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣١٣٨، كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، ٢٣٨/٦.

وَحَسِرْتُ إِنَّ لَمْ أَعْدِلْ^(١). وفي رواية: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ)^(٢).

وفي رواية: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آتَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ^(٣) مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْبَةَ^(٤) مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَأَتَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ)^(٥). وفي رواية: (وَعَلَقَمَةُ بِنُ عُلَانَةَ الْعَامِرِيِّ^(٦) ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِي^(٧) ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ)^(٨). وفي رواية: (فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٩) يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُقْتَهُ؟ قَالَ: لَا. لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ

(١) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٤/٢.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٠٦٢، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي، ٧٣٩/٢.

(٣) الأقرع بن حابس بن عقاب بن جاشع التميمي، وفد بعد الفتح في وفد بني تميم، وشهد مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق، وكان على مقدمته، اسمه فراس ولقب الأقرع لقرع برأسه، وكان أحد الأشراف، وكان من المؤلف قلوبهم. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١٢٤/١، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢٦/١.

(٤) عيبنة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، من المؤلف، شهد حنيناً والطائف، وكان أحقماً مطاعاً دخل على النبي ﷺ، بغير إذن وأساء الأدب، فصر النبي ﷺ، على جفوته وأعرابيته، وقد ارتد وآمن بظليحة الأسدي، ثم أسر، فمَنَّ عليه الصديق، ثم لم يزل مظهراً للإسلام، واسمه حذيفة ولقبه عيبنة لشر عينه. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٤٣٢/١.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣١٥٠، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ، يعطي المؤلف قلوبهم وغيرهم من الخمس، ٣٥١/٦، صحيح مسلم، ح ١٠٦٢، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، ٧٣٩/٢.

(٦) علقمة بن علاثة بن عوف العامري الكلابي من الأشراف، ومن المؤلف قلوبهم، ارتد وقاتل ثم أجزم، ثم أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٣٩١/١.

(٧) زيد بن مهلهل بن زيد بن منهل الطائي النبهاني، زيد الخيل من المؤلف قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وقد سنة تسع، وسماه النبي ﷺ، زيد الخير وأثنى عليه وأقطع أرضين، وكان زيد شاعراً خطيباً بليغاً جواداً، مات في آخر خلافة عمر، وقيل قبل ذلك. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢٠٢/١.

(٨) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب الخوارج وصفاتهم، ٧٤١/٢.

(٩) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو سليمان، القرشي المخزومي، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وهو أحد أشراف قريش في الجاهلية، لما أراد الإسلام قدم على رسول الله هو وعمرو بن العاص، وغيره من الصحابة فلما رآهم النبي ﷺ، قال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، سماه النبي ﷺ، سيف من سيوف الله، مات على فراشه بالمدينة سنة إحدى وعشرين، في خلافة عمر بن الخطاب. أسد الغابة، ابن الأثير، ١٠٩/٢.

بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقُّ بُطُونَهُمْ...)(^١).

توضح هذه الروايات حكمة النبي ﷺ وحسن تصرفه في ذلك الموقف بما يناسبه مبرراً لذلك بما يعود على الدعوة من الخير والمصلحة الشرعية المرعية، وهذا الأسلوب الحكيم من الأساليب الناجحة في جلب المنافع للإسلام، ودفع المفسد عنه، كما يوضح أن يكون التعامل مع الناس على ظاهرهم، واجتناب التنقيب عن بواطن الأمور؛ لأن السرائر يتولى أمرها الله عز وجل. وقد أكد هذا المعنى حديث آخر قال ﷺ لخالد بن الوليد: (فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ)(^٢).

إن منع النبي ﷺ خالداً من قتل الرجل فيه من الحكمة ما لا يخفى؛ لئلا يتحدث الناس بأن النبي ﷺ يقتل أصحابه، وقد تجلّت مع الأيام الحكمة من هذا التصرف حيث جاء أقارب من ترك النبي ﷺ قتلهم يطالبون أن يتولوا هم قتل أقاربهم المنافقين(^٣)، قال ابن القيم -رحمه الله-: ((والجواب الصحيح أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة. ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما يُنفرهم من الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ)(^٤).

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((إنما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل؛ لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، لاسيما من صلى))(^٥).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما- إلى اليمن، ٧/٦٦٥، ٦٦٦، وصحيح

مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/٧٤١.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٣٩٣٠، كتاب الفتن، باب الكف عن من قال لا إله إلا الله، ١٢٩٦/٢، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، ح ٣٩٣٠، ٢/٣٤٨.

(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، زيد الزيد، ص: ٩٤.

(٤) زاد المعاد، ابن القيم، ٣/٥٦٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٦٩.

وعليه فإنه يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب في الدين؛ لأن في ذلك مصلحةً أعظم من المصالح الأخرى، وهذا كترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما رأى في إبقائه من تأليف القلوب^(١).

ومما يُستخلص من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- من الحكمة أن ينظر الداعية في عواقب الأمور. ومراعاة ذلك في تصرفاته تجاه أفعال الناس وتصرفاتهم، بدلاً من الاستسلام لردود الأفعال النفسية، وسواها، التي يقتضيها التأثير الآني السريع تُجَاهَ أخطاءِ الناس.

- لعل من الحكمة - أحياناً - أن يوضح الداعية لمتبوعيه أسباب تصرفه، أو الحكمة منه؛ ليقتنعوا معه، ويرضوا، وتطمئن قلوبهم.

- من الحكمة: أن يأخذ الداعية نفسه بالصبر، ويحث متبوعيه على الأخذ به.

- من الحكمة في الدعوة: الاحتجاج المنطقي الحكيم كما في قوله ﷺ: (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي)، وقوله ﷺ: (فَهَلَّا شَقَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ). وعندما أمر عمر رضي الله عنه بأن يمتنع عن ضرب عنق ذي الخويصرة بين له أن عقول هؤلاء منغلقة لا تعي الحق، وأفهامهم منكوسة، وأفكارهم منحرفة لا تدرك حقائق الأمور، وأنهم خارجون عن دائرة الإسلام، وسينالون جزاءهم من الله عز وجل.

- إدراك الداعية أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى تقتضي مراعاة الأزمان والظروف المحيطة بدعوته^(٢).

- إن الحكمة تقتضي أن يقوم الداعية، بمراعاة مصلحة الدعوة، لاسيما في أول أمرها، فإن النبي ﷺ تعامل مع ذي الخويصرة وأمثاله وفق ذلك درءاً للفتنة والضرر المترتب على قتلهم.

- أن يضبط الداعية تصرفاته وسلوكه بما يخدم الدعوة، وإرادته المصلحة للدعوة وإن كان ذلك يمس حقاً من حقوقه.

- أن يدقق الداعية في المنهج الصحيح الموافق لما شرعه الله دون التأثير أو الاحتكام لظواهر الأمور؛ لأن العبرة بالعاقبة، والحقيقة، والجوهر، لا بالشكل والصورة.

(١) انظر: القواعد النورانية للفقهاء، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الندوة الجديدة، دون تاريخ، ص: ٤٣.

(٢) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، زيد الزيد، ص: ٩٥.

- من الحكمة-أحياناً-أن يذكر الداعية لمتبوعيه ما يَعْلَمُه من المبشرات الإلهية من أخبار الغيب وسواها الثابتة عن الله تعالى.

- ينبغي أن يمارس الداعية أسلوب الحكمة تأسياً برسول الله وبالأنبيا قبله، فإن النبي ﷺ ذكر أن موسى عليه السلام أوذى بأكثر من ذلك فصبر، ومارس أسلوب الحكمة مع قومه. فَحَرِيٌّ بالدعاة أن يصبروا على الأذى الذي يَحِلُّ بهم من قِبَل المدعويين وغيرهم، وأن يمارسوا معهم أسلوب الحكمة.

- أن يجتنب الداعية الانتصارَ لنفسه وحظّه، بل يجب أن تكون نُصْرَتُه متجردةً لله وفي الله كما يَرْضَى الله ويحب، وَفَقَ الحكمة التي من أوتيتها فقد أوتيتي خيراً كثيراً.

- أهمية التَّروِّي والبعدِ عن التَّعَجُّلِ في المواقف المماثلة لهذا الموقف، لئلا يقعوا في مزالقة وأخطاء تضر مصالح الإسلام والمسلمين، من أبرزها: إعاقة انتشار الإسلام وتوسعه إذا سمع الناس أن محمداً يَقْتُلُ مَنْ حَوْلَهُ لكلماتٍ قالوها. وهذه عين الحكمة في حسن التصرف.

- إنَّ حاجَةَ الدعاة اليوم مُلِحَّةٌ وضروريةٌ لسلوك هذا المنهج الحكيم لاسيما ونحن في عصر امتلأ بالفتن الهائجة والوافدة من كُلِّ أفق، والأفكار المسمومة المدسوسة على المسلمين، فيواجهوا كل حالة بما يناسبها مما يخدم الإسلام ويعلي شأنه.

- إنَّ عُلُوَّ أسلوبه عليه الصلاة والسلام، وحكمته في مخاطبة المدعويين على مختلف مقاصدهم وأفكارهم- كَرَدُّه لِقَوْلِ ذِي الخويرة، بأسلوب استفهامي إنكاري وتحذيري مخلوطٍ بالتوبيخ والتعنيف-الغاية منه بيانُ وكشفُ حقيقة هذا المخالف المارق المفترى، وإن مثل هذا لا يصدر ممن رَضِيَ بالله رباً و.محمداً ﷺ نَبِيًّا ورسولاً، وعرف حَقَّ رسوله فتأدب معه.

- إن من حكمة الداعية أن يُدْخَلَ الثقةَ في نفوس أصحابه وَيَعْرِسَهَا بكلماتِ الواثق من نفسه ومن عَدْلِهِ. وقد برزت هذه الحكمة من قوله ﷺ: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي

السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً^(١)، وفي رواية: (يَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي)^(٢).

وهذه الكلمات لها الأثر البالغ في نفوس الصحابة، حيث استطاع بذلك ﷺ أن يزيل ما هم فيه من غضب، ويدفع ما قد يعلق في نفوس ضعاف الإيمان من ريب في هذا الأمر، وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يدفعوا الشبهة فور ظهورها؛ لئلاً تتمكن من ضعاف القلوب.

- إن من الحكمة أن يبرر الداعية لأفعاله التي قد لا يرتضيها بعض الناس فهذا هو النبي ﷺ يبين لأصحابه سبب تقسيمه للمال الذي جاء من اليمن عندما قالوا له: (أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدْعُنَا؟) وقول رجل من أصحابه: (كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ)، فذكر لهم النبي ﷺ سبب ذلك بقوله: (إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ)، وهذا الفعل هو عين الحكمة التي أمره ربه بها لتأليف قلوب من لم يرسخ الإيمان في قلوبهم، فهم حديثو عهدٍ بإسلام، فأعطاهم بتلك الصورة يُسْهِمُ في انشراح نفوسهم وصدورهم للإسلام، ويعمق فيها حقيقة أن الدين الإسلامي أرفق الأديان، وأبعدُها عن الظلم.

- ضرورةُ فقه الدعوة في مسألة تأليف القلوب، ويتم ذلك بإدراك الظروف المحيطة بالدعوة، وعدم إطلاق هذا الأمر بل يُقَيَّدُ بتحقيق المصلحة، فمتى انتفت المصلحة وأصبح الإسلام قوياً بجنده، فلا حاجة إلى تأليف هذه القلوب بالمال، وبالتالي تنتفي الحكمة منه ويمتنع العطاء، وهو رأي يدور مع العلة والحكمة وجوداً وعدمًا، فمتى كان العطاء نافعاً يُعْمَلُ به، ومتى كان لا قيمة له، أو يؤدي إلى نتائج عكسية؛ إذ قد يدفع العطاء إلى استمرار الاستعلاء على المسلمين، وعندها لا يكون مُحَقَّقًا للغاية، وبالتالي يَفْقَدُ معنى الحكمة، بل يكون ضعفاً وذللاً وهواناً أمام الآخرين^(٣).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، ٦٧/٨.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٧٤٤/٢.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله، زيد الزيد، ص: ١٠٦-١٠٧، بتصرف.

ثانياً - أسلوب الترغيب:

الترغيب لغة: من الفعل رَغِبَ ترغيباً. ومُجَرَّدُهُ رَغِبَ رَغْبَةً. والرغبة السعة في الإرادة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(١). فإذا قيل: رَغِبَ فيه وإليه يقتضي الحرص عليه^(٢). قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٣). والمقصود بالترغيب في الدعوة إلى الله تعالى: كل ما يُحَدِّثُ رَجَاءً، وَيُبْعَثُ أَمَلًا، وَيُشَوِّقُ المدعوَّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

أهمية الترغيب:

إنَّ القرآنَ الكريمَ مملوءٌ بما يُرغَّبُ الناسَ في قبول دعوة الإسلام، وما يُحَدِّثُ رَجَاءً عند المفرطين في جنب الله. وفتح باب الرجاء منهج قرآني ونبوي قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قال: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ)^(٥).

(١) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص: ٢٠٤.

(٣) سورة التوبة: ٥٩.

(٤) سورة الزمر: ٥٣.

(٥) سنن الترمذي، ح ٩٨٣، كتاب الجنائز، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين، وقال: هذا حديث حسن غريب، ٣/٣١١، وسنن ابن ماجه، ح ٤٢٦١، كتاب

الزهد، باب ذكر الموت، ٢/١٤٢٣. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٧٨٥، ١/٢٨٩.

فالترويج أسلوبٌ يبعثُ في النفس حُبَّها للخير، وحرصها عليه، واستكثارها منه، مما يدل على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إغفاله^(١)، لما يترتب عليه من جذب الناس، وفتح أبواب الرجاء، والأمل فيما عند الله.

وبما أن الدعوة إلى الله طريقٌ شاقٌّ وعسيرٌ، ومليءٌ بالعقباتِ والعراقيلِ، فإن من شقَّه على رجاءٍ ورغبةٍ كان أعون له، ومن هالته المشقَّاتُ، وقامت في وجهه العراقيلُ، فيئسَ أو قَطَّ من رحمةِ الله وفرَّجِه أصابه الفشلُ وخالفَ سبيلَ المؤمنين؛ لذلك فإن هذا الأسلوب يفرش طريقَ السالكين إلى الله بالأمل والرجاء، وفي الوقت ذاته يطالبُهم بالعمل والأخذ بالأسباب، ويحملُهم على تحمُّلِ أيِّ مشقَّةٍ تُعرضُ لهم.

والأصل أن أسلوبَ الترويج يكون موازياً لأسلوب الترهيب، والرجاء يوازي الخوف. ومن خالهما معاً تكسبُ الدعوة إلى الله أنصاراً مؤيدين^(٢).

ويظهر أسلوب الترويج من خلال أحاديث الأمثال في الجوانب التالية:

أ) الترويج في الإسلام:

لا ريب فيما للإسلام والمسلمين من الفضائل والعواقب الحميدة الكثيرة، والتي كثرت أدلَّتُها من الكتاب والسنة النبوية، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ^(٣) وَاحِدٍ،...، ثُمَّ يَطَّلِعُ، فَيَعْرِفُهُمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَاتَّبِعُونِي، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمْرُونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ)^(٤).

في الحديث ترويج في الإسلام، لما يترتب عليه من النجاة يوم القيامة وأهوال ذلك اليوم، ومن تلك الأهوال الصراط، فالمسلمون العاملون بما يرضي الله، يجاوزونه إلى الجنة.

(١) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص: ٤٣٧ بتصرف.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، علي بن عبدالحليم محمود، المنصورة، دار الوفاء، ط. الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ٢٣٠/١ - ٢٣٣.

(٣) الصعيد: الطريق. وهو كذلك الأرض المستوية، وهو المراد به هنا. النهاية، ابن الأثير، مادة: صعد، ٣/ ٢٩، لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٢٥٤.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٥٥٧، كتاب صفة الجنة عن رسول الله، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ٦٩١/٤، وصححه

الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٧٢، ٣١٦/٢.

وقد أُكِّدَ الترغيبُ بمثالٍ واضحٍ للعاشرين على الصراط، فإنهم يمرون عليه كالخيل والنوق السريعة، التي تعين صاحبها في سفره لسرعتها ولنشاطها بخلاف الجياد والركاب البطيئة، فإنها تزيد سفره عناءً ومشقةً.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن مما يُنَجِّحُ الدعوةَ إلى الله، ويُسَهِّمُ في قبولها ممارسةُ أسلوبِ الترغيبِ لِآثاره الكبيرة في المدعوين.

- إن من أعظم النتائج المترتبة عن الترغيب قضية اليقين بالبعث بعد النشور، والعناية بتأصيلها وترسيخها في المدعوين، فتنشطُ الهِمَمُ نحوَ كُلِّ ما ينفع في ذلك اليوم العصيب، يوم الحسرة، والتغابن.

- من الأمور المرغوبة في الإسلام، والتي ينبغي أن يثيرها الدعاة في المدعوين، أمر قرب الله من المسلمين، وتعريفه بنفسه لهم، وهذا شرفٌ عظيمٌ لكل مسلمٍ، وحُظوةٌ لا تحصل إلا لمن فضَّله الله وأكرمه.

- إن الترغيبَ في الإسلام دعوةٌ مباركةٌ نتائجها طيبةٌ، وإن من النتائج العظيمة للإسلام العاقبةُ لكل من أسلم وعمل بمقتضى إسلامه، يومَ أن يَمُرَّ الناسُ على الصراط فيجاوزونه فضلاً من الله وإكراماً لهم.

- ينبغي للدعاة الحرصَ على إنقاذِ غيرِ المسلمين مما هم فيه من رجسٍ ووثنيةٍ، وعبودية لغير الله، وأن يرغبوهم في الإسلام، لأنه الدين الخاتم، والتام، فلا يقبل دين نسخه الإسلام، وهيمن عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

- إن مما يلزم الدعاة إلى الله في ترغيبهم الناس للدخول في الإسلام أن يبينوا محاسن الإسلام العظيمة، ويُسرَّ تشريعاته، وسماحته كي يُقبَلوا عليه راضين.

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

ب) الترغيب في الوضوء والخشوع في الصلاة:

١ - عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ حَوْضِي لِأَبَعْدُ مِنْ أَيْلَةَ^(١) مِنْ عَدَنٍ^(٢)، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأُذَوِّدُ^(٣) عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُوذُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ^(٤)).

يوضح الحديث فضل الوضوء، وآثاره العظيمة في الآخرة، يوم لا ينفع المرء إلا عمله الصالح، ومن ذلك: الوضوء، فإن المصلين في الدنيا يُكْرَمُهُمْ رَبُّهُمْ جَل وَعَلَا بكرامته، فَيَرِدُونَ حَوْضَ النَّبِيِّ ﷺ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ، وَقَدْ تَأَكَّدَ هَذَا الْفَضْلُ بِالْتَّمِثِ الْوَارِدِ فِي الْحَدِيثِ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ ﷺ مِنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِ آثَارِ الْوُضُوءِ مِنْ الْوُرُودِ عَلَى حَوْضِهِ، كَحَالِ رَاعِي الْإِبِلِ الَّذِي يَسْمَحُ لِإِبِلِهِ بِالشَّرْبِ مِنْ حَوْضِهِ، وَيَمْنَعُ غَيْرَ إِبِلِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ وَرُودَ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ مُخْتَصٌّ بِأَصْحَابِ الْوُضُوءِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أَهْمِيَّةُ أَنْ يُعْنَى الدَّاعِيَّةُ بِشَأْنِ الْوُضُوءِ لِثَمَرَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَبْتَغَى التَّرْغِيبَ فِي إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَحَبَّةِ، وَالسَّنَنِ الَّتِي فَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، فِي مِثْلِ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءِ بِالطَّرِيقِ تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَتَوَضَّؤُوا وَهُمْ عِجَالٌ، فَانْتَهَيْنَا

(١) أَيْلَةُ: مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْقَلْبُومِ مَا يَلِي الشَّامَ، وَقِيلَ: هِيَ آخِرُ الْحِجَازِ، وَأَوَّلُ الشَّامِ. مَعْمَمُ الْبِلْدَانِ، الْحَمَوِيُّ، ٢٩٢/١، وَهِيَ مَدِينَةُ الْعُقَبَةِ الْيَوْمَ. الْمَعَالِمُ الْأَثَرِيَّةُ، مُحَمَّدُ شَرَابُ، ص: ٤٠.

(٢) عَدَنٌ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ، عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْهِنْدِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ، عَلَى خَلِيجِ عَدَنَ، قَرِيبَ بَابِ الْمَنْدَبِ، وَبَيْنَ عَدَنَ وَصَنْعَاءَ ثَمَانِيَةٌ وَسِتُونَ فَرَسَخًا. مَعْمَمُ الْبِلْدَانِ، الْحَمَوِيُّ، ٨٩/٤، الْمَعَالِمُ الْأَثَرِيَّةُ، مُحَمَّدُ شَرَابُ، ص: ١٨٧.

(٣) اختلف العلماء في المراد بالمدادين على أقوال:

أحدها: المراد به المنافقون المرتدون فيحوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء يدلوا بعدك: أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم

والثاني: أن المراد من كان زمن النبي ﷺ، ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء؛ لما كان يعرفه في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا بديعتهم عن الإسلام. وعلى هذا لا يقطع هؤلاء الذين يزدادون بالنار بل يجوز أن يزدادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٤ - ١٣٧.

(٤) صحيح مسلم، ح ٢٤٨، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ٢١٧ - ٢١٨.

إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ) (١).

- ينبغي للداعية أن يستخدم في حثه على الوضوء وإسباغه بيان الغرة تطبيقاً للأسلوب النبوي الوارد في هذا الحديث، وبيان أنها من خصائص هذه الأمة.
- مما يقوم به الداعية أن يبين جواز الحلف بالله تعالى من غير استحلاف، ولا ضرورة، مع تنويه أن الأمر الذي يُحلفُ عليه عظيم الشأن، وكبير الأهمية.

٢- عن عمرو بن عبسة السلمي^(٢) قال: قال ﷺ: (مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ، فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ، وَخِيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (٣).

يُرَغَّبُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوُضُوءِ وَالْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، مُؤَكِّدًا دَعْوَتَهُ الْمُبَارَكَةَ بِتَمَثِيلِ يُوَدِي بِالْمُسْلِمِ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي إِحْسَانِ الْوُضُوءِ وَإِتْمَامِهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْهُ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ مُحِيتَ خَطَايَاهُ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَصَلَّاهَا رَفَعَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهَا مَنزِلَةً عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ، وَعَادَ سَالِمًا مِنَ الْخَطَايَا (٤).

(١) صحيح مسلم، ح ٢٤١، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما، ٢١٤/١.

(٢) عمرو بن عبسة بن خالد السلمي، أبو نجیح أسلم قديماً بمكة، ثم رجع إلى بلاده، فأقام بها إلى أن هاجر بعد خبير، وقيل: الفتح فشهدها، كان يقول: لقد رأيتني وإنِّي لرابع الإسلام. سكن الشام، ويقال: إنه مات بمصر في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٣/ ٧-٥.

(٣) صحيح مسلم، ح ٨٣٢، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ١/ ٥٧٠ - ٥٧١.

(٤) انظر: فيض القدير، المناوي، ٣/ ١٥٥-١٥٦.

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وفِقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- من الترغيب الضروري في الدعوة إلى الله: أن يُرْعَبَ الدعاةُ الناسَ في الصلاة، وفي إتقانِ طهارتها: الحسية، والمعنوية، وأداءِ الصلاة، والخشوع فيها طلباً لمغفرة الله.
- إن عناية الداعية بالترغيب في الصلاة وأدائها على وجهها المطلوب يُقَوِّي صِلَةَ العبدِ بالله، ويُقَرِّبُهُ من باريه ومولاه، فيحيطه بالرعاية والعناية الإلهية.
- ينبغي للداعية أن يعرضَ الترغيبَ عَرَضاً مُشَوِّقاً ولا سيما فيما يتعلقُ بأهمِّ الواجباتِ بعد التوحيدِ وهي الصلاة؛ ليدفع المدعوَّ لأدائها اختياراً لا قهراً، ورضاً لا سخطاً. وبهذا يتحقق المقصودُ من الترغيب في الدعوة إلى الله.

(ج) الترغيب في ملازمة المسجد، وصلاة الجماعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشَّشَ^(١) اللَّهُ لَهُ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ)^(٢).

يرغب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ملازمة المساجد، والصلاة مع الجماعة، وذكر الله تعالى. مبيناً أنه ما لازم رجلٌ مسلمٌ المساجد للصلاة والذكر إلا فرح الله به، وأقبل عليه كما يفرح أهلُ الغائبِ بغائبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ^(٣).

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وفِقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- على الداعية الحريص على إقبال الناس للصلاة أن يُظْهِرَ تشجيعه ومباركته لمن يراه محافظاً عليها، فيرغبَ فيها أكثر.
- إن الترغيبَ الناجحَ فيما يخصُّ مُلازمةَ المساجدِ والتعلقَ بها، يشتمل على ربط الداعية الترغيبَ في ذلك بحلول البركة في سائر حياة الملازمين للمساجد.
- إن من العناية بموضوع الترغيب في الصلاة إبرازَ النتيجةِ المثمرةِ والنافعةِ عنها، وهي فرحة الله بعبده المحافظ عليها، وأن الملازم للمساجد في ضيافة الرحمن الكريم المنان.

(١) التبشيش: التبشيش بالإنسان المسرة به والإقبال عليه، وهو من معنى البشاشة لا من لفظها. الفائق، الزمخشري، ١١٠ / ١.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٨٠٠، كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ١ / ٢٦٢، و صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٦٥٣،

١٣٣ / ١.

(٣) انظر: فيض القدير، المناوي، ٤٣٨ / ٥.

٢- عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ)^(١).
يرغب النبي ﷺ في صلاة العشاء والفجر مع الجماعة، مؤكداً فضيلتها، بتشبيهه عليه الصلاة والسلام من صلى العشاء في جماعة بمن قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة كمن قام الليل كله^(٢). أي: أن صلاة الفجر في جماعة تكمل قيام النصف الباقي من الليل.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية إبراز الداعية لفضل صلاة الجماعة، لاسيما العشاء والفجر.
- إن الترغيب يعتمد على بيان الأجر العظيمة؛ ليحرص الناس على الطاعة، كمبالغته في أجر من صلى العشاء كمن قام نصف الليل، والفجر كمن قام الليل كله.
- إن الترغيب يمثل هذا العمل يؤكد بركة هذه الأمة في أعمالها وأعمارها. مع أنها لا تعمر مثل الأمم السابقة، ولكنها تسبقهم بالعمل.

(د) الترغيب في التبكير لصلاة الجمعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَمَثَلُ الْمُهَجَّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقْرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)^(٣).

إن يوم الجمعة يومٌ بركةٍ وخيرٍ للأمة الإسلامية. ولما في هذا اليوم من المنافع الكثيرة رغب النبي ﷺ أمته في التبكير إلى صلاة الجمعة، وأكد هذه الدعوة بتمثيلٍ يحفز المسلم للتبكير والحصول على أعلى الأجر.

(١) صحيح مسلم، ح ٦٥٦، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، ١/٤٥٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٣/٢٤، شرح الزرقاني، ١/٥٠٨، عون المعبود، محمد آبادي، ٢/١٨٣، فيض القدير، المناوي، ٦/١٦٥.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٩٢٩، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، ٢/٤٢٢، وصحيح مسلم، ح ٨٥٠، كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة،

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن الترغيب دعوة للحرص على أفضل الأعمال، والحصول على أفضل الأجر؛ لذا فإن عناية الدعاة ينبغي أن تتجه في هذا الاتجاه. فيدرك الداعية أن من أفضل الأعمال يوم الجمعة التبكير، ثم يُعنى بهذه المسألة لاسيما في هذا الزمن الذي قلما تجد مبكراً للمسجد يوم الجمعة.

- إن عناية الداعية بالترغيب في التبكير لصلاة الجمعة يتضمن دعوة لتعظيم يوم الجمعة، وحبها، والعناية به عناية تُقرب من الله، لا كما يحتفي الناس به اليوم للهو، والترهة، والإكثار من المعاصي، بل وللأسف إماتة ليلته بالمعاصي. وهنا يأتي دور الداعية للعناية بشأن ليلة الجمعة ويومها، فيبين للمدعويين فضل الجمعة، والاستعداد لها بالنوم مبكراً قبلها، وقراءة سورة الكهف في ليلتها أو نهارها.

- إن الدعوة للترغيب في إدراك فضل يوم الجمعة تُغيضُ أعداءنا اليهود، فإنهم يحسدوننا على هذا اليوم العظيم؛ لأنه يوم عيدنا، وتجمهرنا، وزيادة تعارفنا، وتوحدنا، وتألّفنا. وهم لا يريدون ذلك؛ لذا نسمع بين الفينة والأخرى إغلاق المسجد الأقصى، ومنع المصلين من الصلاة فيه يوم الجمعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هـ) الترغيب في الجهاد:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ففَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١)).

في الحديث ترغيبٌ في الجهاد في سبيل الله حيث بين النبي صلى الله عليه وسلم ما أعده الله للمجاهد في سبيل الله من الأجر، وأنه يرفع العبد بهذه العبادة مائة درجة في الجنة، وأن من قُتل شهيداً فله الجنة، وبين أن التفاوت ما بين الدرجة والأخرى تفاوتٌ عظيمٌ. أكده وشبهه

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٨٤، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة، ٣/ ١٥٠١.

بالتفاوت الذي بين السماء والأرض ولا يُظَنُّ مِنْ هذا أن درجات الجنة محصورة بهذا العدد، بل هي أكثر من ذلك، ولا يعلم حصرها وعددها إلا الله تعالى (١).

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يحرص الدعاة على بث الدعوة بالترغيب لاشتماله على الإثارة والتشويق للعمل الصالح.

- إن الترغيب متفاوتٌ في الأعمال الصالحة، فالجهاد له أجوره العظيمة؛ ولأنه عملٌ شاقٌّ، وبذلٌ لأغلى ما يملكه الإنسان كان أجره عظيماً كما هو واضحٌ في الحديث.

- إن الدعوة للترغيب في الجهاد دعوةٌ كريمةٌ يؤجر عليها المحرضون للقيام به، ولكنهم بحاجةٌ إلى استبصارٍ فيما يتعلق بها من أحكامٍ وفقهِ؛ لذلك يجب على الدعاة القيام بذلك عند ترغيبهم المدعوين للجهاد وبيان أحكامه.

- ينبغي للدعاة في هذا العصر أن يبينوا الفرق العظيم بين الجهاد في سبيل الله، وبين بعض صور الجهاد المزعومة في هذا العصر، المنفذة بصورةٍ إفساديةٍ إجراميةٍ تخريبيةٍ.

(و) الترغيب في قراءة القرآن وتعاهده بالتلاوة:

١- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَثْرَجَةِ (٢) رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ) (٣).

قال الطيبي -رحمه الله-: ((مَثَلُ النَّبِيِّ ﷺ الْمُؤْمِنِ التَّالِيَّ لِلْقُرْآنِ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ طَيِّبَةِ الرَّائِحَةِ وَالْمَذَاقِ، تَجْمَعُ بَيْنَ حَسَنِ اللَّوْنِ وَالْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ. وَالْمَقْصُودُ: عُلُوُّ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَجِيبِ لِلَّهِ تَعَالَى وَبَيَانِ فَضْلِهِ، فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَكَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ ثَابِتٌ طَيِّبٌ الْبَاطِنِ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَسْتَرِيحُ النَّاسُ بِصَوْتِهِ، وَيَثَابُونَ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ مِثْلَ الْأَثْرَجَةِ يَسْتَرِيحُ النَّاسُ بِرَائِحَتِهَا، وَالْأَثْرَجَةُ أَفْضَلُ مَا يَوْجَدُ مِنَ الثَّمَارِ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ وَأَجْدَى؛ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ جَامِعَةٍ لِلصِّفَاتِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهَا، وَالْخَوَاصِ الْمَوْجُودِ

(١) انظر: الديباج، السيوطي، ٤/ ٤٧٥.

(٢) الأثرجة: فمرة طيب ريحها طيب خراجها. الفائق، الزمخشري، ١/ ٣٦٥، وغريب الحديث، الخطابي، ٢/ ٣٦٦.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٤٢٧، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، ٩/ ٥٥٥.

فيها^(١). ولما لهذا الكتاب العزيز من هذه الفضائل التي لا تحصى، رغب النبي ﷺ الأمة في قراءته ومدارسته والإكثار من ذلك.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يكثرُوا في دعوتهم الناس لأخذ القرآن تعلُّماً، وتعلُّيمًا، وقراءةً، وحفظًا، ومدارسةً؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

- من الترغيب الذي يمارسه الداعية الناجح في دعوته، بيان أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وهذا يعني الشرف الذي لا يدانيه شرف، والمتزلة التي لا تبلغها منزلة.

- أهمية تعلق المدعويين بمعرفة نتائج العمل الصالح؛ لذا فإن الدعاة إلى الله يدعون مرغبين لهم في الازدياد من قراءة القرآن الكريم؛ لأنه يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتقِ فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأها، فيرغب المدعو في كثرة القراءة، طمعاً في الوصول لأعلى الدرجات في الجنة.

٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)^(٢).

(١) فمن ذلك:

كَبُرَ جَرْمُهَا.

حُسْنُ مَنَظَرِهَا.

طِيبُ مَطْعَمِهَا.

لَيْنُ مَلْمَسِهَا.

تأخذ الأَبصارُ صِبْغَةً ولوْناً، فاقعٌ لوْثها تُسرُّ الناظرين.

تنوق إليها النفس قبل التناول.

يفيد أكلها بعد الالتذاذ بذوائقها.

طيبُ نكهةٍ، ودبأغُ معدةٍ، وقوة هضم

اشتركت الحواس الأربع دون الاحتذاء بما: البصر، والذوق، والشم، واللمس. إضافة إلى ما تقدم فإنها في أجزائها تنقسم على طبائع، فقشرها حار يابس، ولحمها حار رطب، وحامضها بارد يابس، وبذرها حار مجفف، وفيها من المنافع ما هو مذكور في الكتب الطبية، وأية مرة تبلغ هذا المبلغ في كمال الحلقة وشمول المنفعة؟! الكاشف، الطبي، ح ٢١١٤، ٥ / ١٦٣٥-١٦٣٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٠٣١، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعمده، ٧٩ / ٧٩، وصحيح مسلم، ح ٧٨٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها،

باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيب آية كذا، ١ / ٥٤٣.

يرغب النبي ﷺ في تلاوة القرآن وتعاهده باستمرار مؤكداً ذلك بتمثيل مؤثر؛ فقد مثل صاحب القرآن بصاحب الإبل؛ فإنه يعقلها، ويحرص على وثاقها لئلا تذهب عنه، فيفقدوها، ويفقد خيرها ونفعها وبركتها، فكذلك ينبغي لحامل القرآن أن يتعاهده بالتلاوة، فيثبت بذلك محفوظه منه، وإلا نسيه وتفلت منه، فحسر بذلك خيراً عظيماً لا تعوضه كنوز الدنيا كلها.

قال عياض - رحمه الله -: ((فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه، ثم قال - رحمه الله -: ((شبهه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر؛ لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً. وفي تحصيلها بعد استمكانه نفورها صعوبة^(١))).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- تربية الداعية للمدعوين، وترغيبهم في الحرص على العناية الفائقة بالقرآن، تلاوة وحفظاً.
- من الترغيب في تعاهد القرآن الكريم، أن يدرك الدعاة ضرورة القيام بعمل برامج تُسهم في حفظ القرآن الكريم، وتثبيته.

- يدخل في العناية بالقرآن والأمر بها: اتخاذ مختلف الوسائل المعينة على ذلك والموصلة إليه، مثل: اتخاذ الحافظ أحماً يستمع لقراءته، والاستعانة بما هو متاح من وسائل الحفظ المساعدة، كالمسجلات الصوتية، أو الأقراص المدججة المشتملة على برامج القرآن الكريم التعليمية ونحو ذلك ما يساعد الحافظ على بقاء حفظه، وعدم تفلته.

(ز) الترغيب في اتباع الجنائز، والصلاة عليها، ودفنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ)^(٢).

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٩/ ٧٩ - ٨٠، وانظر: التمهيد، ابن عبد البر، ١٤/ ١٣١ - ١٣٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٧، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان، ١/ ١٠٨.

بين النبي ﷺ الأجر المترتب على صلاة الجنازة واتباعها ودفنها، وتأكيد الترغيب فيها بالحصول على قيراطين، وتمثيل كل قيراط بجبل أحد في المدينة النبوية وهو جبل عظيم وضخم، وفي هذا التمثيل دَفْعَةٌ قويةٌ للقيام بهذا العمل والحرص على عدم تفويته.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفِيقِهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يمارسَ الداعيةُ أسلوبَ الترغيبِ في دعوته لما ينتج عن الترغيب في بعض الأعمالِ الصالحةِ من صُورٍ جميلةٍ في ترابطِ المجتمعِ المسلمِ، ومواساةِ المسلمين بعضهم بعضاً في حالة وفاة أحدهم.

- ينبغي للدعاة في ترغيبهم الناس للصلاة على الجنازة، واتباعها، ودفنها أن يبينوا لهم بأسلوب ترغيبٍ ضرورةَ تنقيةِ هذا العملِ الصالحِ من المخالفات الشرعية فيه، وهذا من لوازم قوله ﷺ: (إيماناً واحتساباً).

- من المهم أن يستثمرَ الداعيةُ مثلَ هذه الظروفِ في توجيهِ القلوبِ لله، وتزهدِ الحاضرين في الدنيا، وبيانِ المالِ الذي سنؤول إليه، وهو هذه الحفرةُ التي يُتْرَكُ فيها المرءُ وحيداً فريداً رهينَ عمله، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، مراعيًا في ذلك الإيجاز.

ح) الترغيب في إتباع السيئة الحسنة:

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ^(١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيْقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً، فَأَنْفَكَتْ حَلْقَةً، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى، فَأَنْفَكَتْ حَلْقَةً أُخْرَى حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ) ^(٢).

إن فعل السيئات يكبل الإنسان، فيكون وكأن عليه درعاً ضيقة قد خنقته، فيصبح ضيق الصدر مكروب النفس، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ^(٣)؛ لذا رَغِبَ النبي ﷺ في الإكثار من فعل الحسنات لمحو السيئات.

(١) عقبة بن عامر بن عيس الجهني، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، وهو أحد الذين جمعوا القرآن، شهد الفتح، وشهد صفين، مات سنة ثمان وخمسين. الإصابة، ابن حجر، ٢/٤٨٢.

(٢) المسند، ح ١٧٣٠٧، وقال محققه: إسناده حسن، ٥٤٣/٢٨، حسنه الألباني في صحيح الجامع، الألباني، ح ٢١٨٨، ٢/٢٣٨-٢٣٩.

(٣) سورة طه: ١٢٤.

قال المناوي- رحمه الله-: ((يعني: أن عمل السيئات يُضيق صدرَ العاملِ ورزقه ويُحَيِّرُه في أمره... وَيُعْضُه عند الناس، فإذا عملَ الحسناتِ تُزِيلُ حَسَنَاتُه سَيِّئَاتِه، فإذا زَالَتْ انشَرَحَ صدرُه، وتَوَسَّعَ رزقُه، وسَهَّلَ أمرُه، وأحَبَّهُ الخلقُ))^(١).

ومَا يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِه دَعْوِيٌّ من الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن أسلوبَ الترغيبِ في الدعوةِ إلى الله يقوم ببعث الأملِ والرجاءِ عند العصاة ليعودوا إلى الله مستغفرين تائبين.

- أن يقومَ الداعيةُ الرحيمُ ببثِّ الرغبةِ في أن يتوقَّفَ المفرطون في السيئاتِ دون تنفيرٍ، مبيناً لهم أن الله وَعَدَّ وَعَدًّا صادقًا لا يتخلفُ أن يبدِّلَ السيئاتِ التي قارفوها إلى حسناتٍ، إن هم رجعوا إلى ربهم.

- من الترغيبِ الناجحِ في الدعوةِ إلى الله أن يقومَ الداعيةُ بمقارنةٍ بين السيئاتِ والحسناتِ، ويُبرزُ ضررَ السيئاتِ وشؤمَها على العبدِ، كما يُبرزُ نفعَ الحسناتِ وبركتَها على العبدِ.

(ط) الترغيب في سكنى المدينة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرُزُ^(٢) إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا)^(٣).

يوضح الحديث أن الحية تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبه النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه في زمنه عليه الصلاة والسلام للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهم، ومن بعد ذلك للصلاة في مسجده^(٤).

(١) فيض القدير، المناوي، ٢/ ٥٢٠.

(٢) ليأرز: أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها. النهاية، ابن الأثير، ١/ ٣٧.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ١٨٧٦، كتاب الحج، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، ٤/ ٩٣، صحيح مسلم، ح ١٤٧، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ١/ ١٣١.

(٤) انظر: المفهم، القرطبي، ١/ ٣٦٣-٣٦٤. كوثر المعاني، الشنقيطي، ١٤/ ٢٢٦.

٢ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمْرَتْ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ يَقُولُونَ يَشْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ) ^(١).

يوضح الحديث فضل المدينة، والترغيب في سكنائها، فقد شبه النبي ﷺ نفسي المدينة للأشرار بالكبير الذي ينفي حَبَثَ الحديد، ووجه الشبه: النفي والتطهير في كل منهما ^(٢).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٨٧١، كتاب الحج، باب فضل المدينة وأما تنفي الناس، ٨٧/٤، وصحيح مسلم، ح ١٣٨٢، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، ١٠٠٦/٢.

(٢) اختلفت أقوال العلماء في تفسير قول النبي ﷺ في المدينة: (أما تنفي حبثها وشرارها كما ينفي الكبير حَبَثَ الحديد)، على النحو التالي:

- قيل: الأظهر أن هذا مختص بزمن النبي ﷺ لأنه لم يكن يصير على الهجرة والمقام معه إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب فلا يصرون على شدة المدينة ولا يحتسبون الأجر

- وقيل أنه في زمن الدجال لقوله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: (لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكبير حَبَثَ الحديد) ورد أنها في زمن الدجال ترجف ثلاثة رجفات يخرج الله منها كل كافر ومنافق.

- وقيل: يحتمل أنه في أزمان متفرقة والله أعلم.

وقوله ﷺ صلى الله عليه وسلم أمرت بقرية تأكل القرى معناه أمرت بالهجرة إليها واستيطانها وذكرها في معنى أكلها القرى وجهين:

أحدهما: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر فممنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها.

والثاني: معناه أن أكلها وميراثها تكون من القرى المنتهجة وإليها تساق غنائمها. وقد يكون المعنى والله أعلم أن المدينة تأكل القرى: أي تهيمن عليها بنشر الإسلام، ودخول القرى في الإسلام، والانضواء تحت رايته. وفي الحديث فوائد كالتالي: كراهة تسمية المدينة بيبثرب، وأما تسميتها في القرآن يثرب فإنما هو حكاية عن قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وسبب كراهة تسميتها لفظ التثريب الذي هو التوبيخ والملامة.

من أسماء المدينة وطابة وطيبة وسميت بذلك لحسن لفظهما. فمن الطيب وهو الرائحة الحسنة، والطاب والطيب لغتان، وقيل من الطيب، وهو الطاهر؛ لخلوصها من الشرك وطهارتها، وقيل من طيب العيش بها، وأما المدينة ففيها قولان لأهل العربية

أحدهما: أنها مشتقة من دان إذا أطاع والدين والطاعة.

والثاني: أنها مشتقة من مُدُنٍ بالمكان إذا أقام به. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنَّا إِلَّا أَبَدَلَهُ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يُبْتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِبِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) صحيح مسلم، ح ١٣٦٣، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ، فيها بالبركة، ٩٩٢/٢.

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: ((معنى هذا عندي والله أعلم في حياته صلى الله عليه وسلم، وأما بعد وفاته، فقد خرج منها جماعة من أصحابه ولم تعوض المدينة بخير منهم)) التمهيد، ٢٨٠/٢٢، وقيل: المراد ((يخرج رغبة عن ثواب الساكن فيها، وأما من خرج لضرورة شدة زمان، أو فتنة، فليس ممن يخرج رغبة عنها. وقيل: والمراد به من كان مستوطنًا بها فرغب في استيطان غيرها، وأما من كان مستوطنًا غيرها فقدمها للقرية، ورجع إلى وطنه، أو كان مستوطنًا بها، فخرج مسافرًا لحاجة، فليس بخارج منها رغبة عنها، والإبدال: إما بقدم خير منه من غيرها أو مولود يولد فيها)). تنوير الحوالك، السيوطي، ٨٥/٣.

قال النووي-رحمه الله-: ((يَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنْ لَمْ يَخْلُصْ إِيمَانُهُ وَيَبْقَى فِيهَا مَنْ خَلَّصَ إِيمَانُهُ))^(١).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دَرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أن يمارس الداعية أسلوبَ الترغيبِ في بعض الأعمال بتجليلتها، وبيانها بياناً لا لبس فيه.
- إن من لوازم الترغيب في سكنى المدينة، أن يقوم الداعية بالترغيب في حسن الأدب فيها، وتوقيرها، واجتناب الإحداث فيها، حذرت منه بعض الأحاديث الأخرى.
- أن يرغب الداعية المدعويين في سكنى المدينة، تعظيماً لشأنها، وإبرازاً لمكانتها؛ ليرغبوا في سكنائها محتسبين أجرَ ذلك.
- من الترغيب الناجح في الدعوة إلى الله: أن يُبرَزَ الداعيةُ العلاقةَ الوطيدةَ بين الإيمان وبين المدينة، فهي تُحِبُّ أهلَ الإيمانِ وتحتويهم، وتُبغِضُ المنافقين والخبيثاء وتنفيهم، وهذه من أبرز فضائل السكنى فيها.

يتبين مما سبق أن لأسلوب الترغيب مزايا يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- يبعث في النفوس الهمم نحو ماينفعها في يوم الجزاء والحساب.
- يسهم أسلوب الترغيب في إبراز محاسن الدين ولطفه ويسره.
- يعتمد أسلوب الترغيب على عنصر التشويق والحض.
- يفسح أسلوب الترغيب لكل من فترت نفسه عن إتقان الأعمال الصالحة.
- يعنى الترغيب بتجسيد ثواب العمل الصالح ومضاعفته ليبادر المدعوون راغبين في نيل ذلك الثواب.

ثالثاً- أسلوب التهيب:

التهيب لغة: من الفعل رَهَبَ تَرْهَباً ومجرده: رَهَبَ رَهْبَةً وَرَهَباً. والرهبة والرهَبُ: مخافةٌ مع تَحَرُّزٍ واضطرابٍ. قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٩/١٥٣-١٥٦.

(٢) سورة الحشر: ١٣.

(٣) سورة البقرة: ٤٠. فارهبون: أي فحاقون، المفردات، الرغب الأصفهاني، ص: ٢١٠.

والمقصود بالترهيب: كُلُّ مَا يُخَيِّفُ الْمَدْعُوَّ، وَيُحْدِثُ فِي نَفْسِهِ وَجَلًّا وَاضْطِرَابًا فِي حَالِ عَدَمِ الاستجابة، أَوْ رَفْضِ الْحَقِّ، أَوْ عَدَمِ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ بَعْدَ قَبُولِهِ.

أهمية الترهيب:

أسلوبُ الترهيبِ يعالج النفسَ البشرية، وحبَّها للأمن والسلامة، وإيثارها البعدَ عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها. ويمكن عرضُ الدعوةِ إلى الله بهذا الأسلوبِ لجذب الناسِ حولَ الحقِّ خوفاً من العقاب، ومن فقدانِ السلامة والأمن.

وإذا كان العملُ على الرجاء أفضلَ منه على الخوف، فإن من الناس من لا يستجيب إلا إذا خُوفٌ وهُدًى؛ ولذلك نقول: إن خوف الله يبيِّن على العلم بالله ومعرفته، وأخوف الناس لربهم أعرفهم به؛ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: صَنَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَخَطَبَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشِيَّةً)^(١).

قال أبو حامد الغزالي^(٢) - رحمه الله -: ((الخوفُ سوطُ الله، يسوق به عبادهُ إلى المواظبة على العلم والعمل؛ لينالوا بهما رتبة القرب من الله... ولا قطع للشهوات بشيءٍ كالخوف، فهو النارُ المُحْرِقَةُ للشهوات))^(٣).

قال السعدي - رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَيُّيَ فَاَرَهَبُونَ﴾^(٤) -: ((أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهدِهِ، وهو الرهبةُ منه تعالى، وخشيته وحده، فإن مَنْ خشيته أو جبت له خشيته امتثال أمرِهِ واجتناب نهيهِ))^(٥).

والدعاة إلى الله اختارهم الله لمهمة هداية الناس، وقيادتهم للحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فيحثون الناس على العمل، والذكر، والأنس، والمحبة لله، فمن كان

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ج ٦١٠١، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ٥١٣/١٠.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، تلميذ علي يد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، درس في المدرسة النظامية ببغداد، وكان جامعاً أشنات العلوم، تاركاً للدنيا وراء ظهره، وأقبل على الله يعامله في سره وجهره، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمئة، توفي رحمه الله يوم الاثنين، رابع عشر، جمادى الآخرة، سنة خمس وخمسمائة. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢١٦/٤-٢١٨، طبقات الشافعية، السبكي، ١٩١/٦-٢٠١.

(٣) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥، ١٣٩/١.

(٤) سورة البقرة: ٤٠.

(٥) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٥٠.

كذلك، فهو على باب الرجاء، ومن لم يكن على باب الرجاء كان على باب الخوف،
وسيق بسوطه إلى القرب من الله^(١).

وسيظهر أسلوب الترهيب في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

(أ) الترهيب من النفاق:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (... وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ
الرَّيْحَانَةِ رِيحًا طَيِّبًا وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ
لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)^(٢).

يوضح الحديث منهج الموازنة بين الحق والباطل. وقد عرّضت الموازنة بتمثيل بديع.
وطرفا هذه الموازنة هما: المؤمن القارئ للقرآن، والمؤمن غير القارئ للقرآن، وقد تقدّم
الحديث عنهما.

وفي هذا الموضوع سأتناول الحديث عن طرف الموازنة الآخر، وهما: المنافق القارئ
للقرآن، والمنافق غير القارئ للقرآن، وما لكل واحد من الصفات التي تخصه، فقد مثل
هؤلاء المعرضين - بقلوبهم عن كتاب الله وألسنتهم تتلوه - بالريحانة التي من خاصيتها الرائحة
الشديدة الطيبة، ولكنها مرة الطعم، لا يطاق طعمها؛ لذلك فإن تلاوة المنافق لآيات الله
الكريمة طيبة الرائحة كالريحانة؛ لأنها كلام الله، ولكن التالي منافق خبيث امتلأ قلبه خبثاً
وحقداً على الإيمان وأهل الإيمان، ثم ختم الحديث بتمثيل آخر منفر من النفاق وأهله،
حيث شبه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة، جمعت بين مرارة الطعم، وفقدان الرائحة
الطيبة، فلا منفعة فيها ولا ارتياح لها، وكذلك المنافق لا ارتياح معه؛ لأنه يبطن ما لا
يظهر، ويلقاك بوجهه وينصرف عنك بآخر. الغدر طبعه، والخيانة قائده، والكذب ديدنه؛
لذا ورد ترهيب النبي صلى الله عليه وسلم منه ومن خصاله.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((شَبَّهَ مَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحَنْظَلَةِ وَالرَّيْحَانَةِ بِالْمُنَافِقِ تَوْقِيفاً عَلَى
ضَعْفِ شَأْنِ الْمُنَافِقِ وَقَلَّةِ جَدْوَاهِ... وَاَعْلَمَ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ وَالتَّمثِيلَ فِي الْحَقِيقَةِ وَصَفٌ

(١) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص: ٣٣٠.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٤٢٧، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، ٩/٥٥٥. وقد مضى أول الحديث في الحديث عن أسلوب الترغيب.

لموصوفٍ اشتمل على معنى معقولٍ صرفٍ لا يُبرِّزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- إن الترهيبَ المصحوبَ بتصويرِ الأمرِ المرهَّبِ منه بما هو معروفٌ عندَ المدعوِّ، يكون وقعُهُ في النفس أعمقَ.

- ضرورةُ أن يبينَ الدعاةُ خطورةَ التَّصْنَعِ، وإظهارَ الإنسانِ ما لا يخفي، ولا سيما في الطاعات، فإن مَنْ يشاهدُ تلكَ الأفعالَ يظنُّ أن صاحبَها مؤمنٌ، وهو ليس كذلك، وهذه يفعلها كثيرٌ من الباطنية، والسحرة والمشعوذين، وربما المروجين للمخدرات، والمحترفين لسرقةِ الأموالِ في أماكن العبادات، وأزمنتها ومواسمها الفضيلة؛ ليصرفوا الناسَ عن الارتياحِ فيهم، وفضحهم.

- أهمية أن يبثَّ الدعاةُ دعوتهم للترهيبِ ممن يتخذون الإسلامَ ستاراً ودثاراً ليصلوا إلى مآربهم، ولا سيما في الأماكن التي تكثر فيها خيراتُ المسلمين مما يُثيرُ طمعَ أعدائهم فيها، فيستترونَ بسترِ الدين، ويمارسونَ شعائرَ المسلمين حتى يصلوا إلى بغيتهم، ثم بعد ذلك يكشفونَ الأقنعةَ عن وجوههم. وأكثرُ من يقومُ بذلك في هذا الزمنِ أعداءُ المسلمين من مختلفِ الآفاق والاتجاهات، حيث يبعثون جواسيسهم لدولِ المسلمين بأسماءَ عربيةٍ مزيفةٍ، فيعرفون كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عن المسلمين، ويوثقونَ ذلك بالصوت والصورة.

(ب) الترهيب من مخالفة العمل للقول:

عن أسامة^(٢) قال: قال ﷺ: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)^(٣).

(١) الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٣٧.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، الحب ابن الحب، يكنى أبا محمد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ، وله عشرون سنة، أمره النبي ﷺ، على جيش عظيم، فمات النبي ﷺ، قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر، وكان عمره بجله ويكرمه، وفضلته في العطاء على ولده عبدالله، اعتزل الفتن بعد قتل عثمان رضي الله عنه، مات بالمدينة سنة أربع وخمسين. الإصابة، ابن حجر، ١ / ٤٦.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٢٦٧، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأهلها مخلوقة، ٦ / ٣٣١.

يوضح الحديثُ سوءَ المصيرِ لمن تُخالفُ أفعاله أقواله مما يدل على خطورة هذا الأمرِ، وعظيم شأنه، وقد أكد هذا الخطرَ القرآنُ الكريمُ، في مثلِ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾. وما أحوَجَ الدعاةَ إلى الله قبل غيرهم للاحتراس من هذه الخصلة التي تسوق صاحبها إلى النار! وما أبشعَ الصورةَ التي هو عليها في نار جهنم! وما أفظعَ تمثيله وتشبيهاه بالحمار!.

قال الطيبي- رحمه الله- في شرحه للحديث: ((يدور في أفتابه يعني يدور حول أفتابه ويضربها برجله. كطحن الحمارِ الدقيقَ بالرحى، والمشبّةُ مُركَّبٌ من أمورٍ متعددة... فالمشبّةُ في الدنيا الرجلُ يدورُ حولَ رحى الأمرِ بالمعروف، ويتعب فيه ويكُدُّ كالحمار، وليس له نصيبٌ مما يحصلُ منه إلا الكدَّ والتعبَ كالحمار نحو قوله: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾^(٢). وكذا في الآخرة يدورُ حولَ أفتابه التي شُبِّهَتْ بكلامه الذي خَرَجَ منه، فيدوسُها برحى رِجله، ويطحنُها كطحنِ الحمارِ الدقيقَ جزاءً بما كانوا يعملون))^(٣).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابق ما يلي:

- إن الترهيبَ من أي عملٍ دليلٌ على الدعوة لترك ذلك العملِ، خوفاً من نتائج المخزية؛ لذا يستخدمه الرسول ﷺ لتخويف مَنْ قَلَّ خوفُه من الله، وغَفَلَ عن العمل بحق الله تعالى.
- إن الداعية الناجحَ هو من يستخدم هذا الأسلوبَ في مكانه الملائم، فلا ترهيبَ لمن يناسبه الرجاءُ، وإنما الترهيبُ يُستعملُ في حق من يزيد الرجاءُ غَفْلَةً، وإيغالاً في المعاصي، فحينئذٍ يأتي الترهيبُ ليكون بمثابة أجراسِ إنذارٍ لحلول الشر والخطر بالمدعو.
- ضرورة أن يعمل الدعاةُ بمقتضى الترهيبِ الواردِ في الحديث، فهم أول من يَهْمُهُمْ مثلُ هذا الحديث؛ لأنهم يدعون الناس ويعظونهم، فياويجهم إن هم خالفوا ما يدعون إليه، أو ارتكبوا ما يحذرون منه.

(١) سورة الصف: ٢-٣.

(٢) سورة الجمعة: ٥.

(٣) الكاشف، الطيبي، ح ٥١٣٨، ١٠ / ٣٢٦١.

ج) التهيب من الكيد لأهل المدينة:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ)^(١).

يوضح الحديث أن من أراد أهل المدينة بسوء، فإن عاقبته أن يذوب كما يذوب الملح في الماء، وذلك بدخوله في النار، كما في الرواية الأخرى: (وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ أَوْ ذَوْبَ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ)^(٢). (ويحتمل أن يكون المراد: مَنْ أَرَادَهَا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِسُوءٍ، اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، ويُحتمل أن يكون المراد من أَرَادَهَا فِي الدُّنْيَا بِسُوءٍ أَنَّهُ لَا يُهْمَلُ بَلْ يَذْهَبُ سُلْطَانُهُ عَنِ الْقُرْبِ)^(٣).

ومما يستخلص من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- عناية أسلوب التهيب في الدعوة إلى الله ببيان الخطر والعقوبة التي تنزل بكل من تسول له نفسه الكيد بالمدينة، وأهلها.

- إن التهيب من كيد أهل المدينة يدفع الدعوة للتهيب من الإفساد فيها، بأي نوع من أنواع الإفساد، وقد ورد ما يؤكد هذا المعنى حيث قال ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(٤).

- ينبغي للدعاة إلى الله، ولا سيما من يسكنون المدينة؛ انطلاقاً من أسلوب التهيب أن يُعَنُوا في دعوتهم ببيان أنواع الإحداث الذي صاحبه في خطر، إن لم يتب منه، مثل: إشاعة الأكاذيب فيها، والغش والتدليس في البيع والشراء، وسوء التعامل مع زوارها، والخمر والتدخين ترويجاً وشرباً، ونشر الصور الخليعة عبر قنوات الفضاء المسمومة.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٨٧٧، كتاب الحج، باب إثم من كاد أهل المدينة، ٩٤ / ٤.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٣٦٣، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ، فيها بالبركة، ٩٩٣ / ٢.

(٣) كوثر المعاني، الشنقيطي، ٢٢٨ / ١٤، فتح الباري، ابن حجر، ٩٤ / ٤.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٣٠٦، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إثم من أوى مؤذناً، ٢٨١ / ١٣، صحيح مسلم، ح ١٣٦٦، كتاب الحج، باب فضل

المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ٩٩٤ / ٢.

د) الترهيب من مجالس الغفلة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ) ^(١).

يوضح الحديث الترهيب من الغفلة عن ذكر الله، فقد صَوَّرَ حالَ الجلوسِ في مجالسهم الخالية من ذكر الله كحال من تحلَّقوا على جيفة حمار، فما الذي سيشمه الجالسون على تلك الجيفة؟! وَمَنْ مِنَ الْعُقَلَاءِ يَرْتَضِي اشْتِمَامَ تِلْكَ الرَّائِحَةِ؟! أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ تَحْرِيكَ النُّفُوسِ فِي الْمَجَالِسِ لئَلَّا تَغْفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَكُونَ حَالُهُمْ كَحَالِ مَنْ جَلَسَ عَلَى جِيْفَةِ حِمَارٍ.

قال المناوي- رحمه الله- في شرح قوله ﷺ: (عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ): ((أَي مِثْلِهَا فِي النَّتَنِ، وَالْقَدَارَةِ، وَالبِشَاعَةِ؛ لِمَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ رِدْيِ الْكَلَامِ وَمَذْمُومِهِ شَرْعًا... فَإِذَا لَمْ يَحْتَمُوهُ بَمَا يُكْفِرُ لَعَطَهُ كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ وَمَا وَقَعَ فِيهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَدَامَةٌ لِأَزْمَةٍ لَهُمْ مِنْ سُوءِ آثَارِ كَلَامِهِمْ فِيهِ، وَلَأَجْلِ مَا فَرَطُوا فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى)) ^(٢).

وقد ورد هديُّ النبي ﷺ وتوجيهه الكريمُ فيما يُسنُّ أن يقال في ختام كلِّ مجلسٍ، قوله ﷺ: (مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكُتِرَ فِيهِ لَعَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ) ^(٣).

ومما يُسْتَنْخَلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- للداعية قدوة في أسلوب النبي ﷺ في الدعوة، ومن ذلك هذا الأسلوب الداعي إلى حفظ الأوقات، والحفاظ على ذكر الله وعلى الحرص على عمل الخير، ومن ذلك حفظ أوقات المجالس.

(١) سنن أبي داود، ح ٤٨٥٥، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، ٥/ ١٨٠-١٨١، وضححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٩٢.

(٢) فيض القدير، المناوي، ٥/ ٤٩٣، عون المعبود، محمد آبادي، ١٣/ ١٣٨. بتصرف يسير.

(٣) سنن الترمذي، ح ٣٤٣٣، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما يقول إذا قام من المجلس، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، ٥/ ٤٩٤،

وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٧٣٠، ٣/ ١٥٣.

- ينبغي للدعاة إلى الله الوقوف على مثل هذه الأحاديث، وتأملها، واستخلاصُ فقهِها الدَّعَوِيِّ، ودروسها المفيدة، ثم استثمارها في بثِّ دعوتهم؛ لأنَّ الناسَ اليومَ يكثرون الجلساتِ، ويرتّبون لها بشكلٍ دوريٍّ، طوَالَ السَّنَةِ، بل هي عندَ البعضِ بشكلٍ يوميٍّ، فيأتي أسلوبُ الترهيبِ عن الخوضِ في تلكِ المجالسِ، وما يدارُ فيها من حديثٍ؛ لينتبه الغافلون، فيستثمرون مجالسَهُم فيما هو نافعٌ في دينهم ودنياهم.

- أهميةُ الإفادَةِ من أسلوبِ الترهيبِ باستخدامه لتخويفِ الناسِ من المعاصي بكلِّ صورِها، فإذا أرادَ الداعيةُ دعوةَ الناسِ لاجتنابِ شُرْبِ الخمرِ عَرَضَهَا بتصويرِها صورةً مُفَرَّغَةً في مثلِ قوله: أيها الناسُ من يقبلُ أن يبيعَ عقله؟ من يرضى أن يوصفَ بقلّةِ العقل؟ من يجب استخفافُ الناسِ به؟ من يطيبُ له المشيُّ وهو يتعثّرُ ويسقطُ؟! والأجوبةُ المنطقيةُ لهذه الأسئلةِ: لا يقبل... لا يرضى... لا يجب أحدٌ ذلك؟ فإذا ماقرّره على ذلك الأمرِ الذي ينفّرُ منه كلُّ أحدٍ سَوِيٍّ رَبَطَ ذلكَ بالدعوةِ لتركِ الخمرِ واجتنابِ شُرْبِها؛ لأنها تُعْطِي عقلَ شارِبِها، فلا يُمَيِّزُ بينَ الصَّوابِ والخطأ.

- إن الترهيبَ من الغفلةِ إنقاذٌ للمرءِ وإيقاظُهُ لِيَذْكُرَ رَبَّهُ ومولاه، فيستنيرَ قلبه وينشرحَ صدره، ويتعلّقَ المرءُ بربه؛ لذا ينبغي أن يمارسه الداعيةُ في دعوته إذا تطلبه الموقف.

- أن يعتني الداعيةُ بذكرِ قصصِ مرهبةٍ من الغفلةِ، مع ذكرِ نتائجِ وخاتمةِ تلكِ الغفلةِ، وهي: إما موتٌ مُفَزِعٌ، أو حياةٌ بائسةٌ، أو سِجْنٌ مخزٍ. واستثمارُ مثلِ هذه القصصِ المرهبةِ من النهاياتِ التعيسةِ.

رابعاً - أسلوبُ الجدلِ:

تتعدد جوانبُ التأثيرِ في النفسِ الإنسانيةِ ومن أهمها: الناحيةُ الفكريةُ التي يُعْتَبَرُ العقلُ مركزَ التأثيرِ فيها؛ لذا عُنيَتِ الدعوةُ بالأساليبِ المؤثرةِ في العقلِ ومن أبرزها: أسلوبُ الجدلِ المحمودِ القائمِ على استثمارِ العقلِ، وتنشيطه، وإيقافه أمامَ الحقائقِ المُجَرَّدَةِ بعد معاناةٍ يكون طرفاً فيها، وذلكَ أحرى للإقناعِ، وأثبت في الذهنِ، وخاصةً مع موفوري الحججِ أو من لديهم علمٌ سابقٌ، ولم يوفّقوا لمعرفةِ الحقِ، فاحتاجوا إلى تبصيرهم بطريقةٍ تليقُ بمكانتهم الفكريةِ، فمثلاً هؤلاء لا يقبلون ما يُملَى عليهم دون تحييصٍ وتدقيقٍ،

فناسب أسلوب الجدل لدعوتهم وإقناعهم بهدوءٍ، فالحاجة إلى الجدل المشروع غايته وضع الحق في نصابه، وإقامة الحججة^(١).

والجدل لغة: مشتق من جدلتُ الحبلَ أي: أحكمتُ فتلَّهُ، إذا لففتُ بَعْضَهُ على بعض^(٢).

الجدل اصطلاحاً: إبطالُ قولِ الخصمِ بما يدلُّ على بطلانِهِ، وإثباتُ الحقِّ بالدليل^(٣).

مشروعيته: قوله تعالى: ﴿ وَجَدَلْهُمْ بِلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٤). فالجدلُ مقيدٌ بالتي هي

أحسنُ في الدعوة إلى الله^(٥). والجدلُ في أصله: الاحتجاجُ لتصويب رأيٍ وردَّ ما يخالفه،

فهو حوارٌ وتبادلٌ للنظر في الأدلة، ومناقشتها بالتي هي أحسن، وتبادلٌ لوجهات النظر^(٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: في شأن من لا يعترف بالحق: ((فهذا يجادل

بالتي هي أحسن؛ لأن الجدل فيه مظنة الإغصاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت

منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل))^(٧). وقد يحتاج الداعية للمجادلة في حق من يعرض

عن الخير وعنده محاجة في ذلك لتندحض حجته وتبطل طريقته^(٨). يظهر هذا الأسلوب

في دعوة النبي ﷺ في أحاديث الأمثال من الحديث التالي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه: (فَقَامَ رَجُلٌ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْهَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ

كَتُّ اللَّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ! قَالَ: وَيَلْكَ!

أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟! قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ. قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه: يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ

يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَمْ أُوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ

وَلَا أَشَقُّ بَطُونَهُمْ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُتَفٍّ فَقَالَ إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ

(١) ينظر: أهمية الدعوة إلى الله، غازي المطيري، ص: ٧١.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص: ٩٧، لسان العرب، ابن منظور، ١١/١٠٣ - ١٠٥.

(٣) انظر: الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، منشورات الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥م، ٢/١٧٢.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

(٥) انظر: الأساليب الدعوية في سورة الكهف، سعد علي الأسمري، ص: ٢٥.

(٦) انظر: مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٧هـ، ص: ١٢ - ١٤.

(٧) مجموع الفتاوى، ٢/٤٥.

(٨) انظر: رسالة في الدعوة إلى الله، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، ص: ١٢.

كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ وَأَظْنُهُ قَالِ لَيْنِ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهَمْ قَتْلَ ثَمُودَ^(١). وفي رواية: (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ أَيَأْمُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي)، وفي رواية: (وَاللَّهِ لَا تَجِدُونَ بَعْدِي أَعْدَلَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، وفي رواية: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ). (يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ)، وفي رواية: (فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ)^(٢)، وفي رواية: (فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اْعْدِلْ فَوَاللَّهِ مَا عَدَلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ)، وفي رواية: (فَقَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عَدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ).

جادل النبي ﷺ هذا المدعي الآثم بالحجة الواضحة إقراراً للحق الذي لا مريّة فيه: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَيْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً). وقوله ﷺ: (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ)، وقوله ﷺ: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ). وقوله ﷺ: (وَيْلَكَ! أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟!)، وبهذه الطريقة الرائعة في الحوار والجدال تستبين الأمور وتتجلى الحقيقة وهذا هو المراد. والنبي ﷺ لم يتعامل مع الموقف بهيجان، وثوران، وضراخ، وسباب، وشتام لأن هذا ليس شأن الأقوياء أهل الحق الواثقين به، وإنما يلجأ إلى ذلك الضعاف الذين لا حجة لهم.

لم يغضب النبي ﷺ، بل قام بجدال الرجل بطريقة سهلة واضحة وقال له: (وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ)، فالتأمل لأسلوب النبي ﷺ في المجادلة يجده غاية في اللطف والرفق والرحمة؛ لأنه ﷺ بعث رحمة للعالمين وكان يقول ﷺ: (بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا)^(٣)، بدأ النبي ﷺ بجدال الرجل بالأمور المسلم بها، وهو كونه أحق أهل الأرض بتقوى الله وطاعته والعدل بين الناس، وكونه ﷺ أكثرهم تعبدًا لله تعالى، فمن ذلك قيامه الليل وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول ﷺ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)^(٤)، فردّ عليه النبي ﷺ بأسلوب تعجب، واستفهام إنكاري؛ ليطالبه بدليله على ذلك، كما يتبين سرعة ردّ النبي ﷺ لما ألقاه

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥١، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد-رضي الله عنهما- إلى اليمن، ٧/ ٦٦٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج، ٢/ ٧٤١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٩، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/ ١٦٣.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١١٣٠، كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ الليل حتى تورم قدماه، ٣/ ١٤.

هذا الرجل من شبهة على مشهد من الصحابة رضوان الله عليهم متلقياً إياه برد هذه الشبهة والشبهة الأخرى حال ظهورها.

إن النبي ﷺ يرسم للدعاة منهجاً سديداً رشيداً في الأخذ والرد، والجدال بالحسنى، وإقناع الخصم بالحجة المقبولة، فهما هو يعلم حال هذا الرجل من الضلال والانحراف عن منهج الحق والعدل، ومع ذلك يعرض عليه الحجة، ويناقشه بالدليل والعرض اللطيف (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟). (أولست أحمق أهل الأرض أن يتقي الله؟) وهو حوار، واستفهاماً تقريرياً يجعل الطرف الآخر في الجدل يستسلم؛ إذ هو يشتمل على حجة متبوعة بحجة أخرى، والجواب عن هذا السؤال: أنه إذا لم يعدل الله، ورسوله، فلا أحد سيعدل. وفي هذا دحض لما يقوله الخصم، وحجة عليه.

وما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- إن الدعاة ينبغي لهم أن يمارسوا هذا المنهج النبوي الكريم بالأدب المصحوب بإقامة الحجة القاطعة، وأن لا يتغافلوا عنه؛ لأنه منهج قوي رشيد يفسح الطريق للمدعويين لقبول الحق دون حاجة إلى تسفيه الخصم أو الخط من كرامته وخدمتها، وإنما جدال حسن مرضي منطلق من قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١). ولا يخفى تعميم دلالة كلمة (للناس)، فإنها تعم جميع الناس، برهم، وفاجرهم، مؤمنهم، ويهوديهم، ونصرانيهم، وغيرهم.

- إن الجدل أسلوب دعوي يهدف للوصول إلى الحقيقة، وتحقيق مبدأ التعاون على البر والتقوى والتناصح المطلوب بين المسلمين؛ لأنه من أساليب الدعوة التي تقوم على نصرة الحق ورد الباطل بالحجة، بهدف الوصول إلى الحقيقة.

- من تطبيقات أسلوب الجدل المشروع فتح الدعوة أبوابه وقنواته مع الآخر مهما كان وضعه؛ لأن الصحوة الإسلامية اليوم بحاجة ملحة إلى أن يوجد بين جماعاتها حوارات ومجادلات هادفة بناءً لكي تستقيم على الوجهة الشرعية الصحيحة. لا جدالات تُنهك الجسم المسلم وتمزق الشمل.

(١) سورة البقرة: ٨٣.

- إنه لما غاب أسلوب الحوار والجدل المشروع ظهرت في العمل الإسلامي أكثر من هوة، وأكثر من شرخ أضغقت من صلابته وتماسكه من جهة، ومن سلامته وصفائه من جهة أخرى^(١).

- إنَّ الجدلَ والمناظرةَ والحوارَ أساليبٌ دعويةٌ تُعدُّ نعمةً على الدعاة، ينبغي توظيفها فيما هو نافع، ويعود بالخير عليهم؛ لذا فإنه يلزمهم أن يفرِّقوا بين الجدلِ بالحسنى؛ لإحقاق الحق، ونصرتِه، وردِّ الباطلِ بالحجة، وبين المماراة.

وقد أكد السلفُ الصالحُ وجوبَ اجتناب المماراة في مثل هذه الحالات؛ لأنها تُفسدُ الجدل بسبب سيطرة الأهواء عليها، والرغبة في حبِّ الظهور، والغلبة ليس للحق بل انتصاراً للنفس، وخاصة أمام الناس، وهو ما يَمَحِّقُ الجدلَ وينقلُه إلى جدلٍ بالباطل^(٢).

قال بكر أبو زيد بصدد التفريق بين الجدل والمماراة: ((أما المماراة فإنها نقمة، فالأولى فيها إظهارُ الحقِّ على الباطلِ، والراجح على المرجوح، فهي مبنيةٌ على المناصحة والحلم ونشرِ العلم، أما المماراة في المحاورات والمناظرات فإنها تَحَجُّجُ ورياءً، ولَعَطُ وكبرياء، ومغالبة ومراءً، واختيالٌ وشحناء، ومجاراةٌ للسفهاء، فاحذرُها، واحذرْ فاعلها تَسَلِّمَ من المآثم، وهتكِ المحارم))^(٣).

- ليس الجدلُ في الدعوة إلى الله هدفٌ بذاته يسعى الدعاة من ورائه لمجرد الغلبة على الطرف الآخر، وإنما هو انتصارٌ للحقِّ ورغبةٌ في علوه. وإنَّ الرغبة في حبِّ الظهور، يفسدُ الغاية النبيلة من الجدل بالحسنى، فيكون الوقت فيه هدراً، ومضيعة لا نفع فيه ولا فائدة.

- مما يُنَجِّحُ الدعاة في استعمال أسلوبِ الجدلِ المشروع أن يرسموا مخططاً لسير الجدلِ، وأن يحددوا مواطنَ الاتفاقِ والاختلافِ مع الطرف الآخر، وما يُمكنُ تقرُّبه منها وما لا

(١) انظر: الحوار، الصَّوَيَان، ص: ٢٨-٣٨.

(٢) انظر: الحوار والمناظرة والجدال في مجال الدعوة إلى الإسلام، إبراهيم بن صالح اللحيدان، إدارة الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام. الكتاب السنوي لكلية الدعوة، العدد الأول ١٤١٣هـ، ص: ١٨٣، انظر: جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، تقدم عبدالكريم الخطيب، مصر، دار الكتب الإسلامية، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص: ٤١١.

(٣) حلية طالب العلم، الرياض، دار الراية، ١٤٠٩هـ، ص: ٤٩.

يمكن، وأن يسعوا جادّين إلى تقرير الخصم على الحق بلطفٍ، فإذا أقر به، دُعِيَ إلى الأخذ به لزاماً، فيبادر بإذن الله إلى الرضا وقبول الدعوة.

- أهمية إدراك الداعية لمنهجية الجدل المشروع لِيَسْتَعْمِلَهُ في الدعوة إلى الله، فيحيط بضوابطه، وآدابه، وغاياته. وما أن الدعاة إلى الله قد يتعرضون إلى مواقف تُلجئهم إلى الجدل والمحاورة مع المدعويين، فإن من المهم معرفة منهج الجدل؛ بيد أنه ليس من السهولة استعمال الجدل إلا وفق ضوابط عامة، أذكرُ أبرزها على النحو الآتي:

١- إن للجدال منهجية ينبغي للداعية مراعاتها، وأن يكون على دراية تامة بأصولها، وأن يعرف كيف يلج في الموضوع، وكيف يخرج منه، وأن يعتني بالتأسي بالنبي ﷺ في هذه المنهجية.

٢- أن يقوم الداعية بتحديد الأهداف، وذلك بتوحيد موضوع الحوار، والبعد عن تشعبه، رغبة في عدم تبديد الجهود، وضياح الوقت، دون توصل لنتائج حول الموضوع الأساس في الجدل.

٣- اجتناب الأحكام الظنيّة، والعمد إلى تهويل أفكار المخالفين، ولمزهم بالفسق والبدعة والكفر ونحو ذلك، وحرص على أن تكون الأحكام قطعية، فإن الإسراع والخوض في تبديع الآخرين وتكفيرهم دليل على التعصّب والعلوّ. قال القاسمي^(١) - رحمه الله -: ((غريب أمر المتعصبين، والغلاة الجافين، تراهم سراعاً إلى التكفير والتضليل، والتفسيق، والتبديع، وإن كان عند التحقيق لا أثر لشيء من ذلك إلا ما دعى إليه الحسد، أو حمل عليه الجمود وضعف العلم))^(٢).

خامساً - أسلوب الرفق:

إن مما تتميز به الدعوة النبوية الكريمة: الرفق، وهو أسلوب سرى في عامة مواقفه عليه الصلاة والسلام، وامتن عليه ربه بذلك، فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ

(١) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي الحلاق، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ، ونشأ، وتعلم بها، رحل إلى مصر، وزار المدينة، وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف، وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية، والأدب إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٣٣٢هـ. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ١٥٧/٣-١٥٨.

(٢) الجرح والتعديل، جمال الدين القاسمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص: ٣٧.

كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ .

والمراد بأسلوب الرفق في الدعوة إلى الله: هو أن يمارس الداعية دعوته بأفعالٍ، وأقوالٍ
رفيعة نقية من الغلظة والشدّة.

ومن أحاديث الأمثال التي تؤكد تعامل النبي ﷺ بهذا الأسلوب المبارك ما ورد في الحديث
التالي:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُحْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ
تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ) (٢).

يوضح الحديث أسلوب دعوة النبي ﷺ فيما يتعلق بشأن الرفق مبيّناً حب الله عز وجل
للرفق؛ لذلك فإنه سبحانه يحب أن يرفق العبد بنفسه، فيأخذ بما فيه رخصة، وفي الوقت
ذاته يكره أن يقترف العبد معصية.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقِهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن الرفق صفة ربانية، وأسلوب يحبه الله تعالى، ويدعو إليه، يدل على هذا قوله ﷺ: (يَا
عَائِشَةُ. إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي
عَلَى مَا سِوَاهُ) (٣).

- إن أسلوب الرفق من أبرز ما ينبغي ويجب أن يمارسه الدعاة إلى الله، لقوة أثره في
المدعويين، وقد كان ﷺ يمارسه مع أصحابه ومن حوله؛ فَكَسَبَ قُلُوبَهُمْ، وَحَبَّبَهُمْ لَهُ،
يدل على ذلك ما ورد عن مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤) قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) المسند، ح ٥٨٦٦، ٥٨٧٣، وقال محققه: حديث صحيح، ١٠٧/١٠، وأخرجه ابن حبان، ح ٣٥٦٨، ٣٣٣/٨، ولفظه: (كما يحب أن تؤتى عزائمه)، السنن الكبرى،
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ، ١٤٠/٣، مجمع الزوائد، الهيثمي، ١٦٢/٣، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتحة)، ح ٦٩٢٧، كتاب استنابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي، ٢٨٠/١٢، صحيح مسلم، ح ٢٥٩٣، كتاب السير
والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٤. واللفظ لمسلم.

(٤) مالك بن الحويرث الليثي: هو مالك بن الحارث، فلقب الحويرث بالتصغير. الإصابة، ابن حجر، ٣٢٢/٣.

مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكَنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ)^(١).

- من العناية بأسلوب الرفق أن يفقه الدعوة حقيقتها، ومدى أهميته في الدعوة إلى الله؛ لأن وجوده في الدعوة يزينها ويقويها، وفقدانه يقبحها ويضعفها، كما يتضح من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ مرفوعًا: (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)^(٢).

- إن مما يدل على ضرورة أن يتحلّى الداعية بالرفق في دعوته، تعظيم النبي ﷺ لشأنه، لكي يعمل أصحابه ومن بعدهم وخاصة الدعوة إلى الله، فهم أولى الناس بالرفق في سائر شؤونهم، وقد تأكد هذا بحديث جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَنْ يُحْرَمَ الرَّفْقَ يُحْرَمَ الْخَيْرِ)^(٣).

- إن من تطبيق الرفق في الدعوة إلى الله أن يمارسه الدعاة ممارسةً فعليةً مع المدعويين، فلا تعسير، ولا تنفير، بل تيسير وتبشير، ولا تشديد في غير مكانه، بل لين وتخفيف على المدعويين للأخذ بما رخص الله لهم الأخذ به، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، أو بما يجلب عليهم حرجاً وعتناً ومشقةً.

وهنا سر نجاح الدعوة بهذا المنهج المبارك الذي يقوم على الاندماج بالمدعو والتغلغل داخل نفسه وأسرها، والاستحواذ على شغاف القلب ليسهل بعد ذلك كل ما يريده الداعي من المدعو. وحرّي، والله، بأهل الدعوة أن يكونوا رفقاء في دعوتهم، ليحجوا الثمرات الكثيرة التي لا يمكن تحقيقها بغير الرفق.

سادساً - أسلوب التوكيد:

المراد بأسلوب التوكيد في الدعوة إلى الله: تأكيد الخطاب الدعوي، بما يُثبت به لبيان فضل الأمر المدعو إليه، ويزيل الريب والشك حوله عند بعض المدعويين، فيقوم الداعية بدفع ذلك بأنواع من المؤكّدات اللفظية والمعنوية.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٦٠٠٨، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٧/١٠.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٥٩٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٢٠٠٤/٤.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٥٩٢، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٢٠٠٣/٤.

وسيظهر من أحاديث الأمثال استعمال بعض تلك المؤكدات فيما يلي:

(أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْثُهُ لَوْ نُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ) ^(١).

يظهر أسلوب التأكيد اللفظي قسماً وتكراراً في الحديث السابق، لتثبيت عدد من الأمور وهي:

- تأكيد فضل المجاهد في سبيل الله وثوابه يوم القيامة.

- تأكيد فضل الخروج للجهاد.

- تأكيد فضل القتل في سبيل الله.

والمقام هنا: مقام تأكيد الفضل للجهاد في سبيل الله لكي يُقَدِّمَ عليه المؤمنُ برغبة واحتسابٍ لما يعقبه من الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة. فالغاية من هذا القسم المكرر الربطُ على القلوب، والإسهام في تثبيتها، وطمأننتها دون أن يكون في تلك النفوس المؤمنة أدنى ريب فيما يُخبرهم به نبيهم، وما يدعوهم إليه.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفَقِهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إنَّ تفعيل أسلوب التأكيد في الدعوة إلى الله، يبرز من خلال استخدام الداعية القسم لهدف تثبيت الدعوة، وبيان فضلها.

- إن استعمال ألفاظ التأكيد في الدعوة إلى الله لاسيما بالقسم يحتاجه الدعاة أحياناً، ولكن لا ينبغي الإكثار منه إلا بقدر الحاجة.

- إن تأكيد الدعوة بتكرار الألفاظ أو القسم يَمُنَحُ المدعوَ ثَقَّةً وارتياحاً نفسياً تجاه موضوع الدعوة؛ لأن الناس غالباً لا يُقَسِّمُونَ إلا وهم صادقون، ومعظمون لما يُقَسِّمُونَ عليه.

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٧٦، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ٣/ ١٤٩٥.

- إن الداعية يستعمل التأكيد بالقسم أحياناً لِيُبرِّئَ سَاحَتَهُ وَيُبرِّهِنَ عَلَى شَفَقَتِهِ بِالْمَدْعُوِينَ، أَوْ لِيُبرِّرَ لِفِعْلٍ وَسُلُوكٍ فَعَلَهُ، أَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ لئَلَّا يَظُنُّ بِهِ الْمَدْعُوُونَ الظُّنُونَ وَهُوَ فِي غِنَى عَنِ ذَلِكَ لَتَنْجَحَ دَعْوَتُهُ.

(ب) عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْحَيْشَ بَعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَّجَاءَ النَّجَاءَ...)(^١).

شبه النبي صلى الله عليه وسلم حاله في إنذاره لقومه بحال رجل جاء إلى قومه عند غفلتهم محذراً لهم من جيش قريب منهم يقصد الإحاطة بهم، وإهلاكهم عن بكرة أبيهم (^٢).

وردت في هذا الحديث عدّة مؤكّدات أسوقها على النحو التالي:

١- قوله: (إِنِّي رَأَيْتُ الْحَيْشَ بَعَيْنِي)، ويدل هذا على: أن خبر العدو لم ينقله إليه أحد، ولم يسمعه سماعاً بل رآه رؤياً العين.

٢- قوله: (وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ)، هذا مثل تناقلته العرب يقولونه تأكيداً على صدق الحديث.

٣- تكرار كلمة: (فَالْتَّجَاءَ النَّجَاءَ)، وهو أسلوب من التوكيد اللفظي لملازمة النجاء، والسعي الحثيث للنجاة من الأمر الذي يحذّرهم منه نبيهم عليه الصلاة والسلام.

٤- التأكيد بحرف التوكيد: (إِنَّ) في أول الحديث، ووسطه، وآخره.

والنبي صلى الله عليه وسلم حينما يقدّم دعوته المباركة لقومه مراعيّاً المقام الذي هم فيه من حيث قوة الإعراض والصد عن دعوته، إنما ينطلق من الرحمة التي اتصف بها وتلازمه ملازمة الظل لصاحبه يؤكّد للمدعوين صدق حديثه خوفاً عليهم، فإن في مخالفة أمره وعصيانه الهلاك، وفي اتباع ما جاء به النجاة.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٨٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٣/٢٦٤، وصحيح مسلم، ح ٢٢٨٣، كتاب

الفضائل، باب شفقتهم صلى الله عليه وسلم على أمته، ومبالغة في تحذيرهم مما يضرهم، ٤/١٧٨٨-١٧٨٩.

(٢) انظر: فيض القدير، ٥/١٢٤.

كما أنه عليه الصلاة والسلام أبرز الخطر المحقق بهم عن طريق المبالغة في إنذارهم، وذلك بصعود مكان مرتفع، وخلع ثيابه، ورفع صوته، ليصل الإنذار إليهم وأخذ الحيطنة الكاملة من العدو، وإعداد العدة قبل أن يباغتهم، فيهلكهم.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((في قول الرجل: أنا النذيرُ العريانُ.. إلخ أنواعٌ من التأكيد: أحدها - (بعيني)؛ لأن الرؤية تكون بها. ثانيها - قوله: (وأنا). وثالثها - (العريان)؛ فإنه دلٌّ على بلوغ النهاية في قرب العدو، وفي ذلك: تنبيهٌ على أنه الذي يختص في إنذاره بالصدق، والذي لا شبهة فيه. وهو الذي يحرص جدًّا على خلاص قومه من الهلاك))^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- نلمحُ من المؤكِّداتِ المتعاقبةِ في الحديث السابق عمقَ إيمانِ الداعيةِ بما يدعو إليه، و يقينه الراسخَ بأحقيته، واعتناقه، وتبنيه.

- إن عنايةَ الداعيةِ بتأكيدِ دعوتِهِ بعدةِ مؤكِّداتٍ دليلٌ على شدةِ حرصِهِ على هدايةِ الناسِ. - إن تنوعَ، واختلافَ المؤكِّداتِ في خطابِ الداعي يتضمَّنُ دلالاتٍ قويةً على خطورةِ الموضوعِ وأهميته، وضرورةِ الانقيادِ له، والإيمانِ به.

- ضرورةُ استثمارِ الدعاةِ لهذا الأسلوبِ في الدعوةِ إلى الله عند الحاجةِ إليه تأسياً بالنبي ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعنى بهذا التأكيد اللفظي والتكرار في الكلام لتثبيته وترسيخه في مثل قوله: (ألا وقولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ ألا وقولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ، فما زالَ يقولُها حتى قلتُ: لا يسكتُ)^(٢) مؤكِّداً خطورتها.

سابعاً - أسلوب التحذير:

التحذير لغة: مصدر من الفعل: حذَرَ ومجرده حذِرَ ومصدره الحِذْرُ والحِذْرُ: الخيفة. ورجل حذِرٌ وحذِرٌ: متيقظ شديد الحذرِ والفرع^(٣).

(١) الكاشف، الطيبي، ٦١٢/٢-٦١٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٩٧٦، كتاب الأدب، باب عقوب الوالدين من الكياف، ٤٠٥/١٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة: حذر، ١٧٥/٤.

والمراد بالتحذير في الدعوة إلى الله: تخويفُ الداعيةِ لمدعويه من مآلِ ومصيرِ المخالفين لأوامرِ الله تعالى وأوامرِ رسوله ﷺ، ومن كُلِّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ يُوْدِي إِلَى ذَلِكَ الْمَصِيرِ التَّعْيِيسِ. وسأورد من أحاديث الأمثال ما يؤكدُ ورودَ التحذيرِ في دعوة النبي ﷺ على النحو الآتي:

(أ) التحذير من الإحداث في الدين:

إن اتباع الهوى والإحداث في دين الله من أخطر الأسباب المؤدية للهلاك؛ وذلك أن صاحب البدعة يعتقد أنه على الحق، وأنَّ غيرَه على الباطل، فلا يزالُ متشبَّثاً بأمرِ بدعته؛ لذلك حذَّرَ النبي ﷺ من هذا الخطر العظيم كما سيتضح من الحديث التالي:

عن أمِّ سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أَنَّهُا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا)^(١).

يوضح الحديث تحذير النبي ﷺ من الأمور التي تمنع الورود على حوضه الشريف، بسبب الابتداع في الدين، مؤكداً ذلك المنع بتشبيهه ذبِ المبتدعين عن الحوض كذبِّ الراعي عن حوضه الإبل الغريبة، ليحفظ الماء لإبله.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية استخدامِ الدعاةِ لأسلوبِ التحذيرِ من الأمور المؤكِّدِ خطَرُهَا، والمحقِّقِ شَرُّهَا على دين المسلم، وعقيدته.
- إنَّ التحذيرَ يُحدِّثُ فَرَعًا فِي النَفْسِ الْمُتَجَرِّدَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والمنقادةِ لأمرِ الله المبین، ويوجدُ قلقًا من الأعمالِ المخالفةِ لما شرَّعه الله عز وجل، ورسوله ﷺ.
- من ممارسةِ أسلوبِ التحذيرِ الفَعَّالِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، التحذيرِ مِنْ مَخَالَطَةِ أَهْلِ الْبَدْعِ لئلا يصيبه مِنْ فِتْنَتِهِمْ شَيْءٌ.

(١) صحيح مسلم، ح ٢٢٩٥، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، ٤/ ١٧٩٥.

ب) التحذير من الوقوع في حدود الله:

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنْفِي^(١) الصِّرَاطِ زُورَانِ^(٢) لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنْفِي الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ، فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ. وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ^(٣)).

يوضح الحديث التحذير من الوقوع في حدود الله ومحارمه التي يسهل على الناس اقتحامها لكثرة مغرياتها، وسرعة الوصول إليها؛ لذا فإن الله أنزل كتابه، وأرسل رسوله لبيان تلك المحرمات والتحذير من الوقوع فيها، فمن التزم بهديهما وصل إلى دار السلام والرضوان، ومن انتهكها خسر تلك الجنان.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((الصراط: الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم... وإنما ضرب المثل بذلك زيادةً في التوضيح والتقريب؛ ليصير المعقول محسوساً والمتخيل متحققاً، فإن التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعنى المُمثِّل، ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد^(٤)).

صور النبي ﷺ تلك المعاني في صورٍ مُشَوِّقَةٍ، ومَثَلٍ بَلِيغٍ جَذَابٍ، وبعد الإجمال لتلك الصور التي يرتبط بعضها ببعض، صرَّح ﷺ بالمعاني المقصودة من التمثيل، وكشَفَ مرامها^(٥).

(١) الكنف: هو الجانب والناحية، النهاية، ابن الأثير، مادة: كنف، ٢٠٥/٤.

(٢) زوران: مثنى زور، أي: جداران، وفي رواية للحديث من طريق ابن مسعود رضي الله عنه (سوران) وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرک، ٣١٨/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قال. انتهى: من هامش جامع الأصول، ابن الأثير، ح ٦٠، ٢٧٤/١.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٨٥٩، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، ١٤٤/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٢٩٥، ٣٧٧/٢.

(٤) فيض القدير، المناوي، ٢٥٤/٤.

(٥) انظر: رواتع البيان في الأمثال النبوية، محمود السيد حسن، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٨م، ص: ٥٦.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- يُبْرَزُ أَسْلُوبَ التَّحْذِيرِ، خَطُورَةَ الْإِقْتِرَابِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ الْحُدُودَ حَاجِزًا مَنِيعًا، وَمَعْقَلًا حَصِينًا يَصْعَبُ عَلَيْهِ اخْتِرَاقُهُ أَوْ تَجَاوُزُهُ.
- مِنَ الْعِنَايَةِ بِأَسْلُوبِ التَّحْذِيرِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: مِمَّارِسَتُهُ، وَتَطْبِيقُهُ بِتَرْبِيَةِ الدَّاعِيَةِ نَفْسَهُ عَلَى الْوَرَعِ وَمِرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ؛ لَيْسَلَمَ مِنْ خَطَرِ الْوُقُوعِ فِي حُدُودِ اللَّهِ.
- أَهْمِيَةُ الْحَذَرِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْوُقُوفِ قَرِيبًا مِنْ أَبْوَابِ الْحُدُودِ الْحَرَّمَ مَقَارَفَتِهَا؛ لِأَنَّ فِي الْقُرْبِ مِنْهَا دَافِعًا لِلْوُلُوجِ فِيهَا، وَمِنْ فِعْلِ ذَلِكَ يَكُونُ قَدْ خَرَقَ مَحَارِمَ اللَّهِ، وَدَنَسَ نَفْسَهُ بِلَوْتَةِ الْمَعَاصِي، وَنَزَعَ عَنْهُ الْحَيَاءَ الَّذِي رُمِزَ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ بِالسُّتُورِ.

ج) التحذير من محقرات الذنوب:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَدَفُوا فِيهَا)^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهَا)^(٢).

يُوضِحُ الْحَدِيثُ التَّحْذِيرَ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا يُلْقِي النَّاسُ لَهَا بِالًا، وَلَكِنِهَا تَجْتَمِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى تَقْضِيَ عَلَى الْمَرْءِ، وَقَدْ قَالُوا:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدُؤُهَا مِنَ النَّظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَعَّرِ الشَّرِّ^(٣)

وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى

(١) (المسند، ح ٣٨١٨، وقال محققه: حديث حسن لغیره، ٣٦٧/٦-٣٦٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٣٨٩، ١/١٢٨، صحيح الجامع، ح ٢٦٨٤، ٣٨٧/٢.

(٢) (المسند، ح ٢٢٨٠٨، وقال محققه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، ٤٦٧/٣٧.

(٣) (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ١٠٦/١.

وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

نقل المناوي عن الغزالي - رحمه الله - قوله: ((صغائر المعاصي تَجُرُّ بعضها إلى بعض، وإن الله يعذبُ من شاءَ على الصغيرة، وإن الصغائر إذا اجتمعت، ولم تُكْفَرْ أَهْلَكَتْ))^(١).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن التحذير في الحديث يُعْنَى بالدرجة الأولى: بإثارة الخوف من المعصية أياً كان حجمها، وعدم التهاون بالصغائر.

- إن مغزى التحذير في الحديث يتضمن دعوة لازمةً لمحاسبة النفس على الصغيرة قبل الكبيرة، لِخَطَرِ عَاقِبَتِهَا، وَالْغَفْلَةِ عَنْهَا، فَإِنَّ فِي إِهْمَالِهَا هَلَاكَةً؛ لِأَنَّ أَعْمَالَ الْعَبْدِ مَحْصَاةٌ، عَظِيمَتَا وَحَقِيرَتَا، كَبِيرَتَا وَصَغِيرَتَا، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢).

- إن من فقه الدعوة للحديث الشريف السابق أن يُؤكِّد الداعية على ما تضمَّنه الحديث من تحذير شديدٍ من الغفلة؛ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَغْلِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَيَفْرُحُ بِالصَّغِيرَةِ وَيَتَحَجَّجُ بِهَا، بَلْ وَيَعُدُّ التَّمَكُّنَ مِنْهَا نِعْمَةً غَافِلًا عَنْ كَوْنِهَا وَإِنْ صَعُرَتْ سَبَبٌ لِلشَّقَاوَةِ، بَلْ إِنْ بَعْضَ الْمَذْنِبِينَ يَتَمَدَّحُ بِذَنْبِهِ لِشِدَّةِ فَرَحِهِ بِمُقَارَفَتِهِ، فَيَقُولُ أَمَا رَأَيْتَنِي كَيْفَ مَزَّقْتُ عِرْضَهُ؟ أَمَا رَأَيْتَنِي كَيْفَ فَضَحْتُه، وَذَكَرْتُ مَسَاوِيَهُ حَتَّى أَخْجَلْتُهُ؟ وَكَيْفَ اسْتَخْفَفْتُ بِهِ وَحَقَّرْتُهُ؟ أَمَا رَأَيْتَ كَيْفَ رَوَّجْتُ عَلَيْهِ الزَّائِفَ؟ وَكَيْفَ خَدَعْتُهُ وَغَبَّيْتُهُ؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّمَدِّحِ بِالذُّنُوبِ الْمَهْلِكَةِ.

- ضرورة إدراك الداعية أن التسوية في التوبة من صغائر الذنوب أمرٌ خطيرٌ على المرء، فَإِنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ تَتْرُكُ نَكْتَةً فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا تَكَاثَرَتِ النُّكْتُ فِيهِ طُبِعَ عَلَيْهِ، وَخَسِرَ خَسِرَانًا مَبِينًا. يُؤكِّد هذا المعنى ما ورد في قوله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ

(١) فيض القدير، المناوي، ٣/ ١٢٧-١٢٨.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَأَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

- ينبغي للدعاة إلى الله وهم يمارسون أسلوب التحذير من المعاصي صغيرها وكبيرها أن يبينوا في دعوتهم أن الذنب إذا استعظمه العبد صغر عند الله، وإذا استصغره عظم عند الله، وربما كان علامة على النفاق عيادا بالله، كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا) (٢).

- إن اهتمام الدعاة بالعمل بموجب التحذير، ودعوة الناس بذلك يقتضي استعظام الذنب. واستعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكرهه له، وذلك النفور يمنع تأثره به، فيستنير القلب. واستصغاره يصدر عن الألفة معه، وتلك الألفة تزيد من التأثر به، فيظلم القلب. ولتواتر الصغائر عظيم التأثير في سواد القلب، كتواتر قطرات الماء على الحجر، فإنه يؤثر فيه رغم لين الماء، وصلابة الحجر.

ومن خلال هذا المبحث الذي ارتكز على أساليب تعتبر هي الأفضل والأحسن في إنجاح الدعوة، يمكن استخلاص أبرز جوانبه على النحو التالي:

- معالجة قضايا الدعوة بالحكمة، ولا ريب أن الحكمة ضالة المؤمن ومبتغاه.
- إن مما ينجح الدعوة كما يتضح مما سبق من بعض الأساليب إظهار الشفقة على المدعو والحرص على إنقاذه من الضلال الذي يعيش فيه، من خلال أسلوب التحذير من كل شر.
- العناية في أساليب الدعوة بالموازنة، بينها كما هو واضح في الترغيب والترهيب، ترغيب يبعث على أعمال البر، وترهيب ينفر عن أعمال الشر، فإنه لا بد من الأمرين في الدعوة إلى الله، على منهج أنبياء الله الذين يعبدون الله رغبا ورهبا.
- أن جماع قوى الداعية أن يوصل دعوته بإقناع من خلال الجدل الحسن المشروع، في لباس الأدب والتواضع والتقدير للمدعوين، والرفق بهم.

(١) سنن الترمذي، ح ٣٣٣٤، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، ٤٣٤/٥، وقال الترمذي -رحمه الله-: هذا حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه،

ح ٤٢٤٤، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ١٤١٨/٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٦٥٤، ١٢٧/٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٣٠٨، كتاب الدعوات، باب التوبة، ١١/١٠٢.

- إن الحرص على هداية الناس يقتضي أن ينوع الداعية أساليبه، ويراعح بينها، حسب ما يتطلبه المقام، والحال، ومن ذلك استعماله القسم، والتكرار ونحو ذلك ليؤكد صدق دعوته، وعظيم ثواب الاستجابة لها.

المبحث الثالث: الوسائل الدَّعْوِيَّة الوارِدة في أحاديث الدراسة

المبحث الثالث: الوسائل الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة

انتهى الحديث في المبحث السابق عن أهم أساليب الدعوة في أحاديث الأمثال؛ غير أن تلك الأساليب تُصَبِّح في حَيِّزِ النظرية ما لم تُصَغِّعْ في قَالِبِ عَمَلِيٍّ تكون له آثاره الخارجية، وذلك عن طريق الوسائل الدعوية التي كان لها الأثر في انتشار الدعوة الإسلامية وإبلاغها منذ عهد النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر، أورد منها ماورد في أحاديث الأمثال مما أعدّه وسيلةً دعويةً. وقبل الشروع في إيرادها أمهد لها بتعريفٍ وبيانٍ لمشروعيتها وأنواعها كما يلي:

١ - تعريف الوسائل:

الوسائل لغة: جمعٌ وسيلةٍ، والوسيلةُ من الفعل: (وَسَلَّ)، ومعناه: الرغبة والطلب. يقال: وَسَلَّ إِذَا رَغِبَ، وَالْوَأْسِلُ: الرَّابِغُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١). وقيل: معناها ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ^(٢)، وقيل: المنزلة والدرجة والقربة^(٣).

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٤).

الوسيلةُ في مصطلح الدعوة: هي ما يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى دَعْوَةِ النَّاسِ، بِأُمُورٍ حِسِّيَّةٍ مَادِيَّةٍ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ. وَالْحِسِّيَّةُ إِمَّا: مَسْمُوعَةٌ، أَوْ مَكْتُوبَةٌ، أَوْ مَقْرُوعَةٌ، أَوْ مَرْتِيَّةٌ. وَالْمَعْنَوِيَّةُ إِمَّا: أَحْلَاقٌ فَاضِلَةٌ، أَوْ صِفَاتٌ كَرِيمَةٌ، أَوْ سُلُوكٌ حَمِيدٌ شَرِيطَةٌ أَنْ لَا تَخْرُجَ عَنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَأَهْدَافِهِ وَغَايَاتِهِ^(٥).

٢ - مشروعيتها:

يُشْرَعُ اسْتِخْدَامُ الْوَسَائِلِ الدَّعْوِيَّةِ بِدَلِيلِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ. فَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مصر، مصطفى الباي الحلبي، ط. الثانية ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ١١٠/٦.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة: وسَلَّ، ١٨٤١/٥.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة: وسَلَّ، ٦٤ / ٥.

(٤) سورة الإسراء: ٥٧.

(٥) انظر: وسائل الدعوة، عبدالرحيم محمد المغنوي، الرياض، دار إشبيلية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص: ١٦.

(٦) سورة الأعراف: ١٧٦.

وقوله سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١).
ومن السنة: سرُّ النبي ﷺ للقصص، وإنفاقه الأموال في سبيل الله، وتأليفه للقلوب، وغير ذلك.

ومن الإجماع: أن المتتبع لمسيرة الدعوة منذ فجرها يجد أن السلف أخذوا بوسائل الدعوة المشروعة والنافعة (٢).

تبيينه وبيان:

((فهم بعض الناس أن وسائل الدعوة توقيفية، مستدلين بأن الدعوة عبادة، والعبادة توقيفية، وأن الدين كمل، وأن النبي ﷺ بين البيان المبين، لكن هذا الفهم يحتاج إلى مناقشة، وبيان للصواب الذي تدلُّ عليه النصوص الشرعية ومقاصدها معاً. وفيما يلي وقفات مختصرة عند هذا الرأي:

قد يختلط أمران على القائلين بأن وسائل الدعوة توقيفية، هما:

الأول: كون المنهج في الدعوة توقيفياً.

الثاني: القول بأن وسائل الدعوة توقيفية.

وشتان بين الأمرين؛ فالقول الأول معناه: الاتباع في الدعوة وعدم الابتداع. والقول الثاني معناه: قفل باب الاجتهاد في أمر شرع الله فيه الاجتهاد، وهو الاتباع الذي لا يصح إلغاؤه بحجة القول بالاجتهاد.

ولم يرد دليل واحد من الكتاب والسنة يأمر بأن ندعو إلى الله تعالى بوسيلة مُحدَّدة، وإنما جاءت الأدلة بالأمر بالدعوة مطلقاً، أو الأمر بالدعوة مقروناً بالنص على منهج الدعوة المطلوب، أو أسلوبها المطلوب، أو غايتها.

إن القائلين بأن وسائل الدعوة توقيفية يريدون أن تتوقف الدعوة من حيث يشعرون أو لا يشعرون. كما أنهم يعارضون سنة الله المتجددة المُطرَّدة في الخلق، وهم بهذا القول

(١) سورة طه: ٤٤.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، عبدالرحيم المغذوي، ص: ١٨-١٩.

يشاركون في هزيمة الدعوة، وفي القعود بها عن التأثير المطلوب أن يكون على مستوى العصر، وإمكاناته، كما أنهم يضعفون الدعوة أمام الدعوات إلى الأديان والمبادئ الأخرى، التي استخدمت مستجدات العصر في عالم الاتصال؛ فنفذت بباطلها إلى القلوب والعقول^(١).

فلا ريبَ بعدَ هذا البيانِ القولِ بمشروعية استعمالِ الوسائلِ الدعوية، وعدمِ الالتفاتِ للقائلين بعدم مشروعيتها في الدعوة إلى الله، لضعفِ قولهم، وضرره على الدعوة.

٣- أنواع الوسائل:

النوعُ الأولُ- الوسائلُ الحسيةُ المادية: وهي الأمورُ التي تُعينُ الداعيةَ مِنَ المحسوسات، والملموسات كالأقوال والحركات، والأدوات، والأعمال. وهذه الوسائلُ أقسامٌ أذكرُها كالتالي:

القِسْمُ الأولُ- وسائلُ فطريةٌ، خُلقتْ مع الإنسانِ، ونَمَتْ بنموه، كالأقوال والحركات.

القِسْمُ الثاني- وسائلُ مكتسبةٌ، اكتسبها المرءُ من خلال تجاربه وخبرته، يحاول إتقانها وتجويدها، وهي الوسائلُ الفنيةُ العلميةُ، مثل: الكتابة، والخطابة، والوسائلُ الحديثةُ كالإذاعة المسموعة، والمرئية، والفيديو، والفاكس، وشرائط التسجيل، والاتصالات المتنوعة عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بوساطة الحاسوب، ونحو ذلك من الوسائل^(٢).

النوعُ الثاني- الوسائلُ المعنوية: وهي الصفاتُ الحميدةُ التي يتصفُ بها الداعيةُ لِيُسمعَ له حين يتحدث، ويُستجابَ له حين يدعو، ويؤخذَ عنه حين يُوجَّه، ويُقنَدَى به حين يفعل^(٣).

بعد هذا التعريف الموجز للوسائل، والبيان لمشروعيتها، وذكر أنواعها، أُعْرِضُ ما أراه منها في أحاديث الأمثال حسب النوعين المذكورين آنفاً على النحو الآتي:

النوع الأول: الوسائل الحسية المادية:

ومما ورد من هذا النوع في أحاديث الأمثال الوسائل التالية:

(١) طريقك إلى الإخلاص والفقهاء في الدين، عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، جدة، دار الأندلس، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص: ١٨٦-١٨٨. بتصرف يسير.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، محمد إبراهيم الجيوشي، القاهرة، ط. الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص: ٤٦.

(٣) وسائل الدعوة، الجيوشي، ص: ٢٩.

الوسيلة الأولى - وسيلة القول:

وهذه الوسيلة في مقدمة الوسائل المادية الفطرية، وتشمّل: الخطاب، الحوار، والمحاضرة، والدرس، والندوة، ونحو ذلك، وهي الأصل لغيرها من الوسائل، قال تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾. ويندرج تحت هذه الوسيلة: كلُّ أقواله عليه الصلاة والسلام في دعوته للناس، فيما سبق من الأحاديث القولية وفيما سيأتي.

الوسيلة الثانية - الخطبة:

ينبغي للداعية أن يتقن طريقة إلقاء الخطبة، ويسعى لتنمية قدراته ومواهبه علمياً، وعليه أن لا ينخدع بإطراء الناس، فيهمل الإعداد والتقويم لأعماله، فيتدنى مستواه، ويقبل إبداعه^(٢). يؤكد استعمال هذه الوسيلة الحديث التالي:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ. مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا^(٣) فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ^(٤)).

يوجه النبي ﷺ صحابته للاستعداد ليوم القيامة، مبيّناً لهم أن الساعة قريبة كقرب السبابة والوسطى حيث إنه مثلٌ بهما في ذلك القرب. فإن مبعثه عليه السلام إنذارٌ وإعلامٌ باقتراب الساعة وقيامها، فلا بد من التزود والاستعداد لها.

(١) سورة فصلت: ٣٣.

(٢) أهمية الدعوة، غازي المطيري، ص: ٧٧ - ٧٨.

(٣) ضِيَاعًا: الضياع: العيال. وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً، فسُمي العيال بالصدر، كما تقول: من مات وترك فقراً: أي فقراً. وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع كجائع وجياع. النهاية، ابن الأثير، ٣/ ١٠٧.

(٤) صحيح مسلم، ح ٨٦٧، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٢/٢.

وقد وضح الحديثُ حالَ النبي ﷺ أثناء أداءِ خطبته كحال من يندُرُ قومه عند غفلتهم عن جيشٍ يُحيطُ بهم يَنوِي اجتثاثهم وهم غافلون عنه، مما دفع بالرجل المنذر أن يرفعَ صوته، ويشتد غضبه، وييدي حرسه على نجاتهم، فكذا كان حال الرسول ﷺ عند الإنذار. وهذا التشبيه يفيدُ عدةَ معانٍ منها:

تقريبُ أمرِ الساعةِ وسرعةُ مجيئها، وإشارته إلى قلةِ المدةِ بينه وبينها، وأن أشراتها متتابعةٌ كما قال تعالى ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(١) وأول أشراتها بعثة محمد ﷺ^(٢).

أنه ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبين الساعة نبيٌّ كما ليس بين السبابة والوسطى إصبعٌ أخرى^(٣).

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ينبغي أن يراوح الداعية في خطبته تنويع الصوت، فيرفع ويخفض حسب المقام، ويعطي السؤالَ حقه من التعبير، والتعجبَ حقه، ونهايةَ الجملة حقه في إطار الحكمة.

- ينبغي أن يُعنى الدعاة بتقريب الدعوة في حُطْبِهِم من خلال استعمالِ الإشاراتِ اليدويةِ والتي تحمل معاني كثيرة، وتسهم في نجاح الدعوة؛ وذلك بأن يعطي الإشارةَ حقه، والحركاتِ حقه من التعبير سواء أكانت بالرأس أم بالعين أم بالوجه أم باليدين، وبهذا ينجح في إيصال دعوته، ويبلغ التأثير بها مبلغاً كبيراً. ولكي يتقن هذا الأداء الجيد للتعبير بالأقوال والأفعال لابد أن يتدرب عليه مع نفسه أمام المرأة، أو أمام الآخرين حتى يتقن ذلك، لما فيه من نفعٍ للدعوة إلى الله.

- إن الخطبة تنجح وتحقق هدفها بخطيبها، وإن مما ينجحها إلقاء الداعية خطبته وهو يُظهرُ الحزنَ أو الفرحَ على ملامح وجهه، أو يضرب بيده في الأخرى، أو يشير بها ذات اليمين والشمال، متفاعلاً مع المعاني التي يتحدث فيها على أن لا تكثر هذه الإشارات إلا بقدر ما تدعو إليه الحاجة الدعوية؛ لأن الغاية منها إيصال الدعوة، فلا يُخرِجها عن هذه الغاية،

(١) سورة محمد: من الآية ١٨.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ٦/١٥٥، الديباج، السيوطي، ٢/٤٤٥، فيض القدير، المناوي، ٢/١٧٢، تحفة الأحرار، الباركفوري، ٦/٣٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٣٤٩-٣٥٠.

فإذا تحقق كل ذلك في الخطبة، فإنها ستكون خطبة رائعة ومؤثرة وراسخة في أذهان المدعوين.

- يستحب للخطيب أن يفخّم أمر الخطبة، ويرفع صوته ليؤثر في نفوس الحاضرين، ويجزل كلامه، ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب، ولعل اشتداد غضبه ﷺ كان عند إنذاره أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً.

الوسيلة الثالثة - وسيلة التعليم:

إن لوسيلة التعليم أهميتها في الدعوة إلى الله؛ لأن العلم ينير الطريق لصاحبه، والجهل يقتل صاحبه قبل سواه؛ لذا فإن المنهج الدعوي في أحاديث الأمثال أخذ بهذه الوسيلة

المهمة في الدعوة، وجعلها من مرتكزاتها، كما سيظهر من الأحاديث التالية:

(أ) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ ^(١) أَوْ أُمِّ الْمُسَيْبِ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيْبِ تُزْفِرِينَ ^(٢)؟ قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: لَا تَسْبِي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يَذْهِبُ الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ ^(٣).

عَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هَذِهِ الْمَرْأَةَ حِينَ وَقَعَ الْخَطَأُ مِنْهَا، فَهَاهَا عَنْ سَبِّ الْحُمَّى؛ لِأَنَّهَا ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ لِيُكْفِرَ خَطَايَاهُ، وَيُنَقِّيَهُ مِنَ الذُّنُوبِ. فَهُوَ تَعْلِيمٌ فَرَضَهُ الْوَاقِعُ وَالْحَالُ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّأخِيرَ.

(ب) عَنْ رَجُلٍ ^(٤) قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: تَعَسَ ^(٥) الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: (لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَازَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ: بِقَوَّتِي. وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ) ^(٦).

(١) أم السائب الأنصارية وقيل أم المسيب. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٣٢١ / ٢.

(٢) تُزْفِرِينَ: أي: ترتعد من البرد. النهاية، ابن الأثير، مادة: زفر، ٣٠٥ / ٢.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٥٧٥، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ١٩٩٣ / ٤.

(٤) رجل مبهم وهو صحابي إمامه لا يضر، ولقد حاولت الوقوف على اسمه فلم أعر عليه.

(٥) تَعَسَ: يقال تعس يتعس، إذا عثر وانكبَّ لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. النهاية، مادة: تعس، ابن الأثير، ١٩٠ / ١.

(٦) سنن أبي داود، ح ٤٩٨٢، كتاب الأدب، باب لا يقال حبت نفسي، ٢٦٠ / ٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح ٧٢٧٨، ١٦٩ / ٦.

يوجه النبي ﷺ دعوته المباركة لهذا الصحابي الذي تكلم بكلمة تدعو الشيطان للتعاضم، وهو أحقر من أن يتعاضم، مُعلِّماً إياه أن كُلَّ ما يَحْدُثُ للمرءِ من أحداثٍ، فبأمر الله وقدرته، فالأمرُ كُلُّه لله، مُوجِّهاً له أن يقول: بسم الله، فإنها تُطْفِئُ الشيطانَ وتُصَعِّرُهُ حتى يكونَ مِثْلَ أهْوَنِ الحشراتِ.

ففي الحديث مقابلةً بين التعاضم والتصاغر، حيث مثلَ للأول بالبيت وللثاني بالذباب، وشتان ما بين المثليين في النتيجة. وكُلٌّ مِنَ البيتِ والذَّبَابِ أمران محسوسان ومعلومان للسامعين. أما تعاضم الشيطان وتصاغره فمجهولان؛ لذا لجأ النبي ﷺ إلى هذا التمثيل الحسيِّ لِتُقَرَّبَ المعنى المراد؛ لأن قوله: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ يُوْهَمُ أن له قوة في ذلك، فيرى نفسه عظيماً وكبيراً، ويقول: حدث ذلك الأمرُ بقوتي، فإذا قال العبد: بسم الله، تحاقر الشيطان وتصاغر.

والمقصودُ من هذا التعليم بيانُ حقيقةِ الشيطان، وأنه حقيرٌ وصغيرٌ، فَيَجِبُ أَلَّا يُعْطَى مقاماً لا يستحقه، وألَّا تُعْطَى له الفرصة ليتعاضمَ وَيَعْتَدَّ بنفسه، وليس عند المؤمنين سلاحٌ يقهرون به عدوَّهم الرجيمَ - أعظمُ ولا أقوى من ذكر الله والاعتصام به سبحانه. وحينئذٍ لا تكونُ له قوةٌ ولا سلطانٌ إلا على الذين يتولَّوْهُ وهم به مؤمنون، وقد أكد عليه الصلاة والسلام حقيقةَ الحقيرةِ والصغيرةِ، بتشبيهه بالذباب، هذه الحشرةُ الحقيرةُ الصغيرةُ المستقدرةُ عند كلِّ الناسِ، فيا لها من صورةٍ تجسدُ حقيقةَ لبيتعدَّ الناسُ عنه وعن شره، ويحتقروه، ولا يرفعوا شأنه، فيتعاضم، ويتقوى^(١).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الحديثين السابقين ما يلي:

- إن التعليم من وسائل الدعوة التي يمارسها الداعية في سائر الأماكن والأزمان، وفي غالب الأحيان، ولا سيما عند وجود الحاجة إليه.

- إن الداعية المحتسب أجره عند الله إذا قام بعبادة المرضى المصابين بالحمى ونحوها من الأمراض التي تَحْبِسُهُمْ يَعْرِضُ دَعْوَتَهُ لَهُمْ مُرَعِباً لَهُمْ في الصبر على عللهم وأمراضهم، فإن في ذلك كفارةً لهم وتمحيصاً من الذنوب، فيؤنسهم ويدخل السرور والطمأنينة إلى أنفسهم.

(١) انظر: عون المعبود، محمد آبادي، ١٣/٢٢٣.

- على الداعية أن يحرص على تعليم الجاهل تعليماً مبرراً ومؤكداً بما يريح المدعو فيقبل التعليم لا يرفضه.

- أهمية أن يربط الداعية العملية التعليمية بالثواب ليقبل المتعلمون على التعلم برغبة.
- ضرورة المقارنة بين الأضداد، وتوضيح الطريقة المثلى لاختيار النافع من بينها، وإعانة الداعية لمدعويه على اختيار الأفضل.

- إيجاد الداعية للبدائل الصحيحة وهو يمارس التوجيه في التعليم ولا سيما عند إلغاء ما يستحق الاستبدال من المعلومات الخطأ، والقناعات المنحرفة، فيتزن طريق المتعلمين، ولا ولا يحدث عندهم أي اضطراب.

(ج) عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأْتَيْتُ بِجُمَّارٍ فَقَالَ: إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجْرَةً مِثْلَهَا كَمِثْلِ الْمُسْلِمِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ)^(١).

وفي رواية: (أَخْبَرُونِي بِشَجْرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا... تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمُ تَكَلِّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ عُمَرُ: لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا)^(٢).

وفي رواية: (مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ شَجْرَةٍ حَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ، فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَجْرَةٌ كَذَا هِيَ شَجْرَةٌ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ)^(٣).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، ١/١٦٥، ح ٢٢٠٩، كتاب البيوع، باب بيع الجمار وأكله، ٤/٤٠٥.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٦٩٨، كتاب تفسير القرآن، باب «كَشَجْرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» إبراهيم: ٢٤، ٨/٣٧٧.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦١٢٢، كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق للنفقة في الدين، ١٠/٥٢٤، ح ٦١٤٤، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويسدأ

الأكبر بالكلام والسؤال، ١٠/٥٣٦، ح ٤٦٩٨، كتاب تفسير القرآن، باب في قوله: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجْرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» إبراهيم: ٢٤، ٨/٣٧٧.

وفي رواية: (إِنِّي لِأَعْلَمُ شَجَرَةً يُنْتَفَعُ بِهَا مِثْلَ الْمُؤْمِنِ هِيَ الَّتِي لَا يُنْفَضُ وَرَقُهَا). قَالَ: ابْنُ عُمَرَ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَفَرَّقْتُ مِنْ عُمَرَ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ بَعْدُ يَقُولُ: (هِيَ النَّخْلَةُ)^(١).

يوضح الحديث مجلساً من مجالس العلم المباركة، المعلم فيها نبي الله ﷺ المعلم الأول لأمة الإسلام، ويُظهِرُ الحديث طريقةَ التعلم التي كان يمارسها عليه الصلاة والسلام، وهي ما تُسَمَّى في هذا العصر بالطريقة الحوارية، وهي طريقة نافعة ومفيدة في التعليم؛ لأنها تمنع وقوع الملل والسآمة لإشراكها المتلقي في الحديث والمناقشة.

وقد ورد في الحديث تشبيه النبي ﷺ بالنخلة بالمسلم، ووجه التشبيه بينهما أن المسلم بركته دائمة، وكذلك النخلة دائمة البركة. ((والتشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه يُنْتَفَعُ بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً))^(٢). يؤيد هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ فَهْمِهِ وَدُرُوسٍ دَعْوِيَّةٍ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إظهارُ تقديرِ الداعية للمدعوين، وذلك بالإطراء عليهم، فتنمو عندهم الثقة بالنفس.
- إبعادُ الداعية للمدعوين عن الحيرة، وعدم تقطيع الفوائد العلمية التي يحتاجونها، أو تعليقها، بل ينبغي للداعية أن يواصل عرض الفوائد أثناء التعليم، والتوجيه، ليخرج المتعلمون بنتائج ترضيهم، وتنفعهم بإذن الله. ولا يشكُّ العاملون في الدعوة إلى الله ما لهذا من أهمية كبرى في استيعاب المدعو لموضوع الدعوة، وإدراك المطلوب منه، لأن التعمية والغموض من أبرز معوقات الاتصال بين الداعي والمدعو، وكلما كانت الدعوة واضحة مفهومة محددة عند المدعوين لا يحتاجون العودة إلى مرجع أو مصدر لاستيعابها كلما كانت أنجح، والإقبال إليها أسرع.

(١) المسند، ح ٥٩٥٥، وقال محققه: حديث صحيح، ١٧٠/١-١٧١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١/١٤٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٤.

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((وفيه إشارة إلى أن المُلغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن المُلغز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للمُلغز باباً يُدخَلُ منه، بل كلما قرَّبه كان أوقع في نفس سامعه))^(١).

- ضرورة أن يتحاور الداعية مع المدعويين خلال تعليمه لهم؛ ليستكشف ما لديهم من معلوماتٍ صحيحةٍ أو خطأ، ومن ثمَّ يقوم بتوجيه مسارههم الوجهة الصحيحة. فقد أفاد الحديثُ طريقةً من طرق العملِ بهذه الوسيلةِ التعليميةِ بوساطةِ المناقشةِ، والأسئلةِ النافعةِ، وسماعِ إجاباتِ المتعلمينَ والإصغاءِ لها، ثمَّ الحكمِ عليها، وتقويمِها، وتوجيهها لمسارها الصحيح.

- إن الأسئلةَ في التعليم من الأهمية بمكانٍ لإنجاح العملية التعليمية، وإعطاء المتعلم حقه من المناقشة، والمشاركة الفاعلة، كما أنها تسهم في ترسيخ المعلومات في أذهان المدعويين. وعلى كلِّ مُعلِّمٍ وموجِّهٍ وداعيةٍ أن يسلكَ هذا المسلكَ المؤثراً في أداء وتنفيذ هذه الوسيلة التعليمية على الوجه المأمول. فقد وجَّه النبي ﷺ سؤالا لأصحابه، ثمَّ سَكَتَ لإعطاء المتعلمين فرصةً للتفكير، فلمَّا لم يَقُولُوا شيئاً، أجاب هو عليه الصلاة والسلام.

- لقد أثارَ هذا الأسلوبُ شوقَ الصحابةِ رضوان الله عليهم لمعرفة ما يتحدث عنه النبي ﷺ. ولا ريب في أن هذه طريقة رائعةٌ في التعليم، وتثبيت المعلومات.

- إن الذي أسهم في إنجاح وسيلة التعليم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يترك الأمر دون إجابة، فتظل الأذهانُ منشغلةً، والنفوسُ قلقَةً؛ لذلك أجاب بنفسه عن سؤاله إياهم لتحصل الفائدةُ وتصلَ المعلومةُ المراد إيصالها.

- يُظهِرُ الحديثُ جانباً من اهتمامات الصحابة بتربية أبنائهم، والعناية بوسيلة التعليم التي بها يسودون وبها يعلمون ويدركون الحقائق، ففي اصطحاب عمر لابنه إلى تلك المجالس العلمية، وتعامله معه تشجيعاً على طلب العلم عندما قال له: (أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَفَرَّقْتُ مِنْ عَمْرٍ). وفي الرواية السابقة: (فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُم تَكَلِّمُون، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئاً).

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١/ ١٤٦.

ويدل هذا على إفصاح الابن عما في نفسه بكل أدب واحترام، وتوضيحه لأبيه أن إجابة السؤال معروفة عنده، ولكنه أثر ألا يتحدث بها في حضور والده ومن هو أكبر سناً منه، فرد عمر رضي الله عنه بقوله: (لَأَنْ تَكُونَ قُلَّتْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا). ومن هذه الإجابة يتبين لنا حسن أسلوبه رضي الله عنه في تربيته لابنه، حيث رباه على الأدب والشجاعة في ذات الوقت، فالأدب برز من سكوته، والشجاعة برزت في إفصاحه عما في نفسه لأبيه. وبهذين الخُلُقَيْنِ يستكشف الآباء ما يحتاجه أبناءهم من التوجيه والإرشاد، فينبغي للمربي أيًا كان أبًا أو معلمًا أو داعيةً أن يفيد من هذا الدرس وهذه الوسيلة الدعوية المهمة لهم، فيصطحبوا أبناءهم لتلك المجالس العلمية، ليتأدب الأبناء بأداب أهلها، وينهلوا من علمهم، فتتسع مداركهم وتقوى أذهانهم، ويشاركوا في تلك المجالس متى ما سَنَحَتْ لهم الفرصة على أن يكون ذلك في أدبٍ حمٍّ، وخُلُقٍ رفيعٍ.

- ينبغي للداعية أن يفرّق للمدعوين بين نوعي الحياء، فهناك حياءٌ محمودٌ ينبغي أن يتحلى به المسلم، وهذا يجلب له كل خير، كما قال رضي الله عنه: (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ)^(١)، وهناك حياءٌ مذموم، يجرم الإنسان من الخير، وربما يجلب له الشر، كالحياء من السؤال في طلب العلم، تقول عائشة رضي الله عنها: (نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)^(٢).

- بثُّ الدعاة التوعية الأدبية في مجالس العلم، وحضور أهل الفضل؛ ليسودها توفير الكبار، وعدم سبقهم في الحديث أو الكلام إلا للحاجة وبأدب.

- إدراك الدعاة لحقيقة تنفعهم وهي قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣).

فمهما كان علمه، فإنه يظل محتاجاً لطلب العلم. على حد قول الشافعي - رحمه الله -:

كَلَّمَا أَدْبَنِي الدَّهْرُ رُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا ازْدَدْتُ عِلْمًا زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي^(٤)

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦١١٧، كتاب الأدب، باب الحياء، ١٠/ ٥٢١.

(٢) صحيح مسلم، ح ٣٣٢، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك، ١/ ٢٦١.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) ديوان الشافعي، ص: ٧٠.

فينشأ التواضعُ عند المتعلمين، والبعْدُ عَنِ التَّعَالَمِ والادِّعَاءَاتِ الَّتِي تَقْضِي عَلَى بَرَكَةِ الْعِلْمِ وَنَفْعِهِ.

- أَنْ يَبِينَ الدَّعَاةُ، حَقَارَةَ الدُّنْيَا مُقَابِلَ تَعَلُّمِ، وَفَهْمِ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْعِلْمِ.
- عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَأْتِيَ بِمُرَادِفَاتِ الْأَلْفَاظِ لِبَيَانِ الْمَعْنَى بَيَانًا وَافِيًّا عَلَى مَا نَلْمَحُ فِي الْحَدِيثِ، فَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً: (يَسْقُطُ)، وَمُرَادِفَاتِهَا (يُنْحَتُ)، وَ (لَا يُنْفَضُ)، وَالثَّلَاثُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَالْغَرَضُ زِيَادَةُ التَّوْضِيحِ لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ تَتَّكِنُ لَدَى الْمُسْتَعْلَمِ مُحَصَّلَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي جَانِبِ الثَّرْوَةِ اللَّغَوِيَّةِ.

- إِنْ الْخَوَاطِرَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْقَلْبِ مِنْ مَحَبَّةِ الثَّنَاءِ عَلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ لَا تَقْدَحُ فِيهَا، إِنْ كَانَ أَصْلُهَا لِلَّهِ، وَوَجْهُ تَمَنِّيِّ عَمْرِئِهِ هُوَ: مَا طُبِعَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِنَفْسِهِ وَلَوْلَدِهِ، وَلتَظْهَرَ فَضِيلَةُ الْوَلَدِ فِي الْفَهْمِ مِنْ صَغَرِهِ، وَلِيَزْدَادَ عِنْدَ الْعَالَمِ حِظْوَةً.

(د) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه (١) أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَكَلِيلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا؟ فَأَحْبَرْنَاهُ. قَالَ: (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ... وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَدِّ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) (٢).

يَظْهَرُ مِنَ الْحَدِيثِ الْعِنَايَةَ بِتَعْلِيمِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَحَثِّهِمْ عَلَى تَعْلِيمِ غَيْرِهِمْ، وَكَانَ مِمَّا عَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ، صِفَةَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَمْرًا إِيَّاهُمْ أَنْ يُصَلُّوا كَصَلَاتِهِ، إِضَافَةً إِلَى تَوْجِيهِهِ لِلْعِنَايَةِ بِالْأَذَانِ دُونَ قَيْدِ، وَالْإِمَامَةِ بِقَيْدِ الْكِبَرِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إِحَاطَةُ الدَّاعِيَةِ مَدْعُوِيهِ-الْمُرَابِطِينَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ-بِالرَّحْمَةِ وَالرَّفْقِ، وَتَخْفِيفِ مَعَانِقِهِمْ، وَمِشَارِكَتِهِمْ مَشَاعِرَهُمْ وَأَحَاسِيْسَهُمْ.

(١) مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ اللَّيْثِيُّ: هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ، فَلَقِبَ الْحُوَيْرِثَ بِالتَّصْغِيرِ. الْإِصَابَةُ، ابْنُ حَجَرٍ، ٣/٣٢٢.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (مَعَ الْفَتْحِ) ح ٦٣١، كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ الْأَذَانِ لِلْمَسَافِرِينَ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً، ٢/١١١.

- تذكيرُ الداعيةِ مَنْ بَلَّغَهُمْ دَعْوَتَهُ، وَعَلَّمَهُمْ أَصُولَهَا وَآدَابَهَا، وَاسْتَجَابُوا لَهُ، بِأَنْ يُبَلِّغُوا أَهَالِيَهُمْ، وَجَمَاعَتَهُمْ، وَغَيْرَهُمْ، فَيَكُونُوا قَدْ انْتَفَعُوا وَنَفَعُوا الْآخَرِينَ، وَشَارَكُوا فِي نَشْرِ عِلْمِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- تنويعُ الداعيةِ لطريقةِ نشرِ العلمِ، فتارة يكون بالتوجيه، وأخرى بالشرح والبيان، وثالثة بالأداء والفعل، وهذه الطريقةُ العمليةُ لا ريبَ أنَّها أقوى الطرقِ في ترسيخِ العلمِ، إلى غيرِ ذلك مما يراه الداعيةُ مناسباً ونافعاً لنشرِ علمه، وخيره.

- احترامُ الداعيةِ لما قننه الشارعُ الحكيمُ فيما يتعلقُ بشأنِ الصلاةِ، ومن ذلك اختيارُ الإمامِ المناسبِ للصلاةِ، وتقديمُ المؤهلِ على غيره، وعلى رأسِ المؤهلاتِ العلمُ بالكتابِ والسنةِ. (هـ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَلِيَضَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ) (١).

يوضح الحديثُ تعليمَ النبي ﷺ لأصحابه كيفيةَ السجودِ في الصلاةِ، وأنه ينبغي أن يكونَ على خلافِ نزولِ البعيرِ على الأرضِ وبروكه، موضعاً ذلك بتقديمِ اليدينِ قبلَ الركبتينِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

إن الداعيةَ الحذيقَ والحريصَ على بثِ العلمِ يتقنُ إيصالَ العلمِ من خلالِ التوضيحِ الكاملِ لأيِّ مسألةٍ يُعلِّمُها لمدعويه. والتحققُ من وصولِ المعلومةِ بلغةٍ واضحةٍ، وكاملةٍ، كما نلمحه من الحديثِ السابقِ، فإن النبي ﷺ نهى الصحابةَ عن البروكِ في الصلاةِ كبروكِ البعيرِ، ثم أضافَ لهذه المعلومةِ توضيحاً وافياً، فقال: وليضعَ يديه قبلَ ركبتيه، وكأن قائلًا قال: البعيرُ يبركُ على يديه، فجاء التوضيحُ لبيانِ أن اليدينِ توضعان قبلَ الركبتينِ.

- يمكنُ للدعاةِ إلى الله الإفادةُ في استخلاصِ قضيةٍ مهمةٍ في التعليمِ، ألا وهي: قضيةُ الفروقِ الفرديةِ بين المتعلمين، ومراعاتها، فبتأملِ الحديثِ يمكن استنباطُ مثل هذا، فإنه ليس

(١) سنن أبي داود، ح ٨٤٠، كتاب الصلاة، باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه، ٥٢٥/١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/٢٣٦، وصححه إسناده شعيب الأرنؤوط، زاد المعاد، ١/٢٢٣. تنبيه: مسألة السجود على اليدين أولاً أو الركبتين مسألة خلافية؛ وقد أوردت الحديث؛ لأن فيه تمثيلاً، وقد صححه الخدثون كالأرنؤوط، والألباني، أما الفقهاء فالحديث عندهم مقلوب، والصواب أن لفظه: (وليضع ركبتيه قبل يديه)، ولكن الخدثين يضعفون هذا، وللعثيمين فقه جميل وكلام سمعته سمعاً في أحد الأشرطة يقول فيه: لم يقل: على ما يبرك البعير، وإنما قال: كما يبرك البعير، انظر: زاد المعاد، لابن القيم، وصفة الصلاة، الألباني، ولا جديد في أحكام الصلاة، ليكر أبو زيد، وفقه العبادات، لابن عثيمين.

كلُّ من حضر المجلسَ قد فهم النهيَ عن البروك كبروك البعير؛ لأنه في الظاهر يبرك البعير أول ما يبرك على ركبتيه، فلما روعي هذا الفرقُ في الفهم عند بعض الجالسين، وضَّح ذلك بالأمر أن ينزل المصلي للسجود على يديه قبل ركبتيه، والله أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تَذَاكِرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (أَيْكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ حَفْنَةٍ) (١).

يتحدث أبو هريرة رضي الله عنه عن مجلسٍ من مجالس الصحابة يُبرزُ اهتماماتهم في مجالسهم بالعلم والفضل، فقد كانوا يتذكرون ليلةَ القدرِ وما يرتبطُ بها من الخير الذي لا يُدرَكُ في غيرها؛ فإنها كما ذكر القرآن الكريم: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٢). وكما ورد قول النبي ﷺ: (وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (٣).

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن محاورَةَ الصحابةِ بحضرة النبي ﷺ تعني للأمة عموماً والدعاة بوجه خاص. جواز مناقشة طلاب العلم بعضهم بعضاً بحضرة شيخهم، وليس في ذلك منقصةٌ للشيخ أو عدمُ توقيرٍ، شريطة أن يكون النقاشُ في حدود الأدب العلميِّ.

- من العناية بوسيلة التعليم في الدعوة أن يثير المعلم ما لدى المتعلمين من معلوماتٍ سابقةٍ عن الموضوع المراد تعليمه لهم؛ بهدف ربط المعلومات، واستنهاض ذاكرة المتعلم؛ لتعتاد التيقظ، وليعتني المتعلمُ بحفظ المعلومات، ليستفيد منها، ويتمكن من استرجاعها.

وفي نهاية الدراسة الدعوية لوسيلة التعليم -والتي نتج عنها إداركُ بالغِ أهميتها، وعظيم تأثيرها- برزت لي ملامحُ عامةٌ لهذه الوسيلة الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله أجمعها في النقاط الآتية:

أولاً- ضرورة أن يستخدم الداعية هذه الوسيلة ولا سيما عند وقوع الخطأ من المدعويين، فيكون التعليم فوراً مناسباً للحال والزمان الذي وقع فيه الخطأ. وذلك واضحٌ في حديث جابر وحديث الصحابي المبهم رضي الله عنهما.

(١) صحيح مسلم، ح ١١٧٠، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، ٢/ ٨٢٩.

(٢) سورة القدر: ٣.

(٣) صحيح مسلم، ح ٧٦٠، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، ١/ ٥٢٤.

ثانياً- أهمية أن يكون التعليم مدعوماً بالتعليل والتدليل ليكون أثره أعمق، ورسوخه أكثر. وهذا واضح أيضاً في حديث جابر والحديث الذي يليه.

ثالثاً- أهمية تعليم الناشئة التلبس بالأدب في حضرة الكبار، ولا سيما أهل العلم والفضل. رابعاً- تعزيز وتدعيم المسائل العلمية بالإثارة والتشويق، واستيقان صحة القضايا المعروضة في الدرس العلمي، بالدليل والبرهان الساطع.

الوسيلة الرابعة- وسيلة المال:

إن إنفاق المال في سبيل الله من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله ونشرها، حيث إنه أسهم في دخول بعض الناس في الدين بسبب بذل المال لهم، لأن القلوب جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها.

ولقد تكاثرت النصوص من القرآن العزيز، والسنة المطهرة بلفت النظر والعناية بشأن البذل والإحسان، واحتساب أجر الإنفاق في سبيل الله. ومن تلك النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ

خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢). وفي بعض أحاديث الأمثال ما يوضح أهمية استخدام هذه

الوسيلة لخدمة الدعوة ونجاحها كما يتضح من الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ (٣) فِي تَرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسِ الْحَنْظَلِيِّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ. قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَعْطَيْ صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعْنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ كَثَّ اللَّحْيَةَ مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِيءُ الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٣) ذُهَيْبَةٌ: تصغير ذُهَبٍ، وأدخل الهاء فيها؛ لأن الذهب يؤنث، والمؤنثُ الثلاثي إذا صغر ألحق في تصغيره الهاء، النهاية، ابن الأثير، مادة: ذُهَبٌ، ١٧٣/٢.

عَصِيَّتُهُ... إِنَّ مِنْ ضُعْضِيِّ هَذَا قَوْمًا... يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ^(١).

يوضح الحديثُ اتِّخَاذَ الْمَالِ وَسِيلَةً تَدْعُمُ مَصْلِحَةَ الدَّعْوَةِ؛ لِتَقْوَى وَتَنْتَشِرَ، وَيَبْعَدَ عَنْهَا مَا يُوْذِي إِلَى تَأْخِيرِهَا. وَقَدْ عَلَّلَ النَّبِيُّ ﷺ إِعْطَاءَهُ أَوْلِيَاءَ الْقَوْمِ بِالتَّأْلِيفِ لِقُلُوبِهِمْ. وَالمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ أَقْسَامٌ:

- مِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِئُسْلِمَ كإِعْطَاءِ النَّبِيِّ ﷺ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةَ^(٢) مِنْ غَنَائِمِ حَنِينَ، وَقَدْ كَانَ شَهِدَهَا مُشْرِكًا.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَحْسُنَ إِسْلَامُهُ، وَيُثَبِّتَ قَلْبَهُ كإِعْطَاءِهِ يَوْمَ حَنِينَ جَمَاعَةَ مِنْ صِنَادِيدِ الطَّلَقَاءِ وَأَشْرَافِهِمْ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِمَا يَرْجَى مِنَ إِسْلَامِ نَظَرَاتِهِ.

- وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَجْبِيَ الصَّدَقَاتِ مِمَّنْ يَلِيهِ، أَوْ لِيُدْفَعَ عَنْ حِوْزَةِ الْمُسْلِمِينَ الضَّرَرَ مِنْ أَطْرَافِ الْبِلَادِ^(٣).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ فِيمَا يَخْصُ وَسِيلَةَ الْمَالِ، وَأَثَرُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مَا يَلِي:

- يَنْبَغِي لِلدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ التَّأْسِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَحَاوَلَةَ تَأْلِيفِ قُلُوبِ مَنْ ضَعْفَ إِيمَانُهُمْ مِمَّنْ يَشْكَلُونَ عَقَبَاتٍ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ، وَذَلِكَ بِتَسْخِيرِ الْمَالِ لِيَكُونَ وَسِيلَةً خَادِمَةً لِلدَّعْوَةِ وَمَصْلِحَتِهَا الَّتِي يَنْبَغِي وَيَجِبُ عَلَى الدَّعَاةِ أَنْ يَقْدِمُوهَا عَلَى كُلِّ الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ.

- تَفْعِيلِ وَسِيلَةِ الْمَالِ لِاسْتِخْدَامِهِ لِمَصَالِحِ الدَّعْوَةِ بِمَنْأَى عَنْ أَيِّ مَصْلِحَةٍ ذَاتِيَّةٍ كَلَّمَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. نَحْوُ إِعْطَاءِ رُؤَسَاءِ الْعَشَائِرِ، وَلِيَكُنْ أَمَامَ النَّاسِ، إِظْهَارًا لِمَكَانَتِهِمْ، وَحَتَّى يَكُونُوا عَوْنًا لِلدَّاعِيَةِ فِي إِنْجَازِ دَعْوَتِهِ.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٤٣٢، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ سورة المعارج: ٤، ١٣/٤١٥، صحيح مسلم، ح ١٠٦٤، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج، ٧٤١/٢، واللفظ لمسلم.

(٢) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي، كان إليه أمر الأزد في الجاهلية، هرب يوم فتح مكة، وأسلمت امرأته، ثم أسلم، أقام بمكة حتى مات بها مقتل عثمان، وقيل: غير ذلك. الإصابة، ابن حجر، ١٨١/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٦٦/٢.

- ينبغي للداعية الأخذ في الاعتبار المساواة في العطفية بين الأقران حتى لا يحدث بينهم عداوة تعود بالمفسدة على الداعية والدعوة. يؤيد هذا الاعتبار ما ورد عن رافع بن خديج^(١) رضي الله عنه قال: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ^(٢) وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ^(٣) دُونَ ذَلِكَ فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ دِ بَيْنَ عِيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
قَالَ: فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِائَةً^(٤).

الوسيلة الخامسة - وسيلة القوة:

لا ريب عند العقلاء أن القوة وسيلة يحتاجها المؤمنون للبقاء على إيمانهم، وإرهاب أعدائهم ممن يترصدون بهم الدوائر، ويمكرون الليل والنهار على استئصالهم واجتثاثهم، فتأتي القوة وسيلة دفاعية مشروعة لا غبار عليها، بل مندوب إليها للدفاع عن النفس ورد الظلم، بعيداً عن الطغيان والعدوان. وقد استخدمها النبي ﷺ في الوقت الذي تجدي فيه، كما في قصة جرير^(٥) التي تجسد استخدامها فيما يرضي الله سبحانه وتعالى نشرًا للدين، ونصرة لكلمة التوحيد، وبراءة من المعبودات الباطلة.

(١) رافع بن خديج بن رافع الحارثي الأوسي الأنصاري، استُصغر في بدر، وشهد أحداً وما بعدها، أصيب في أحد وانتقضت جراحه سنة ثلاث أو أربع وسبعين فمات

بالمدينة. انظر: الإصابة، ابن حجر، ١/ ٤٨٣، تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ١/ ٢٤١.

(٢) صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان الأموي، وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين، كان من كبار التجار وكانت إليه راية الرؤساء، وإذا حميت الحرب اجتمعت قريش

فوضعتها بين يديه، أسلم عام الفتح، وشهد حنين والطائف، كان من المؤلفين، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن

يسلم، مات في سنة أربع وثلاثين، عاش ثمان وثمانين سنة. الإصابة، ابن حجر، ٢/ ١٧٢ - ١٧٣، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢/ ١٧٤.

(٣) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة أبو الهيثم السلمي، مات أبوه وشريكه حرب بن أمية والد أبي سفيان في يوم واحد قتلها الجن، ولهما في ذلك قصة، شهد

العباس مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً، ذكر ابن اسحاق أن سبب إسلامه رؤيا رآها في صنمه، ويقال: أنه ممن حرم الخمر في الجاهلية، وقيل: أنه أشجع الناس في قوله. الإصابة،

ابن حجر، ٢/ ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٠٦٠، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفات لقلبهم على الإسلام، ٢/ ٧٣٧.

عَنْ قَيْسٍ^(١) قَالَ سَمِعْتُ جَرِيرًا^(٢) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا تُرِيحُنِي مَنْ ذِي الْخَلْصَةِ (وَهُوَ نُصْبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَةَ) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ فَصَكَّ فِي صَدْرِي فَقَالَ: اللَّهُمَّ تَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنْ أَحْمَسَ مِنْ قَوْمِي... فَأَحْرَقْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى تَرَكَتُهَا مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَجْرَبِ، فَدَعَا لِأَحْمَسَ وَخَيْلِهَا^(٣)). وَفِي رِوَايَةٍ: (... فَفَنَفَرْتُ إِلَيْهِ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ أَحْمَسَ، فَكَسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ^(٤)).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ. قَالَ: وَكُنْتُ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثْرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ تَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا، فَكَسَرَهَا، وَحَرَقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكَتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفٌ أَوْ أَجْرَبٌ^(٥)).

يوضح الحديث استخدام القوة لتغيير المنكر، والقضاء على الوثنية، وعبادة غير الله إذا أتيت الظروف، واستطاع المسلمون استخدامها دون أن يترتب على ذلك ضرر عليهم وعلى إسلامهم، وهنا يكمن الفقه الدعوي لاستخدام هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله، فليست القوة كوسيلة دعوية ممدوحة مطلقاً، وليست مذمومة مطلقاً، بل تُسْتَحْدَمُ حَسَبَ القدرة، والحاجة، والظروف المناسبة، فقد خرج جرير مجهزاً بأشجع وأقوى الفرسان،

(١) قيس بن أبي حازم البجلي الأحمسي، وهو جاهلي إسلامي، إلا أنه لم ير النبي ﷺ، وأسلم في حياته، وهو من كبار التابعين، روى عن العشرة إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه لم يحفظ عنه، توفي سنة سبع أو ثمان وسبعين. أسد الغابة، ابن الأثير، ٤/٤١٧.

(٢) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ، بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة، قال عمر بن الخطاب ﷺ: جرير يوسف هذه الأمة، وهو سيد قومه، وكان له في الحروب بالعراق والقادسية وغيرها أثر عظيم، وكانت بجيلة متفرقة فجمعهم عمر بن الخطاب، وجعل عليهم جريراً، وهو الذي يقول في حديث (ما حسبني رسول الله ﷺ، منذ أسلمت، ولا رأيي إلا ضحك، توفي سنة إحدى وخمسين. أسد الغابة، ابن الأثير، ١/٣٣٣-٣٣٤، والإصابة، ابن حجر، ١/٢٣٣-٢٣٤).

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣٥٧، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، ٨/٧٠-٧١.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٨٢٣، كتاب المناقب، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي، ٧/١٣١، صحيح مسلم، ح ٢٤٧٦، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير، ٤/١٩٢٥.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٠٢٠، كتاب الجهاد والسير، باب حرق الدور والنخيل، ٦/١٥٤.

واستطاع أن يزيل ذلك المنكر المضاد للعقيدة دون مقاومة من الخصم. وحين يرى العدو عدة وقوة المؤمنين، فإنهم لن يستطيعوا المقاومة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١).

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ باستخدام وسيلة القوة في الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يعتني الدعاة بإعداد القوة بكل صورها الحسية والمعنوية، ويتمثل الإعداد بالقوة الحسية في الرماية، والسباحة، وركوب الخيل إضافةً إلى بعض الرياضات البدنية التي تقوي الجسم شريطة أن لا يشغلهم هذا الإعداد للقوة عن فرائض الدين، ويتمثل الإعداد بالقوة المعنوية من خلال العناية بقوة العلم والإيمان والأخلاق.

- أهمية إيجاد نخبة من الدعاة إلى الله ينافحون عن دين الله، ويبدلون أنفسهم لمقارعة الباطل، والتصدي له، وإزالته، يرتبطون بمرجعية علمية شرعية لتوجيه مساهم الوجوه الصحيحة المنبثقة عن التأسيسات الشرعية، والمراعية جلب المصالح ودرء المفاسد.

- أهمية متابعة القائمين على الدعوة لتنفيذ خططهم على أرض الواقع، والتأكد من إتمامها على الوجه المنشود، ثم إعطاء تقارير وافية بما تم إنجازه منها، وما لم يتم.

- ضرورة متابعة الداعية لمن يبعثه لمهمة تحتاج إلى القوة ليرى: هل هو مؤهلٌ لتلك المهمة، وإن وجد شيءٌ من النقص أعانه وأكملاه، فقد ظهر اهتمام النبي ﷺ في الحديث من خلال التعامل الحسن مع جرير رضي الله عنه ليقف على استعداد هذه المهمة؛ لأنها مهمة عظيمة تحتاج إلى قوة وثقة في النفس، وقد أثر هذا التعامل في جرير رضي الله عنه حيث شجعه ليتحدث عن أمور يظن أنها تحول بينه وبين إتمام هذه المهمة، فجعله يحرص على التخلص من النصب المعبود من دون الله بهدمه، وحرقه لإخفاء كل أثر له إرضاءً لله ورسوله ﷺ، ثم قتل المشركين العاكفين

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

على عبادته من دون الله، فَسَّرَ النبي ﷺ بفعله. وهذا السرور النبوي إقراراً لما فعله جرير رضي الله عنه ومباركة له لإنجاز ما كلفه به.

- إدراك الدعاة لأهمية عنايتهم باختيار الأشخاص المناسبين وإلغاء أي اعتبارات أخرى عند الاختيار، وإسناد المهام الدعوية التي تحتاج إلى القوة لأهلها والقادرين على تنفيذها على الوجه المرضي والمحمود.

- أهمية أن يراعي الداعية بعض المقومات والمؤهلات التي هي في ظاهر الأمر من الأمور الدنيوية، إلا أنها تنفع في الدعوة إلى الله، وتعين في إنجاح المهمة الدعوية، كأن يكون الرجل سيداً في قومه مطاعاً، وحيهاً، محمياً من قبيلته، ونحو ذلك من الاعتبارات التي تُقرُّها الأعراف في المجتمعات العربية وغيرها.

- إنَّ النتائج المترتبة على تعامل الدعاة بالحسنى لاسيما في تنفيذ المهام التي تستعمل فيها وسيلة القوة، نتائج تُعزِّزُ جوانبَ مهمَّةٍ في الدعوة إلى الله منها: صدقُ العاطفة، وقوة اليقين، وحبُّ الله وحبُّ رسوله وهي: أمورٌ باطنيةٌ لا تُرى ولا تُحسُّ ولا تشاهدُ، ولكنها تزيد الدعوة قوةً إلى قوتهم، ولا تُعرَفُ تلك الأمورُ إلا من خلال الأعمال الظاهرة المصدقة لها، فمن زعم حب الرسول ﷺ وحب عليه الالتزام بسنته، ومن زعم التوحيد وحب عليه عدم الإشراف، ومن زعم سلامة القلب وحب أن يظهر ذلك في سلوكه وتصرفاته وهكذا؛ لأن الإيمان قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، وكلما عظم الإيمان في النفوس كثر عملٌ صاحبه في الظاهر، وزاد حرصه على العمل الصالح، وحزن على فواته، واستفاد من وسيلة القوة، واستعملها في وقتها المناسب بما يخدم الدعوة.

- أهمية أن يُعين الدعاة بعضهم بعضاً في تنفيذ المهام الدعوية بكل أشكال الإعانة المالية، أو البدنية، أو المعنوية: كعرسِ الثقة، والدعاء، وعدم إغفال كل ما يُعيق الدعوة. وكل ذلك يحتاجه الدعاة إلى الله فيما بينهم.

وفي مراعاة ذلك من الآثار النافعة الشيء الكثير: كالشعور بالارتياح النفسي، وتحقيق النجاح في القيام بالمهمة المناطة به.

النوع الثاني - الوسائل المعنوية:

وتحت هذا النوع من الوسائل الواردة في أحاديث الأمثال الوسائل التالية:

الوسيلة الأولى - ذكر الله:

يُعَدُّ الذِّكْرُ من أبرز الوسائل المعينة للعبد عموماً وللداعية على وجه الخصوص على طريق الحق، والهداية، وزيادة الإيمان، ومغفرة الله، والقرب منه. ولا يخفى على الدعاة إلى الله عز وجل عظيم فائدة الذكر، وأهميته فهو من أجل المقاصد وأنفع القربات. وقد ورد الأمر بالذكر في مواطن من القرآن الكريم والسنة النبوية ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

وهذا يدل على افتقار العبد للذكر وحاجته لإشغال وقته فيه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ لِابْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٣). ويكفي ما ذكر في أهميته وفضله قوله عليه الصلاة والسلام: (أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟! قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (٤). وقد أوصل بعض العلماء فوائد الذكر إلى أكثر من مائة فائدة من أعظمها: أنه يطرد الشيطان، ويقمعه، ويكسره (٥).

ومن أحاديث الأمثال يظهر أثر هذه الوسيلة في حياة الدعاة، وقوتها العظيمة الفاعلة لمن اشتغل بها، فعن حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ ﷺ (٦) قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ

(١) سورة الأحزاب: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، ح ٥١١، ٣٩٢/١، حسنه الألباني في صحيح الجامع، ح ٥٥٩٦، ١٦٧/٥.

(٤) سنن الترمذي، ح ٣٣٧٧، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب منه، ٤٥٩/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٦٨٨، ١٣٩/٣.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ص: ٦١.

(٦) حنظلة بن ربيع الأسيدي: نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم، ذكر أنه كان في وفد بني تميم، وقيل ابن ربيعة، ويقال له: حنظلة الكاتب، لأنه كان يكتب

للنبي ﷺ، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١٤٢/١، والإصابة، ابن حجر، ١/٣٥٩.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا (١) الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ (٢) فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَاِنطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنَظَلَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنَظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) (٣). وَفِي رَوَايَةٍ: (لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَأَظَلَّتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا) (٤).

وضح النبي ﷺ لأصحابه فضل الذكر وحلقه، وما يدور فيها من مدارسة للقرآن والحديث والصلاة على النبي ﷺ والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، وأهم لو لازموا الذكر، وعاشوا حياتهم في شوارعهم وأسواقهم وبيوتهم كما يعيشون في مجالس الذكر عند رسول الله ﷺ موقنين بالجنة والنار وكأنهم يعيشون في مشاهدتها، فإنه حينئذ ستنزل الملائكة تحادثهم وتسلم عليهم في الطرقات، ولكن ساعة وساعة لثلاث يحصل الملل من الذكر، ويحصل الترويح عن النفس بما شرع الله (٥).

(١) المعافسة: ملاعبة النساء، وأيضا: المعالجة والممارسة ومنها: اعتنق القوم، إذا تعالجوا في الصراع. الفائق، الزمخشري، ٥/٣، والنهاية، ابن الأثير، مادة: عفس، ٣/

٢٦٣، وغريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، دمشق: دار الفكر ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ١/ ٢٤٥.

(٢) الضيعات: مفردتها الضيعة، وهي: المرة من الضياع، وضیعة الرجل في غير هذا: ما يكون منه معاشه، كالصناعة، والتجارة، والزراعة وغير ذلك من المعاش، انظر:

الفائق، الزمخشري، ٥/٣، والنهاية، ابن الأثير، مادة: ضيع، ٣/ ١٠٨.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٧٥٠، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، ٤/ ٢١٠٦.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٤٥٢، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواري الحوض، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ٤/ ٦٣٤،

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٩٩٤، ٢/ ٢٩٨، وقال: حسن صحيح، وفي السلسلة الصحيحة، ح ١٩٧٦، عمَّان، المكتبة الإسلامية، ط. الثانية،

١٤٠٤هـ، ٤/ ٦٢٤.

(٥) فهم بعض الناس ممن يقارنون الذنوب والشهوات أن المراد بساعة وساعة: ساعة لإرضاء الرحمن، وساعة لإرضاء النفس والشيطان. وهذا غلط وشنط في الفهم لا

يستقيم لمن له أدق بصيرة في شرع الله، فليست هناك ساعة نرضي فيها ربنا وأخرى نسخطه فيها، بل كلنا وما نملك ووقفنا، وحياتنا لله رب العالمين

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة الأنعام: ١٦٢.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ في الحديث السابق ما يلي:

- التيسير على المدعو ورفع الحرج عنه، وضرورة الترويح عن النفس بما هو مشروعٌ مباحٌ، ليستمر العطاء، ولئلا يتعثر السالكون نتيجة الملل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسرٌ ولكن يُشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالعدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة)^(١).

قال ابن حجر-رحمه الله-: ((وأبشروا بالشواب على العمل الدائم وإن قلَّ. والمراد: تبشيرٌ من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره))^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخلَ عليها وعندها امرأةٌ. قال: (من هذه؟) قالت: فلانة، تذكُر من صلاتها. قال: مه عليكُم بما تُطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتى تملُّوا، وكان أحبَّ الدينِ إليه ما دامَ عليه صاحبه)^(٣)؛ لذلك فإن الناجح من الدعاة من مارس طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في مجالس الذكر، آخذاً بعين الاعتبار إبعاد المدعوين من الملل والسامة منها، بعدم الإطالة، أو بإضفاء شيء من الترويح فيها دون إفراط ولا تفريط، بل منهج وسط وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

- إن وسيلة الذكر، وحضور مجالسه ضرورةً للدعاة، فهم بحاجة إلى إدراك فضل هذه الحلق في زيادة الإيمان ورحمة الرحمان؛ لأنه يجب أن يعتني الدعاة بإيمانهم، ويحرصوا على حفظه وتعاهده.

- أهمية إقامة الداعية لحلق الذكر في المسجد والبيت، لآثارها المباركة في الدعوة إلى الله، مع التقيد بما ورد في صحيح السنة قولاً وأداءً لهذه العبادة الجليلة.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٩، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ٩٣/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٩٥/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٣، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، ١٠١/١.

- اهتمام الداعية بالحث على حضور مجالس الذكر، وبيان بركتها، وخيرها، وهداها على كل الحاضرين دون استثناء، فقد ذكر النبي ﷺ عن أهلها: (هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) (١).

- أن يلجأ الدعاة إلى سؤال أهل العلم والبصيرة، فعندهم الحلول المثلى والأدوية الناجعة لأمراض الشهوات والشبهات.

- استعانة الداعية بهذه الوسيلة بوعي التقوية على القيام بواجبات الدعوة، ومهامها، وأعبائها التي تتطلب منه كثرة الحركة، والتنقل، والتأليف، ونحو ذلك مما يدعم الدعوة ويقويها.

- تعزيز الداعية لما يدعو إليه بكل ما يجذب المدعويين، ويشد انتباههم، فيتأثر المدعو، ويحصل عنده حسن الاستماع للمتحدث إلى الدرجة التي تجعله يعيش الحياة التي يتحدث عنها المتحدث، ويجسها، ويراها رؤيا عين بكل ما فيها من خير ومن شر، فيحب الخير ويكره الشر.

- مداعبة الرجل لأهله وأولاده لا تُنقص الإيمان، بل هي من باب اللهو المباح والترويح المشروع.

- إن اعتراف المرء بتقصيره لا يضره، بل يكون دليلاً على صفاء طويته، وحسن نيته.

- أهمية استفسار الداعية عن حالة المدعو، وشكواه التي يعاني منها، والتأني في معرفة ما يريد، ليصل إلى وضع الحلول المناسبة، والأفكار الصحيحة.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يراعوا حالة المدعو، فإن النبي ﷺ أكد لحنظلة رضي الله عنه قضية الترويح عن النفس ثلاث مرات؛ ليزول ما في ذهنه، فيطمئن لإيمانه؛ لأنه حكّم على حاله بالنفاق.
الوسيلة الثانية - القدوة الحسنة:

إن من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه: القدوة الحسنة، وأفعال الداعية الحميدة، وصفاته النبيلة، وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها نموذجاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها، وينجذبون إليها؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤٠٨، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ٢٠٨/١١-٢٠٩.

بالأقوال. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) (فهذه الآية تشي على من يدعو إلى الله ويعمل عملاً صالحاً حتى يكون قدوة لمن يدعوهم.

وقد أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد ﷺ ليطبقه على نفسه، وليبلغه للناس، فيجتمع للأمة التشريع المقروء في الوحي مع التطبيق المتمثل في سيرة محمد ﷺ ويصبح لدى الأمة مع القرآن قدوة حسنة تتأسى بها في تطبيق ما يدعو إليه الإسلام. ولقد استمرت القدوة حية مصاحبةً لهذه الأمة في كل عصورها^(٢).

وقد سَطَرَ التاريخ الإسلامي الجيد أهمية القدوة، ونجاحها، وعمق تأثيرها في الدعوة إلى الله، فأثبت أن الإسلام انتشر في كثيرٍ من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين، التي كانت تبهرُ أنظارَ غيرِ المسلمين، وتحمّلهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدلُّ بها سليمُ الفطرة، وراجحُ العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حقٌّ من عند الله^(٣). وسأقدم لما أورده عن القدوة الحسنة من أحاديث الأمثال بتعريف القدوة وأهميتها في الدعوة إلى الله على النحو التالي:

تعريف القدوة الحسنة وأهميتها في الدعوة إلى الله:

الْقُدْوَةُ لُغَةً: الْقُدْوَةُ وَالْقِدْوَةُ مَا تَسَنَّتَ بِهِ، يُقَالُ: لِي بَكَ قِدْوَةٌ وَقُدْوَةٌ أَيْ: أُسْوَةٌ^(٤). يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٥).

(١) سورة فصلت: ٣٣.

(٢) الداعي إلى الله، زيد الريد، ص: ٥٣-٥٤.

(٣) انظر: القدوة مبادئ ونماذج، صالح بن عبد الله بن حميد، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص: ٧.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: قدا، ١٥ / ١٧١.

(٥) سورة الأحزاب: ٢١.

مفهوم القدوة في الدعوة إلى الله: مجموعة المثل والقيم والمبادئ الحسنة، في حياة الداعي العامة داعية أو إماماً أو قائداً أو مدرساً ونحو ذلك، وفي حياته الخاصة زوجاً وأباً وبنياً وعائلاً^(١) ونحو ذلك.

أهميتها في الدعوة إلى الله:

إن الداعية اليوم أحوج الناس إلى التزام منهج النبي ﷺ؛ لأنَّ المدعويين يأخذون عنه السلوك والأخلاق ونحو ذلك. فلو خالف عمله قوله هل يُقْبَلُ منه ما يدعو إليه؟! وبناءً على هذا فإنه يتعين على الداعية أن يَضَعَ نصب عينيه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

قال أبو حامد العزالي - رحمه الله -: ((كل من تناول شيئاً وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سُمُّ مُهْلِكٌ سَخَّرَ النَّاسُ بِهِ وَاهْمُوهُ، وَزَادَ حِرْصَهُمْ عَلَى مَا نُهُوا عَنْهُ، فَيَقُولُونَ: لَوْلَا أَنَّهُ أَطِيبُ الْأَشْيَاءِ وَأَلْذُّهَا لَمَا كَانَ يَسْتَأْثِرُ بِهِ))^(٣).

وقال الإمام الشاطبي^(٤) - رحمه الله -: ((وإنما كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، لأنه حكّم الوحي على نفسه حتى صار في علمه وعمله على وَفْقِهِ، فكان للوحي موافقاً مدعناً ملبياً واقفاً عند حكمه.

فحري بالدعاة إلى الله أن تكون الشريعة حاكمةً عليهم ومناراً يهتدون بها إلى الحق. وَشَرْفُهُمْ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِحَسَبِ مَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنَ الدُّخُولِ تَحْتَ أَحْكَامِهَا، وَالْعَمَلِ بِهَا قَوْلًا وَاعْتِقَادًا وَعَمَلًا)^(٥). وهذه الخاصة كانت من أعظم الأدلة على صدقه فيما جاء به؛ إذ قد جاء بالأمر وهو مؤتمر، وبالنهى وهو منته، وبالوعظ وهو متعظ، وبالتخويف وهو أول الخائفين^(٦).

(١) انظر: مناهج الدعوة وأساليبها، على حريشة، المنصورة، دار الوفاء، ط. الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص: ١٦٨.

(٢) سورة الصف: ٣٠.

(٣) إحياء علوم الدين، ١ / ٩٧.

(٤) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية توفي رحمه الله سنة ٧٩٠هـ. الأعلام، الزركلي، ٧١/١.

(٥) الاعتصام، ٢ / ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٦) انظر: الرسول المعلم، عبدالفتاح أبو غدة، ص: ٦٦.

ولا يخفى ما في القرآن والسنة، وسيرة النبي ﷺ المباركة من بيان القدوة الحسنة في شخص رسول الله ﷺ، بل قد أكد هذا الفضل، وهذا الأمر أقوال أعدائنا، فضلاً عن أحبائنا. والحق ما شهدت به الأعداء. ومما قالوه عنه ﷺ ((كان محمدٌ أسوةً حسنةً لقومه. كان خلقه نقياً من كلِّ دنسٍ، مُبرِّاً من كلِّ عيب، وكان ملبسه ومطعمه يمتازان بالبساطة النادرة، وكان متواضعاً يكره الادعاء فلا يقبل من أصحابه مظهراً خاصاً من مظاهر الاحترام، وكان قريباً من الناس في كل وقت))^(١). فهو أسوةٌ لأُمَّتِهِ في أخلاقه، وأفعاله، وأحواله. ولا ريبَ أنَّ التعليمَ بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس، وأدعى إلى الاقتداء والتأسي من التعليم بالقول^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين^(٣) - رحمه الله - متحدثاً عن الداعية الذي يخالف عمله قوله: ((و كما أن مُخَالَفَتَهُ لما أَمَرَ به، ووقوعه فيما نَهَى عنه مخالفةٌ للدين فهي مخالفةٌ للعقل أيضاً. قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٤)). وذلك أن دعوته إلى الشيء:

إما أن تكون عن اقتناعٍ بفائدته ومصالحته، فمخالفته حينئذٍ إما وقوعٌ في ضررٍ، إن كان مما ينهى عنه، أو تفويتٌ لمصلحةٍ إن كان مما يأمر به، وكلاهما خلافُ العقل؛ لأن العاقل لا يفوت على نفسه المصالح، ولا يوقعها المضارَّ.

وإما أن تكون دعوته إليه لا عن اقتناعٍ بفائدته ومصالحته وهذا أعظم؛ لأنه أتعب نفسه فيما لا يراه مفيداً، وتلبس بثوب ليس هو من أهله، وإذا كان دعا رياءً فقد غرَّ نفسه وخدعها؛ لأن أمره سيضمحلُّ، وحاله سينكشفُ، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَدَّبُّهُ جُفَاءً

(١) من سيرة الرسول ﷺ، عبداللطيف عاشور، ونسبه إلى: د (غوستاف ول)، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ص: ٤٧.

(٢) انظر: الرسول المعلم، عبدالفتاح أبو غدة، ص: ٦٤ - ٦٥.

(٣) محمد بن صالح بن عثيمين المقلد الوهبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة في عام ١٣٤٧هـ في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، تتلمذ على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي، وكان ذكياً منكباً على التحصيل والتأليف والتدريس إلى أن توفي رحمه الله في يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال من عام واحد وعشرين بعد الأربعين وألف من الهجرة النبوية. انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد، ناصر مسفر الزهراني، السددام، دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص: ٢٥.

(٤) سورة البقرة: ٤٤.

وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكْتُ فِي الْأَرْضِ^(١). وَلْيَعْلَمْ الدَّاعِيَةُ أَنْ تَهَاوَنَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَيْسَ كَتَهَاوَنِ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْوَةٌ لِلنَّاسِ^(٢).

والقدوة مسؤولة تلزم الداعية، يتأثر بصاحبها المدعوون حتى وإن كان متظاهراً بها أمام الناس مخالفاً لها في حال اختفائه عنهم. يؤيد هذا ما ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((يَجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ! قَالَ: كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ^(٣))).

فالداعية مطالب بأن يكون قوله مطابقاً لفعله، فلا تناقض بين القول والفعل، فإن الحق تبارك وتعالى قد أنكر على نفرٍ من الناس تمنوا الجهاد، فلما فُرضَ لَم يثبتوا له، وذلك كما في أول سورة الصف حيث يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٠٠﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤)؛ لذا فإن المدعوين بحاجة ماسة اليوم إلى الداعية الذي يدعو الناس بأفعاله قبل أقواله. وبلطفٍ آخر إن المدعوين يحتاجون إلى القدوة العملية. وهذا يحتاج إلى دربةٍ وعملٍ يحمل النفس على ما تكره حتى يكون من حالها أن لا تجد الراحة والمتعة والسعادة إلا في طاعة الله تعالى، كما صور ذلك أحد العلماء العاملين يقول: لا زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك. والله در عمر بن عبدالعزيز^(٥) -رحمه الله- حيث قال: ((إنما قصر بنا عن علم ما

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله، محمد الصالح العثيمين، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٧ هـ، ص: ٣٤-٣٦.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٢٦٧، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأما مخلوقة، ٦/ ٣٣١.

(٤) سورة الصف: ٢-٣.

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الإمام كان واحد أئمة في الفضل، ونجيب عشرته في العدل، جمع زهداً وغفافاً وورعاً وكفافاً، شغله آجل العيش عن عاجله، وألهاه إقامة العدل عن عاذله، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي مات يوم الجمعة، لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أرض حمص، وعاش تسعاً

وثلاثين سنة ونصفاً. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٥/ ٢٥٣، وما بعدها، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/ ١١٤-١٤٤.

جَهْلُنَا تَقْصِيرُنَا فِي الْعَمَلِ بِمَا عَلَّمْنَا، وَلَوْ عَمَلْنَا بِيَعْضِ مَا عَلَّمْنَا لِأُورَثْنَا عِلْمًا لَا تَقُومُ بِهِ
أَبْدَانُنَا))^(١).

أبرز الضوابط المنهجية للقدوة في الدعوة إلى الله من خلال أحاديث الأمثال:

تظهر الضوابط المنهجية للدعوة بالقدوة الحسنة كوسيلة دعوية بما يلي:

أولاً - تركه ﷺ المداومة والاستمرار على بعض الأعمال الصالحة، لرفع الحرج والمشقة عن
المدعويين.

دليل هذا الضابط ما يلي:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشْتَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَعَزُّو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا،
وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَعْزُو
فَأُقْتَلُ)^(٢).

يظهر من الحديث حرص النبي ﷺ وحبه للغزو في سبيل الله، مؤكداً ذلك بذكر رغبته
في عدم التخلف عن سرية ومعركة يخوضها المسلمون، لكنه يتخلف لثلاً يشق على أمته؛
لأن العاجزين عن الخروج للجهاد بسبب قلة المال، أو لمرض، أو لعذر آخر يجدون في
أنفسهم حرجاً لعدم مشاركتهم فيشق ذلك عليهم، اعتقاداً منهم لفرضيته المتحتمة،
فيلحقهم الألم والحسرة؛ لذا لم يخرج عليه الصلاة والسلام مع كل سرية التفاتاً منه
لظروف وأحوال أمته.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ مَا يَلِي:

- أهمية أن يحرص الداعية على رفع الحرج عن المدعويين قدر استطاعته.

- شدة الحاجة لإبقاء القدوة الحسنة على صفائها، وحب الناس لها، والتأسي بصاحبها،
وتأكيد ذلك بالقسم طلباً للدفع ما قد يعرض من توهمات عند المدعويين.

(١) وفتا مع الدعوة والدعاة، أحمد عباس البديوي، الرياض، دار الشروق، ط. الأولى ١٤١٠هـ، ص: ٣٥-٣٨.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٨٧٦، كتاب الأمانة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ٣/ ١٤٩٥-١٤٩٦.

- إن من تطبيقات القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله أن يأخذ الداعية بمسألة الأعدار الشرعية من مرض ونحوه، وأن يُبَعِدَ نفسه ومدعويه عن المشقة؛ لأن إيقاع المشقة على المدعوين مخالف لقصد الشرع الحنيف.

قال الشاطبي-رحمه الله:- ((فإن طلب الأجر بقصد الدخول في المشقة قصد مناقض لقصد الشارع))^(١).

وقال العز بن عبد السلام-رحمه الله:- ((لا يصح التَّقَرُّبُ بالمشاق؛ لأن القرب كلها تعظيمٌ للرب سبحانه وتعالى، وليس عينُ المشاقِّ تعظيماً وتوقيراً))^(٢).

ثانياً- التبرير لفعله ﷺ لدفع أي إشكالات عليه.

إنَّ الغايةَ من التبرير لأفعاله ﷺ ابتعاده عما يُحَدِّثُ اضطراباً لدى المدعويين، أو يُوقِعُ في

تساؤلاتٍ، كما سيظهر من الروايات التالية:

أ) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيِّ^(٣) قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا^(٤) يَقُولُ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَةِ مَلْحَانَ^(٥)، فَاتَّكَأَ عِنْدَهَا، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقَالَتْ: لِمَ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: (أَتَضْحَكُ مِنْ رَأْسِي؟)^(٦) فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرَكِبُونَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِثْلَهُمْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ فَضَحِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: مِثْلَ أَوْ مِمَّ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهَا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَكَلَسْتِ مِنَ الْآخِرِينَ^(٧). وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَتْ: (فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ

(١) الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله داراز، مكة المكرمة، دار الباز، دون تاريخ، ١٢٩ / ٢.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ص: ٣١.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي، له صحبة ورواية. أسد الغابة، ابن الأثير، ت ٣٠٤٥، ٣ / ٣٠١.

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النجار، خادم النبي ﷺ، كان يفتخر بذلك، يكنى بأبو حمزة، خدم النبي ﷺ، عشر سنوات، أقام بالمدينة، دعا له النبي ﷺ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين. أسد الغابة، ابن الأثير، ت ٢٥٨، ١ / ١٥١.

(٥) أم حرام بنت ملحان الأنصارية خالة أنس بن مالك، تزوجها عبادة بن الصامت، ركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت سنة سبع وعشرين. الإصابة، ابن حجر، ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٦) سنن أبي داود، ح ٢٤٩٢، كتاب الجهاد، باب الغزو في البحر، ٣ / ١٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢ / ٩٣.

(٧) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٨٧٨، كتاب الجهاد، باب غزو المرأة في البحر، ٦ / ٧٦.

قَوْماً مِمَّنْ يَرَكِبُ ظَهْرَ هَذَا الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ...^(١) وفي رواية: عَنْ أُخْتِ أُمِّ سُلَيْمِ الرُّمَيْصَاءِ^(٢) قَالَتْ: (نَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَيْقَظَ وَكَانَتْ تَغْسِلُ رَأْسَهَا فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَضْحَكُ مِنْ رَأْسِي؟ قَالَ: لَا)^(٣).

انطلاقاً من حرص الصحابة على معرفة كل سلوك يُمارسه النبي ﷺ، وفعل يقوم به، وقول يتلفظ به، والتأسي به في ذلك كله، حرصت هذه الصحابة الجليلة على معرفة سبب هذا الضحك، فلم يخف النبي ﷺ الحقيقة عنها، بل برّر لها وأبان سبب ضحكها، وأجابها عن استفسارها. وهو بهذا الجواب أزال عن فعله كل ريب وقلق في نفس تلك الصحابة، وليزيل ما علق في ذهنها من لبس ونحوه.

ومما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث ما يلي:

- ينبغي أن يسلك الدعوة هذا المسلك المبارك في إزالة كل ما يعلق في ذهن المدعو من إشكال؛ لأنه يبين وضوح طريقتهم، وسلامة منهجهم، وحسن خلقهم، وجدارتهم لأن يكونوا قدوة لمن يدعوهم.

- أهمية أن يتصف الدعوة بحسن القدوة في التعامل مع المدعويين سؤالاً وجواباً، وتلبية لطلباتهم الممكنة التي لا إثم فيها، وورغباتهم لما ينتج عنها من محبة الجميع للدعاة والمريين، ونيل الرفعة والشرف المبين، ونشر الدين القويم.

- ينبغي للدعاة إلى الله العمل بالحكمة في استخدام وسيلة القدوة، والتي تقتضي في مثل هذا المقام مراعاة اختلاف أفهام المدعويين، وإزالة ما قد يعلق في أذهانهم من لبس، وتوضيح ما أشكل عليهم من أمور الدعوة، وعدم تأخير ذلك عن وقت البيان؛ لتسير الدعوة في طريق مُمَهَّد يسير.

(١) سنن أبي داود، ح ٢٤٩٠، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر، ١٤/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٢/٢ - ٩٣.

(٢) أخت أم سليم هي أم حرام بنت ملحان الأنصارية، وأم سليم هي الرميصاء بنت ملحان بن خالد الأنصارية، وهي أم أنس بن مالك، تزوجها أبو طلحة بعد موت زوجها مالك، وكان مهرها إسلامه، الإصابة، ابن حجر، ٤/٤٤١ - ٤٤٣.

(٣) سنن أبي داود، ح ٢٤٩٢، كتاب الجهاد، باب الغزو في البحر، ١٥/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٣/٢.

- من تمام إجحاح استخدام وسيلة القدوة في الدعوة إلى الله تعالى أن يدرك الدعوة خطراً التسرع، وفضل الرجوع إلى أهل العلم والفضل في مسائل الدين ليقف الدعوة عليها عن بصيرة وهدى.

- من مقتضيات استخدام وسيلة القدوة أن يُعنى الداعية بإقناع السائل من خلال إجابة هادئة، وحنة واضحة، وتبرير معقول ومقبول.

(ب) حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: (هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، ثُمَّ مَرَّ بِي بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَدْ أُهْدِيَ إِلَيَّ حَيْسٌ، فَخَبَّاتُ لَهُ مِنْهُ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحَيْسَ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ، فَخَبَّاتُ لَكَ مِنْهُ، قَالَ: أَذْنِيهِ أَمَا إِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَأَكَلْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ الْمُتَطَوِّعِ مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا^(١).

يوضح الحديث جانباً من حياة النبي ﷺ يتجسد في يسر العيش، والازدياد من الطاعات، وحسن العشرة في البيت النبوي الكريم الطاهر، والبعد عن التوسع في المأكل والمشرب. وحرى بمعاشر الدعوة إلى الله أن يتأسوا بتلك الحياة المباركة، وحينئذ ستكون الدعوة صادقة؛ لأنهم لن يستسلموا لأي ظرف، ولن يسمحوا لأي سبب أن يعيق تحركهم في الدعوة إلى الله سواء أنقص المال والغذاء أم اكتملا.

وكذلك يتبين تعليم النبي ﷺ أهله الصبر على ضيق العيش بالعمل فإنه عليه الصلاة والسلام عندما سأل عن الطعام، وأخبروه بعدم وجوده، عزم على الصوم؛ ليكون قدوة لأهله وأمته، ومعلماً بالفعل كيفية الصبر على شظف العيش، وكيف تكون المبادرة إلى الخير.

وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن استخدام وسيلة القدوة في الدعوة إلى الله يستلزم الهجرة إلى الله، فلا تعلق بأي مظهر من مظاهر الحياة الدنيا إلا بقدر ما يخدم تلك الهجرة، ويخدم الدين، والدعوة إلى الله.
- إن الخطوط العريضة والمهمة في استخدام القدوة الحسنة كوسيلة دعوية نافعة لها أثرها وتأثيرها في المدعوين، تحتم على الدعاة أن يجاهدوا أنفسهم على أن يتمثلوها في الأفعال

(١) سنن النسائي، ح ٢٣٢٢، كتاب الصيام، باب النية في الصيام، ٥٠٧/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ٢٣٢٢، ٤٩٢/٢.

والسلوك، فتكونُ سابقةً لأقوالهم، ليثق المدعوون بالدعوة وصاحبها، الذي لا يقول شيئاً إلا وهو فاعلٌ له، ولا ينهى عن شيءٍ إلا وهو تاركٌ له.

- ينبغي للداعية الفطن أن يبرر عدوله عن أمر من الأمور، كي لا تتأثر القدوة، وتقل نظرة المدعوين إليه.

ثالثاً - إيجابه الاقتداء به ﷺ في صفة الصلاة:

يتضح هذا من دعوته أصحابه للتأسي به في صفة الصلاة قائلاً لهم: (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) (١). يوضح هذا الحديث وجوب الاقتداء به ﷺ في شأن الصلاة حيث أمر ﷺ أصحابه بتحقيق المتابعة له في أدائها. ولا شك أن أمر النبي ﷺ مطاعٌ وواجبٌ على أصله ما لم يأت ما ينقله من هذا الأصل إلى الاستحباب كما هو مُقرَّرٌ في أصول الفقه الإسلامي (٢).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن أبرز جوانب القدوة الحسنة أن يعظم الدعاة شأن الصلاة؛ لأنها الصلة بين العبد وربّه يستمد منها الإيمان والصفاء، ولأنه في موضع القدوة لمدعويه فهي عبادة يشاهدها المدعو، فينبغي أن يعتنوا بها عناية فائقة، وأن يكونوا قدوة حسنة فيها، في كل حركاتهم وسكناتهم في الصلاة، وبناء على هذه النظرة يأخذون ويذرون، أو يتشككون ويختارون.

- أهمية أن يعتني الدعاةُ بالعلم الصحيح بهدي النبي ﷺ في صلاته والاقتداء به فيها دون انتقاصٍ لأي من أركانها، أو واجباتها، أو سننها وآدابها.

- توحيد الدعاة لمنهجهم فيما يتعلق بدعوة الناس للمحافظة على الصلاة، وأدائها في بيوت الله وفق شرائطها، وضوابطها، وسننها المنقولة بأسانيد صحيحة، والابتعاد عن الشذوذات المفتقرة إلى فقهٍ صحيح، ظهر من خلال اختلاف عددٍ من الهيئات والحركات في الصلاة مما حدا ببعض العلماء أن يؤلف مؤلفاً سماه ((لا جديد في أحكام الصلاة)) (٣).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٣١، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، ٢/ ١١١.

(٢) انظر على سبيل المثال: الرسائل والمتون العلمية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٣٩٧، أصول الفقه، محمد الحضري بك، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. السادسة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص: ١٩٤ وما بعدها.

(٣) لا جديد في أحكام الصلاة، بكر بن عبدالله أبو زيد، الرياض، دار الراجحي، ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ولجمال عبارته بهذا الشأن رغبت أن أنقلها لتكتمل الفائدة يقول وفقه الله: ((بَدَتْ مَفَاهِيمُ
بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ فِي الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ، وَالشَّعَائِرِ الْمُعْظَمَةِ، لَا عَهْدَ لِلْعُلَمَاءِ
بِهَا مِنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ حَتَّى عَصَرِنَا، وَإِنْ تَنَزَّلْنَا فِي بَعْضِهَا قَوْلٌ مَهْجُورٌ عَلَى مَدَى الْقُرُونِ.
وَكَفَى خَطَأً بِقَوْلٍ: خُرُوجُهُ عَنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ فِيهَا بَدَأُ أَعْمَالٍ، وَحَرَكَاتٍ،
وَهَيْئَاتٍ، وَصِفَاتٍ فِي رُكْنِ الْإِسْلَامِ الْعَمَلِيِّ الْأَعْظَمِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، أُبْرَزَتْ الْمَصْلِيَّ فِي
بَعْضِهَا فِي حَالٍ مِنَ التَّكْلِيفِ وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ عَنْ نَبِيِّهِ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمَتَكَلِّفِينَ﴾^(١)... وكثيراً ما تكون هذه الفهوم المغلوطة، من التوغُّل في فهم السنن
تارةً، وعدم الالتفات إلى المعاني والأصول اللسانية، والحديثية، والفقهية تارةً أخرى. وهذا
من خطر التجريد في دليل التقرير، والغفلة عن سنة الوسطية والاعتدال في الصلاة،
والإعراض عن كتب الفقه والخلافات للوقوف على علل الأحكام ومداركها، وخلافهم
فيها))^(٢).

ومما سبق ندرك أهمية الوسائل الدعوية في الدعوة إلى الله، وغايتها، وأهدافها، وثمراتها،
وقوة تأثيرها في المدعويين، وضعف القول بعدم جدواها، أو ببدعيتها، بل إنها خادمة
للدعوة يحسن بالدعاة الأخذ بها في حدود ما شرع الله، كما يستخلص مما مضى من
الصفحات في هذا المبحث أهمية كل وسيلة في وقتها المناسب، ومكانها المناسب.

(١) سورة ص: ٨٦.

(٢) لا جديد في أحكام الصلاة، بكر أبو زيد، ص: ٦-٨.

الفصل الرابع: فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بموضوعات الدعوة:

المبحث الأول - فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالعبادة.

المبحث الثاني - فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالعبادة.

المبحث الثالث - فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالأخلاق.

المبحث الرابع - فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالمعاملات.

المبحث الخامس - فقه الدعوة من الأمثال المتعلق بالمحرمات.

المَبْحَثُ الأولُ: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الأمْثَالِ المتعلِّقِ بالعقيدة.

الفصل الرابع: فقه الأمثال المتعلق بموضوعات الدعوة

المبحث الأول: فقه الأمثال المتعلق بالعتيدة:

يُعدُّ موضوع العتيدة من أبرز الموضوعات التي وردت في أحاديث الأمثال، لأهمية العتيدة في دعوة النبي ﷺ، ولأنها الأساس لغيرها من الأعمال. ويحسن بي قبل الشروع في دراسة أحاديثها أن أمهد بتعريفها.

تعريف العتيدة لغة واصطلاحاً:

العتيدة لغة: من عَقَدَ، والعَقْدُ: نقيضُ الحَلِّ، وعَقَدَ قَلْبَهُ على الشيء: أي لَزِمَهُ^(١).
العتيدة اصطلاحاً: الإيمانُ الجازمُ بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع والرسول ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع^(٢).

والمراد بها في الدعوة إلى الله: أن يرتبط المسلم بما يؤمن به من أمور الدين ارتباطاً قوياً، عميقاً، يخالجُ شِعَافَ القلب، ويتمكن منه، حتى يصل به إلى مرتبة الإحسان، والتي يكون فيها العبد المؤمن عابداً لله كأنه يراه، ومراقباً له في السرِّ والنجوى، وامتصلاً به في كل الأحوال، وذاكراً له في رَوْحَتِهِ وَعَدْوَتِهِ، وفي مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، وفي سائر أحواله. وستظهر عناية النبي ﷺ بموضوع العتيدة في دعوته المباركة، من خلال ذِكْرِ بعض جوانبها وقضاياها الواردة في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

الجانب الأول: الإيمان بالله وما يتصل به:

ويتضمن هذا الجانبُ بعضَ مسائلِ العتيدة، وقضاياها، سأعرض دراستها وفقهها من خلال أحاديث الأمثال في الصفحات التالية:

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة عقد، ٣/٢٩٦-٢٩٨.

(٢) مباحث في عتيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى، ص: ٩.

أولاً - عناية النبي ﷺ الفائقة بالبراءة من سائر المعبودات سوى الله، والقضاء عليها:

إن البراءة من الشرك، والأصنام المعبودة من دون الله من قضايا العقيدة البارزة التي اعتنى بها النبي ﷺ، وكرس لها الكثير من الجهود في سبيل الخلاص منها، والتحرر من عبوديتها، والقضاء عليها قضاءً مُبرماً بحرقها وهدمها؛ لأن في ذلك صفاء العقيدة، وسلامتها من صرف العبادة لغير الله تعالى، كما هو واضح في الأحاديث التالية:

عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ... فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرَ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدَهُ كَذَلِكَ) (١).

يوضح الحديث جانباً من جوانب العقيدة المهمة، يُعدُّ الأساس والأصل لكل الجوانب؛ ألا وهو: توحيد الله بالعبادة، فقد كان النبي ﷺ وجميع الأنبياء يدعون إلى ذلك، كما يظهر من الحديث أن أول ما أمرُوا بتبليغه عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك أمر النبي ﷺ.

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- بيان أهمية الاستعانة بالإخوان وأهل الخير لإنجاح المهام الدعوية، وليس في هذه الاستعانة ما يخالف العقيدة بل هي استعانة شرعية من أحياء على أمر يقدر عليهم.
- ضرورة قيام الداعية بتنفيذ مهمة الدعوة بأقصى جهدٍ متاحٍ له، والانتصار للتوحيد وأهله، والقضاء على الشرك وأهله.
- اهتمام الداعية بشأن تصفية العقيدة دعوةً وتطبيقاً؛ بأن تكون هذه التصفية منصباً على توحيد الله عز وجل بالعبادة وعدم الإشراك به.
- تمثيل الداعية للشرك بمثلٍ يرفضه المنطق السليم، فتصيب الدعوة بهذه المنطقية أهدافها المأمولة، وتصل إلى العمق لتستقر.

(١) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، ١٤٩ - ١٤٨/٥.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/٣٥٤ - ٣٥٦.

ثانياً- الدعوة إلى إبقاء الفطرة على خَلْقَتِهَا التي خلقها الله عليها:

مفهوم الفطرة: هي حالة من الاستعداد، والقبول، والتمكن، فطر الله الخلق عليها، وأودع معرفته وحبه، والتمييز بين الخير والشر والنافع والضار فيها، مما يجعلها ميالةً إلى الأحسن عند سلامة الظروف والبعد عن المؤثرات^(١).

ولقد عني النبي ﷺ بالدعوة إلى سلامة الفطرة من العقائد الفاسدة، والحث لإبقائها على الإحساس الجبلي نحو الألوهية، وإزالة غشاوة التقليد، وحجاب البيئة، والثقافة المحيطة^(٢). وذكر ابن تيمية-رحمه الله-: أن الله فطر عباده على إقامة الوجه حنيفاً. ويعني هذا عبادته وحده لا شريك له. وإقامة الوجه لله من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة للقلب. وتركها ظلمٌ عظيم^(٣)؛ لذلك اعتنى النبي ﷺ بإثارة الفطرة في الدعوة إلى الله تعالى إتباعاً لمنهج القرآن الكريم الذي تخلق به وتأدب بآدابه العظيمة. بخلاف ما ذهب إليه بعض علماء النفس المعاصرين الذين يتجاهلون الفطرة حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يعلن في مؤتمر تربوي قوله: ((علينا أن نعرف يا سادة أنه لم يعد لكلمة الفطرة مكانٌ في قاموس علم النفس)). مشيراً بذلك إلى النظرية البيئية أو الفسيولوجية^(٤)، أما في قاموس الإسلام فما زالت اللفظة تكرر حتى تقوم الساعة^(٥).

وهذه الفطرة البشرية لها خصائص وصفات يعرضها منهاجُ الله بأسلوبه الفريد المتميز من خلال العقيدة والإيمان. عرضاً يُقدم زاداً للمؤمن يساعده وهو يدرسُ الواقعَ البشريَّ من خلال إيمانه ودينه^(٦).

(١) انظر: دعوة الفطرة، يوسف محيي الدين أبو هلاله، الرياض، دار العاصمة، ط. الأولى ١٤٠٨هـ، ص: ١١-١٧.

(٢) انظر: المنهاج القرآني تكوين وإقناع، عبدالله يوسف الشاذلي، طنطا، المكتبة القومية الحديثة، دون تاريخ، ص: ٥٦-٨٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ١٠/١٤٦-١٤٧، روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، بيروت، دار العلم للملايين، ط. التاسعة والعشرون، ١٩٩٤م، ص: ٨٠-٨٢.

(٤) الفسيولوجية: الفسيولوجيا أحد أقسام علوم الأحياء، ويدرس وظائف أعضاء الأجسام الحية. يذهب الكثير من العلماء وخاصة السيكولوجيين منهم إلى اعتبار أن كل شيء مكتسب في الإنسان من لحظة تكوينه داخل رحم أمه. انظر: المعجم الفلسفي، مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية، بيروت، عالم الكتب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، حرف الفاء، ص: ١٣٥. المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، يوسف الصديق، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط. الثانية، ١٩٨٠م، ص: ١٢٤.

(٥) انظر: المنهج العلمي وتفسير السلوك، النهضة المصرية، ١٩٧٨م، دون باقي معلومات النشر، ص: ١٠٥، علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة، عبدالحميد محمد الهاشمي، الرياض، دار الهدى، ط. الخامسة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص: ٥٢-٥٩.

(٦) انظر: دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، عدنان رضا النحوي، الرياض، الفرزدق، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص: ٣٠٢-٣٠٣.

وإثارة الفطرة أشبهُ بحديثٍ بين شخصين استوعبا حقيقةً معينة غفلَ عنها أحدهما، فقام الآخرُ يذكُرُه بها دون حاجةٍ إلى البرهنة عليها^(١)؛ لأن الفطرة السَّويَّة تَدُلُّ على وحدانية الله. فالإنسانُ إذا تُركَ لفطرته وجبَلَّتِه فإنه سَيَجِدُ نَفْسَهُ مُتَّجِهًا إلى ما فَوْقَ الكونِ، وسيجدُها تَرْغَبُ إلى تلك القوة العلياء، وتَرْهَبُ منها؛ ولا سيما في النكبات والنوائب وحلول الكروب، وسيتجه مخلصاً إلى ربه طارحاً كلَّ المؤثرات البيئية التي غَيَّرَتِ الفطرة وانخرفتُ بها. وهذا ما كان يحدث لمشركي قريش كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

فإنَّ الإنسانَ حينَ تَجَرَّدَ مِنَ المؤثراتِ، والعوارضِ الطارئةِ، وَرَجَعَ إلى فِطْرَتِهِ لم يُخْلِصْ إلا لله، ولم يَلْجَأْ إلا إلى الله، فالنفسُ البشريَّةُ بطبيعتها وفِطْرَتِهَا تَشْعُرُ شُعُورًا وَجَدَانِيًّا بسلطانٍ غيبيٍّ قَوِيٍّ فَوْقَ قُوَى الكونِ وَسُنَنِ الوجودِ، وتُحِسُّ بِحاجتها إلى الاتصالِ به واستمدادِ المعونة منه بالدعاء^(٣).

ومما يؤكد المعاني السابقة من أحاديث الأمثال ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يَمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنَجِّجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً)^(٤).

مثَلُ النبي صلى الله عليه وسلم حالة الخلق - من حيث السلامة واكمال الخلق - بحالة البهيمه عندما تُخْلَقُ، فإنها تكون سليمةً من العيوبِ كاملة الخلق، ثم يُغَيِّرُهَا أصحابُها بقطعِ آذانها ووسمها.

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: ((مثَلُ قلوبِ بني آدمَ بالبهايم؛ لأنها تُوَلَّدُ كاملة الخلقِ ليس فيها نقصانٌ، ثم تُقَطَّعُ آذانها وأنوفها بعدُ، فيقال: هذه بحائرٌ، وهذه سوائبٌ، فكذلك قلوبُ الأطفالِ في حين ولادتهم؛ ليس لهم كفرٌ حينئذٍ، ولا إيمانٌ، ولا معرفةٌ ولا إنكارٌ كالبهايم

(١) انظر: المنهاج القرآني، عبدالله الشاذلي، ص: ٨٤.

(٢) سورة يونس: ٢٢.

(٣) انظر: أسمى الرسائل، عبد الحميد الخطيب، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط. الأولى ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م. ص: ٤٢٣.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢٤٥/٣.

السالمة، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين، فكفر أكثرهم، وعصم الله أقلهم... ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً؛ لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئاً. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١). فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر، أو إيمان أو معرفة، أو إنكار. فالفطرة: هي السلامة والاستقامة^(٢).

ومما يُستخلص من دروس وفقه دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إبراز الداعية أصلَ خَلْقَةِ بني آدمَ على حقيقتها البريئة، المُنَجَّهَةِ للخير، والمرتبطة بالعالم العُلُويِّ في أحلك الظروف، مما يبعث على إثارتها، وإرجاعها إلى تلك الحقيقة الجميلة؛ لتلا تؤثر فيها المؤثرات السلبية الخطيرة، والمهلكة.

- إثبات الداعية تأثير الأسرة في الفطرة سلباً وإيجاباً، مما يُوجب على أربابها أن يقوموا بواجب الرعاية الحقة نحو النشء؛ لأنهم مؤتمنون على رعايتهم.

- أهمية أن يتصدى الدعاة للعقائد المنحرفة، والأفكار الدخيلة، والفهم المَعْوَجَّ. ويكون التصدي بكل ما أمكن مما يُتاح لهم، كالجلسات البيئية مع الناشئة للوقوف على تصوراتهم وأفكارهم، وتعويد الناشئة على الطاعات وتأدية الصلوات في المساجد، وإحضار أشرطة إسلامية تسهم في زيادة الإيمان وتقويته، وغير ذلك مما يوفر للناشئة حَصَانَةً ضِدَّ أيِّ انحرافٍ.

- إن واجب الآباء، والمربين، والدعاة: توجيه النشء نحو العقيدة الصحيحة والإيمان بالله، وإبعادهم عن كل ما يخلد شُصْفَاءَ العقيدة، وكذا توجيههم نحو الأخلاق الفاضلة، فهم المسؤولون أمام الله عنهم؛ لأن هؤلاء الأطفال أوعية تستقبل كل ما يملؤها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(١) سورة النحل: ٧٨.

(٢) التمهيد، ١٨/٦٩-٧٠. وقوله عزوجل في الحديث السابق: (وَأَنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنْفَاءً): يعني على استقامة، وسلامة. والحنيف في كلام العرب: المستقيم السليم، والمراد: الذين خلصوا من الآفات كلها.

ثالثاً- الإيمان بصفات الله:

إن الإيمان بصفات الله أحدُ أركانِ الإيمانِ بالله تعالى، وهي: الإيمانُ بربوبِيته، وألوهِيته، وأسمائِهِ وصفاتِهِ.

وتوحيدُ اللهِ بِها أحدُ أقسامِ التوحيدِ الثلاثة؛ فمترئته في الدين عظيمَةٌ. حيث إنه من أبرز ما يُعِينُ المرءَ على أن يعبدَ اللهَ على الوجه الأَكْمَلِ، وعلى بصيرةٍ^(١).

وقد ورد في أحاديث الأمثال بعضُ تلك الصفات ساذكرُها في الصفحات التالية، على النحو الآتي:

الصفة الأولى - صفة الكلام:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)^(٢).

وفي رواية: (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيْلُ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيْلُ فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيْلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ. فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ الْحَقُّ)^(٣).

يوضحُ ظاهرُ الحديثِ أن الله عز وجل يتكلم، وأن كلامه قويٌّ يليق به، لا يمكن أن يشابه خلقه، ولا أن يكون كلاماً من دون لفظٍ ولا صوتٍ، ولا كلاماً مخلوقاً، وإنما هو صفةُ اللهِ عز وجل تليق به سبحانه وتعالى.

وقد ذكر غيرُ واحد من السلف رحمهم اللهُ: أن مَنْ زَعَمَ أن كلامَ اللهِ تعالى مخلوقٌ فهو زنديقٌ^(٤).

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين (ضمن الرسائل والمتون العلمية)، ٢٧٥/٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٨٠٠، كتاب تفسير القرآن، باب قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. سيأ: ٢٣، ٨ / ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٧٣٨، كتاب السنة، باب في القرآن، ١٠٥ / ٥ - ١٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٥٩ / ٣ - ١٦٠.

(٤) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي، ٣٨٧ / ١.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن من تمامِ العقيدةِ الصافيةِ أن يُثَبِّتَ العبدُ صفةَ الكلامِ لله تعالى على ما يليق به سبحانه. وكلامه لفظٌ حقيقيٌّ لا يُشْبِهُ المخلوقين في شيءٍ.

- أهمية أن يبينَ الدعاةُ- في دعوتهم لتنقية العقيدة- وجوب الإيمان بصفةِ الكلامِ لله، وإثباتها من دون تعطيلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ.

- ضرورة أن يسعى الدعاةُ لتصفية قضايا العقيدة ومنها: إثباتُ صفةِ الكلامِ لله بآدئين بأنفسهم أولاً، ثم بالمدعويين على أن تكون التصفية منطلقةً من كتاب الله وصحيح سنة النبي ﷺ وصحيح المنقول عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين.

- إن من سلامة العقيدة عدم الخوض في فلسفة المتكلمين، وتكلفاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطانٍ في هذا الباب، والإصغاء إلى شبههم الواهية حول صفةِ كلامِ رب العالمين بدعوى التزيه لله. ومن ذلك قولهم: إن كان الله تعالى يتكلم له صوتٌ وحرفٌ، لزم من ذلك التشبيه والتجسيم؛ لأنه لا بُدَّ له حينئذٍ من مخارج الحروف من اللسان، إلى آخر كلامهم^(١).

والداعية الفطنُ هو من يأخذُ مدعويه بسهولة العبارة ووضوحها، وإبعادهم عن الشبه، تالياً عليهم قولَ الله تعالى الواضح السهل: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾^(٣).

الصفة الثانية - إثبات اليد لله تعالى:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّوْهَا^(٤) الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدَكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ)^(٥).

(١) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، محمد أمان الجامي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٨ هـ، ص: ٢٦٧.

(٢) سورة النساء: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٤) يَتَكَفَّوْهَا: يريدُ الخُبْزَةَ التي يصنعها المسافر، فإنها لا تبسطُ كالرُقَاقِةِ، وإنما تُقَلَّبُ على الأيدي حتى تستوي. النهاية، ابن الأثير، ١٨٣/٤.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٢٠، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ٣٧٢/١١، صحيح مسلم، ح ٢٧٩٢، كتاب صفة القيامة والجنة والنار،

باب نزل أهل الجنة، ٢١٥١/٤.

قال العثيمين - رحمه الله -: ((إن يدي الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقةً على الوجه اللائق به يبسطهما كيف يشاء، يقبضُ بهما ما شاء. ودليلهما قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْهِ﴾^(٢). ولا يجوز تفسير اليدين بالقوة؛ لأنه مخالفٌ لظاهر اللفظ، وإجماع السلف، وليس عليه دليل))^(٣).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يوضحوا العقيدة الصحيحة للمدعوين لاسيما عندما تكثر الشبهة، ويروج المذهب المخالف للصواب؛ لأن سلامة العقيدة من مهمات الدعوة العظيمة. والداعية يحرصُ على إنقاذ الناس من التخبُّط فيها.

- إن إثبات صفة اليد لله أدبٌ مع القرآن والسنة؛ لأهمها أثباتها. والدعاة ملزمون ببيان هذه الحقيقة؛ لأن كثيراً من الناس فسروها خطأً بالقدرة تارة، وبالنعمة تارة بزعم الفرار من التشبيه والتجسيم، أما ظاهر الحديث السابق فعلى خلاف ذلك، وكذا صريح القرآن: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْهِ﴾^(٤).

- أهمية أن يسلك الدعاة بالمدعوين مسلكاً سهلاً فيما يخص إثبات اليدين لله تعالى من خلال عرض عددٍ من التساؤلات:

ألم يقل الله سبحانه: ﴿بِيَدَيْهِ﴾؟

ألم يقل سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٥)؟

لماذا لم يقل سبحانه: بقدرتي بدلاً من قوله: بِيَدَيْهِ؟

ثم: مَنْ أَعْلَمُ اللهُ، أم البشر؟

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة ص: ٧٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (ضمن الرسائل والفتاوى العلمية)، ٢٢٩/٣.

(٤) سورة ص: ٧٥.

(٥) سورة المائدة: ٤٦.

ولا ريب أن الله أعلمُ بنفسه من خلقه، وقد أخبر سبحانه أن له يدين. فهل يحق لنا أن ننفي ذلك؟! وتتأوله بتأويلات تخالف ما هو الظاهر والواضح.

و ملخص الجواب عن تلك التساؤلات أنه لا بد من إثبات ذلك، تأدباً مع النص القرآني، والتزاماً بمنهج خير الأمة ﷺ، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، والدعوة إليه بأسلوب لطيف لا عنف فيه، ولا غلو ولا شططاً.

الصفة الثالثة - إثبات الأصابع لله تعالى:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصْرَفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ مُصْرَفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)^(١).

قال العثيمين - رحمه الله -: ((أخذ السلفُ بظاهر الحديث، وقالوا: إن الله تعالى أصابع حقيقةً نُشِئَتْ لها كما أثبت لها رسوله ﷺ، ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصبعين منها أن تكون مُمَاسَّةً لها حتى يقال: إن الحديث موهَّمٌ للحلول، فيجب صرفه عن ظاهره، فهذا السحابُ مُسَخَّرٌ بين السماء والأرض، وهو لا يمسُّ السماءَ ولا الأرضَ، ويقال: بدرٌ بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينه وبينهما، فقلوبُ بني آدم كُلُّها بين أصبعين من أصابع الرحمن حقيقةً، ولا يلزم من ذلك المماسَّة ولا الحلول))^(٢).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ينبغي للدعاة معالجة قضايا الصفات بعبارات القرآن والسنة دون إدخال المدعويين في متاهات المتكلمين وحذقاتهم؛ فالحديث فيه بيان أن للرحمن أصابع. وبدون تكلف يقوم الداعية بدعوة القوم إلى إثبات ذلك احتراماً لقول النبي ﷺ.

- من تنقية العقيدة أن يبين الداعية عند الحاجة خطورة ردِّ الأحاديث الصحيحة في العقيدة، أو تأويلها تأويلاً لا يحتملُه النصُّ، كما يفعل من يُنكِرُ صفةَ الأصابع وقبلها اليد،

(١) صحيح مسلم، ح ٢٦٥٤، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ٤/٢٠٤٥.

(٢) القواعد المتلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين (ضمن الرسائل والمتون العلمية)، ٣/٣٢٠.

والكلام؛ لأن من أنكر صفة الأصابع زعم أن هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الآحاد؛ وليس هو حجة في العقيدة.

- من الدروس التي يمكن أن يفقهها الدعاة فيما يتعلق بالعقيدة عدم امتحان الناس في ذلك، والتنقيب عنهم، وإقحامهم لبيئنا ما عندهم، كما أن عليهم واجباً؛ إذا ما أظهر أحد من الناس شبهات حول العقيدة والחדش فيها أن يبينوا تلك الشبهات، ويردوها بالحجة والأدب.

الجانب الثاني - الإيمان بنبينا محمد ﷺ، وما يتصل به:

إن الإيمان بنبينا محمد ﷺ يستلزم عدداً من الأمور، سأذكر منها ما ورد في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

أولاً - الإيمان بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) (١).

يوضح الحديث الإيمان برسالة الأنبياء، وأنها حق من الله، وأنهم جميعاً جاءوا برسالة واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله بالعبادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢). يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: لما ذكر الأنبياء: ((هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد، فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام)) (٣). كما يوضح الحديث أن الحاجة كانت ماسة لبعثة النبي ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه أُرْسِلَ للناس كافةً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٥٣٥، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ٦/ ٥٥٨، صحيح مسلم، ح ٢٢٨٦، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، ٤/

١٧٩٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٣) تفسير القرطبي، ١١/ ٣٣٨.

(٤) سورة سبأ: ٢٨.

وفي هذا الحديث يشبه النبي ﷺ الأنبياء في تتابعهم واشتراكهم في الهدف الذي أرسلوا من أجله، ثم حاجة الناس إلى رسالته برجلٍ بنى بيتاً أبدع فيه، وأثار إعجاب كل ناظرٍ إليه، ولكن هذا الإعجاب لم يكتمل؛ لنقص موضع لبنةٍ في هذا البناء، فتمنى الناس لو وُضعت تلك اللبنة؛ ليكتمل البناء، فلما اكتمل البناء كان الإعجاب به أعظم، وفي هذا المثل دعوة من النبي ﷺ إلى الإيمان بالأنبياء جميعاً.

والإيمان بالأنبياء والمرسلين يتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بأن رسالتهم حقٌّ من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحدٍ منهم، فقد كفر بالجميع.

٢ - الإيمان بمن عَلِمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمدٍ وإبراهيمَ، وموسى، وعيسى، ونوحٍ عليهم الصلاة والسلام. وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، ونؤمن إجمالاً بمن لم نعلم اسمه منهم.

٣ - تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

٤ - العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم^(١).

قال الطيبي - رحمه الله -: ((هذا من التشبيه التمثيلي^(٢))، شبه الأنبياء، وما بُعثوا به من الهدى والعلم، وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق بقصرٍ شُيِّد بنيانُهُ، وأُحْسِنَ بناؤُهُ، ولكن ترك منه ما يصلحه، وما يسُدُّ خلله من اللَّبنة، فبعث نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته إياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان، هذا على أن يكون الاستثناء منقطعاً^(٣))، ويجوز أن يكون متصلًا^(٤)) من حيث المعنى؛ إذ حاصل الكلام تَعَجُّبُهُم من الموضوع إلا

(١) شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ٩٧ - ٩٩.

(٢) التشبيه التمثيلي: هو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزِعاً من متعدد؛ حسيّاً كان أو غير حسي، وهو: أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو: أعظمُ أثرًا في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذماً كان أوجع، أو برهاناً كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه؛ لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة. جواهر البلاغة، الهاشمي، ص: ٢٦٢، ٢٦٥.

(٣) الاستثناء المنقطع: هو ألا يكون المستثنى بعضاً مما قبله مثل: مررت بالقوم إلا حماراً. انظر: شرح ألفية ابن مالك (المشهور بشرح ابن عقيل) عبدالله بن عبدالرحمن بسن عقيل العقيلي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار العلوم الحديثة، ط. الرابعة عشر، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ١ / ٥٩٧-٥٩٩.

(٤) الاستثناء المتصل: هو أن يكون المستثنى بعضاً مما قبله، مثل: مررت بالقوم إلا زيداً. انظر: شرح ابن عقيل، ١ / ٥٩٧-٥٩٩.

موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المُصلحُ إلا ما اختص به من معنى المحبة، وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان^(١).

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يُكَمَّلَ الدعاةُ بعضهم بعضاً في الدعوة إلى الله، وأن يعملوا يداً واحدةً بعيداً عن الخذلان والفرقة، مقتدين في هذا المنهج بالأنبياء.

- أهمية أن تتوحد جهودُ الدعاة في الدعوة إلى الله، فيثون دعوتهم وفق هدي حكيم، وسننٍ راشدة، تُبَعِّدُ الناسَ عن الحيرة والتشردم والفرقة.

- ضرورة أن يكونَ الداعيةُ لبنةً بناءً قويةً جميلةً، لا معولَ هدمٍ وإضعافٍ للدعوة، ومنظرٍ قبيحٍ في بنائها.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن لا يهضموا حقَّ مَنْ سبقهم، ولا يتغافلوا عن جهود السابقين وبركاتهم. بل يجب الاعترافُ بهم، وبنفعهم، وفضلهم. وشعارهم في ذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

ثانياً- تحقق رؤيا ﷺ، وخلوته بربه:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ)^(٣).

يوضح الحديث أن رؤيا النبي ﷺ في النوم محققة، وأما تجيء مشبهةً ضياءً الصبح؛ وخصَّ الصبحُ بالتشبيه؛ لظهوره الواضح الذي لا يشك فيه. وقيل: عبَّرَ به؛ لأن شمس النبوة قد كانت مبادئ أنوارها الرؤيا إلى أن ظهرت أشعتها، وتمَّ نورها، وإنما بدئ بالرويا؛ ليكون

(١) الكاشف، الطيبي، ح ٥٧٤٥، ٣٦٣٤/١١.

(٢) سورة الحشر: ١٠.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير، ٢٢/١.

ذلك تمهيداً، وتوطئةً لليقظة؛ لئلا يفجأه الملك، ويأتيه بصريح النبوة بغتةً، فلا تحمل القوى البشرية ذلك^(١).

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يخلو الداعية برَّبِّه يستمد منه العون، والقوة، والهداية، والرشاد، واجتناب الضلال والإفساد.

- أن يبرز الداعية منزلة النبي محمد ﷺ عند ربه، وما خصه الله عز وجل به من صدق الرؤيا، وصلاحيها، وتحقيق وقوعها.

ثالثاً- الإيمان بأنه ﷺ بشر، يعتريه ما يعترى البشر:

(أ) عن عبد الله ﷺ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟) قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَتَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ. قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ^(٢). وفي رواية: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَذْكَرُ كَمَا تَذْكَرُونَ وَأَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْ السَّهْوِ)^(٣).

(ب) عَنْ سَلْمَانَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: (أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبَتْهُ سَبَبَةٌ أَوْ لَعْنَتْهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضِبُ كَمَا يَغْضِبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٤). ومع أننا نثبت بشريته إلا أنه سيد البشر وجسده أظهر الأجساد وقلبه أظهر القلوب كما ورد عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ

(١) انظر: كوثر المعاني، الشنقيطي، ٢٣٠/١-٢٣١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٠١، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ٥٠٣/١-٥٠٤.

(٣) صحيح مسلم، ح ٥٧٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ٤٠٠/١.

(٤) سنن أبي داود، ح ٤٦٥٩، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، ٤٦/٥، المسند، ح ٢٣٧٠٦، وقال محققه: إسناده صحيح، ١١٠/٣٩، وصححه

الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٤٦٥٩، ١٣٤/٣.

ذَهَبَ مُلِيءٌ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبُطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبُطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِيءٌ حِكْمَةً وَإِيمَانًا^(١).

(ج) عن عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)^(٢).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ مَا يَلِي:

- بيان الداعية لحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم، فيعطيه حقه من المكانة دون إفراطٍ ولا تفريطٍ.
- أن يُعنى الداعية ببيان بشرية محمد صلى الله عليه وسلم محذراً من العُلُوِّ فيه، وإخراجه إلى صفات الألوهية، وفي الوقت ذاته يقوم بالتنبيه لخطورة جفائه، وعدم توقيره وطاعته.
- إن إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يقتضي عند المسلمين خروجه عن البشرية وصفاتها، التي منها النسيان، والغضب ونحو ذلك.
- أهمية أن يتحلى الدعاة بالتواضع، والاعتراف بقدر أنفسهم، وعدم إعطائها ما لا تستحق، ورفعها فوق المشروع.
- لا ضير أن يطلب الداعية، أو المعلم، أو الأب، أو المربي، ممن هم تحته: أن ينصحوه، وأن يبينوا له خطاه ليقومه. وأن يرفع شعار النجاح، والتفوق الذي هو: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عِيُوبِي"^(٣).

رابعاً- تصديقه فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم:

من مسائل العقيدة المهمة في الدعوة إلى الله الإيمان والتصديق بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك: الإخبار عن كلام بعض الحيوانات، وفتنة القبر، وعذابه، ونعيمه. ويترتب على ذلك عناية الدعاة لإثباتها، وترسيخها في قلوب المدعوين على ما ورد في صحيح السنة النبوية على النحو التالي:

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٢٠٧، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/ ٣٠٢-٣٠٣، صحيح مسلم، ح ١٦٤، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات، وفرض الصلوات، ١/ ١٤٩-١٥٠.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٤٤٥، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ . ٤٧٨/٦.

(٣) انظر: سنن الدارمي، ١/ ١٦٢.

(أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا، فَضْرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْتِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثُمَّ، وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ قَالَ: فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ^(١)).

يوضح الحديث تأكيد صدق ما يخبر به النبي ﷺ من هذه القصص التي تعجب منها السامعون من أصحابه، فأكد لهم هذا الخبر بأنه يصدقه هو وأبو بكر وعمر.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن من تمام العقيدة، وكمالها، وضرورياتها عند الدعوة: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ.
- أهمية دعوة الناس للتصديق بكل ما أخبر به النبي ﷺ.

- أن يستشهد الداعية على صدق أمره ودعوته، بأقوال وشهادات العدول والثقات، ومن لهم قدم صدق في الدعوة إلى الله جل وعلا.

(ب) عن أسماء^(٢) رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ...، فَيُؤْتَى أَحَدَكُمْ، فَيَقَالُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ... فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَاجْبَنَّا وَأَطَعْنَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ... فَيَقُولُ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ^(٣)).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٤٧١، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث الغار، ٥١٢/٦.

(٢) أسماء والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التميمية، وهي بنت أبي بكر الصديق، وأمها قتيلة أو قتيلة بنت عبد العزى، تزوجها الزبير بن العوام وهاجرت وهي حامل منه بولدها عبد الله، فوضعت بقاء، وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل ومات بعده بقليل، كانت تلقب بذات النطاقين؛ لأن النبي ﷺ، قال لها: (أبسدك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة). الإصابة، ابن حجر، ٢٢٤/٤.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٨٦٦، كتاب العلم، باب من أحاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ١٨٢/١، صحيح مسلم، ح ٩٠٥، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ، في صلاة الكسوف من أمر الجنة، ٦٢٤/٢.

يخبر النبي ﷺ عن فتنة القبر، وعظيم شأنها، مشبهاً إياها بفتنة المسيح الدجال أو قريصةً منه. وقد كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من فتنة القبر كثيراً ويعلم أصحابه الاستعاذة منها، ودليل ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: (قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) (١).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- مما ينبغي أن يؤكد الداعية عليه من قضايا العقيدة قضية إثبات فتنة القبر، وبيان خطورتها، ووقوعها كما أخبر الصادق ﷺ دون ارتياب.

- تتجلى عناية الدعاة بهذه القضية العقديّة الغيبية من خلال تجسيد فتنة القبر، وتمثيلها بفتنة الدجال؛ لعظم خطورة الفتنتين، فيحذر الناس منهما.

- إن ربط الداعية ما يدعو إليه- من الأعمال الصالحة المقرّبة إلى الله- بالمؤثرات المحرّكة للعاطفة كفتنة القبر يعتبر من الروابط والتقنيات الدعوية المؤثرة تأثيراً بليغاً في نفوس المدعوين.

- قيام الدعاة بعقد مقارنات، بل مقابلات بين الخير والشر ونتيجة الأمرين، وبين الإيمان والنفاق وعواقبهما، فيصل الداعية الناجح من خلال تلك المقابلة بين الأضداد إلى أن تستبين طريق الحق والرشاد، وتميز عن طريق الباطل والغي والفساد.

- أهمية إبراز الداعية لضرر، وخطورة الكفر والنفاق في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، ومن تلك المخاطر الحيرة، والاضطراب، والتذبذب، والتقليد الأعمى.

الجانب الثالث- الإيمان باليوم الآخر، وما يتصل به:

إن الارتباط بين حياتنا هذه وحياتنا الأخرى ارتباط وثيق؛ لأن الحياة الدنيا بمثابة الزرع، والحياة الأخرى بمثابة الحصاد؛ لذا يجب على المرء أن يعلم عن حياته الأخرى ما يدعو للاستعداد لها، ولما كانت الحياة الأخرى غيب لا يمكن لأحد اختراق حجبها، فإن الله أخبر عنها بكل وضوح وتفصيل؛ ليقف المرء عليها مستيقناً بوقوع ذلك اليوم وأحداثه

(١) صحيح مسلم، ح ٥٩٠، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ١/٤١٣.

العظيمة^(١)، والتي سأذكرها في ثنايا الصفحات الآتية، مؤكّدة قضية الإيمان باليوم الآخر من خلال مقدماته، وأشراطه، وأحواله، وأهواله، ثم خاتمته إما الجنة وإما النار، في محاور ثلاثة على النحو الآتي:

المحور الأول: العلامات التي تسبق قيام الساعة:

العلامة الأولى - كثرة وقوع الموت:

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ^(٢) وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(٣)، ثُمَّ مَوْتَانِ^(٤)) يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَصِ^(٥) الْعَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيُظَلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ^(٦) لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ^(٧) تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ^(٨)، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً^(٩) تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا^(١٠).

يوضح الحديث عدداً من العلامات والأشراط ومنها: موته عليه الصلاة والسلام - الذي كان من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، فبموته انقطع الوحي، وارتدت

(١) انظر: اليوم الآخر (القيامة الصغرى)، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط. العاشرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص: ٧.

(٢) كانت غزوة تبوك في زمن صيف وحر شديد سنة تسع من الهجرة في شهر رجب، دعا النبي صلى الله عليه وسلم، الناس للخروج إليها، وتجهز الناس وخرجوا لقتال الروم، وأقام بها عليه الصلاة والسلام عشرين ليلة، وتبوك بالفتح ثم الضم، موضع بين وادي القرى والشام، وقيل: بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وهي آخر غزواته، تبعد عن المدينة شمالاً ٧٧٨ كيلاً، كتاب المغازي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، ط. الثالثة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ٣ / ٩٩٠، ١٠١٥، البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٥ / ٣-١٥، معجم البلدان، الحموي، ١٥ / ٢، المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٦٩.

(٣) فتح بيت المقدس كان في خلافة عمر. فتح الباري، ابن حجر، ٦ / ٢٧٨.

(٤) موتان: الموت الكثير الوقوع. النهاية، ابن الأثير، مادة: موت، ٤ / ٣٧٠.

(٥) القعاص: داء يأخذ العنم لا يلبثها أن تموت. النهاية، ابن الأثير، مادة: قعص، ٤ / ٨٨.

(٦) الفتنة: الامتحنان والاختبار، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال والإحراق والإزالة، والصرف عن الشيء، والمقصود بها هنا: الفتنة التي افتتحت بقتل عثمان، واستمرت الفتن بعده. النهاية، ابن الأثير، مادة: فتن، ٣ / ٤١٠ - ٤١١، فتح الباري، ابن حجر، ٦ / ٢٧٨.

(٧) الهدنة: السكون، والصلح والمؤدعة بين المسلمين والكفار، وبين كل متحاربين. النهاية، ابن الأثير، مادة: هذن، ٥ / ٢٥٢.

(٨) بني الأصفر: هم الروم؛ لأن أباهم الأول كان أصفر اللون. النهاية، ابن الأثير، مادة: صفر، ٣ / ٣٧، فتح الباري، ابن حجر، ٦ / ٢٧٨.

(٩) غاية: أي راية. فتح الباري، ابن حجر، ٦ / ٢٧٨.

(١٠) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣١٧٦، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ٦ / ٢٧٧.

العربُ - وفتحُ بيتِ المقدسِ في زمنِ الفاروقِ عمرَ رضي الله عنه، وطاعونُ عمواسٍ - الذي حصد مائةً وخمسةً وعشرين ألفاً من المسلمين، منهم أبو عبيدة بن الجراح^(١) - واستفاضةُ المالِ في عهدِ عمر بن عبد العزيز، فكان الرجل يعرض المالَ للصدقة، فلا يجدُ من يقبلها.

وقد شبه النبي ﷺ كثرةَ الموتِ الذي سيقعُ في أمتِه بداءِ يصيب الأغنمَ، فلا تنجو منه، وهذا تأكيدٌ على تحقُّقِ إهلاكِه .

قال ابن حجر - رحمه الله - في قوله ﷺ: (ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْعَنَمِ): ((يقال: أن هذه الآية ظهرت في طاعونِ عمَّواس^(٢) في خلافةِ عمر رضي الله عنه، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس))^(٣).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن وفاة النبي ﷺ من أعظمِ الفتنِ في صدرِ الإسلامِ، والتي أحاطت بالصحابة، فأظلمت الدنيا في عيونهم؛ لانقطاع الوحي، وانتهاء النبوة. وفي هذا درسٌ للدعاة إلى الله؛ وهو أن الحياةَ المطلقةَ والأبديةَ ليست إلا لله واهبِ الحياة، ومقدِّرِ الموت، وعليه فإن الدعوة لا تتوقفُ على شخص، ولا تنتهي بموت أحدٍ، بل إنها تمضي في سبيلها إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها.

- إن من قضايا الإيمان التي تقوي العقيدةَ تحقُّقَ ما أخبر به النبي ﷺ من العلامات التي ذكرها ومن ذلك: فتحُ بيتِ المقدسِ في زمنِ عمر سنة ست عشرة من الهجرة، فقد دخلها وصالح أهلها، وطهرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس^(٤).

- من تمام العقيدة أن يدرك الدعاة أن البلاءَ والقدرَ الذي يُقدِّره اللهُ على عباده لا يحابي أحداً، وأن نزولَ البلاءِ على الناس قد يكون خيراً لهم، كما حدث في طاعونِ عمَّواس،

(١) أبو عبيدة بن الجراح الفهري أمين هذه الأمة، وأحد العشرة من السابقين، اسمه عامر بن عبد الله الجراح اشتهر بكنيته، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثناياه، كان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، وأشدهم حياءً، مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة، عاش إحدى وأربعين سنة، وقيل: ثمان وخمسين سنة، والله أعلم. الإصابة، ابن حجر، ٣/ ٢٤٣-٢٤٥.

(٢) عمَّواس: رواه الزمخشري بكسر أوله، وسكون الثاني، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه، وهي بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس. معجم البلدان، الحموي، ٤/ ١٥٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٦/ ٢٧٨.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٧/ ٥٥-٥٧.

فإن الذي مات فيه خيرةُ الناسِ، وهم صحابة رسول الله ﷺ ومنهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة، فليصبرُ الدعاةُ على البلاء، ولا يظنوا أنهم سيحيون دون وقوعه، أو أنهم سيعيشون مُنعمين سالمين من العلل والأدواء. والله الحكمة البالغة.

العلامة الثانية - كثرة الفتن:

أ) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطَمٍ^(١) مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: (هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَفْعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوْفَعِ الْقَطْرِ)^(٢).

قال النووي - رحمه الله -: ((والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي: أنها كثيرة تُعمُّ الناسَ، لا تختصُّ بها طائفةٌ، وهذا إشارةٌ إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعة الجمل وصيفين))^(٣).

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((شبه سقوط الفتن، وكثرتها بالمدينة بسقوط القطر في الكثرة والعموم، وهذا من علامات النبوة؛ لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذلك، من قتل عثمان رضي الله عنه وهلمَّ جرًّا))^(٤).

((وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرضٍ معينةٍ عمَّها ولو في بعض جهاتها... وإنما اختصت المدينة بذلك؛ لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك...، وكلُّ قتالٍ وقع في ذلك العصر إنما توكَّد عن شيءٍ من ذلك، أو عن شيءٍ توكَّد عنه))^(٥).

(١) الأطم: بناء مرتفع وجمعه: أطام، والمراد إشرافه على أبنيتها المرتفعة كالحصون. النهاية، ابن الأثير، مادة: أطم، ٥٤/١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ج ٧٠٦٠، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب، ١١/١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٨/١٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٩٥/٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/١٣.

(ب) عن الضحَّاكِ بنِ قَيْسٍ ^(١) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتْنًا كَقَطْعِ الدُّخَانِ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدْنُهُ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَقْوَامَ خَلْقَهُمْ وَدِينَهُمْ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) ^(٢).

يبين الحديثُ خطورةَ الفتنِ، في آخر الزمانِ وأن المسلمَ عُرضةٌ للوقوعِ فيها، فيجب أن يعتني بسلامة قلبه لئلا يقع فيها وذلك بأن يتعاهده بما يحييه من حسن صلاةٍ باللَّهِ، وصلاةٍ، ودعاءٍ، وذِكْرٍ، وبعدٍ عن الدنيا وغرورها، وخداعها.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفِقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثين السابقين ما يلي:

- أهمية أن يأخذ الدعاة العبرة والدرسَ من خطرِ الفتنِ، وأن يُظهِروا عظيمَ خطرِها على الدعوة الإسلامية، وأنها من أبرز معوقاتِها.

- ضرورة الاحتراس منها، ولا سيما في هذه الأزمان، وأن لا يأخذ الداعية العجب والغرورُ بأنه سيسلم منها؛ لأن حديث أسامة السابق يوضحُ تعرض الصحابة الكرام لها، فمن باب أولى مَنْ دُونَهُمْ.

- إن الداعية أكثرُ ما يحتاج إليه أن يلجأ إلى ربه لِيُسَلِّمَهُ من الفتنِ، وأن لا يخوضَ فيها، وأن لا يفتحَ أبوابها، ولا يوقظها؛ لأنها بلاءٌ يضر الدعوة ويؤخرها، فيجب أن لا يساعد في ذلك التأخير للدعوة.

- ينبغي أن يدرك الداعية أن القلوب في أيام الفتنِ، لا تكاد تثبت على عقيدة صحيحة، حيث يصبح الرجل مسلمًا وبمسي كافرًا كما هو واضحٌ في حديث الضحَّاكِ، مبيِّنًا في دعوته عواقبها السيئة، والتي نصَّ الحديث على شيءٍ منها، وهي: تَرْكُ الدينِ الصحيحِ،

(١) الضحَّاك بن قيس بن خالد القرشي الفهري، ممن شهد بدرًا، مات النبي ﷺ، وهو غلام يافع، كان مع معاوية بدمشق وولاه الكوفة، ثم عزله، ثم ولَّاه دمشق، وحضَرَ موتَ معاوية، فضلى عليه وباع الناس ليزيد، فلما مات يزيد ثم معاوية بن يزيد دعا الضحَّاك إلى نفسه، ثم دعا إلى ابن الزبير، فقاتله مروان، فقتل الضحَّاك بمرح راهط سنة أربع وستين أو سنة خمس، بعد عيد الأضحى بليلتين، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢٧٠/١، الإصابة، ابن حجر، ١٩٩/٢.

(٢) المسند، ح ١٥٧٥٣، وقال محققه: مرفوعه صحيح لغيره دون قوله فتنًا كقطع الدخان، المعجم الكبير، الطبراني، ح ٨١٣٥، ٣٥٧/٨، المستدرک، الحاكم، ٥٢٠/٣، مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣٠٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني، من طرق فيها علي بن زيد وهو سيء الحفظ، وقد وثق، وبقيت رجال أحمد رجال الصحيح، صحيح ابن حبان، ح ٥٩٦٢، ٢٩٧/١٣، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: سنده صحيح، ح ١٦٨٢، ٢٤٨/٤.

والأخلاق الكريمة مقابلَ عَرَضٍ تافهٍ من أعراضِ الدنيا الزائلة، وهذا الفعل يعدُّ قمةَ الانتكاسةِ، والتردِّي، والإعراضِ عن صراطِ الله.

العلامة الثالثة - ظهور الظلم وفتنة النساء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَّاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسْيَابِ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)^(١). وفي رواية: (إِنَّ طَالَ بَكَ مُدَّةً أَوْ شَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَعْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَتِهِ فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ)^(٢).

يوضح الحديث وقوع الظلم من الشرط الموضوع لحفظ الأمن، ورعاية حقوق الرعية، فإذا بهم يتحولون إلى جلادين يحملون الناس على ما يريدون بقوة السلطة والجبروت والطغيان، يقودون الناس بالذل والامتهان^(٣)، كما وضع الحديث الصنف الثاني وهن النساء المنحرفات في أنفسهن، والمؤثرات في غيرهن، متوعداً لأولئك بالحرمان من جنة الله ورحمته.

ومما يستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية أن يبين الدعاة ضرورة استقرار العقيدة وصفاتها دون تعرض أصحابها للأذى والقهر من الآخرين لأي سبب من الأسباب، فالحياة الهادئة المستقرة تحبها النفوس وترتاح لها وتطلبها، أمّا الحياة المليئة بالمخاوف، والقلق، والاضطرابات، فإنها تنعّصُ صفو العيش؛ لذا يجب أن يحرص الداعية على الانتفاع بأوقاته في تعميق معاني العقيدة، وترسيخها في نفسه أولاً ثم في المدعوين تحسباً لوقوع أي عائق قد يعيق إظهار العقيدة، وصفاءها، وإعلانها على الوجه المطلوب.

- إظهار الأثر الناتج عن الإيمان باليوم الآخر، وما يسبقه من مقدمات وعلامات تقوي ذلك الإيمان الذي يعدُّ ركيزةً من ركائز العقيدة الإسلامية، ويكون ذلك بضرورة أن

(١) صحيح مسلم، ح ٢١٢٨، كتاب اللباس والزينة: باب النساء الكاسيات، ١٦٨٠/٣.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٨٥٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٢١٩٣/٤.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٩٠/١٧.

يوجّه الدعوة للنساء بالالتزام بالعفاف، والطهر، والحجاب، ولا سيما في هذا الزمن الذي خرجت فيه المرأة خروجًا سافرًا، وأصبحت أداةً من أدوات الدعاية والإعلان، فلا تكاد ترى وسيلةً إعلاميةً مقروعةً، أو مسموعةً، أو مرئيةً إلا وكان جسد المرأة، أو صوتها، أو حركتها مؤثرةً تأثيرًا مقصودًا في كل من يتعامل مع تلك الوسائل، وأصبح الاحتشام أمرًا شاذًا، ورجعيًا، ومتخلفًا في كثير من المجتمعات الإسلامية، وأوجدوا عوضًا عن الاحتشام السفور، والاختلاط بالرجال بدعوى التحرير الزائفة، والتي تُعدُّ مصيدةً للنساء المنجرفات خلف تلك الدعوة الباطلة، لما خلفته من ضياع للشرف، وتدنيس للعرض، وخطأ في الأنساب، ونهايات مأساوية من تفكك الأسر وضعفها وانهارها.

وقد توعدَّ الحديث أولئك النسوة بالحرمان من دخول الجنة؛ لأنهن أفسدن أنفسهنَّ بالسفور والتبرج أشدَّ من تبرج الجاهلية الأولى، وفي الوقت ذاته يُفسدن كلَّ مَنْ نظر إليهن، أو سمع صوتهن؛ لذا كان لزامًا على الداعيات المسلمات العناية الفائقة بهذه الدعوة في أوساط النساء، وإقامة المناشط النسائية التوعوية، وتكثيف الدعوة لالتزام الحجاب الشرعي، الذي يسهم في صيانة المرأة، والأسرة، والمجتمع بأسره.

العلامة الرابعة - فتنة المسيح الدجال:

(١) خوارقه التي مكنه الله منها:

ذَكَرَتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ فِيهِ: (فِيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَكْذِبُونَهُ، وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَتَتَّبِعُهُ أَمْوَالُهُمْ، وَيُصْبِحُونَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، وَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ فْتَمَطَّرَ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت ذرًا وأمدّه حواصير وأدره ضروعًا. قال: ثُمَّ يَأْتِي الْخَرِبَةَ، فَيَقُولُ: لَهَا أَخْرَجِي كُنُوزَكَ، فَيَنْصَرِفُ مِنْهَا، فَيَتَّبِعُهُ كَيْعَاسِيبٍ^(١) النَّحْلُ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا شَابًّا مُمْتَلئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيَقْبَلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ...^(٢)).

(١) كَيْعَاسِيبٍ: جمع يَعْسُوبٍ: وهو السَّيِّدُ والرَّئِيسُ والمُقَدِّمُ. وأصله فحل النَّحْلِ. ومعناه في الحديث: أي تَظْهَرُ له ويَجْتَمِعُ عنده كما تَجْتَمِعُ النحل على يَعَاسِيبِهَا. انظر:

النهاية، ابن الأثير، مادة: عسب، ٣/ ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٢٤٠، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في فتنة الدجال، قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ٤/ ٥١١-٥١٢، وصححه الألباني

في صحيح سنن الترمذي، ح ١٨٢٥، ٢٥٠/٢.

وفي حديثٍ آخرٍ لأبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أُخبرُكم عن الدجالِ حديثاً ما حدّثه نبيُّ قومه: إنّه أعورٌ، وإنّه يجيءُ معه مثلُ الجنةِ والنارِ، فالتي يقولُ إنّها الجنةُ هي النارُ، وإني أنذرتُكم به كما أنذرتُ به نوحٌ قومه) ^(١).

يوضح الحديثُ قضيةَ عظيمةٍ من قضايا الغيبِ المتعلقةِ باليومِ الآخرِ وعلاماته السابقة له، ومنها: خُرُوجُ الدجالِ، وعِظَمُ فِتْنَتِهِ، والتحذيرُ منه، وما مكّنه الله إياه من خوارقِ تطيشٍ لها العقولُ، ولا يثبتُ أمامها إلا مَنْ تَبَّته الله؛ ومن ذلك أنه يقتلُ شاباً فيما يظهر للناس، ثم يدّعي أنه أحياء، ويكون ذلك الشابُّ أعظمَ الناسِ شهادةً، كما في الحديث قال ﷺ: (هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عندَ ربِّ العالمين) ^(٢).

وما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن من مستلزمات تعميقِ قضيةِ الإيمانِ بفتنةِ المسيح الدجالِ: أن نوقنَ بوقوعِ خوارقِها التي تُذهلُ العقولَ، وتزعزعُ الإيمانَ في النفوسِ، والتي لا يراها على حقيقتها إلا المؤمنون، فالإيمانُ بوقوعِ فتنةِ المسيح الدجالِ يُعدُّ حصانةً لكلِّ مُسلمٍ من هذه الفتنة؛ لأن من آمن بها فهو مصدقٌ لما يقوله النبي ﷺ، ومن آمن بما يقوله النبيُّ محمدٌ ﷺ نجا من كلِّ فتنةٍ.

- ضرورةُ أن يُبرزَ الدعاةُ قضيةَ الإيمانِ بخوارقِ الدجالِ، وربطها بالإيمانِ بالله، وتحليليةً مقامِ الألوهيةِ، والربوبيةِ، وما يتعلقُ بهذا المقامِ مما هو لله وحده دون غيره؛ فهو الرب الذي بيده كل شيء: كالحياةِ والموتِ، وإنزالِ المطرِ، والرزقِ، وبيده الجنةُ والنارُ.

- أن يحرصَ الداعيةُ في معالجته لقضايا العقيدة - وخصوصاً، فتنةِ الدجالِ العظيمة، التي حذرَ منها الأنبياءُ جميعهم - على ترسيخِ المكوناتِ للإيمانِ الصحيحِ في نفوسِ المدعوين؛ لئلا تنبهرَ النفوسُ بعد ذلك. بمثلِ خوارقِ الدجالِ، التي هي اختبارٌ وتمحيصٌ للإيمانِ، لاسيما ونحن نعيش في زمنٍ كثيرٍ فيه المدَّعون وأطلقوا شعاراتٍ مارقةٍ عن الإسلامِ باسمِ الولايةِ لله تارة، وباسمِ النبوةِ تارة، بل بعضهم أسقطَ جميعَ التكاليفِ عن نفسه.

(١) صحيح مسلم، ح ٢٩٣٦، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٤/٢٢٥٠.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٩٣٨، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال، ٤/٢٢٥٦.

- مما يدل على العناية بقضايا العقيدة، أن الدعوة إلى الله عز وجل يُعَوَّنُ في دعوتهم ببيان خطورة المدعين للولاية والنبوة؛ تحقيقاً لصفاء العقيدة، وتنقيتها من كل شائبة وزَيغٍ، فيحرصون على توجيه الناس لإدراك حقيقة الولاية والنبوة، وذلك من خلال التفريق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان بالحُجَّةِ والبرهان.

٢ - نهاية أمره على يد عيسى بن مريم عليهما السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ بَيِّنِ اسْتِعْدَادِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ الدَّجَالُ وَيَنْزِلُ عِيسَى -: (... فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرَبَتِهِ) (١).

يوضح الحديث استعداد المؤمنين المجاهدين في سبيل الله لقتال الدجال وجنوده، إلا أن الله، يكتبُ نهايةَ فتنته على يد عبده عيسى عليه السلام، وهي نهايةٌ عجيبةٌ لهذا الأفَّاكِ الأثيمِ، ابتداءً من ذوبانه كذوبان الملح، واختفاء أثره، وانتهاءً بقتله بحرَبته عليه السلام، وتأكيده ذلك بأن يريهم دمه، وينتهي بذلك كفره ودجله.

و((السُّرُّ فِي ذَوْبَانِ الدَّجَالِ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَى لِنَفْسِ عِيسَى رَائِحَةً خَاصَةً إِذَا وَجَدَهَا الْكَافِرُ مَاتَ مِنْهَا... وَالسُّرُّ فِي عَدَمِ تَرْكِ عِيسَى الدَّجَالِ يَمُوتُ بِنَفْسِهِ هُوَ: إِهْمَاءُ أُسْطُورَةٍ هَذَا الْمَخْلُوقِ وَفِتْنَتِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا شَاهَدُوا قَتْلَهُ وَمَوْتَهُ اسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ عَبْدٌ ضَعِيفٌ مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَنَّ دَعْوَاهُ كَانَتْ زُورًا وَكَذِبًا)) (٢).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفَقْهِ دَعْوِيِّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- مما يُؤَكِّدُ خَطَرَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ نَهَائَتَهُ الَّتِي لَا تَبْتَمُّ إِلَّا عَلَى يَدِ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَقْتُلُهُ، وَيَكْفِي النَّاسَ شَرَّ فِتْنَتِهِ.

- ضرورة أن يدرك الدعوة إلى الله أن الغلبة للحق مهما علا صوت الباطل، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج بعد الشدة، فإنه لا فتنة أعظم من هذه الفتنة؛ ومع ذلك ينتصر الله

(١) صحيح مسلم، ح ٢٨٩٧، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ٤ / ٢٢٢١.

(٢) اليوم الآخر (القيامة الصغرى)، الأشقر، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤.

عباده، فيرسل عبده عيسى عليه السلام، وينهيها فضلاً من الله ورحمةً؛ لذا يجب على الدعاة الإيمان، والعمل بمقتضى العقيدة الصحيحة، ونصرتها مهما كانت الأحوال والظروف.

- أهمية أن يوقن الدعاة بصفاء دعوتهم، وأن ينشروها بعزة وافتخار؛ لأن أمرهم فوق كل أمر، ودعوتهم دعوة خير ورشاد، ونهايتها التأييد والعزة والتمكين، مستلهمين هذا الشعور الإيماني العظيم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)؛ بخلاف دعوات الباطل، وأبواق الرذيلة، ودعاة الانحراف بكل أشكاله، فإن أمرهم إلى بوار، واضمحلال، وانتهاء سحيق، فإن الله أعطى لعيسى عليه السلام القدرة على أن يقتل بنفسه المبارك كل كافر كان يتبع الدجال، بل إن الدجال عندما يرى عيسى عليه السلام يذوب كذوبان الملح، وهذا التمكين لا يكون إلا لأهل الإيمان الكامل، والعقيدة الخالصة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢).

العلامة الخامسة - إخراج الأرض كنوزها المخبوءة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ^(٣) كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ^(٤) مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ، فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ، فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا)^(٥).

يوضح الحديث أن الأرض سوف تُخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها، كأمثال السواري ذهباً وفضة، مبيناً أن كل ذلك لا قيمة له إذا لم يكن في طاعة الله جل وعلا،

(١) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٣) جمع فلذ، وهي القطعة المقطوعة طولاً، سُمِّي ما في الأرض أفلاًداً تشبيهاً وتمثيلاً، ونَحَصَ الكَبِدُ؛ لأنها من أطياب الجُزُور، واستعار القيء للإخراج. النهاية، ابن الأثير، مادة: فلذ، ٤٧٠/٣.

(٤) الأَسْطُوانُ، جمع إسْطُوانَةٍ: وهي السارية. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: سرى، ٣٦٥/٢.

(٥) صحيح مسلم، ح ١٠١٣، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقلبها، ٧٠١/٢.

وأن الناس الذين فعلوا واقترفوا ما اقترفوا من الجرائم والعظائم من أجل المال، لن يأخذوا منه شيئاً، لكثرتهم، ولما سبب لهم من المعاناة والألم.

قال النووي- رحمه الله-: ((تقل الرغبات لقصر الآمال، وعلمهم بقرب الساعة))^(١)، وقال في موضع آخر: ((شبهه بالإسطوان لعظمه وكثرتهم))^(٢).

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- بيانُ الداعيةِ لحقيقةِ المالِ، وعدمِ الاعتراضِ به، فإنه فتنةٌ من فتنِ الدنيا التي قد تُؤثِّرُ على العقيدةِ السليمةِ في حالِ انشغالِ المرءِ بِجَمَعِهِ، وعدِّه، دونِ إنفاقه في وجوهه المشروعة، والانتفاع به فيما يصلحُ الدنيا والآخرة، ثم تكونُ العاقبةُ الأُنكى والأمرُ لهؤلاءِ اللاهثين وراءَ المالِ، والتي بيَّنها الربُّ جلَّ وعلا في كتابه فقال سبحانه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۖ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۗ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۗ كَلَّا ۗ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۗ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۗ الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۗ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۗ ﴾^(٣).

والداعية الناجحُ من انصرف قلبه لدعوته، واشتغل بها، وجعلها همَّه في كلِّ أوقاته، كما يشتغل أهلُ الدنيا بدنياهم، وكما يعكفُ الجشعون على تكثيرِ أموالهم دونِ اعتبارٍ لطرقِ الكسبِ أحلالٌ أم حرامٌ.

- أهمية التأكيد على نعمة الإيمان بالله، وبكل ما يحقق ذلك الإيمان، ويقوي العقيدة الإسلامية في النفوس، وبيان أن هذه النعمة لا تدانيها نعمة، فإن من انسلخ من الإيمان أو ارتفع عنه الإيمان بسبب معصيةٍ من المعاصي كالسرقة، والقتل، وقطيعة الرَّحِمِ، سوف تشتدُّ حسرته، وسوف يأتي عليه وقتٌ لا يلتفتُ إلى أي شيءٍ من كنوز الدنيا مهما عظُم، وإذا توافر له فإنه لا يأخذُ منه، ولن يذهبَ بغيرِ الحسرةِ والندامةِ على ما تقدَّم من عُمره.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢/ ١٩٠-١٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٧/ ٩٨.

(٣) سورة الهمة: ١-٩.

العلامة السادسة- اندراس الإسلام، وقيام الساعة على شرار الناس:

(أ) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ ^(١))، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَحَنُّ نَقُولُهَا ^(٢).

يبين النبي صلى الله عليه وسلم خطراً سيقع في أمته، فيمحو أثر الإسلام، ويرفع القرآن، ويكون ذلك بعد تحقق وعد الله القائل سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ^(٣). فإذا وقع ذلك كان علامة لقيام الساعة، ونهاية العالم. وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم، ورسوخ بنيانه، وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه، ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه إلى أن يأذن برفعه ^(٤).

(ب) عَنْ فَيْرُوزِ الدَّيْلَمِيِّ ^(٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَيَنْقُضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً ^(٦) عُرْوَةً كَمَا يَنْقُضُ الْحَبْلُ قُوَّةً ^(٧) قُوَّةً) ^(٨).

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن شرائع الدين، وأحكامه سوف يترك العمل والعناية بها، وهذا يكون في آخر الزمان عند فساد الناس، وانشغالهم بشهواتهم وديناهم، تاركين

(١) يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ: الوشي: الثوب إذا نسج على لونين، والمقصود كما يبلى الثوب ويختفي وشيئه، انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: درس، ١١٣/٢، انظر: غريب الحديث، الخطابي، ٤٣٢/٢، تفسير القرطبي، ٤٥٤/١.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٤٠٤٩، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، ١٣٤٤/٢-١٣٤٥، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٧٨/٣٢٧٣٢٢، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٨٧، ١/١٢٧.

(٣) سورة التوبة: ٣٣.

(٤) انظر: السلسلة الصحيحة، الألباني، ١٢٧/١-١٢٨.

(٥) فيروز الديلمي، بماني كتاني من أبناء الأساورة من فارس الذي كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة، قتل الأسود العنسي، أسلم وتحت أختان، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يطلق إحداهما، مات في خلافة عثمان باليمن سنة ثلاث وخمسين رضي الله عنه. الإصابة، ابن حجر، ٣/٢٠٤-٢٠٥.

(٦) عُرَى الْإِسْلَامِ: أي حدوده، وأحكامه، وأوامره، ونواهيته. النهاية، ابن الأثير، مادة: ريق، ١٩٠/٢.

(٧) الْقُوَّةُ: الطاقة من طاقات الحبل. والجمع: قُوَى. النهاية، ابن الأثير، مادة: قوه، ١٢٧/٤.

(٨) المسند، ح ١٨٠٣٩، وقال محققه: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات، ٥٧٤/٢٩، الشريعة، الآجري، ص: ٢٠، المستدرک، الحاكم، ٤/٤٦٩، وصححه ابن حبان، ح ٦٧١٥، وقال محققه: إسناده قوي، ١١١/١٥.

لأحكام الله وشرائعها، مجانين لها، مُتَعَدِّين على تعاليم الدين، غارقين في بحورٍ من الظلمات والضلالات، والانحرافات، والشُرور، وهذا خطرٌ عظيمٌ كان النبي ﷺ يحذّر الأمة منه ليتزودوا قبل حصول تلك الفتن، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) (١).

(ج) عن عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي، يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ) (٢).

(د) عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ: ذَكَرَ نَزُولَ الْبِرْكَةِ بِوُجُودِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا، فَقَبَضَتْ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ) (٣) كَمَا تَتَهَارَجُ الْحُمُرُ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ) (٤).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِيهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ مَا يَلِي:

- ضرورة العناية بشأن العقيدة الصحيحة، وما يتعلق بها من علامات يوم القيامة، والتي أخبر عنها النبي ﷺ؛ ليستعد الدعاء، وغيرهم للتزود قبل مجيء ذلك اليوم، حيث لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.

- أهمية بيان الدعاء لخطر التهاون في القيام بواجبات الإسلام وفرائضه؛ لأن في ذلك ضياعاً للدين، فإنه كلما أميتت سنةٌ من سنن الإسلام، قامت مكانها بدعةٌ.

(١) صحيح مسلم، ح ١١٨، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ١١٠/١.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٩٢٤، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، ١٥٢٥/٣.

(٣) المَرْجُ: كَثْرَةُ النِّكَاحِ، يَتَهَارَجُونَ: أَي يَتَسَافَلُونَ. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: هرج، ٢٥٧/٥.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٢٤٠، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في فتنة الدجال، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ٥١١/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن

الترمذي، ح ١٨٢٥، ٢٥٠/٢.

- كثيرٌ من الناس اليومَ إلا من رحم الله في المجتمعات الإسلامية لا تكاد تعرفُ أنه مسلمٌ إلا من اسمه أو اسمِ أبيه؛ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الشرائعِ الدينيةِ العظيمةِ؛ كالصلاةِ والصومِ، والحجِ فضلاً عن العباداتِ الأخرى.

وهنا يجبُ أن تبرزَ مهمةُ الدعاةِ لنشرِ الدعوةِ، وبذلِ الوقتِ لها؛ لتذكيرِ هؤلاء وإعادتهم لرشدهم ودينهم.

- أن يجاربَ الداعيةُ كلَّ انحرافٍ يراه في بيئته ابتداءً من البيتِ، ومروراً بالشارعِ فالأماكنِ العامةِ، والخاصةِ قدرَ ما يستطيعُ؛ لما في ذلك من حفاظٍ على بناءِ الإسلامِ العظيمِ، والحفاظِ على ظهوره.

- من الإيمانِ باقترابِ اليومِ الآخرِ كثرةً الفتنِ في هذه الأزمانِ، فيجب على الدعاة أن يرفعوا رايةَ الإسلامِ، ويُعلِّوا صوته، خاصةً وأن الحربَ ضرُوسٌ ضدَّ الإسلامِ وأهله. وأعداؤه من الخارجِ والداخلِ كثيرٌ، وقد يكون أحياناً ما يفسده أبناءُ الإسلامِ أشدَّ وأنكى وأخطر.

وإن الذي يحيطُ بالإسلامِ غزوٌ للعقائدِ، والأفكارِ، والقيمِ، والأعرافِ، وخروجٌ على الحياءِ، وناقصون ليل نهار يسعون إلى نقضِ الإسلامِ شعروا أم لم يشعروا.

المحور الثاني - أهواله وهي الأحداثُ العظيمةُ التي تحدث فيه:

لقد أبان القرآن العظيم عن تلك الأهوالِ، مما يجعل المؤمن يفزع، ويخبت قلبه، ويعود إلى رشده، وإنها لأهوالٌ يشيب منها الولدان، ويذهل فيها أهل العقول والأبصار، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه كل ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، وإن مما عني به، فيما يخص اليوم الآخر، توجيههم لمعرفة مشاهدته ووقائعه من خلال كتاب الله تعالى، وما يشتمل عليه من العظات، والعلوم النافعة، كما في قراءة سورة التكوير، والانفطار، والانشقاق، وما اشتملت عليه هذه السور الكريمة من عرض لمشاهد يوم القيامة، والأهوال الحاصلة في ذلك اليوم العظيم، ورؤيتها كأنها رأي عين؛ ومن ذلك ما ورد عن ابن عمَرَ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ،

فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ^(١). وفيما يلي سيكون الحديث عن تلك الأهوال والأحداث من خلال ما ورد في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

أولاً - البعث:

المراد بالبعث: المعاد الجسماني، وإحياء العباد في يوم المعاد، فتعود الأرواح في الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٢). وتتضح هذه القضية المهمة بالنسبة لعقيدة المسلم الصحيحة من خلال الأحاديث التالية:

(أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ. لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ)^(٣)، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤).

(ب) عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ فَقَالَ: (أَمَّا مَرَرْتُ بِالْوَادِي مُمَحِلًّا، ثُمَّ تَمُرُّ بِهِ خَضِرًا، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى)^(٥).

يوضح الحديثان السابقان أصلاً من أصول الإيمان باليوم الآخر ألا وهو: البعث والنشور وقيام الناس لرب العالمين، وقد عني القرآن الكريم والسنة النبوية بهذه القضية المهمة في باب العقيدة الصحيحة، وترسيخها في النفوس؛ لما يترتب عليها من تحفيز للعمل الصالح، والإيمان بالله تعالى. ومن أدلة تلك العناية القرآنية لقضية البعث قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) سنن الترمذي، ح ٣٣٣٣، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة إذا الشمس كورت، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، ٤٣٣/٥، وصححه الألباني

في صحيح سنن الترمذي، ح ٣٥٦٨، ١٢٧/٣، وفي السلسلة الصحيحة، ح ١٠٨١، ٦٩-٧٠.

(٢) سورة الزمر: ٦٨.

(٣) الإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير، عندما يصيبه الماء ينمو نمو البقل، هذا العظم هو عجب الذنب، وهو عظم الصُّلبِ المستدير الذي في أصل العُجْر، وأصلُ الذَّنْبِ. القيامة الكبرى، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار الفائس، ط. التاسعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص: ٥٣.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٩٣٥، كتاب تفسير القرآن، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، ٦٨٩-٦٩٠، صحيح مسلم، ح ٢٩٥٥، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ما بين النفختين، ٢٢٧٠-٢٢٧١.

(٥) المسند، ح ١٦١٩٤، ١١٣/٢٦، المعجم الكبير، الطبراني، ح ٤٧٠، ٢٠٨/١٩، المستدرک، الحاكم، ٦٠٥/٤، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في

صحيح الجامع، ح ٤٢٠/١٣٤٦، ٤٢٠.

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
قَمْطَرِيرًا ﴿٢﴾ فَوَقَلَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿٣﴾.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديثين السابقين ما يلي:

- إنَّ البعثَ والنشورَ من قضايا العقيدة ومسائلها العظيمة التي ينبغي العناية بها، من قبل
الدعاة، وتذكير الناس بها.

- أهمية أن يبرزَ الدعاة إلى الله عظمة الله وقدرته على البعث، فإنه سبحانه يحيي الموتى
ليقوموا للحساب، ثم الجزاء. وأن يجتهدوا في دعوة الناس للاستعداد له.

- إن من واجبات الدعاة نحو العقيدة الإسلامية، أن يبينوا قضية البعث والنشور، وضرورة
الإيمان بها، وأن يُزيلوا ما حولها من تساؤلاتٍ، وتشكُّكاتٍ من المدعويين.

ثانياً- قصة صاحب البطاقة:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ
سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ
سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي
الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ
عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَرَتِّكْ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ
السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبَطَاقَةُ فِي كَفِّهِ،
فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا) (٢).

يوضح الحديث جانباً من الأحداث التي ستقع يوم القيامة، وهو: قصة صاحب البطاقة
التي تحمّل الشهادتين، ثم توضع في مقابل سجلاته الكثيرة من السيئات، ولكن الله بفضله
ورحمته يُثَقِّلُ موازينه بسبب الشهادتين، فتثقل البطاقة، فينجو من العذاب.

(١) سورة الإنسان: ٩-١١.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٦٣٩، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ٥/٢٤-٢٥، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وقال

الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ١٣٥، ١/٢٦١.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- أهمية أن يعنى الدعاة بالتركيز على ما يحدث في اليوم الآخر من أهوال وأمور يشيب لهولها رأس الصغير، ومن ذلك الفضيحة يوم الآخرة، والحساب على رؤوس الأشهاد. والغاية من هذه العناية ما يترتب عليه من اليقظة، والاستعداد له بالعمل الصالح.

- يجب أن يقوم الدعاة إلى الله ببيان عدل الله في الآخرة، وأنه سبحانه حكمٌ عدلٌ لا يظلم أحداً من عباده، وأن الناس لأنفسهم ظالمون، فحساب الله عز وجل لعباده يوم القيامة، ليس فيه ذرةٌ ظلم واحدة، بل هو نتيجة العمل الذي يقدمه المرء في حياته؛ لذا فإن الله يقرر عبده على أفعاله وسيئاته، ثم بعد ذلك يجازيه الجزاء الموافق له.

- ينبغي للدعاة إلى الله إعطاء المدعويين أملاً ورجاءً في فضل الله، ورحمته الواسعة، ومثمه، وكرمه في الآخرة، ومضاعفته لقليل العمل؛ ليرحم عباده. و ينبغي أن يُعَنَّا بيان فضل الشهادتين، وأنها تُثَقِّلُ ميزانَ العبدِ مهما فعل من سيئاتٍ، وفي الوقت ذاته أن يبينوا: أن الرجاء في رحمة الله لا بد أن يصحبه عملٌ، وأن الشهادتين يجب أن تكونا واقعتين مشهودين، وشاهدين للمرء، من خلال محافظته على الصلوات المكتوبة مع المسلمين، وأدائه لبقية الفرائض العظيمة، ومعاملته الحسنة للآخرين.

ثالثاً-الورود على الحوض:

إن الورودَ على الحوضِ أمرٌ اختص الله به عباده المؤمنين، نتيجة إيمانهم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً. وقد ترسخت عقيدتهم، وامتألت نفوسهم رضاً وربةً فيما عند الله يوم القيامة؛ لذا فإن الله خصهم بحوض النبي محمد ﷺ الذي من شربه لم يظماً بعده أبداً؛ مما يدل على دخولهم الجنة، والعيش في النعيم المقيم فيها.

وقد وصف النبي ﷺ ذلك الحوض المبارك بصفاتٍ عظيمةٍ، تزيد نفوس المؤمنين شوقاً، وربةً لوروده والشرب منه، يتضح ذلك من الأحاديث التالية:

(أ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَلَا إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ^(١) إِلَى الْمَدِينَةِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ مِثْلَ

(١) صَنْعَاءُ: قَصْبَةُ الْيَمَنِ، وَأَحْسَنُ بِلَادِهَا، لَيْسَ بِمَجْمَعِ الْيَمَنِ أَكْبَرَ وَلَا أَكْثَرَ مَرَاقِقَ وَأَهْلًا مِنْهَا، طَيِّبَةُ الْهَوَاءِ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قِيلَ: أَهْمَا مَعْتَدَلَةُ الْهَوَاءِ صَيْفًا وَشِتَاءً لَوْ قَوَّعَهَا فِي حِطِّ

الاستواء، معجم البلدان، الحموي، ٤٢٦/٣.

الكَوَاكِبِ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١).

(ب) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ حَرَبَاءَ^(٢) وَأَذْرَحَ^(٣)).

(ج) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أُيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ)^(٤).

من الأحداث العظيمة في ذلك اليوم ورودُ الناسِ على الحوض المنعوت في الحديث بسعته العظيمة، وأباريقه التي لا تحصى، ومائه العذب الذي لم يُخلَقْ مثله صفاءً، وعذوبةً، ورياً. وهذا الحوضُ لن يردّه إلا المؤمنون برسول الله ﷺ، المستمسكون بسنته، وهديه.

ومما يُستخلصُ من دروس وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الأحاديث السابقة ما يلي:

- ضرورةُ أن يعرضَ الداعيةُ دعوتهُ لقضايا الإيمان بما سيقع من أحداثٍ في اليوم الآخر، ومن ذلك الحوض الذي وصفه النبي ﷺ بأوصاف عظيمة؛ ليحرص أصحابه، ومن بعدهم على الورد عليه.

والداعيةُ الناجحُ يستثمرُ ما تتضمنه مثل تلك الأحاديث في عرض دعوته، لربطِ الناس باليوم الآخر، وغرس اليقين بأحداثه الواقعة فيه؛ لأنَّ الأمور الغيبية تحتاج من الدعاة

(١) المسند، ح ٦٨٧٢، وقال محققه: صحيح لغيره، ٤٥٧/١١-٤٥٨، ذكر الألباني الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن مثل المؤمن...) وذكر -رحمه الله- أن الزيادة في أول الحديث جاءت عن طريق أبو سيرة، وأبو سيرة لم يوثقه غير ابن حبان، ح ٦٤٥١، ٣٦٢/١٤-٣٦٣، فحكم على إسناده بالضعف، ثم ذكر أن الحاكم أخرجه، وصحح إسناده، ووافق الذهبي على ذلك، ثم ذكر أنه وجد له شاهداً من طريق آخر يتقوى به الحديث، السلسلة الصحيحة، الألباني، ٣٦٠/٥.

(٢) حَرَبَاءَ: موضعٌ من أعمال عَمَّانَ بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، مجاورة. معجم البلدان، الحموي، ١١٨/٢، المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٨٩. وفي الحديث حذف، تقديره: كما بين مقامي وبين حرباء وأذرح، فسقط مقامي وبين. وقيل تقديره: ما بين المدينة وحرباء وأذرح، وقيل تقديره: كما بين الكعبة وبيت المقدس، فتح الباري، ابن حجر، ٤٧٢/١١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٧٧، الرقاق، باب الحوض، ٤٦٣/١١، صحيح مسلم، ح ٢٢٩٩، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نينينا، ١٧٩٧/٤، أُذْرَحُ: جمع ذريح، وهي اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء، وعمان مجاورة لأرض الحجاز. افتتحت صلحاً على عهد رسول الله ﷺ وكانت تؤدي إليه الجزية، وتقع ديار شرقي الأردن، وتبعد عن مدينة معان خمسة وعشرين كيلاً. معجم البلدان، الحموي، ١٢٩/١، المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٢٤.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٨٠، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ٤٦٤/١١، صحيح مسلم، ح ٢٣٠٣، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نينينا وصفاته،

أن يتحدثوا عنها، وكأنها مشاهدة أمام العيون، وهذا يتطلب منهم ممارسة أساليب العرض، والدعاية الناجحة في الدعوة إلى الله، لا للدنيا، فأهل الدنيا والمسوقون لها يبدلون كل ما في وسعهم لإقناع عملائهم باقتناء السلع التي يروجونها، وينجحون في ذلك، والدعاة أولى بهذا النجاح؛ لأنهم يدعون للخير الحقيقي، والحياة الحقيقية، والسعادة الأبدية في الآخرة.

- إن الورود على الحوض جائزة يخص بها الله أقواماً تشبثوا بهدي المصطفى، ولم يجيدوا عنه، ولم يحدثوا في سنته ما ليس منها، كما تبين فيما سبق في قوله عليه الصلاة والسلام: (إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ، فَيَذَبُ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا)^(١). فكان جزاء المستمسكين بهديه، وسنته تلك الشربة الهنيئة المرية، التي ترويههم أبد الآبدين. والدعاة إلى الله أولى الناس بهذا الورود؛ لأنهم حملة دعوة النبي ﷺ، والمنافحون عن سنته، والذابون عن شرعته، والنافون عنها غلو الغلاة، وإرجاف المرجفين، وريب المعتدين، فحياتهم نقية، ودعوتهم صافية؛ لأنهم يستقون من معين لا ينضب، ولا يتكدر.

رابعاً- المرور على الصراط:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (... فَيَضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ. وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ. وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْرَ

(١) صحيح مسلم، ح ٢٢٩٥، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، ٤/ ١٧٩٥.

امْتَحَشُوا، فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ... (١).

(ب) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ (٢) ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَاهُمْ كَلِمَةُ الْبَرِّقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ (٣)، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ) (٤).

قال العثيمين - رحمه الله - معرفاً الصراط: ((وهو الجسر المنصوب على جهنم أدق من الشعير، وأحد من السيف، عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، يمرُّون عليه على قدر أعمالهم، يمرُّون عليه عدواً أو مشياً أو زحفاً. ومنهم من يُخطف، فيلقى في النار، فيعذب بقدر عمله)) (٥).

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن الصراط الموضوع على متن جهنم، وأن الناس يمرُّون عليه، وأن أول من يجوزه النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وأن هناك كلاليب شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بشوك يدعى السعدان، وأنها تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يقع في النار، ومنهم من يُخدش ولكنه ينجو.

((وتشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاصٌ بسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا، وألقوه بالمباشرة)) (٦).

وقد وضح آخر حديث أبي هريرة رضي الله عنه جانباً من جوانب العقيدة يوم القيامة وهو: أن الله يُخرج من النار من صار فحماً من عصاة المؤمنين، ويضعهم بماء يدعى ماء الحياة، فينبتون كما ينبت الزرع.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٨٠٦، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ٢/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مريم: ٧١، ماهو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط. القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص: ٢٧٧.

(٣) حُضْرِ الْفَرَسِ: الحُضْرُ بالضم العُدْوُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: حضر، ١/ ٣٩٨.

(٤) سنن الترمذي، ح ٣١٥٩، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة مريم، وقال: حديث حسن، ٥/ ٣١٧، وأخرجه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألبان: هو كما قال، السلسلة الصحيحة، ح ٣١١، ١/ ٦٢٠-٦٢١.

(٥) شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين (ضمن الرسائل والمتون العلمية) ٣/ ٢٥٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ١١/ ٤٥٣.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية أن يعتني الداعية بكل جوانب العقيدة، ويحرص على إتمامها، والعناية بها في دعوته، وإن من تمام العقيدة الصحيحة الاعتقاد الجازم بأن أول من يمر على الصراط، ويعبره النبي ﷺ بأمته، ثم يتوالى الأنبياء على عبوره، فيقوم الداعية بترويض العقيدة في نفوس مدعويه، موضحاً دورها العظيم في المرور على الصراط، والنجاة مع الناجين بإذن الله.

- إن من فقه الحديث الواضح إدراك خشية الأنبياء والرسول يوم القيامة، وخوف كل نبي على أمته، معبرين عن ذلك الخوف بقولهم: اللهم سلم سلم، فكيف بنا نحن المقصرين المفرطين.

وحرري بالدعاة أن يحرصوا على الدعوة، ونشرها، وإدخال أكبر عدد من الناس فيها خوفاً من ذلك المرور، وحرصاً على اجتياز ذلك الاختبار الشديد.

- إن من متطلبات العقيدة اللازمة، فيما يتعلق بالمرور على الصراط، أن يكثر الدعاء وغيرهم من العمل الصالح؛ لأن المرور على الصراط مرتين، ومرتباً بالعمل الصالح زيادةً ونقصاً.

- من ثمار العقيدة الصحيحة التي ينتفع بها أهلها ممن سقط أثناء العبور على الصراط في جهنم، أن الله يمن عليهم، فيخرجهم منها بعد أن أكلت النار أجسادهم إلا موضع أثر السجود، وينبتهم الله نباتاً، ثم يكون القضاء والفراغ منه.

والداعية الناجح هو الذي يهز مشاعر المدعويين بسرده مثل تلك الأهوال المرعبة، فيشملون ويبادرون للأعمال الصالحة المعينة لهم على عبور الصراط.

المحور الثالث - خاتمته بالجنة أو النار:

المقصود بهذه الخاتمة: أن الجنة والنار هما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا، وسلمت عقيدتهم من الانحراف والضلالات، وقاموا بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ مخلصين متبعين، غير مبدلين ولا مبتدعين.

وأما النارُ فهي دارُ العذابِ التي أعدها اللهُ للكافرينِ الظالمين، الذين كفروا به وَعَصَوْا رَسُلَهُ، فيها من أنواعِ العذابِ، والتَّكَالِ ما لا يَحْطُرُ على بال^(١). وسأعرضُ تلكَ الخاتمةَ بقسميها على النحو الآتي:

القسم الأول - الإيمان بالجنة:

الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده اللهُ لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيمٌ كاملٌ لا يشوبه نقصٌ، ولا يُعَكَّرُ صَفْوَهُ كَدْرٌ، وتصورُ ذلكَ النعيمِ يعجزُ العقلُ عن إدراكه واستيعابه، سواء أكان ذلكَ فيما يتعلقُ بِنزُلِها ودرجاتها، أم بترتيبها ومساكنها، أم بطعامها وشرابها، أم بأهلها إلى غير ذلك، كما سيتضح بعضٌ من ذلك في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

أولاً) درجات الجنة ومنازلها:

عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيْانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ... فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرِ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصَبِيَّانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ. قُلْتُ: طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ... وَالِدَارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَارْفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ)^(٣).

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يرسخ جانباً من جوانب العقيدة، فإنه يُشَوِّقُ أصحابه لذلك بذكره صلى الله عليه وسلم لهم، فقد ذكر عليه الصلاة والسلام ما ينتظر المؤمنون من أجرٍ ومثوبةٍ، وأن الله عز وجل أعدَّ لهم داراً في الجنة، وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، وأن هناك داراً

(١) انظر: شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، ص: ٩٩ وما بعدها.

(٢) سمرة بن جندب بن هلال بن فزارة الفزاري، يكنى أبا سليمان، كان من حلفاء الأنصار، كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض غلمان الأنصار فمر به غلام فأجازه في البعث، وعرض عليه سمرة فرده، فقال: لقد أجزت هذا ورددتني ولو صارته لصرعته، قال فدونه فصارعه فصرعه سمرة، فأجازه، مات سنة ستين. الإصابة، ابن حجر، ٧٧/٢ - ٧٨.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٣٨٦، كتاب الجنائز، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، ٣/ ٢٥١ - ٢٥٢.

أخرى أُعِدَّتْ للشهداء، هي أفضل من الأولى، وأن له ﷺ داراً فوق كل ذلك؛ لِمَنْزِلَتِهِ الرفيعة عند الله عز وجل.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن من العقيدة الإسلامية والتي يجب على الدعاة اعتقادها أن رؤى النبي ﷺ في منامه وحيٍّ وحقٍّ، وأنها وقعت على وجه الحقيقة، وأنها ستتحقق كما رآها، فينبغي العناية بهذا الأمر في الدعوة وبيانه للمدعوين؛ لتزداد منزلة النبي ﷺ عندهم، وتصديقه فيما يقوله، ولترغب أنفسهم في جنة الله ومنازلها الرفيعة.

- يجب أن تكون من عقيدة المسلم الذي يدين الله بها، اليقين بأن الله عز وجل بفضله جعل الجنة درجاتٍ، وأن أعلاها الفردوس، وأنه جعل لبنينا محمد أفضل الدرجات وأعلاها، وأن يبين الداعية للمدعوين فضلها ليحرصوا لنيلها، فيكونوا مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

- مما ينبغي العناية به في الدعوة أن يقوم الداعية بتوضيح منازل الجنة ودرجاتها، والتأكيد على أن من الإيمان باليوم الآخر الاعتقاد بأن للشهداء منزلة خاصة بهم، ودرجة تليق بهم نظير بذلهم أعلى ما يملكون من المَهَجِ والأنفسِ.

- مما يجب العناية به في الدعوة إلى الله فَتَحَ ميادينِ السباقِ، والتنافسِ في الطاعات من خلال المحاضرات والندوات وحلقِ العلمِ، والذِّكْرِ، والقرآن الكريم، ورحلات العمرة والحج، وغير ذلك من أبواب التنافس المحمود طمعا في بلوغ أعلى الدرجات والمنازل في الجنة.

ثانياً) صفات أهل الجنة:

(أ) عن سعدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لَوْ أَنَّ مَا يُقَالُ ظُفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ لَتَزَحْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ، فَبَدَأَ أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ) (١).

(١) سنن الترمذي، ح ٢٥٣٨، كتاب صفة الجنة عن رسول الله، باب ما جاء في صفة أهل الجنة، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، ٤/٦٧٨-٦٧٩، وصححه الألباني في صحيح

سنن الترمذي، ح ٢٠٦١، ٢/٣١٣، المسند، ح ١٤٤٩، وقال محققه: حسن رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبدالله بن هبة، فقد خرج له مسلم مقرونا بغيره، وروى له

يكشف الحديث عن جانب من حقائق ما سيكون في الجنة لأهلها من صفات لا تخطر على بال، وتفوق الخيال. ومن ذلك أن رجلاً واحداً من أهلها لو أخرج أساوره لأخفى ضوء الشمس لقوة شعاعه.

(ب) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، وفيه: (ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوْلَ زُمْرَةٍ (١) وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ) (٢).

وفي رواية: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَوْلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءٌ وَجُوهُهُمْ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مَخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهَا) (٣).

يوضح الحديث جانباً آخر من جوانب حقائق صفات أهل الجنة، وهو نور الوجه، واكتمال وتمام جماله وإشراقه، وأن جمال زوجاتهم في الجنة يفوق كل ما يتخيله العقل البشري أو يتصوره أحد.

(ج) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنَدْتُهُمْ مِثْلَ أَفْنَدَةِ الطَّيْرِ) (٤).

أصحاب السنن، وفي موضع آخر من المسند، ح ١٤٦٧، قال محققه: إسناده حسن، وقد رواه عن ابن طبيعة عبد الله بن المبارك وروايته عنه كانت قبل احتراق كتبه. ٣ / ٥٧.

(١) زُمْرَةٌ: فَوْجٌ. أَي أَوْلَ فَوْجٍ. غَرِيبُ الْحَدِيثِ، الْخَطَّابِيُّ، ١ / ٤٠٢.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٩١، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١ / ١٧٨.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٥٣٥، كتاب صفة الجنة: باب في صفة نساء أهل الجنة، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، ٤ / ٦٧٧، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤ / ٣١٥-٣١٧، وقال عنه: الحديث كله صحيح بشواهده. صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٥٧، ٢ / ٣١٢.

(٤) صحيح مسلم، ح ٢٨٤٠، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير، ٤ / ٢١٨٣. المراد: أن قلوبهم مثل أفندة الطير في رقتها،

وقيل: في الخوف والهيبه، والطيور أكثر الحيوان خوفاً وفرعاً. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر: ٢٨. وقيل: المراد بأفندتهم مثل الطير: أنهم

يتوكلون، كما ورد: (تَغْدُوا حِمَاصًا وَتَرْوَحُ بِطَانًا). سنن الترمذي، ح ٢٣٤٤، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، وقال: حديث حسن صحيح، ٤ / ٥٧٣-٥٧٤،

صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، ح ٣٣٥٩، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، ٢ / ٤٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرک، ٤ / ٣١٨، وقال: صحيح الإسناد وأقره السنهبي،

وتعقبهما الألباني، فقال في السلسلة الصحيحة، ح ٣١٠: بل هو صحيح على شرط مسلم.

يوضح الحديثُ صفاءَ أفئدةِ هذا الصَّنْفِ من أهل الجنةِ مثلاً لها بأفئدة الطير في التوكل على الله، والنقاء، والطهر، فهؤلاء جاهدوا أنفسهم في الدنيا لتصفية عقيدتهم في ربهم، وحسن توكلهم عليه، فكان الجزاءُ الجنة.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((قد تقرر في علم البيان^(١)) أن وجه الشبّه إذا أُضْمِرَ عَمَّ تناولُهُ، فيكون أبلغ مما لو صرّح به، ومن ثمَّ خصَّ الفؤادَ بالذكرِ دون القلب. والفؤاد كالقلب، لكن يقال له: فؤاد إذا أُعْتَبِرَ فيه معنى الفؤاد. أي: التوقد^(٢)).

(د) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ)^(٣).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ مَا يَلِي:

- مما يجب على الدعاة إدراكه يقيناً، عِظَمُ الجزاءِ الذي أعده الله لأهل الإيمان بالله، مما لا يكاد يصدّقه عقلٌ، ولكن المؤمنين الصادقين يترقبون ذلك اليوم، ويوقنون به، فيبُلِّغُهُم الله منازلهم التي يستأهلونها فضلاً من الله ومِنَّةً، وبذلك اليقين والارتقَابِ لتلك العقبي الكريمة؛ فإن الدعاة سيحتملون في طريق الدعوة إلى الله كُلَّ صعوبَةٍ، ويَبْذُلُونَ في سبيل نشرها ما يزيد من عُلوِّ درجتهم في الجنة، ويسعون سعياً حثيثاً للدعوة إليها.

- مما يفيدُه الدعاة من حديث سعدٍ، تَلَمَّسُ إدراكِ قوّةِ الدعوة، ووضوحِها، واعتقادِ هيمنتها على كل الدعوات؛ لأنها دعوة الحق والرشاد؛ فكما أن سِوَارَ حاملها في الجنة لو ظَهَرَ على الدنيا لَطَمَسَ ضوءَ الشمسِ، فكذلك حاله في الدنيا؛ فإن دعوته نورٌ يُعْطِي على كلِّ الدعوات الباطلة، ويغلبُ عليها بإذن الله تعالى، وَيَدْحَرُهَا لضعفِ ما تَحْمِلُهُ من الباطل والضلال.

(١) البيان: علّم يُعْرَفُ به إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ وتراكيبٍ مختلفٍ بعضها عن بعضٍ في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أعلى

من بعض. جواهر البلاغة، الهاشمي، ص: ٢٤٤-٢٤٥، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص: ٩٧.

(٢) الكاشف، الطيبي، ح ١١، ٥٦٢٥/٣٥٥٩.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٨٣٥، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسييحهم فيها بكرة وعشيا، ٤/٢١٨٠-٢١٨١.

- إن الدعوة إلى الله، وحملة الرسالة المحمدية، والمبلغين للعقيدة الإسلامية، ومن ذلك الإيمان بما في الجنة من النعيم المقيم، لهم النصيب الأوفى بإذن الله في أن يكونوا مع أول الداخلين الجنة، والمنعمين فيها بحسن الوجه، ونعيم الحور العين. فإنهم قد بذلوا أوقاتهم، وضحوا بملاذهم ومُتَع الدنيا الزائلة، وتفرغوا لنشر الخير والعلم والهدى، جزاءً بما كانوا يعملون.

- إن من العقيدة الصحيحة والتي ينبغي للدعاة العمل بمقتضاها، قضية التوكل على الله، وهم بأمس الحاجة إلى التوكل ليكمل إيمانهم، ولتنجح دعوتهم؛ لأن الله يحب المتوكلين، ومعهم أينما كانوا.

وبما أنهم يمارسون دعوتهم مع كل الناس دون تفریق، وفي كل المجتمعات، وفي كل قُطْرٍ، فهم بحاجة إلى التوكل على الله ليكفيهم، وليؤيدهم، وينصرهم، ويدفع عنهم الأذى، ولما في كل ذلك من العناء في سبيل دعوة الخير، فإن الله سيضاعف لهم الأجر، وسيدخلهم الجنة مع السبعين ألفاً دون حساب ولا عذاب.

- إن ممارسة الدعوة عملٌ شاقٌّ، وطريقٌ تعترضه الكثير من العوائق، وجهدٌ دائمٌ مستمرٌ، وتنقلٌ وارتحالٌ.

والدعاة إلى الله المحتسبون لما عند الله من الأجر المُعدَّة يستهينون بكل ذلك العناء، فإذا تخيل الداعية راحتها في الجنة، وسلامته من كل داءٍ فيها، وجعل رشحاً وجشاًه ریح مسلِك، وإلهامه التسييح والتحميد كإلهامه النفس سرت في نفسه السعادة، وارتقت روحه، وضاعف العطاء للدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً) رؤية الله يوم القيامة وهي خاصة بالمؤمنين:

من قضايا العقيدة الإسلامية قضية رؤية الله التي تؤمن بتحققها لعباد الله المؤمنين المرضيين قال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾^(١)، وتظهر هذه القضية في أحاديث الأمثال كما يلي:

أ) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي: الْبَدْرَ فَقَالَ: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا

(١) سورة القيامة: ٢٢ - ٢٣.

عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأْ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ^(١).

قال النووي-رحمه الله:- ((مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير
مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون
الكافرين))^(٢).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن قضية رؤية الله في الآخرة لعباده المؤمنين من قضايا العقيدة الصحيحة التي يجب
اعتقادها، وتتحقق وقوعها فضلاً وكرماً من الله لعباده الذين تعلقت قلوبهم بحب
معبودهم وإلههم رب العالمين، فينبغي على الداعية أن يبين للناس أن هذه الرؤية جائزة من
جوائز الجنة، وحسنة زائدة من حسناتها العظيمة، بل هي أعظم الحسنات عند المؤمنين.
- ضرورة أن يستخدم الداعية البراهين المنطقية لصدق دعوته في تقرير أمور العقيدة؛ لأنها
مما يصعب التسليم به عند كثير ممن خالفوها؛ لأن انحرافهم سببه الشبهة، فيلزم الداعية أن
يكون عرضه الدعوة لنبد العقيدة الباطلة واستبدالها بعقيدة صافية صحيحة بالبرهان والحجة
التي تدمغ الشبهة وتقضي عليها.

رابعاً- الخلود:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشِ أَمْلَحٍ،
فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ^(٣) وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ
هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ... ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ...)^(٤).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٥٤، مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ٢/٣٣، صحيح مسلم، ح ٦٣٣، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١/٤٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٣/١٥.

(٣) يشربون: يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه، وكل رافع رأسه مُشْرَبٌ. النهاية، ابن الأثير، مادة: شرب، ٢/٤٥٥.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٧٣٠، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة، ٨/٤٢٨، صحيح مسلم، ح ٢٨٤٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها

وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/٢١٨٨.

يوضح الحديث أن الحياة في الجنة أبدية، وخلود لا موت بعده أبداً، فقد مثل الموت لأهل الجنة كبشاً يؤتى به، حتى إذا رآوه قضي عليه، وذبح الموت، فلا موت بعد ذلك. وهذه القضية من قضايا العقيدة الغيبية التي يجب الإيمان بها، وتصديقها، كما أخبر النبي ﷺ. **وما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:**

- بث الدعاة البشارة، والطمأنينة لأهل الإيمان، وحملة العقيدة؛ ليستأنسوا ويسرّوا بحسن العاقبة.

- إن العقيدة الصحيحة-فيما يتعلق بشأن الجنة، والتي تدل عليها النصوص- تؤكد الإيمان أن الجنة لا تفتنى، وأن الحياة فيها أبدية سرمدية، لا تحول ولا تزول، فمن طلب الجنة فقد طلب السلعة الغالية، وأن ثمنها جهاد النفس، والاستقامة على أمر الله، وهدي مصطفاه ﷺ، وهذا ما ينبغي أن يركز عليه الدعاة، ويبيّنونه في دعوتهم للناس؛ ليعملوا بما يوجب دخول الجنة.

القسم الثاني - الإيمان بالنار:

النار دار الفجار، ومقر إبليس وجنوده الأشرار، مترامية الأطراف، كثيرة الدركات، قعرها بعيد، يدخلها من بني آدم خلق كثير، طعامها الزقوم، وشربها الصديد والماء الحميم، ضخمة واسعة مما لا يتصوره عقل، فقد أخبر النبي ﷺ أنه: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)^(١). هذه ضخامتها، وأما قعرها فمداه سبعون عاماً كما ورد في الحديث: (إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتَهوي فيها سبعين عاماً وما تُفضي إلى قعرها)^(٢).

وسيظهر بعض مما ورد عن النار وأهلها في أحاديث الأمثال على النحو الآتي:

أولاً) خروج بعض أهل النار منها:

أ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (...فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى

(١) صحيح مسلم، ح ٢٨٤٢، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب في شدة حر جهنم، ٤/٢١٨٤.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٥٧٥، كتاب صفة جهنم، باب ماجاء في صفة قعر جهنم، ٤/٧٠٢. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٨٤، ٢/٣٢٠.

الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأُخْيَضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هُوَ لِأَنَّ عِتْقَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ^(١).

قال القرطبي- رحمه الله-: ((ويُحْتَمَلُ أَنْ يَشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ مَا يِيَّاشِرُ الْمَاءَ تَشْتَدُّ سُرْعَةُ نَصْوِعِهِ، وَأَنْ مَا فَوْقَ ذَلِكَ يَتَأَخَّرُ عَنْهُ الْبَيَاضُ، لَكِنَّهُ يَسْرِي إِلَيْهِ سَرِيعًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ))^(٢).

(ب) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيَخْرُجُونَ، وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَرِشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ، فَيَنْبِتُونَ كَمَا يَنْبِتُ الْعُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)^(٣).

وفي رواية: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ)^(٤) قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: الضَّغَائِيسُ^(٥).

يبين النبي ﷺ في الأحاديث السابقة أن العصاة من أهل الإيمان الموحدين لله تعالى لا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، بَلْ يُخْرَجُهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. مُؤَكَّدًا خُرُوجَهُمْ، وَإِنْبَاتِ اللَّهِ لَهُمْ، وَنَمُوهِمُ السَّرِيعِ بِتَشْبِيهِهِمْ بِصِغَارِ الْقَثَاءِ الَّتِي تَنْمُو سَرِيعًا.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دَرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ مَا يَلِي:

- مِنْ ثَمَرَاتِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ نَجَاةٌ أَصْحَابِهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَمِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَوْ دَخَلُوا فِيهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ.

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٣، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١٧٠/١-١٧١.

(٢) المفهم، القرطبي، ٤٢٢/١.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٥٩٧، كتاب صفة جهنم عن رسول الله، باب ومنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ٧١٣/٤. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٩٤، ٣٢٣/٢.

(٤) الثَّعَارِيرُ: هِيَ الْقَثَاءُ الصَّغَارُ، شُبِّهُوا بِهَا لِأَنَّ الْقَثَاءَ يَنْجُو سَرِيعًا. وَقِيلَ: هِيَ رُؤُوسُ الطَّرَائِثِ تَكُونُ بِيَضًا، شُبِّهُوا بِبِيَاضِهَا، وَاحِدُهَا طُرْتُوتٌ، وَهُوَ نَبْتُ يُوَكَّلُ. النِّهَائِيُّ، ابْنُ الْأَثِيرِ، ثَعْرٌ، ٢١٢/١.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٥٥٨، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٤١٦/١١. والضَّغَائِيسُ: هِيَ صِغَارُ الْقَثَاءِ، وَقِيلَ: هِيَ نَبْتُ يَنْبِتُ فِي أَصُولِ الثَّمَامِ

يُشْبِهُ الْمَلْبُورَ يُسَلَقُ بِالْحَلِّ وَالزَّيْتِ وَيُوَكَّلُ. النِّهَائِيُّ، ابْنُ الْأَثِيرِ، مَادَّةُ: ضَغَيْسٌ، ٨٩/٣.

- إن معرفة الداعية، وإطلاعه على معارف عصره مما يتعلق بحياتهم المتنوعة، يسهم في تفاعل المدعوين مع الدعوة، فإن النبي ﷺ عندما تحدّث عن نبات الحبة التي تكون في حميل السيل، تحدث عنها وكأنه متخصص في هذا المجال مما جعل الصحابة يقولون: كأنك كنت ترعى بالبادية، ولا شك أن مثل هذه المعارف تسهم في إيصال الدعوة بنجاح.

- إن الداعية الفطن هو من يقتدر على أسرِ عقولِ وأفئدة مدعويه، وذلك بتقوية دعوته بكل ما أوتي من علم، أو أسلوب، أو وسيلة ونحو ذلك من الأمور التي تصل بالدعوة إلى أغوار النفوس والعقول، وتجد لها مكاناً تستقر فيه.

- أهمية أن يوضح الدعاة سعة رحمة الله وواسع فضله، وعظيم كرمه، الذي يتجلى في عتقه أناساً من النار يدخلهم الجنة بغير عمل، ولا خيرٍ قدّموه.

ثانياً) صفات أهل النار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ) ^(١).

وفي رواية: (ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخْدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ) ^(٢)، وَمَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ مِثْلِ الرَّبْدَةِ) ^(٣).

وفي رواية: (إِنَّ غَلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ) ^(٤).

(١) صحيح مسلم، ح ٢٨٥١، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/٢١٨٩.

(٢) البيضاء: في عدة مواضع منها: عقبة في جبل المناقب، وموضع قرب حمى الرّبدة. انظر: معجم البلدان، الحموي، ١/٥٢٩-٥٣١.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٥٧٨، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، ٤/٧٠٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٨٥، ٢/٣٢١. والرّبدة: من قرى المدينة على ثلاث أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وفي هذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، خربت في سنة ٣١٩ هـ بسبب الحروب، وارتحال أهلها. معجم البلدان، الحموي، ٣/٢٤، المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ١٢٥، وفيه: أنها تبعد مائة كيل عن المدينة طريق الرياض، وتقع في الشرق إلى الجنوب من بلدة الحناكية.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٥٧٧، كتاب صفة جهنم عن رسول الله، باب ما جاء في عظم أهل النار، وقال: حسن صحيح غريب، ٤/٧٠٣. وصححه الألباني في صحيح

الجامع، ح ٢١١٤، ٢/٤٢٤-٤٢٥.

يوضحُ الحديثُ مآلَ الكافرين، وعاقبتهم المخزية في كل شيءٍ حتى في خلقتهم التي ربما كان بعض الناس ينبهرون أو يفتنون بها، وكذا مجالسهم في الدنيا التي كان الناس يُفتنون بها تُبدلُ بمجالسٍ عظيمةٍ في النار.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- أهمية عناية الدعاة في دعوتهم للتسليم والإيمان بضروريات العقيدة الإسلامية، ومنها: أن يؤمن العبدُ المسلمُ بكلِّ ما ورد في صحيح الأخبارِ مِنْ ذكر جزئيات العقيدة. ومن ذلك صفات الكافرين في جهنم، مما لا يستوعبه عقلٌ حول عِظَمِ الخِلْقَةِ وهولِ المصيرِ للكافر، ولكن المؤمنُ يُسلِّمُ بذلك كلَّ التسليم.

- أن يدرك الدعاةُ أنَّ نصوصَ الغيبِ الصحيحةِ حاكمةٌ على التصورات، والعقولِ، والأذواقِ، فكلُّ ذلك تابعٌ للنص، لا يجوز أن يُقدَّمَ عليه، وبهذه المنهجية تستقيم العقيدة وتسلم من الانحراف؛ وعليه فينبغي أن يبذل الداعية جهده لتثبيت هذه القاعدة الجليلة المنجية من الضلال والهلاك، فينقذ المدعويين، ويكسب أجر هدايتهم للعمل وفقها.

- أهمية عناية الدعاة ببيان ذمِّ الكفرِ وأهله، وإن ظهر أهله بمظاهرٍ جميلةٍ وبراقةٍ، فإن الأوصاف الشنيعة للكفار في النار توحى بعدم الاغترار بهم، أو الانبهارِ بحياتهم وخلقاتهم، من طولٍ، أو رفاهيةٍ في المسكنِ والمأكلِ والمشربِ، فإنها مُتَعٌ سُرْعَانِ ما تزول.

- من مستلزمات العقيدة الإسلامية أن يحرص الدعاةُ إلى الله على بيان منهج البراءِ من الكافرين. وفي الحديث لَمَحَّةٌ إلى عدم الجلوس مع الكافرين في مجالسهم في الدنيا؛ لما فيها من المخالفات والمنكرات والمحرمات، وقد يكون فيها مؤامراتٌ على الإسلام والمسلمين؛ لذلك فإن مجالسهم التي يزهون بها، ويفتخرون فيها سَتُبَدَّلُ يوم القيامةِ بمجالسٍ عظيمةٍ في جهنم.

ثالثاً- الخلود: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ... ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: ... وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)^(١).

وفي رواية: (وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ، فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ، ثُمَّ يُقَالُ: هَلْ امْتَلَأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ، فَيُقَالُ: هَلْ امْتَلَأْتِ؟ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى إِذَا أَوْعَبُوا^(٢) فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى^(٣) بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: قَطُ قَالَتْ: قَطُ قَطُ^(٤)، فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، قَالَ: أَتَى بِالْمَوْتِ مُلَبَّيًّا^(٥)، فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ عَرَفْنَاهُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَلَّ بِنَا، فَيُضْجَعُ، فَيَذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ)^(٦). يوضح الحديث عاقبة الكافرين الأبدية، التي لا رجاء بعدها في التبديل والتحويل. إنها الخلود في النار. وإمعاناً في تيعيسهم من الخلاص والخروج منها، فإن الموت يُذْبَحُ أمامَ أعينِ أهلها؛ لِيُقْضَى بالحياة الأبدية فيها. ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٧٣٠، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة، ٨/ ٤٢٨، صحيح مسلم، ح ٢٨٤٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها

وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/ ٢١٨٨.

(٢) أَوْعَبُوا: لم يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. ومعنى الاستئصال، أي استئصلوا جميعاً. النهاية، ابن الأثير، مادة: وعب، ٥/ ٢٠٦.

(٣) زَوَى: جَمَعَ وَطَوَى، وَضَمَّ وَقَبَضَ. النهاية، ابن الأثير، مادة: زوى، ٢/ ٣٢٠.

(٤) قَطُ: بمعنى حَسَبٍ، وتكرارها للتأكيد. النهاية، ابن الأثير، مادة: قط، ٤/ ٧٨.

(٥) مُلَبَّيًّا: مُحْرَمًا، جُلِيَ فِي عُنُقِهِ نَوْبًا وَحُرَّ بِهِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: لب، ٤/ ٢٢٣.

(٦) سنن الترمذي، ح ٢٥٥٧، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ٤/ ٦٩١-٦٩٢. وصححه الألباني في

صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٧٢، ٢/ ٣١٦-٣١٧.

- إن العقيدة الإسلامية تدعو أبناء الإسلام لاعتقاد وجود الجنة والنار، وأنها مخلوقتان، وأن لكل واحدةٍ منهما أهلها، وأن النارَ سوف تمتلئ بأهلها دون أن يتخلف أحدٌ ممن استحق دخولها، ولا يظلم ربك أحداً.

- أهمية أن يبين الدعاةُ العاقبةَ المخزيةَ للكافرين، والتي لا تتحول مهما جأروا إلى الله، وتعالى صرخاتهم طالبين الرحمة، فإن الله يقطع عليهم الطريق ويقول سبحانه: ﴿أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(١)، ويأتيهم بالموت، فَيَذْبَحُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ؛ ليستيقنوا أن الحياةَ في النار خالدةٌ، وأن العذابَ مستمرٌّ؛ لذا فإن الحَلَّ كان في الدنيا وفي فرصها لعمل الصالحات، والتزود من الطاعات، والعناية بحسن المعتقد، والإيمان بالله تعالى، أما وقد انتهت سوق الدنيا، فإنه لا رجوع إليها البتة.

- ضرورة أن يبين الدعاة في دعوتهم الجمعَ بين مفهومِ رحمةِ الله، وعفوه، وكرمه، ورأفته، وبين عذابِ الله، وانتقامه، وشدةِ بطشه وجبروته سبحانه، وأن هذه المعاني كلها صفات كمالِ الله لا تدل على نقص، بل تدل على العدل والحكمة، ولولا وجود هذا التقابل، لأدخل جميع الناس الجنة، أو لأدخل جميع الناس النار، ولكن الله الحكيم الخبير جعل للجنة أهلها المستحقين دخولها، وللنار أهلها المستحقين لها.

الجانِب الرابع - ثمرات الإيمان وعواقب الكفر والنفاق:

للإيمان ثمراته التي لا تخفى على أولي الألباب في الدنيا والآخرة، وللکفر والنفاق عواقبُه الأليمةُ التي تظهر لكل صاحبِ بصيرةٍ، وسأورد ما يتعلق بالثمراتِ لأهلِ الإيمان، والعواقبِ لأهلِ الكفرِ من خلال الأحاديثِ التالية:

(أ) عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ^(٢) مِنَ الزَّرْعِ تُفَيْئُهَا^(٣) الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيحَ^(٤)،

(١) سورة المؤمنون: ١٠٨.

(٢) الخامة: الطاقة الغضة اللينة من الزرع. النهاية، ابن الأثير، مادة: حوم، ٨٩/٢.

(٣) تُفَيْئُهَا: تحركها وتبيلها مينا وشمالاً. النهاية، ابن الأثير، مادة: فيأ، ٤٨٣/٣.

(٤) تَهِيحُ: تيبس وتصفر، يقال: هاج الثبتُ هياجاً، إذا يبس واصفرَّ. وأهاجته الرِّيحُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: هيج، ٢٨٦/٥.

وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ (١) الْمُجْدِيَةِ (٢) عَلَى أَصْلِهَا لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَكُونَ
أَنْجَعُفُهَا (٣) مَرَّةً وَاحِدَةً (٤).

ب) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ
تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّىٰ
تَسْتَحْصِدَ) (٥).

يوضح الحديث أن البلاء الذي يُنزله الله بأهل الإيمان نعمة لهم؛ لأنه تكفيرٌ لذنوبهم،
وطهارةٌ لهم، وتخفيفٌ لبلاءٍ أعظم، بخلاف المنافقين والكافرين، فإن الله يُملي لهم،
ويستدرجهم حتى يأخذهم أخذةً واحدةً.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((هذا التشبيه يجوز أن يكون مفرقاً، فيُقَدَّرُ للمشبه معانٍ مقابلةً
للمشبه به، وأن يكون تمثيلاً فيَتَوَهَّمُ للمشبه ما للمشبه به. وفيه إشارةٌ إلى أن المؤمن ينبغي
له أن يرى نفسه في الدنيا عاريةً معزولةً عن استيفاء اللذات والشهوات، معروضةً
للحوادثِ والمصيباتِ، مخلوقةً للآخرة؛ لأنها جنته، ودارُ خلوده وثباته حتى يَسْتَحْصِدَ.
والحصاد إنما يستعمل في الزروع والكلاء.
واستعماله في الشجر: إما إستعارةٌ لفظيةٌ، أو معنويةٌ (٦) حيث شَبَّه قَلْعَ شَجَرِ الصَّنوبرِ، أو
الأرز في سهولته بحصاد الزرع، فدل على سوء خاتمة الكافر)) (٧).

(١) الأرز: شجرة الأرز، وهو خشبٌ معروفٌ. وقيل: هو الصنوبر. النهاية، ابن الأثير، مادة: أرز، ٣٨ / ١.

(٢) المُجْدِيَّة: الثابتة المُتَّصِبَة. النهاية، ابن الأثير، مادة: جدا، ٢٥٣ / ١.

(٣) أَنْجَعُفُهَا: أُنْقِلَعُهَا. النهاية، ابن الأثير، مادة: جعف، ٢٧٦ / ١.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٥٦٤٣، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ١٠٣ / ١٠، صحيح مسلم، ح ٢٨١٠، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب
مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجرة الأرز، ٢١٦٣ / ٤. واللفظ لمسلم.

(٥) صحيح مسلم، ح ٢٨٠٩، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجرة الأرز، ٢١٦٣ / ٤.

(٦) المرادُ هما: الاستعارةُ التصريحيةُ وهي: ما صرَّحَ فيها بلفظ المشبه به، إن كانت مذكورةً في نظم الكلام لفظاً أو تقديراً، نحو قولك: عندي أسد يرمى. في اللفظية،
والثانية في جوابك على سؤال: أعندك أسد يرمى؟ فيكون الجواب: نعم. فيكون تقدير الكلام: عندي أسد يرمى بقرينة السؤال. معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص:

٣٣٥، البلاغة الواضحة، على الجارم، مصطفى أمين، مصر، دار المعارف، ط. الحادية والعشرون، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص: ٧٧.

(٧) الكاشف، الطيبي، ٤ / ١٣٤٠ - ١٣٤١.

ومما يُستَخْلَصُ من دروسِ وَفِيقِهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يوضح الدعاة للمدعوين أن العبد المؤمن معرض للبلايا والمحن، والأسقام والآلام، والمهموم والغموم؛ لأن ذلك مما يكفر من معاصيه، ويرفع درجاته، حتى يأتيه أجله^(١)، أما الكافر والمنافق، فإنهم يستدرجون حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون.
- ضرورة أن يجتهد الدعاة في بيان حقيقة الإيمان، وعلاماته، وثمراته العظيمة؛ ليكون إقبال المدعوين على الدعوة احتساباً، ورغبة في نيل تلك الثمرات.
- ينبغي للدعاة توضيح قاعدة مهمة في الإيمان، ألا وهي: أن الإيمان ينفع صاحبه إذا لم يخالطه يأسٌ، أو شكٌّ، ومع اليأس والشكَّ فإن الإيمان مردودٌ.

(١) انظر: الإيمان (خصائمه، علاماته، ثمراته)، أحمد عز الدين البيانوني، القاهرة، دار السلام، ط. الثانية، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص: ٩٦-٩٧.

المَبْحَثُ الثَّانِي: فَهْ الدَّعْوَةُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقُ بِالْعِبَادَةِ

المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالعبادة

إنَّ مَوْضُوعَ الْفِقْهِ الدَّعْوِيِّ لِأَحَادِيثِ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِبَادَةِ تَبَعُ لِفَقْهِ الدَّعْوَةِ الْمُتَّصِلِ بِالْعَقِيدَةِ؛ إِذْ بَعْدَ أَنْ تَتَرَسَّخَ جَذورُ الْعَقِيدَةِ فِي الْقَلْبِ، وَيَخْلُو الْإِيمَانُ مِنْ أَيِّ شَائِبَةٍ تَنْقُضُهُ وَتَعَارِضُهُ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يُسْتَتَبَعَ ذَلِكَ بِمَا يَثْبِتُهُ، وَيَقْوِيهِ، وَيُعْزِزُهُ، فَتَأْتِي الْعِبَادَةُ كَثْمَرَةً مَنْطِقِيَّةً لِلْعَقِيدَةِ. وَإِنَّ أَيَّ عَقِيدَةٍ لَا قِيَمَةَ لَهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الَّذِي يَصْدُقُهَا.

وقد عرّف علماء الإسلام الإيمان بأنه: قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان؛ لذا أردفت الباحثة العبادة تلو العقيدة؛ ليكون الترتيب في البحث أجدى، وأنفع بإذن الله. وقبل الولوج في أحاديث الأمثال المتصلة بالعبادة، يجدر بي أن أقدم بتوطئة، فيكون عرضُ الموضوع على النحو الآتي:

أولاً-تعريف العبادة.

ثانياً-ثمرات العبادة.

ثالثاً-صحة النية في العبادة.

رابعاً-العبادات الواردة في أحاديث الدراسة.

أولاً - تعريف العبادة لغة واصطلاحاً.

العبادة لغة: مصدر(عَبَدَ) (يَعْبُدُ) (عِبَادَةٌ) ومعناها: الذلة. والمُعَبَّدُ: الذلول، والطريق المُعَبَّدُ: المسلوكة المذلَّة. والعَبْدَةُ: القوة والصلابة، ثوبٌ له عَبْدَةٌ: إذا كان قوياً. وأصلُ العِبَادِيَّةِ: السُّخُوعُ والتذللُ. والمُعَبَّدُ: المُكْرَمُ المُعْظَمُ كأنه يُعْبَدُ، قال حاتم^(١):
تقول: أَلَا تُبْقِي عَلِيكَ، فَإِنِّي أرى المَالَ عِنْدَ المُؤْمِسِكِينَ مُعْبَدًا^(٢)
أي مُعْظَمًا مُخَدِّومًا. والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل^(٣).

(١) حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي القحطاني، فارس جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، مات في عوارض جبل في بلاد طيء، سنة ٤٦ قبل الهجرة. الأعلام، الزركلي،

١٥١/٢ .

(٢) ديوان حاتم الطائي في قصيدة مطلعها: وعاذلة هبت بلبل تلميوني وقد غاب عيوقُ الثريا فعرّدا. ضمن كتاب ((خمس دواوين العرب))، بيروت، المكتبة الأهلية، دون تاريخ، ص: ٨، معن بن أوس: حياته وشعره وأخباره، جمعه كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة النهضة، ط. الأولى ١٩٢٧م، ص: ٤٩، ونسب البيت لغيرهما، انظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م، ١/ ٢٤٨، ٢٥٦.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: عبد، ٢٧١/٣-٢٧٤.

وبناء على ما تقدم من المعاني اللغوية، فإن ما يخدم بحثي، وما أقصده من العبادة في هذا المبحث هو: تعظيم الله والتذلل له.

تعريف العبادة في اصطلاح الدعاء:

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها: ((اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للحار واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك: هي من العبادة لله))^(١).

ويفهم من هذا أن العبادة تحقيقُ صلةٍ بين العبد وربّه، وبين العبد ونفسه، وبين العبد والناس، وبين العبد وغيره من الكائنات، وأنها مفهومٌ شاملٌ في دين الإسلام يستوعب كثيراً من الألفاظ، والمعاني، والمأمورات الشرعية، التي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً - ثمرات العبادة:

للهبادة والطاعات ثمارٌ كثيرةٌ في الدنيا والآخرة، وكلما ازداد العبدُ طاعةً وعبادةً ازداد قُرباً. ومن ثمرات العبادة ما يلي:

الثمرة الأولى - حماية الله والنجاة المحققة بإذن الله:

تعددت الأدلة من الكتاب والسنة لتأكيد حصول هذه الثمرة لعباد الله في الدنيا والآخرة، ومما ورد في أحاديث الأمثال موضحاً ومؤكداً هذه الثمرة الأحاديث التالية:

عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رضي الله عنه ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ

(١) العبودية، ابن تيمية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. السادسة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص: ٣٨.

(٢) قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي أخو أبي سعيد الخدري لأمه، أمهما أنيسة بنت قيس التجارية، شهد بدرًا وأصيب عينه فيها، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا حتى نستأمر رسول الله ﷺ، فاستأمره، فقال: لا، ثم دعا به فوضع راحته على حدقته ثم غمزها، فكان لا يُدرك أي عينيه ذهب، وقيل: فكانت أصح عينيه، وقيل: إن ذلك وقع يوم أحد، مات في خلافة عمر، وعمره: خمس وستون سنة، فضلى عليه عمر، ونزل في قبره: الإصابة، ابن حجر، ٢١٧/٣-٢١٨.

عَبْدًا حَمَاهُ^(١) الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءِ^(٢).

يخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه يحب عبده المقبل على عبادته، وإذا أحبه الله كفاه أمر الدنيا، وحماه من شرورها، وقد شبه النبي ﷺ هذه الحماية الإلهية بحماية العبد مريضه وخوفه الشديد عليه وحرصه على أن لا يقرب الماء.

(ب) عَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَثَلُ الْمُدَّهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذُّوا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَاءَ، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ^(٣)).

يوضح الحديث ثمرة من أعظم ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ألا وهي: النجاة من المهالك، والغرق في بحور الظلمات، والمعاصي.

الثمرة الثانية-الرزق وعناية الله:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَعْدُو حِمَاصًا^(٤) وَتَرُوحُ بِطَانًا^(٥)).

(١) حماه: يقال: أحميت المكان فهو محمي إذا جعلته جمي، وحميته حماية إذا دعت عنه، ومنعت منه من يقربه، فيكون المعنى: دفع عنه شرور الدنيا وفتنها، النهاية، ابن الأثير، مادة: حما، ٤٤٧/١.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٠٣٦، كتاب الطب عن رسول الله، باب ما جاء في الحمية، وقال: وهذا حديث حسن غريب، ٣٨١/٤، صحيح سنن الترمذي، ح ١٦٥٩، ٢/٢٠١، صحيح الجامع، الألباني، ح ٢٨٢، ١١٤/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٦٨٦، كتاب الشهادات، باب الفرع في المشكلات، ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) حِمَاصًا: أي تغدو بكرة وهي جياح، وتروح عشاء وهي متلثة الأحواف. النهاية، ابن الأثير، مادة: حمص، ٨٠/٢.

(٥) سنن الترمذي، ح ٢٣٤٤، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ٥٧٣-٥٧٤. وصححه الألباني

في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٣٥٩، ٤٠٤/٢، وأخرجه الحاكم في المستدرک، ٣١٨/٤، وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وتعقبهما الألباني، فقال في السلسلة الصحيحة، ح ٣١٠: بل هو صحيح على شرط مسلم. المجلد الأول، ١٢/٣.

يوضح الحديث أن تعلق القلب إنما يكون بالله الرازق سبحانه لا بالسبب، وأن الأسباب لا بد من بذلها، فإن في الحديث دليلاً على السعي والكسب بذكر حركة الطيور وخروجها من أعشاشها طلباً للرزق فيرزقها الله فتعود شبيعة. ويُفهم من هذا أن حركة الطيور وغيرها مما خلق الله طلباً للكسب لا تنافي التوكل، فالتوكل محل القلب، فمتى ما حقق العبد توكله بقلبه، وأيقن أن الرزق بيد الله، وعالج الأسباب، وسعى وتحرك ببدنه، فإن الرزق يتحقق من قبل الله تعالى، فيرزقه كما يرزق الطير، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره^(١).

وقد قرر العلماء: أن التوكل عمل القلب، وليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، وهو نصف الدين والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وأفضل التوكل في الواجب، أعني: واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس، وأوسعُه وأنفعُه توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، كما أن ترك الأسباب فسوقٌ واتباعٌ لغير سبيل المؤمنين^(٢).

الثمرة الثالثة-الأجور العظيمة التي لا يعلمها إلا الله:

عَنْ عَبْدِ بْنِ خَالِدِ السُّلَمِيِّ^(٣) قَالَ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا، وَمَاتَ الْآخَرُ بَعْدَهُ بِجُمُعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا قُلْتُمْ؟ فَقُلْنَا: دَعَوْنَا لَهُ، وَقُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ، وَصَوْمُهُ بَعْدَ صَوْمِهِ.. وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟! إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)^(٤).

يتبين من الحديث ثمره العبادات، وتفاوت أهلها في الأجور، ونتائجها التي تفوق أجر الشهادة في سبيل الله، فعندما صلى الصحابة على الرجل الثاني بعد موته دعوا ربهم بأن يلحقه بصاحبه الذي مات شهيداً، فبين النبي ﷺ لهم أن لصلاة الرجل وصيامه وأعماله

(١) انظر: إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، صفاء الصوي أحمد العدوي، البحرين، دار اليقين، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٥/٤٩٧-٤٩٨.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب، مراجعة لجنة من العلماء، دون تاريخ، ١١٣/٢-١١٤.

(٣) عبيد بن خالد السلمي ثم البهزي يكنى أبا عبدالله، وقيل: فيه عبد بغير تصغير، وقيل عبدة بزيادة هاء، كان من أصحاب النبي ﷺ، شهد صفين مع علي، وبقي إلى أيام الحجاج. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٣٦٥/١، الإصابة، ابن حجر، ٤٣٥/٢.

(٤) سنن أبي داود، ح ٢٥٢٤، كتاب الجهاد، باب في النور يرى عند قبر الشهيد، ٣/٣٥. وضح الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٠٣/٢.

الصالحة بعد موت أخيه من الأجور العظيمة كما بين السماء والأرض، وقد يرد إشكالٌ مفادُه: كيف تزيدُ فضيلةَ درجةِ الآخر بالصلاة والصوم ونحوهما من الأعمال الصالحة على القتل في سبيل الله؟! والجوابُ: أنه لا إشكال فيه، فإن بعض العباد يبلغ درجةً بالصلاة والصوم لا يبلغها الشهداء، فلعل هذا الرجل بلغ بإخلاصه وصدقه في أعماله درجةً لم يبلغها الأول مع أنه قتل في سبيل الله. والله تعالى أعلم^(١).

ثالثاً - صحة النية في العبادة:

إن مما هو معلوم في الدين عند المسلمين، أن صحة العبادة متعلقةٌ بالنية، وأن الأعمال الصالحة لا تُقبل إلا بنيةٍ صالحةٍ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(٢). ومما ورد في أحاديث الأمثال مما يبين أهمية صحة النية في كل العبادات ما يلي:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (مثلُ المُجاهِدِ في سبيلِ اللهِ، والله أعلمُ بمن يُجاهِدُ في سبيلِهِ، كمثلِ الصَّائمِ القائمِ، وتوَكَّلَ اللهُ للمُجاهِدِ في سبيلِهِ بأنْ يتوفاهُ أنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أوْ غَنِيمَةٍ)^(٣).

وفي رواية: (مثلُ المُجاهِدِ في سبيلِ اللهِ كمثلِ الصَّائمِ القائمِ^(٤) بآياتِ اللهِ، لا يفتُرُ من صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ تَعَالَى)^(٥).

يوضح الحديثُ ضرورةَ النيةِ الصالحةِ في هذه العبادةِ الجليلةِ التي فيها تُزهقُ الأنفُسُ، ويُقدِّمُ المرءُ أغلى ما يملكه، فإن لم تكن خالصةً لله، فإنها لن تُقبلَ؛ لأنَّ في قول النبي ﷺ:

(١) انظر: بذل الجهود في حل أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، تعليق: محمد زكريا الكاندهلوي، بدون، مطبعة السعادة، ط. الثالثة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ١٠/١٢،

بتصرف يسير، عون المعبود محمد آبادي، ١٩٩٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٤، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ١٣٥/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٧٨٧، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ٦/٦.

(٤) القنوت: يَرُدُّ بِسَعَانٍ مُتَعَدِّدَةً، كَالطَّاعَةِ، وَالخُشُوعِ، وَالصَّلَاةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْقِيَامِ، وَطَوَّلَ الْقِيَامِ، وَالسُّكُوتِ، فَيُصْرَفُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَى مَا يَحْتَمِلُهُ لَفْظُ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِيهِ. النهاية، ابن الأثير، مادة: قنوت، ١١١/٤.

(٥) صحيح مسلم، ح ١٨٧٨، كتاب الأمانة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ١٤٩٨/٣.

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ) بيانا أن النية الصالحة شرط لصحة الجهاد، إضافة إلى أن المرء يؤجر عليها أعظم الأجر.

قال الفضيل بن عياض^(١) - رحمه الله - { الفضيل بن عياض } في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾^(٢). قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿ . فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

ة بعبادة ربه أحدًا ﴿ ﴿ [الكهف ١: ١١٠] ﴿ ﴿^(٣)

وفي تشبيه النبي ﷺ المجاهد - الذي صلحت نيته، وجاهد إعلاءً لكلمة الله، وطلبًا لمرضاته - بالصائم القائم، تأكيد على فضل الجهاد في سبيل الله، وأهمية إخلاص المجاهد في جهاده.

قال الطيبي - رحمه الله - : ((فإن قلت: فيم شُبِّهتْ حالُ المجاهد بحال الصائم؟ قلتُ: في نيل الثوابِ الجزيلِ بكلِّ حركةٍ، وسكونٍ في كلِّ حينٍ وآنٍ؛ لأنَّ المرادَ من الصائم القائم: مَنْ لا يفتُرُ ساعةً من ساعاتِهِ آناءَ الليلِ وأطرافِ النهارِ من صيامِهِ وصلاته))^(٤).

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي البربوعي الطالقاني الأصل كنيته أبو علي الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرًا يقطع الطريق ثم تاب كان من الخوف نحيقًا، ومناقبه كثيرة، كان من الثقات، قدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة شرفها الله، وجاور بها إلى أن مات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائة. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ٨ / ٨٤، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ترجمة رقم ٥٣١، ص: ٤٧-٤٩، تذكرة الحفاظ، الذهبي، ٢٤٥/١، تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٢٩٤ / ٨.

(٢) سورة الملك: ٢.

(٣) سورة الكهف: ١١٠، مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، ٢ / ٩٣، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة ١٤٠٦هـ، ١ / ٢٥٣.

(٤) شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، كراتشي، قديمي كتب خانة، دون تاريخ، ١ / ١٩٨.

(ب) عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ فَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، وَفِي رِوَايَةٍ: (فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ)، فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا لِهَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، وَفِي رِوَايَةٍ: (فَهُوَ بَنِيَّةٍ). قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَخْطِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، وَفِي رِوَايَةٍ: (فَهُوَ بَنِيَّةٍ). قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ^(١)).

يوضح الحديث أهمية النية الصالحة وقدرها في الأعمال الصالحة وخطورة النية الفاسدة، وضررها على الأعمال، فإن صاحبها في الأعمال الصالحة يثاب، وفي الأعمال الفاسدة يعاقب، فمن تمني أن يعمل صالحاً نال أجر تلك النية، ومن تمني أن يعمل شراً وسوءاً نال وزر تلك النية.

رابعاً-العبادات الواردة في أحاديث الدراسة:

إن مفهوم العبادة مفهومٌ واسعٌ، وإن مواطنها متعددة. وقد ورد بعضٌ منها في أحاديث الأمثال كما سيظهر في الصفحات التالية على النحو الآتي:

عن الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُنْطَى بِهَا فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا فِيمَا أَنْ تَأْمُرُهُمْ وَإِمَّا أَنْ أَمْرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخَشَى أَنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدَ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرْفِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ،... وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ،... قَالَ

(١) سنن ابن ماجه، ح ٤٢٢٨، كتاب الزهد، باب النية، ١٤١٣/٢. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٣٤٠٦، ٤١٣/٢، سنن الترمذي، ح ٢٣٢٥،

كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ٥٦٢/٤ - ٥٦٣. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٨٩٤، ٢٧٠/٢.

(٢) الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، صحابي تفرد بالرواية عنه أبو سلام، يكنى بأبي مالك، اشتهر باسمه. الإصابة، ابن حجر، ١/ ٢٧٤.

النَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ^(١) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا^(٢) جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ^(٣).

يوضح هذا الحديث جُملاً من أمور العبادة. ينبغي للدعاة الوقوف عندها، تعلمًا، وفهمًا، وعملاً، رأيتُ إجمالها في ثلاثة محاور:

المحور الأول: التبليغ:

إن التكليفَ بإبلاغ الدعوة للناس تكليفٌ رباني لكل الأنبياء عليهم السلام، والعملَ بمقتضى التكليفِ عبادةٌ يجب على الدعاة أن يقوموا به، فيبلغوا الدعوة. ولقد حرص الأنبياء كلُّ الحرصِ على إبلاغ ما أمروا به. كما يظهر من حوار عيسى مع يحيى عليهما السلام بهذا الشأن.

ولا ريب أنهم عليهم السلام قاموا خيرَ قيامٍ بهذه المهمةِ الجسيمةِ، ابتداءً بنوحٍ عليه السلام، وانتهاءً بخاتمهم نبينا محمد ﷺ، فلقد بلغ رسالة ربه، وأدى ما عليه من مهمة التكليف، تعبدًا لله وتقربًا، فقد أمره الله بتبليغ الدين الحق للناس. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

(١) الرِّبْقَةُ: عروة في حنبل تُجعل في عنق البهيمة أو يدها تُمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشد المسلم به نفسه من غرى الإسلام. أي: حدوده وأحكامه وأوامره

ونواحيه. النهاية، ابن الأثير، مادة: ربق، ٢/ ١٩٠، وانظر لسان العرب، ابن منظور، مادة ربق، ١/ ١١٣.

(٢) جُنَا: جمع جُنُوَّة وهو الشيء المجموع وهو بمعنى الجماعة. النهاية، ابن الأثير، مادة: جئا، ١/ ٢٤٠.

(٣) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ١٤٨/٥ - ١٤٩. وصححه

الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٣٥٤ - ٣٥٦.

(٤) سورة المائدة: ٦٧.

و لم يتوانَ النبي ﷺ عن تبليغ الدعوة، فقد بَلَغَ كل ما كُفِّ به، وترَكنا على البيضاء ليلها ونهارها سواء لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، كما سيتضح في مضامين هذا الحديث، وما تتضمنه ألفاظه الشريفة.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ فيما يتعلق بالتبليغ ما يلي:

- أن يدرك الدعوة أن تبليغ دين الله من العبادات الفورية التي يتأكد العمل بها عندما يلزم البيانُ ويقتضي الحالُ، ويناسب المقالُ المقامُ، سواء أكان التبليغُ أمراً، أم نهيًا، أم غير ذلك. فحينئذٍ تؤدَّى على الفور دون تراخٍ، فقد أوضح الحديث أن عيسى استأذن يحيى -عليهما السلام- في أن يقوم هو بتبليغ ما أمر الله بتبليغه حين كاد يحيى - عليه السلام - أن يُعطىء في التبليغ.

- يتوجب على الدعوة التعاونُ والتذكير لتأدية البلاغ: يُدْرِكُ هذا الأمرُ من تذكير عيسى ليحيى -عليهما السلام- بتأدية ما أُمرَ بتبليغه، أو يأذن له بتحمل هذا البلاغ، وإيصاله لبني إسرائيل.

- ينبغي أن يستشعرَ الداعية الخوفَ والخشيةَ من تبعاتِ التفريطِ في إيصالِ البلاغِ، فإنَّ الحديثَ يوضحُ حرصَ نبيِّ الله يحيى -عليه السلام- في إيصالِ البلاغِ تُعبداً لله الأمرِ له بالتبليغ.

- يجب أن يحرصَ الداعية كل الحرص على العمل بما يدعو إليه وأن يسبق دعوتَه العملُ. فيكونُ قد جَمَعَ بين التلقي لجوانبِ العبادةِ أمراً ونهيًا، وإتباعِ ذلك بالعمل، والتبليغِ بعد ذلك، فيكون ترتيب هذه القضايا المهمة في الدعوة إلى الله على النحو التالي: عِلْمٌ، وَعَمَلٌ، ودعوةٌ إلى ذلك.

المحور الثاني: أُسسُ العبادة:

ينبغي أن يرتبَ الداعيةُ أُسسَ العبادةِ حسبَ أولويتِّها وأهميتها عملاً بالأوامرِ المباركةِ الواردةِ في حديث الحارث الأشعري السابق وفيما يأتي من الأحاديثِ، وتلك الأُسسُ على النحو الآتي:

١) العناية بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له:

ساق الحارث الأشعري رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ، وفيه: (وَأْمُرْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ ^(١) فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟) ^(٢).

لا ريب أن إفراد الله بالعبادة وحده، واجتناب أي عمل ينقضها، هو أسُّ الدين، ومِحْوَرُّ دعوة النبيين أجمعين. وقد مثل النبي ﷺ من أشرك بالله بمثل رجل تملك عبداً ملكاً لا شائبة فيه، ثم أمره أن يعمل له ويخلص في العمل، لكن العبد انصرف عن خدمة سيده وطاعته إلى خدمة آخرين، وهذا ما لا تقبله العقول السليمة، ولا يرضى به العرف الصحيح، وتنكره الفطر جميعها، فكذلك حال من أشرك مع الله سواه، وهو يعلم أن خالقه ورزاقه والمنعم عليه هو الله وحده، فكيف يعقل أن يشكر غيره ويعبد سواه، إنه الجحود والنكران والكفران برب العالمين.

والداعية على رأس مَنْ يُؤْمَرُ بتطبيق هذا الأساس والعمل بمقتضاه، ويدعو الناس للعبادة الخالصة النقية، موضعاً أهميتها في الدين، وأن ما عدا عبادة الله مُتَرْتَّبٌ عليها، فهي بوابة كل الأعمال، ومفتاح كل خير، فمن ضيَعها فهو لما سواها أضيع، وإن الله لا يقبل عمل المشركين والمبطلين، كما قرر ذلك المولى جل وعلا بقوله الكريم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ ^(٣).

٢) العناية بالدعوة إلى الصلاة وما يتعلق بها:

يجب على الدعاة إلى الله العناية الفائقة بشأن الصلاة؛ لأنها من العبادات التي تعد شعاراً للمسلمين، وعلامة لهم تُمَيِّزُهُمْ عن غيرهم، وفارقة بين الإسلام وبين الكفر. وليس هناك ذنبٌ أعظم بعد الشرك من ترك الصلاة، والتفريط فيها، وتأخيرها.

(١) الورق: الدراهم المضروبة، وقيل: الفضة. النهاية، ابن الأثير، ١٧٥ / ٥، لسان العرب، ابن منظور، مادة: ورق، ٣٧٥/١٠.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ١٤٨ - ١٤٩. وصححه

الألباني في صحيح الجامع، ٣٥٤ - ٣٥٦.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

قال ابن حجر - رحمه الله -: ((أحوال الإنسان بالنسبة إلى ما يصدر منه من صغيرة، وكبيرة خمسة:

أحدها - أن لا يصدر منه شيء البتة، فهذا يُعَاوَضُ برفع الدرجات.

ثانيها - أن يأتي بصغائر بلا إصرار، فهذا تُكْفَرُ عنه جزماً.

ثالثها - أن يأتي بصغائر مع الإصرار، فلا تُكْفَرُ إذا قلنا: أن الإصرار على الصغائر كبيرة.

رابعها - أن يأتي بكبيرة واحدة وصغائر.

خامسها - أن يأتي بكبائر وصغائر، وهذا فيه نظر، يُحْتَمَلُ إذا لم يجتنب الكبائر أن لا تُكْفَرُ الكبائر، بل تُكْفَرُ الصغائر، ويُحْتَمَلُ أن لا تكفر شيئاً أصلاً، والثاني أرجح^(١).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يقوم الدعاة بعرض موضوع الصلاة بطريقة تحفيزية، توجه النفوس لأدائها رغبة، وحباً، وإقبالاً، ويمكنهم الاستعانة بقصص، وأمثال وأحداث، محفزة لأدائها.

- ضرورة أن يعنى الداعية بإقناع المدعو بقبول موضوع الصلاة، والبيان الوافي بأن هذا الموضوع أجل الموضوعات، وأعظمها، وأجدرها، وأولاها بالتعظيم، والعناية في حياته؛ لأنه الشعار، والعنوان الذي يدخل به المرء الإسلام بأدائها والمحافظة عليها، أو يخرج من الإسلام بتركها، والتفريط فيها.

- إن موضوع الصلوات الخمس والمحافظة عليها على رأس الموضوعات الدعوية التي ينبغي الاهتمام بالدعوة إليها، وإيصالها بشكل يقبله المدعوون، فيقوم الداعية الناجح ببيان الآثار الناتجة عن الصلاة، في حياة العبد، وبعد مماته، أما في حياته، فإنها سر قوته، ونشاطه، وحيويته، وبركة أيامه، وإحاطة الله له بالتوفيق، والحفظ، ومكفرة ذنوبه، ومأخية آثامه؛ لاتصال العبد فيها بربه اتصالاً قوياً، يقوم على المناجاة، والتضرع، وإظهار فقره لربه ومولاه، مبتهلاً باكياً، راعياً، وساجداً، فيخرج منها مغفور الذنب، طاهر النفس، والبدن، راضياً عنه ربه الكريم المنان، وأما في الآخرة فالجنة ونعيمها المقيم من الحور العين والولدان، والدرجات العلى في جنة الرحمان.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٢/٢.

- إن المتأمل لعناية الدعوة بموضوع الصلاة يخرج بنتيجة مُلِحَّة في الدعوة إلى الله، وهي تكثيفُ الجهودِ والمواظ، والخطب، والمقالات، ونحو ذلك من الوسائل لدعوة الناس للعناية بها؛ وسِرُّ العناية بها أنها عمودُ الإسلام، وعنوانه، وشعاره الذي يُعرَفُ به المسلمون، وقد فرط كثير من أبناء المسلمين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً في شأنها؛ لذا يجب تكثيفُ الجهود، وتظافرُها للدعوة إليها، وبيان محاسنها، وفضائلها، وثمراتها، وآدابها، وسُنَنِها، وكلُّ ما يتعلَّقُ بها.

(ب) عَنْ طَلْحَةَ^(١) رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مَوْخِرَةِ الرَّحْلِ، فَلْيَصِلْ وَلَا يُبَالِ مِنْ مَرٍّ وَرَاءَ ذَلِكَ)^(٢).

قال النووي - رحمه الله -: ((في هذا الحديث النذب إلى السترة بين يدي المصلي وبيان أن أقل السترة مؤخره الرجل وهي قدر عظم الذراع هو نحو ثلثي ذراع ويحصل بأى شئ أقامه بين يديه هكذا... والمستحب أن يجعل السترة عن يمينه أو شماله والله أعلم))^(٣).

يوضح الحديث أهمية اتخاذ المصلي سترةً بينه وبين من يمر أمامه، وأنها من تمام صلاته، حيث أخبر ﷺ أن من اتخذ سترةً، فإنه لا يبالي بمن مرَّ وراء سترته. ومما يُستخلصُ من فقهه ودروسٍ دعويَّةٍ من الحديث السابق ما يلي:

- استحباب أن ينه الداعية المدعويين لأهمية اتخاذ المصلي سترةً؛ لما في ذلك من صفاء الخلوَّة مع الله تعالى، وعدم الانشغال بالمارين بين يديه.

- إن مما يُعنى به الدعاة إلى الله فيما يتصل بموضوع الصلاة التنبيه على مسألة المرور بين يدي المصلي؛ لما يترتب على المرور بين يديه من الإثم، فقد قال النبي ﷺ: (لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ)^(٤).

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، أبو محمد من العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد أحداً، وأبلى فيها بلاء حسناً، ووفى النبي ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلَّتْ أصبعه، رُمي يوم الجمل في ركبته، فما زال الدم يسبح حتى مات، وكان ذلك في جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين من الهجرة، وله أربع وستون سنة، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢٧٧/١، الإصابة، ابن حجر، ٢٢٢٠/٢-٢٢٢٢.

(٢) صحيح مسلم، ح ٤٩٩، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، ١/٣٥٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، ٤/٢١٦-٢١٧.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥١٠، كتاب الصلاة، باب إثم المار بين يدي المصلي، ١/٥٨٤.

- إن عناية الدعاء إلى الله بموضوع الصلاة تقتضي أن يُلهب الدعاء مشاعر المدعوين نحوها والاهتمامَ بها من كل جوانبها، ومن ذلك: تهيئة المكان المناسب لأدائها، واجتناب الصلاة في طرق المشاة، واتخاذ سترة، والاحتراز من المرور بين يدي المصلي؛ لأنه يشغله^(١).

(د) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَفَعَهُ قَالَ: إِنَّ الْيَدَيْنِ تَسْجُدَانِ كَمَا يَسْجُدُ الْوَجْهُ، فَإِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ، فَلْيَضَعْ يَدَيْهِ وَإِذَا رَفَعَهُ فَلْيَرْفَعْهُمَا^(٢).

قال ابن قدامة^(٣) - رحمه الله -: وسجودُ الوجه لا ينفي سجودَ ما عداه، فإنَّ أَخْلَّ بالسجود بعضوٍ من هذه الأعضاء لم تصحَّ صلاته عند من أوجبه، وإن عجز عن السجود على بعض هذه الأعضاء، سجدَ على بقيتها وقربَ العضو المريض من الأرض غاية ما يمكنه^(٤).

وذلك لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أَمُرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَى الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ. وَلَا نَكَفْتُ الثِّيَابَ وَالشَّعْرَ)^(٥).

وما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- من الأمور التي ينبغي أن يهتم بها الدعاء في موضوع الصلاة السجودُ على الأعضاء السبعة، وبيان أهميتها في الصلاة، والتأكيد على السجود عليها.

- أن يحدد الداعية أعضاء السجود التي يجب أن ينزل عليها المصلي، وهي: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتان، وأطراف القدمين.

(١) انظر: جامع الفقه (موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم الجوزية) جمعة: يُسري السيد محمد، المنصورة، دار الوفاء، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٥٦/٢.

(٢) سنن أبي داود، ح ٨٩٢، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود، ٥٥٣/١. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٨٩٢، ٢٥١/١.

(٣) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ولد بجماعيل في نابلس، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، في شعبان، وهاجر مع أهل بيته وأقاربه، وله عشر سنين، وحفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخط المليح، وكان من محور العلم وأذكياء العالم، كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حجة نبيلًا، غزير الفضل، زها، ورعا، عابدًا، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه. انتقل إلى رحمة الله يوم السبت يوم الفطر، ودفن من الغد سنة عشرين وستمائة، وكان الخلق لا يُحْصُونَ، توفي بمزلة بالبلد. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٦٥/٢٢-١٧٣.

(٤) المغني ومهامشه الشرح الكبير، عبدالله بن أحمد بن قدامة، بيروت، دار الفكر، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١/٥٩١. باختصار.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٨١٢، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، ٢/٢٩٧.

- إن لموضوع الصلاة نظاماً ينبغي الالتزام به من قبل الدعاة والمدعوين، ومن ذلك هيئة السجود وصفته، فأبي خروج عن نظامه يعد إخلالاً بالصلاة، وعلى رأس ما يجلب بالصلاة، ونظامها الذي سنه النبي ﷺ صفة السجود في الصلاة، وإن المخالفين اليوم من المصلين أكثر ومخالفتهم في الصلاة متعددة ومتنوعة، ومن أبرزها عدم تمكين أحد الأعضاء من السجود، فمنهم من لا يمكن جبهته، وآخر لا يمكن أنفه، وثالث لا يمكن يديه من الأرض، ورابع لا يمكن قدميه، وكل هذا واقع ومشاهد، وعليه فإنه يلزم الدعاة الوقوف على هذه المخالفات ومناقشتها مع المصلين، والقيام بالتوجيه، والإرشاد في هذا الشأن العظيم، ويكون هذا بطريقتين، إما كلمة عامة في المسجد قبل أو بعد الصلاة حول هذا الأمر، وإما بدعوة فردية لمن يشاهده مرتكباً مثل هذه المخالفة، نصحاً وتوجيهاً، دون تعنيف، أو توبيخ.

(هـ) عن أبي بن كعب رضي الله عنه يقول صلى رسول الله ﷺ يوماً صلاة الصبح، فقال: (أشهد فلانُ الصلاة؟ قالوا: لا. قال: فلان. قالوا: لا. قال: (إن هاتين الصلاتين من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، والصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو تعلمون فضيلته لأتدرئموه، وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاة الرجل مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كانوا أكثر فهو أحب إلى الله عز وجل^(١)).

يوضح الحديث فضيلة صلاة الجماعة، وبالخصوص صلاة الفجر والعشاء؛ لأنهما تثقلان على المنافقين، وقد بين رضي الله عنه أن في صلاة الفجر وصلاة العشاء مع الجماعة فضلاً عظيماً وأجرًا جزيلاً؛ لو يعلم الذين تركوهما ذلك الأجر لأتوهما ولو حبواً، كما يوضح الحديث فضيلة الصف الأول، وأجره عن باقي الصفوف، فشبهه بأجر فضل صفوف الملائكة، وظهره أن الملائكة أكثر أجرًا وفضلًا من بني آدم. وأنهم يقومون بهذه العبادة خير قيام^(٢).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

(١) سنن النسائي، ح ٨٤٢، كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين، ٤٣٩/٢-٤٤٠، وحسنه الألبان في صحيح سنن النسائي، ح ١٨٣/٨١٣، المسند،

ح ٢١٢٦٥، وقال محققه: حديث حسن، ١٨٨/٣٥-١٨٩.

(٢) انظر: حاشية السندي، ١٠٥/٢.

- تأكيدُ الدعاةِ على أهميةِ المحافظةِ على الصلوات، وخصوصاً صلواتنا الصبحِ والعِشاءِ،
وبيانُ فضائلِهما، وأدائهما مع الجماعةِ في بيوتِ الله.

- إن من العنايةِ بموضوعِ الصلاة أن يبين الداعيةُ خطورةَ تركها مع الجماعة؛ لأنها من
علاماتِ النفاق، وأن يحرصوا على تفقدِ المصلين، والسؤالِ عنهم، ولا ريب أن هذا الدور
ينبغي أن يقوم به إمام المسجد، ولا ضيرُ أبداً أن يتفقدِ الداعيةُ الحاضرين في المسجد لصلاة
الصبحِ والعشاءِ وغيرها من الصلوات، فإذا افتقد أحدهم سأل عنه، واطمأن عليه، وحثه
على المحافظةِ، من بابِ التناصح، والتعاونِ على أمورِ البرِ والتقوى.

- إن من العنايةِ بموضوعِ الصلاة الدعوة إلى التنافسِ على الصفِ الأولِ لما فيه من الخيرِ
العظيم، والفضلِ الكبير.

(و) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ^(٢) يُصَلِّي
وَرَأْسُهُ مَعْقُوصٌ^(٣) مِنْ وَرَائِهِ، فَقَامَ، فَجَعَلَ يَحُلُّهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ مَا
لَكَ وَرَأْسِي؟! فَقَالَ: (إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا مَثَلُ هَذَا مَثَلُ الَّذِي يُصَلِّي
وَهُوَ مَكْتُوفٌ)^(٤)).

يوضح الحديثُ اهتمامَ الصحابةِ بالصلاةِ وعدمِ الإخلالِ بأي أمرٍ من أمورِها، ((فالشعرُ
عندما يكون منشوراً سقط على الأرض عند السجود فيعطى صاحبه ثوابَ السجودِ به،
وإذا كان معقوصاً صار في معنى ما لم يسجد. وشبهه بالمكتوف وهو مشدودُ اليدين؛
لأنهما لا يقعان على الأرض في السجود))^(٥).

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي صحابي جليل يكنى بأبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، مات بالطائف سنة ٦٨هـ وعمره
٧١ سنة. الإصابة، ابن حجر، ٢/ ٣٢٢-٣٢٦.

(٢) عبد الله بن الحارث بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي. حديثه مرسل. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٣٠٣/١.

(٣) العقص: اللي وأن يجعل أطراف الشعر في أصوله. النهاية، ابن الأثير، مادة: عقص، ٣/ ٢٧٥.

(٤) صحيح مسلم، ج ٤٩٢، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي كف الشعر والثوب وعقب الرأس في الصلاة، ١/ ٣٥٤.

(٥) كتاب الأمثال في الحديث النبوي ﷺ، لأبي الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، الهند، الدار السلفية، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م،

وعليه فإن من جعل أطراف شعره في أصوله إلى الوراء، يخلُّ بسجوده. قال القاضي عياض - رحمه الله -: ((لأن الشعر يسجد معه))^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ضرورة أن يعرض الداعية موضوع الصلاة ببيان الآداب المرعية الشرعية فيها، ومن أبرز الآداب التي ينبغي أن يراعيها المصلي، اجتناب كل ما يعيق إتمام أي هيئة من هيئات الصلاة، والغرض من هذا، حصول الخشوع في الصلاة.

- عناية الدعاة بموضوع الصلاة، والقيام بتجلية الصواب والخطأ فيها، وإفهام المدعو موطن الخلل في الصلاة، دون تعنيف.

- التنبيه على أخطاء المصلين، ومراعاة الحكمة في طريقة علاجها، فإن المصلين اليوم، يقعون في أخطاء كثيرة منذ دخولهم فيها إلى أن ينصرفوا، فواجب الدعاة كبير في دعوة المصلين، لالتزام الصحة في أدائها، ومن تلك الأخطاء المشاهدة: عدم تسوية الصفوف، عدم سد الفرج، كثرة الالتفات في الصلاة، والحركة فيها. وينبغي التدليل على الخطأ من سنة رسول الله ﷺ.

(ز) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ رضي الله عنه ^(٢) (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ، وَأَنْ يُوطَّنَ الرَّجُلُ الْمَقَامَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يُوطَّنُ الْبَعِيرُ)^(٣).

يوضح الحديث النهي عن ثلاث مسائل^(٤) في موضوع الصلاة:

المسألة الأولى - النهي عن صلاة الرجل بلا طمأنينة، وعبر عنها بقوله: نقرة الغراب.

المسألة الثانية - النهي عن الجلوس كهيئة الكلب والافتراش، وهو إصاق الساعدين في الأرض كالذئب؛ لأنه دليل الكسل.

المسألة الثالثة - النهي عن ملازمة مكان واحد في المسجد يُعرف به المصلي.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ح ٤٩٢، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود، ٢/٤٠٦.

(٢) عبد الرحمن بن شبل الأنصاري الأوسي أحد نقباء الأنصار، وفقهائهم، له صحبة، نزل الشام، وقيل نزل حمص. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٢/٣٩٥.

(٣) سنن النسائي، ح ١١١١، كتاب التطبيق، باب النهي عن نقرة الغراب، ٢/٥٦٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ١٠٦٤، ٢٣٨/١، سنن أبي داود، ح

٨٦٢، كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، ١/٥٣٩. وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ١/٢٤٣.

(٤) نيل الأوطار، ٣/٢٤٠.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن من العناية بموضوع الصلاة، أن يجتهد الداعية في توضيح ما يؤثر فيها من هيئات وأحوال كالعجلة فيها، ومشابهة الكلاب والسباع في الجلوس فيها، وأن يقوم ببيان أن الصلاة مناجاة الله، فينبغي أن تكون على أحسن هيئة، وأفضل صفة.
- إن مما يدل على العناية بموضوع الصلاة قيام الدعاة بتوجيه من يستوطن مكانًا محددًا في المسجد يشتهر به؛ لما في ذلك من خطر السمعة والرياء.

(ح) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ^(١))! اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ. ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟! فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟! قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ^(٢).

شبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيديهم بأذنان الخيل الشمس تشبيه واقع؛ فإنها تحرك أذناها يمينا وشمالاً. فلما رآهم على تلك الحالة أمرهم بالسكون في الصلاة^(٣).

قال النووي-رحمه الله-: ((هي التي لا تستقر بل تضطرب وتتحرك بأذناها وأرجلها والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام مشيرين إلى السلام من الجانبين...، وفيه الأمر بإتمام الصفوف الأولى والتراص فيها. ومعنى إتمام الصفوف الأولى أن يتم الأول ولا يشرع في الثاني حتى يتم الأول وهكذا إلى آخرها))^(٤).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن مما يدعو الداعية للعناية بموضوع الصلاة تعدد وتنوع المخالفات فيها منذ عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عصرنا الحاضر؛ لذا فمسؤولية الدعاة إلى الله، وأئمة المساجد، بيان تلك المخالفات، وعدم السكوت عنها لئلا تنتشر.

(١) خيل شُمْسٍ: هي جمع شُمُوس، وهو النَّفُورُ من الدوابِّ الذي لا يستقرُّ لِشَعْبِهِ، وَحَدَّثَهُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: شمس، ٥٠١/٢.

(٢) صحيح مسلم، ح ٤٣٠، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، ٣٢٢/١.

(٣) المفهم، القرطبي، ٦١/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٢/٤.

- إن موضوع الصلاة في الدعوة إلى الله الشغل الشاغل للدعاة والوعاظ والمرين؛ لذلك وضع الحديث السابق بين أيديهم أمرين لازمين لها يجب عليهم دعوة الناس بهما: الأمر الأول- الخشوع في الصلاة وذلك بالتخلص من الحركات الخارجة عنها. الأمر الثاني- وهو يخدم الخشوع، وهو: إتمام الصفوف وعدم ترك فجوات بين المصلي ومن بجانبه؛ لأن الشيطان يدخل بين هذه الفجوات، فيفسد خشوع المصلين.

- إن موضوع الصلاة أجل موضوعات الدعوة وأكثرها وجوداً وتكراراً؛ ذلك أنها تؤدى في اليوم والليلة خمس مرات، وهي قائمة على المشاهدة والاقتداء؛ لذا يتوجب المبادرة لإصلاح كل خلل يطرأ عليها، وأداؤها على الوجه الذي يرضاه الله.

(٣) العناية بالدعوة إلى الصيام:

الصيام من موضوعات العبادة التي ينبغي للدعاة إلى الله العناية بها فرضاً ونافلة؛ لما فيها من فضائل لا تحصى، ولما ينتج عنها من المنافع العظيمة، وعلى رأسها حصول التقوى، وطهارة النفوس وتزكيتها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

((إن الإله العليم الحكيم جعل الصيام ركناً من أركان الإسلام ومبانيه، ودعامة عظيمة من دعائمه، شرعه لتحقيق إنسانيتنا، والارتفاع بها عن مستوى البهائم؛ لأن الإنسان إذا فقد الروح السماوية التي يمدده الله بها كان مشابهاً للحيوان، بل يكون أشراً وأضر منه، ولكن الله يمدده بروح من عنده فيما يُشرِّعه له من العبادات المتنوعة المزكية لنفسه، والمصلحة لأحواله، وشؤونه كلها... ومن ذلك فرضه الصيام؛ ليتحرر الإنسان من سلطان أهوائه، وغرائزه البهيمية، وينطلق من سجنها ظافراً متعلِّباً عليها)) (٢).

وقد عني النبي ﷺ بهذه العبادة عناية لا تقل عن عنايته بالصلاة، واهتم بها في دعوته لما في الصيام من صفاء الروح وتنقيتها، وتزكية النفوس، وإحساسها بالآخرين، وقربها من الله جل وعلا، وبعدها عن أسباب الفتن والشهوات.

وتظهر هذه العناية بموضوع الصيام من خلال الأحاديث التالية:

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) الصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة، عبدالرحمن الدوسري، الرياض، مكتبة الرشد، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص: ٢٧-٢٨.

أ) ساق الحارث الأشعري رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ، وفيه: (وَأْمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ (١) مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ... (٢)).

يوضح الحديث فضل الصيام، وآثاره على العبد المؤدي لهذه العبادة الجليلة، وأن مثلاً من يصوم كمثل رجل مع جماعة كان يحمل صُرَّةً فيها طيب مسك أعجب الجميع رائحته الزكية، فكذلك رائحة فم الصائم عند الله طيبة، بل هي أطيب عند الله من ريح المسك الذي أعجب به الجميع.

وقد ظن كثير من الناس أن رائحة المسك في الدنيا، وأن معناه أن الله يحب هذه الرائحة الكريهة على الرغم من أن الحديث ليس فيه ما يدل على محبة الله لتلك الرائحة المنبعثة من فم الصائم، وتقدس ربنا عن ذلك، فإنه سبحانه جميل يحب الجمال (٣)، كما يدل على ذلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) (٤).

قال العز بن عبد السلام (٥) -رحمه الله-: ((هذا الطيب في الآخرة خاصة)) (٦) محتجاً برواية الحديث الأخرى عند مسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) (٧).

(١) عصابة: جماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها. النهاية، ابن الأثير، مادة: عصب، ٢/٣٤٣، وانظر لسان العرب، ابن منظور، مادة: عصب، ٦٠٥/١.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ١٤٨/٥-١٤٩. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ المجلد الأول/ ٣٥٤-٣٥٦.

(٣) انظر: طريقك إلى الإخلاص والفقهاء في الدين، عبدالله الرحيلي، ص: ١٨٢-١٨٣.

(٤) صحيح مسلم، ح ٩١، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ٩٣/١.

(٥) أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالصلام بن أبي القاسم السلمى المغربي الشافعي الملقب بسليمان العلماء، ولد بدمشق، سنة سبع وسبعين وخمسائة، نشأ فقيراً ولم يطلب العلم إلا على كبر، كان على ورع وتقوى وصرامة وتحمل للشدائد، وتعرض للمخاطر في سبيل رضا الله، حيث ترك لذة النوم ودفء الفراش، وتوفي سنة ستين وستمائة عن عمر ناهز الثمانين. انظر: طبقات الشافعية، السبكي، ٨/ ٢٠٩، النجوم الزاهرة، تغري بردي، ٧/ ٢٠٨، والعز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، عبدالله بن إبراهيم الوهبي، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص: ٤٧-٥١.

(٦) شرح الزرقاني، ٢/ ٢٦٤.

(٧) صحيح مسلم، ح ١١٥١، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ٢/ ٨٠٦.

وقد أكد فضل الصوم، وأبرز العناية به قوله ﷺ: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ) (١).

فينبغي للداعية أن يحرص على هذه العبادة، ويعتادها، ويدعو إليها، مبيناً حكمها، وفوائدها، وآدابها، وثمراتها.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- تنطلق العناية بموضوع الصيام في الدعوة إلى الله من ضرورة العمل بموجب الأمر الوارد في الحديث السابق بشأن الصيام، وتكليف الأنبياء به وتبليغه.

- مما يهتم الداعية به فيما يخص هذه العبادة الجليلة، أن يعنى ببيان فضل الصيام والدعوة إليه من خلال تشبيه النبي ﷺ لرائحة فم الصائم بالمسك الفواح يوم القيامة، كما على الدعاة بيان الأسرار الحكيمة لهذه العبادة العظيمة، ومن ذلك: أن الصوم أعظم معين على محاربة الهوى، وقمع الشهوات، وتزكية النفس، وإيقافها عند حدود الله.

- مما يدل على العناية بموضوع الصيام الإشارة إلى حفظه والحرص عليه، كما يحرص صاحب المسك على مسكه، فيقوم الداعية ببحث المدعوين على العناية بالصيام، والتزام آدابه، والاحتراز من أي فعل، أو قول، ينقص منه، ويؤثر فيه، فضلاً عما يفسدُه، فإن المرء يحرص على حفظ ما يملك من النفائس، فكذلك ينبغي أن يحفظ صومه ويعتني به.

- أهمية أن يُعنى الدعاة بهذه العبادة الجليلة عملاً ودعوة؛ لما ينتج عنها من أثر وتأثير في الداعية والمدعوين؛ لأن المحافظة على هذه العبادة فرضاً وناقلة مدعاة للإعجاب بصاحبها والتأثر به، فهي من مقومات الداعية الناجح.

ب) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) (٣).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٩٠٤، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، ١١٨/٤.

(٢) خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري، معروف باسمه وكنيته، من السابقين، روى عن النبي ﷺ، شهد العقبة وبدرا وما بعدها، نزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده، آخى بينه وبين مصعب بن عمير، وشهد الفتح، واستخلفه علي على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد، وشهد معه قتال الخوارج، لزم أبو أيوب الجهاد بعد النبي ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمسين وقيل غير ذلك. (الإصابة، ابن حجر، ١/٤٠٤ - ٤٠٥).

(٣) صحيح مسلم، ح ١١٦٤، كتاب الصيام، باب استحباب صوم سنة أيام من شوال اتباعاً لرمضان، ٨٢٢/٢.

يوضح الحديثُ أجرَ صومِ رمضان وإتباعه بستة أيامٍ من شوال ليس منها يوم عيد الفطر سواء أكانت متتابعة أم متفرقة في نفس الشهر، فإن ذلك كمن صام سنة كاملة؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- مما تتميز به موضوعات العبادة الندب إلى إتباع العبادة تلو العبادة وفي الحديث ما يؤكد هذا الأمر، فقد حث على إتباع صيام رمضان بستٍ من شوال على حد قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(١).

- ينبغي للداعية أن يعتني ببيان هذا الحديث للمدعوين وتوضيح مغزاه فإن صيام الدهر يعني صيام العام كاملاً. وظاهرُ الحديثِ صيام شهر وستة أيام فيقوم الداعية بتوضيح هذا أن رمضان يعدل صيام عشرة أشهر، وستة أيام تعدل صيام شهرين من باب أن الحسنة بعشر أمثالها.

(ج) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لِأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتَهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ. قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ. قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ^(٢).

يوضح الحديثُ فضلَ صيامِ التطوع، وأن من صام ثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ، فكأنما صام الدهرَ كله، وأنه لا أفضلَ من صيامِ داودَ عليه السلام. وصيامُ التطوع من العبادات التي تقرب العبد إلى ربه وتباعده عن النار سبعين خريفًا، كما ورد في حديث النبي ﷺ: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)^(٣).

(١) سورة الشرح: ٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٩٧٦، كتاب الصوم، باب صوم الدهر، ٤/ ٢٢٠.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٨٤٠، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، ٦/ ٤٧.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى ربط الإنسان بالله من خلال العبادات المتكررة، ومن ذلك الصيام؛ لذا فإن النبي ﷺ حث عليه لما فيه من الربط العظيم بالله. ومن ذلك صيام ثلاثة أيام من كل شهر وتأكيد فضلها وأجرها؛ ليرغب المدعوون في فعلها.

- ينبغي للدعاة إلى الله العناية بموضوع الصيام، وذلك بذكر أسرارهِ وحكمهِ العظيمة، والإفادة منه في تقوية الصلة بالله، فإن المرءَ تحكّمه عاداتٌ قد تنتهي به إلى أن يصبح وكأنه آلةٌ تمشي وفق برنامجٍ معين، فيصير محكوماً بتلك العادات، فتأتي الطاعات وعلى رأسها الصيام لتحرر المرء من العبودية للمادة، وليغير نسق حياته الممل، فتصعد روحه في عالم التقوى، وتنشعب بها، بفضل الله تبارك وتعالى.

- ضرورة أن يبين الدعاة في موضوع الصوم أحكامه ابتداءً وانتهاءً، ومروراً بمفسداته وكل ما يؤثر فيه، وبيان أن الصوم عبادةٌ روحيةٌ تنتهي بصاحبها إلى التقوى، والتأكيد على أن حقيقة الصوم ليست مجرد ترك الأكل والشرب دون تربية نفسية مؤثرة وقد أكد هذا المعنى قول النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)^(١).

- تتجلى في الحديث السابق قضية الوسطية، والابتعاد عن الرهينة في الإسلام؛ وذلك ما يجب على الدعاة إلى الله عز وجل أن يبينوه في موضوعات الدعوة عموماً، وفي الصوم على وجه الخصوص، فإن من لديه القدرة، ويرى في نفسه الطاقة على صيام أيام السنة كلّها مُنَع من ذلك، ويُبين له أن الهدى النبوي يكون في الصيام والإفطار، وأن أفضل الصيام صيام يومٍ، وترك يومٍ.

٤) العناية بالدعوة إلى الصدقة:

موضوع الصدقة من العبادات المالية التي عني النبي ﷺ بها ودعا إليها؛ ولا عجب فالصدقة فيها تربية نفسية على البذل، والقضاء على شح النفس، والإحساس بالآخرين، وإيجاد روح التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، ومحاربة جشع وشح الأغنياء الذين لا هم لهم سوى أنفسهم وملذّاتهم، والعيش في بُرُوجٍ عاجيةٍ دون أن يشعروا بالفقراء من

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٩٠٣، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ١١٦/٤.

حولهم. فتأتي الصدقة تقوم بواجب عظيم في إشراك الفقراء أموال الأغنياء؛ ليسدوا حاجتهم من المسكن والملبس والمشرب والمطعم.

وفي واقع الأمر أن الصدقة بقدر ما هي تفريح عن فقير، أو مسكين، أو ذي حاجة، فإنها تنفع المتصدق أكثر من المتصدق عليه؛ ذلك أن انتفاع المتصدق عليه مادّي، أما المتصدق فانتفاعه منها في الدنيا والآخرة، في الدنيا بنمو الأموال وزيادتها، وبركتها، وفي الآخرة الثواب العظيم، كما سيتضح من الأحاديث التالية:

(أ) ساق الحارث الأشعري رضي الله عنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه: (وَأْمُرْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ)^(١).

يوضح الحديث الأثر العظيم للصدقة، حيث إنها تدفع عن صاحبها مصارع السوء في الدنيا والآخرة، فقد ضرب مثل المتصدق كمثلي رجل وقع أسيراً لدى أعدائه، فقيّده وأوثقوا قيوده، عازمين على قطع عنقه، ففدى نفسه واشترى حياته بالمال، فقبلوا، ونجا من شرهم، فكذلك المتصدق يفدي نفسه من نار تُلظّي، ومن عقوبة مُحيطّة، ومن شدة وبلايا، ومن عِللٍ ومصائب نازلة.

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- إن الداعية أول من يبادر للعمل بهذه العبادة الجليلة، ودعوة الناس للعمل بها؛ لأنها دليل إيمان، وعلامة فلاح وخير ورشد.

- ضرورة أن يحثّ الداعية المدعويين على المبادرة إلى الصدقة، ويبين لهم قلة ما يتصدقون به من أموالهم مما لا يضرهم فقدّه، وينفع الفقير أخذه.

- على الداعية أن يرغب المدعويين القادرين في الصدقة، ويبين لهم أن في ذلك مواساة ذوي الحاجات ورحمتهم، والإحسان إليهم.

- ينبغي للداعية أن يبين للمدعويين فوائد الصدقة، ومنافعها التي تعود على المتصدق نفسه وهي: اتصافه بالكرم، والجود، والفضل، ونفي صفات الشحّ والبخل، والدناءة^(١).

(١) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ١٤٨/٥-١٤٩. وصححه

الألباني في صحيح الجامع، ١/٣٥٤-٣٥٦.

(ب) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِي بِي أَحَدِكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ) (٢).

يوضح الحديث مضاعفة الصدقة عند الله، وعنايته الكريمة بشأنها، مهما كان حجمها حتى ولو شقَّ تمرّة، مما يؤكد فضل الصدقة، ويحث عليها شريطة أن تكون طيبة من كَسْبٍ طَيِّبٍ، لأن الله لا يقبل إلا الطيب، وأن تكون خالية من المن والأذى. وفي الحديث تشبيه مضاعفة الصدقة الطيبة بالمهر الصغير الذي يكبر شيئاً فشيئاً، ووجه الشبه في الأمرين: الزيادة، والكثرة، والبركة.

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- حرصُ الداعيةِ على حث المدعوين للتخلص من المال المكتسب من طريقٍ حرامٍ؛ لخطورته وعواقبه الوخيمة، وتأكيدُه على أنه ينبغي تدقيق المرء لمكاسبه وتحريرها، وأخذُ الحِيطَةِ التامةِ للوقوف على طيب الكسب، وحُسنِ الإنفاق.

- تجسيدُ الداعيةِ لأهمية تسخير المال مهما قل أو كثر في التصدق، وبيان استمرار أثر الصدقة وثمارها على المسلم، وعلى المال المزكى بتنميته ومضاعفته لصاحبه.

(ج) عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه (٣) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ. إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (٤).

(١) انظر: جامع الفقه، يسري السيد، ٣٠ / ٣.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٤١٠، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، ٢٧٨ / ٣، وصحيح مسلم، ح ١٠١٤، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها، ٧٠٢ / ٢.

(٣) كعب بن عجرة بن أمية البلوي، روى كثير من الأحاديث، شهد عمرة الحديبية، ونزلت فيه قصة الغدية، مات بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وله سبع وسبعون سنة. الإصابة، ابن حجر، ٢٨١ - ٢٨٢ / ٣.

(٤) سنن الترمذي، ح ٦١٤، كتاب الجمعة عن رسول الله، باب ما ذكر في فضل الصلاة، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ٥١٣ / ٢، صحيح سنن الترمذي، ح ١٨٩ / ٥٠١.

يبين الحديثُ ما للصدقةِ، وبذلِ المالِ لمستحقِّه من جزاءٍ عظيمٍ في الدنيا، قبلَ الآخرةِ،
ومن ذلك أنها سببٌ نحو الخطايا، وقد شبهَ النبيُّ ﷺ إطفاءَ الصدقةِ للخطايا بإطفاءِ الماءِ النارَ،
وفي هذا تأكيدٌ لفضلِ الصدقةِ وبذلِ المالِ في سبيلِ الله.

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- أن يُعنى الدعوةُ بإبرازِ الأثرِ الكبيرِ للمالِ إذا تصدقَ به صاحبه، ومن ذلك: نحو الصدقةِ
للخطايا، وأن يبين الآثارَ الطيبةَ الأخرى للصدقةِ.

- ينبغي للدعاةِ إلى الله أن يُعَنُوا بهذا الموضوعِ في الدعوةِ إلى الله، بحثِّ الناسِ على
الصدقةِ، وبيانِ أجرِها العظيمِ، وأن يَنفُوا الشُّحَّ عنهم، وأن يَسْعُوا لإطفاءِ الخطايا بالصدقةِ
التي تكونُ سبباً لحلولِ البركةِ عليهم، وهذه البركةُ تشملُ الجسدَ، والوقتَ، والمالَ، وتُثمرُ
فلاحاً، وصلاحاً، ونجاةً في الفرعِ، وفرجاً في الشدةِ.

(د) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ كَمَثَلِ
رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تُدْيِهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا^(١))،
فَجَعَلَ الْمُتَّصِدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى^(٢) أَنْامِلَهُ،
وَتَعْفُو^(٣) أَثَرَهُ^(٤)... (٥).

يبين الحديثُ الأثرَ الطيبَ للصدقةِ، فقد شبهَ النبيُّ ﷺ الرجلَ المتصدقَ برجلٍ يُريدُ أن
يلبسَ درعاً يستترُّ به من سلاحِ عدُوِّه، فصَبَّها على رأسِهِ ليلبسَها، فكانتُ درعاً ساترةً
لجميعِ بدنِهِ، والمرادُ: أن الجوادَ إذا هَمَّ بالصدقةِ اتَّسَعَ لها صدرُهُ، وطابتْ نفسُهُ فتوسَّعتْ في
الإفناقِ. فعنايةُ المرءِ بهذه العبادةِ الجليلةِ دليلٌ لإيمانه؛ لذلك فإنه كلما تصدقَ من ماله أبدله
اللهُ خيراً، ولم ينقصْ ماله؛ لما يُخلفه اللهُ له من الخيرِ والرضا. وهذا هو الفضلُ العظيمُ.

(١) الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاقل، النهاية، ابن الأثير، مادة: ترق، ١/١٨٧.

(٢) تغشى: أي تستر أنامله. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: غشا، ٣/٣٦٩.

(٣) العفو: أصله الخوُّ والطمسُ. انظر النهاية، ابن الأثير، مادة: عفا، ٣/٢٦٥.

(٤) الأثر: أصله من أثر مَشِيهِ في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر، ولا يُرى لأقدامه في الأرض أثر. النهاية، ابن الأثير، مادة: أثر، ١/٢٣. وقد يكون معنى تَعْفُو أَثَرُهُ:

تطيل عمره. على غرار (وينسأ له في أثره). فيكون الأثر بمعنى الأجل. انظر النهاية، ابن الأثير، ١/٢٣.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٧٩٧، كتاب اللباس، باب جيب القميص من عند الصدر وغيره. ١٠/٢٦٧.

إن المثل في هذا الحديث بليغ؛ فهو يُمثِّلُ المتصدقَ برجلٍ عليه جُبَّةٌ تُعَيِّقُ حَرَكََةَ يَدَيْهِ حتى كأنه مقيَّدٌ، لكنه كلما أنفق من ماله اتسعت الجبَّةُ، وامتدَّتْ، وغطَّتْ حتى تستر أصابعَ يده، والمعنى: أن حبَّ المالِ، ووساوسَ الشيطانِ تُعَيِّقُ المرءَ من الإنفاقِ، كما تعيِّقُ الجبَّةُ حركةَ اليدِ، وأن الصدقةَ تستر خطايا المتصدقِ كما يغطي الثوبُ الذي يُجرُّ على الأرض أثرَ صاحبه إذا مشى. مرور الذيل عليه، فهو تمثيلٌ لنماء المال بالصدقة، وكثرة الجود، وأن المعطي إذا أعطى انبسطت يداه بالعطاء، وتعوَّدَ ذلك^(١).

وما يُستَخْلَصُ من دروسِ وفقههِ دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- تجلية الداعية لكل فضلٍ ينتج عن الصدقة. والفضائلُ كثيرةٌ، ومنها: الفرجُ عند الشدة، وكشفُ الكرباتِ إذا نَزَلَتْ.

- إنَّ الصدقةَ تَسْرِي آثارها على المرءِ، فلا تدعُ جانباً من جوانب حياته إلا وأحيط بالبركة، وإن الدعاة إلى الله في أشد الحاجة للوقوف عند هذا الدرس الدعوي رغبةً لحلول البركة في مشاريعهم الدعوية، والتربوية، والعلمية، والحركية، وغير ذلك مما هم منشغولون فيه خدمةً للدعوة إلى الله.

- ضرورة أن يبين الداعية طرق التنافس في الخير، ومن ذلك: الغبطة لمن يسخرُون أموالهم في وجوه الخير، وتمني المرء مثل ذلك المال، وذلك الإنفاق، يؤكد هذا قوله ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ... وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً يَنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ)^(٢).

٥) العناية بالدعوة إلى الحج والعمرة وما يتعلق بهما:

من موضوعات العبادة المهمة في الدعوة إلى الله الحج إلى بيت الله، وذلك لما اشتمل عليه من الخير العميم للمسلمين، بل وللأمة جمعاء، وقد أخبر الله تعالى عن هذا الفضل في التنزيل العزيز فقال سبحانه وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ آلَا تَعْلَمُ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْفَقِيرَ﴾^(٣)؛ لذا

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٠٦-٣٠٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٣٢، كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، ١٣/٢٢٠.

(٣) سورة الحج: ٢٨.

فعلى الدعاة مسؤولية تبليغ الدعوة إليه، وحث الناس عليه، مبينين ما تشتمل عليه هذه العبادة الجليلة من الأجر والخير، كما سيتضح من الأحاديث التالية:

(أ) عَنْ مَاعِزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةُ بَرَّةٍ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيَّنَّ مَطْلَعُ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا) (٢).

يوضح الحديث أن الحج المبرور يبلغ فضله عن سائر الأعمال ما تبلغه المسافة بين المشرق والمغرب، وقد أكد الفضل التشبيه الوارد فيه لبيان عظم الفضل للحجة المبرورة، وهو فضل لا يحصى ولا يُحدُّ، مما يدل على فضل هذه العبادة العظيمة.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- ينبغي للدعاة العناية بموضوع الحج كعنايتهم بالموضوعات الأخرى للعبادة، متأسين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قد اعتنى بموضوع الحج عنايةً فائقة، وبين فضله أتم بيان.

- يتطلب الأمر عند معالجة موضوع الحج، ودعوة الناس إليه أن يقوم الداعية بتوضيح مفهوم الحج المبرور وفق ما ورد في الشرع الحنيف.

- من العناية بموضوع الحج أن يوضح الدعاة للمدعوين أهمية إحسان الحاج حجَّه، لأن من يأتي إلى الحج، يتكبد المشاق، ويبدل الجهد، ويتعرض لعناء السفر، ووعثائه. فينبغي له أن يحسن في هذه العبادة ليرجع بأجرها، وفضلها، وإلا رجع آثماً مأزوراً.

(ب) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الطَّوَّافُ حَوْلَ الْبَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمَنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ) (٣).

يوضح الحديث أن الطواف حول البيت مثل الصلاة في آدابها والتطهر لها ونحو ذلك، إلا أنه يجوز للطائف أن يتكلم مع الآخرين ولكن بخير، لأنه بجوار البيت المعظم، والذي يعظمه فقد عظم الله.

(١) ماعز بن بحالد البكائي بصري، وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٤٠/٢، الإصابة، ابن حجر، ٣/٣١٧-٣١٨.

(٢) المسند، ح ١٩٠١٠، وقال محققه: حديث صحيح، ٣١/٣٥٠، المعجم الكبير، الطبراني، ح ٨٠٩٠٢٠/٣٤٤-٣٤٥، مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣/٢٠٧، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) سنن الترمذي، ح ٩٦٠، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء في الكلام في الطواف، ٢٩٣/٣. وصححه الألباني في إرواء الغليل، ح ١٢١، ١/١٥٤. وله

شواهد (إنما الطواف صلاة، فإذا طفتهم فأقلوا الكلام)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (الطواف بالبيت صلاة)، ٤/٣٠٧-٣٠٨.

((كما يفهم من الحديث تطبيق شروط الصلاة على الطواف من الطهارة الحكيمة والحقيقية وستر العورة كالصلاة))^(١).

(ج) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ)^(٢). وفي رواية: (مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا، فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا يَضَعُ قَدَمًا، وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً)^(٣).

يوضح الحديث فضل الطواف حول الكعبة، وعِظَمَ الأجر المترتب عليه، ممثلاً له بعِتق رقبة، شريطة أن يكون خالياً من اللغو والرفث والفسوق، كما يوضح الحديث أن كل خطوة بخطوة بخطوها القاصد لبيت الله الحرام تحط عنه الخطايا مع كل حطة قدم، وتكتب له الحسنات مع كل رفعة قدم.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحَدِيثِينِ السَّابِقِينِ ما يلي:

- تبرز عناية الداعية بموضوع الحج من خلال اهتمامه بدعوة الناس إلى مراعاة الآداب الشرعية في الطواف حول البيت، تعظيماً له، وعملاً بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٤).

- مما يعطي لموضوع الطواف أهمية إبراز متزلته، فإنه مثل الصلاة، وهذا يعني أن تُركِّز الدعوة إليه بأن يكون طوافاً معموراً بالذكر، والطاعة، والدعاء، والإنابة، والاستغفار، ونحو ذلك.

- من الأمور التي ينبغي علاجها في ما يتعلق بالطواف أن يُحذَّر الداعية المدعويين من مقارفة المنكر في الطواف أياً كان ذلك المنكر من نظرٍ محرّم، أو شهوةٍ حرام، أو سرقة، أو غيبة، أو كلامٍ فاحشٍ وغيره.

(١) انظر: تحفة الأحمدي، المباركفوري، ٢٩/٤.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٢٩٥٦، كتاب المناسك، باب فضل الطواف، ٩٨٥/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٢٣٩٣، ٢/١٦٢.

(٣) سنن الترمذي، ح ٩٥٩، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء في استلام الركبتين، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ٢٩٢/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٧٦٦، ٢٨٣/١.

(٤) سورة الحج: ٣٢.

(د) عَنْ أُمِّ مَعْقِلٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا أُمَّ مَعْقِلٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَخْرُجِي مَعَنَا؟) قَالَتْ: لَقَدْ تَهَيَّأْنَا فَهَلَكَ أَبُو مَعْقِلٍ، وَكَانَ لَنَا جَمَلٌ هُوَ الَّذِي نَحُجُّ عَلَيْهِ، فَأَوْصَى بِهِ أَبُو مَعْقِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلَّا خَرَجْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَجَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَمَّا إِذْ فَاتَتْكَ هَذِهِ الْحَجَّةُ مَعَنَا، فَاعْتَمِرِي فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهَا كَحَجَّةٍ، فَكَانَتْ تَقُولُ الْحَجَّ حَجَّةً، وَالْعُمْرَةَ عُمْرَةً، وَقَدْ قَالَ هَذَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أُدْرِي أَلِيَّ خَاصَّةً^(٢). يوضح الحديث أن الحج من العبادة الشاققة كالجهاد، كما يوضح الحديث توجيه النبي ﷺ لأم معقل عندما فاتها الحج بأن تعتمر في رمضان، فإن العمرة فيه كحجة. وهذا فضل عظيم لمن اعتمر في رمضان.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أهمية أن يعنى الدعاء في دعوتهم بالرجال والنساء؛ لأن النساء شقائق الرجال كما هو واضح في الحديث من عناية النبي ﷺ بأم معقل فيما يتعلق بالحج.

- أن يقوم الداعية بتوضيح المفاهيم الخطأ المتصلة بالحج عند المدعوين، ويحرص على إزالة الجهل عنهم.

- إن من عناية الدعاء بموضوع الحج وما يتعلق به، أن يبينوا أن الحجَّ عملٌ في سبيل الله يلزم له الزاد من راحلة ونحوها.

- أن يعنى الدعاء بشأن العمرة في رمضان من خلال بيان فضلها وأجرها.

٦) العناية بالدعوة إلى ذكر الله والدعاء:

لا ريب أن الذِّكْرَ والدَّعَاءَ خَيْرٌ مَا أَمْضِيَتْ فِيهِمَا الْأَوْقَاتُ، وَصُرِفَتْ فِيهِمَا الْأَنْفَاسُ، وَأَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِمَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُمَا مِفْتَاحٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَيَنْبَغِي الْعِنَايَةَ بِهِمَا وَفَقَ مَا هُوَ مَشْرُوعٌ وَثَابِتٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣).

وستظهر عناية النبي ﷺ بهذه العبادة من خلال أحاديث الأمثال التالية:

(١) أم معقل الأسدية زوج أبي معقل، ويقال لها أشجعية، ويقال أنصارية، روى حديثها أصحاب السنن الثلاثة. الإصابة، ابن حجر، ٤/ ٤٧٥.

(٢) سنن أبي داود، ح ١٩٨٩، كتاب المناسك، باب العمرة، ٢/ ٥٠٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٥٥٦ - ٥٥٧.

(٣) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق البدر، الخبر، دار ابن عفان، ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١/ ٧ - ٨.

أ) عن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: (وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ^(١) نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ)^(٢).

يوضح الحديث فضل الذكر من خلال ضرب المثل للذاكر برجلٍ يلاحقه الأعداءُ يوشك أن يدركوه حتى وجد حِصنًا منيعًا، فاحتسب به وحفظ نفسه فيه، فكذلك الذاكر يتحصن بالذكر، فلا يَقْدِرُ الشيطانُ عليه.

ب) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)^(٣).

يتضح من هذا الحديث منهج المقارنة بين الأضداد في التعليم والدعوة، فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الذاكر لله بالحَيِّ والذي لا يذكر ربه بالميت؛ لأن الميت لا يستطيع الانتفاع من الحياة البرزخية بالاستزادة من الأعمال الصالحة، فكذلك المعرض عن ذكر الله مثله مثل الميت؛ لأن في الإعراض عن ذكر الله موت القلب، والقلب بصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله.

إن الذاكرَ يزين ظاهره بنور العمل وباطنه بنور العلم والمعرفة، وغير الذاكرَ ظاهره عاطل وباطنه باطل، والحَيُّ المشبه به من ينتفع بحياته بذكر الله وطاعته، وقد تأكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) الحرز: الموضع الحصين، يقال: أحرزت الشيء أحرزته إحرزاً إذا حفظته وضمنته إليك وصننته عن الأخذ ويسمى التعويد حرزاً. النهاية، ابن الأثير، مادة: حرز، ١/٣٦٦، وانظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: حرز، ٥/٣٣٣.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٨٦٣، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ٥/١٤٨-١٤٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ المجلد الأول/ ٣٥٤-٣٥٦.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤٠٧، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ١١/٢٠٨. صحيح مسلم، ح ٧٧٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ١/٥٣٩.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٢، انظر: فيض القدير، المناوي، ٥/٥٠٦.

قال الطيبي- رحمه الله-: ((شَبَّهَ الذَّاكِرَ بِالْحَيِّ الَّذِي تَرَى ظَاهِرُهُ بِنُورِ الْحَيَاةِ، وَبَاطِنُهُ بِنُورِ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، كَذَلِكَ الذَّاكِرُ مُزَيَّنٌ ظَاهِرُهُ بِنُورِ الْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ، وَبَاطِنُهُ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ... وَغَيْرِ الذَّاكِرِ عَاطِلِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِلِ بَاطِنِهِ))^(١).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ مَا يَلِي:

- الذكر من أجل الموضوعات الدعوية التي ينبغي أن يطرقتها الدعوة إلى الله، ويثورها في ميادين الدعوة المتعددة، فبه يقدر على ممارسة الدعوة، والانتقال بها من مكان إلى آخر.
- أهمية أن يبين الداعية فضائل الذكر، وفوائده التي لا تحصى، وعليه أن يذكر في دعوته نماذج للذاكرين والذاكرات الله كثيرا، وأثر الذكر في حياة أولئك الصالحين، وقوة أثره في حياة الداعية والمدعو، فهو سلاح قوي يبعث في نفس صاحبه الطمأنينة والارتياح قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

- إن الذكر عبادة سهلة الأداء والتناول، عظيمة الأجر والثواب، ولا أحد يقدر أن يسبق أهل الذكر إلا إذا صنع صنيعهم وزاد، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ)^(٣).

(ج) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَحَاسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. يَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ...)^(٤).

يوضح الحديث جواز الحسد والذي هو بمعنى الغبطة، وتمني النعمة عند الغير مع الرضا ببقائها عند صاحبها، وهذا لا يجوز إلا في قراءة القرآن الكريم سائر الوقت من ليل ونهار، فمثل هذا يجوز الغبطة فيه، وتمنيه؛ لأنه عمل صالح، وعبادة كريمة، ترفع شأن صاحبها في الدنيا والآخرة.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

(١) الكاشف، الطيبي، ح ٢٢٦٣، ١٧٢٢/٥.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٦٧٦، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٢٠٦٢/٤.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٢٣٢، كتاب التمني، باب تمني القرآن والعلم، ٢٢٠/١٣.

- ضرورة أن يعنى الدعاء ببحث المدعوين بالإكثار من ذكر الله وتعلم القرآن الكريم، تلاوةً، وحفظاً، ومدارسةً، ونشرًا؛ لأن الأجر المترتبة على تلاوته لا تحصى.

- ينبغي للدعاة إلى الله أن يبينوا أضرار الحسد، وذمه، ومفهومه، والتفريق بينه وبين الغبطة، وأن الغبطة تجوز في موطنين على ما ورد في الحديث السابق.

- إن من العناية بالقرآن الكريم أن تُعمَّر مساجدُ الله به، وأن يُوقَّرَ ظاهراً وباطناً، وأن تُملأَ به المساجد، والبيوت؛ لما في هذا القرآن الكريم من تنزل الرحمات، والبركات.

- من عجبٍ أن ينظرَ للقرآن الكريم في بعض المجتمعات الإسلامية، على أنه يتلى في المساجد، أو في المآتم لا غير، أو يعلق في السيارات، وفي رفوف المنازل، ليحفظ من وقوع الشر، دون تلاوته والعمل بمضامينه، التي رُتِّبَ الأجرُ عليها، والدعاة معنيون ببيان هذا الأمر، ومناصحة المسلمين اليوم فيه؛ ليدركوا أن القرآن الكريم حياة، وسعادة، وأنس يتلى في كل المناسبات، ولا يخصص للمآتم، لأنه للأحياء وليس للأموات.

- واجب الدعاء أن يُعنى ببيان العمل بالقرآن الكريم، وأن يُقيم المسلمون حروف القرآن الكريم ويُطبِّقوا حدوده، ويقفوا عند متشابهه، ولا يفسروا به بلا علم وأصول علمية معتبرة، وأن يحتكموا إليه عند التراع، ويُحكِّموا في كل حياتهم، وأن لا يفصلوا تعاليمه عن سائر حياتهم، وأن يتدبروا الآيات التي يتلوونها؛ لتخشع قلوبهم لما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين قست قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله، فأصابها الله بأنواع من العذاب والعقاب الأليم.

(د) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ، وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ...)^(١).

يوضح الحديث القدسي السابق العناية بشأن الدعاء، وتوجيه العباد إليه. وهذه الدعوة مصدرها الله جل وعلا؛ لأنه سبحانه العليم الخبير بما ينفعهم، فوجههم للدعاء مبيناً لهم أن خزائنه سبحانه لا تنفذ ولا يُنقصها شيء، إضافة إلى أن الدعاء عبادة أمرنا الله بها.

(١) صحيح مسلم، ٢٥٧٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٤ - ١٩٩٥.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١)

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية: ((المراد من هذا أنه تعالى لا يُخَيِّبُ دُعَاءَ دَاعٍ، ولا يَشْتَعِلُهُ عَنْهُ شَيْءٌ، بل هو سَمِيعُ الدُّعَاءِ، ففيه تَرْغِيبٌ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ تَعَالَى)) (٢).

ومما يُسْتَنْخَلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- لا ريب أن الدعاء هم أولى الناس بعد الأنبياء بإيصال الخير والهداية للناس، ومن ذلك العناية بمسألة الدعاء، وفي الوقت ذاته هم أحوج الناس إلى دعاء الله أن يسددهم في الأقوال، والأفعال، وسائر شؤونهم، فالهداية بيد الله وحده، ولن ينالوها إلا بالدعاء، فإنه سلاحهم القوي لتحقيق مسعاهم، ومباركة مشاهم.

- إن العناية بالدعاء في الدعوة إلى الله، أقوى سلاح يتسلح به الدعاء، فيجب أن يدركوا حقيقة مهمة في الدعاء، وهي: أن السلاح بضاربه، فكلما كان الحامل للسلاح قوياً قادراً على الضرب بالسلاح أصاب هدفه، وإن لم يكن كذلك، فإنه لا يصيب شيئاً، كذلك الدعاء يجاب حسب حالة الداعي، وقربه من الله، وصدقته مع مولاه، ويقينه بالإجابة، وحضور قلبه.

- تبرز أهمية العناية بموضوع الدعاء في الدعوة إلى الله من خلال الآثار العظيمة له، والعجائب الناتجة عنه، وعليه فإنه من وسائل النجاح العظيمة التي ينبغي للدعاة إلى الله أن يمارسوها في دعوتهم وأن لا يغفلوا عنها، وأن يحرصوا على الإكثار منها، والتبتل إلى الله والإلحاح عليه مع تحري أوقات الإجابة، والتأدب بآداب الدعاء، والبعد عن موانع إجابته، فلعل الله أن يشرح صدور المدعوين بسبب دعائهم، فيحبب لهم الإيمان، ويزينهم في قلوبهم، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويصرف قلوبهم في طاعته (٣).

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ١٩٠.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله في البيوت، محمد بن فهد الجيفان، الرياض، دار البشائر العالمية، ط. الأولى، ١٤١٢ هـ، ص: ٥٦.

- ضرورة أن يعنى الدعاء بموضوع هذه العبادة الجليلة بيان آدابها الشرعية، وهي كثيرة أذكر منها:

١- الدعاء في السجود؛ لأن العبد أقرب ما يكون لربه في سجوده. وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَمَنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ) (١).

٢- الابتداء بالحمد، والثناء على الله عز وجل، كما في قوله ﷺ: في الشفاعة يوم القيامة: (فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْتِنِي عَلَى رَبِّي بِنِثَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ) (٢).

المحور الثالث- مسائل مهمة لتحسين وحفظ العبادة:

شرع الله سبحانه العبادة ليتقرب العباد بها إليه، ووضع لهم طرقاً للحفاظ عليها، ومن ذلك ما أنا بصدد تناوله من أمور تُعدُّ قلاع أمنٍ وحِرَاسَةً للعبادة، أذكرها- حسب ما ورد في حديث الحارث الأشعري المتقدم- على النحو التالي:

١- الالتزام بالسنة، والسمع والطاعة، ولزوم الجماعة.

يعدُّ موضوع السمع والطاعة في الدعوة إلى الله من الأهمية بمكان؛ لأن الله ورسوله أكدا ذلك وأمرنا به قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣).

وتتضح عناية النبي ﷺ بهذا الموضوع المهم في الدعوة إلى الله من خلال الأحاديث التالية:
(أ) عن العرياض بن سارية { . العرياض بن سارية } (٤) قال: (وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ. مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيْرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ

(١) صحيح مسلم، ح ٤٧٩، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ٣٤٨/١.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٤٤٠، كتاب التوحيد، باب قول الله وجوه يومئذ ناضرة إلى رها ناظرة، ٤٢٢/١٣.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) العرياض بن سارية: السلمى أبو نجیح، صحابي مشهور من أهل الصفة، وكان شيخاً كبيراً من الصحابة توفي سنة خمس وسبعين في دمشق. انظر: تجريد أسماء

الصحابة، الذهبي، ٣٧٨/١، الإصابة، ابن حجر، ٤٦٦/٢.

الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبَدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْحِمْلِ الْأَنِفِ حَيْثَمَا قِيدَ انْقَادًا^(١).

(ب) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَتَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: (الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لَا يُرِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هَيْهَهُ. وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءً...)^(٢).

اشتمل الحديثان على تشبيهين يؤكدان الالتزام بسنة النبي ﷺ والاعتصام بها؛ لأن في ذلك فلاح الأمة، ونجاتها من الضلال ومن النار.

التشبيه الأول - ليل السنة كنهارها. والمقصود من هذا التمثيل: وضوح السنة وعدم خفائها، فهي نور في كل الأوقات، وكل الأحوال، فمن استمسك بها، حُفِظَ مِنَ الضَّلَالِ. التشبيه الثاني - تشبيه طاعة المؤمن، ويُسْرَهُ بِالْحِمْلِ الَّذِي يَنْقَادُ دُونَ عَنَاءٍ، يَقُودُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ؛ لسهولة قيادته، وهذا يدل على طهارة المؤمن ظاهراً وباطناً، وتجرده من نفسه، وتوجهه بكلية لله، فما يرضي الله كان راضياً به، وما يسخطه كان أبعده الناس عنه، حتى ولو فاته حظ نفسه.

والتشبيهان يدعوان للتمسك بالسنة النبوية المطهرة، التي لا يكتمل إيمان العبد إلا أن يعمل بها كعمله بالقرآن الكريم؛ لأن النبي ﷺ قال: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))^(٣). ولا فرق عند أهل السنة والجماعة بين الكتاب والسنة، بل إن السنة هي المبينة والمفسرة للقرآن الكريم، وعليه فإن عناية النبي ﷺ ودعوته للتمسك بها كعنايته بالتمسك بالقرآن الكريم.

قال ابن رَجَبٍ {ابن رجب}^(١) - رحمه الله -: ((أَمَرَ عِنْدَ الْاِفْتِرَاقِ، وَالِاخْتِلَافِ بِالْتِمَسْكِ بِسُنَّتِهِ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ))^(٢).

(١) سنن ابن ماجه، ح ٤٣، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ١/١٦، صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، ح ٤١، ١/١٣.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٥، المقدمة، باب اتباع سنة رسول ﷺ، ١/٤، حسنة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ٥، ١/٦.

(٣) سنن أبي داود، ح ٤٦٠٦، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ١٠/٥، صحيح سنن أبي داود، الألباني، ٣/١١٨، الإيمان، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق الألباني،

وقال الألباني - رحمه الله -: صحيح، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة ١٤٠١ هـ، ص: ٣٧.

وعن حسان بن عطية { "حسان بن عطية" }^(٣) قال: ((كان جبريل ﷺ ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن عليه، يُعلمه إياها، كما يعلمه القرآن))^(٤).

(ج) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَيْبَةً)^(٥).

أراد النبي ﷺ بهذا التمثيل تأكيد موضوع السمع والطاعة عند المسلمين نحو أمراءهم وولادة أمرهم، إضافة إلى أن أمره في صدر الحديث يدل على وجوب السمع والطاعة لهم، مهما كان نسبهم، أو لوهم، أو لساهم.

ولأهمية هذا الموضوع في كل العصور، فإنه لا بُدَّ من بيان فقه الحديث السابق فيما يخصُّ السمع والطاعة لولادة الأمور، وعدم الخروج عليهم مهما كانت أحوالهم وصفاتهم، يؤكد هذا الأمر ما ورد عن عبادة بن الصامت^(٦) : (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ، وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيَّمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ)^(٧).

وبالتزام الناس لبيعة ولي الأمر، واحترامها، تُغلق أبواب الفتن، ويجمعُ الناسُ على وحدة الصفِّ، ويأْتلفوا، فتقوى شوكتهم^(٨).

(١) الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، ولد في بغداد في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبعمئة، صنّف شرح الترمذي، وشرح علل الترمذي، مات في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمئة. انظر: طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ، ٥٤٠/٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، شرح الحديث الثامن والعشرين، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ، ص: ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) حسان بن عطية أبو بكر المحاربي مولاها المدمشقي، الإمام الحجّة، عاش إلى حدود سنة ثلاثين ومئة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤٦٦ - ٤٦٨.

(٤) سنن الدارمي، كتاب العلم، باب السنة قاضية على كتاب الله، ١٤٤/١. أصول الاعتقاد، اللالكائي، رقم الأثر ٩٩ واللفظ له، ٨٤/١، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري، ٢٩١/١٣.

(٥) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧١٤٢، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ١٢١/١٣.

(٦) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، كان أحد النقباء بالعقبة وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، شهد المشاهد كلها بعد بدر، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وقيل: إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٢٦٠-٢٦١.

(٧) صحيح مسلم، ح ١٨٤٠، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ١٤٧٠/٣.

(٨) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، خالد بن عبد الرحمن القرشي، الرياض، ط. الأولى ١٤١٨/١، ١٩٩٨م، ١٦٤-١٧٠، مئة درس من السيرة النبوية، عبدالرب نواب الدين، دمشق، دار القلم، ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ص: ٢٢٩-٢٣٠.

وكذلك مما يؤكد السمع والطاعة لولاة الأمر، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)^(١)

قال ابن قدامة-رحمه الله-: ((ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأمرأ المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحدٍ في معصية الله))^(٢).
ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية^(٣) فقال: قام فينا رسول الله ﷺ، فقال: (مَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَدَى)^(٤).

ومما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهِ دَعْوِيٍّ في الأحاديث السابقة ما يلي:

- إن الدعوة الناجحة فيما يتعلق بموضوع الاعتصام بالسنة لا تتم إلا بالاعتصام بالكتاب، وعدم التفریق بينهما في الاحتجاج، والفهم، والتقدير، والتوقير، فكلاهما وحيٌ وهداية.
- عرضُ الدعوة لموضوع التمسك بالسنة يحتاج إلى بيان فضلها؛ لتلج الدعوة إلى الصدور فتنتشر لها، ويبادر المدعو إلى تحكيمها والعمل بها.
- إن من العناية بموضوع الالتزام بالسنة في الدعوة إلى الله أن يلتزم الدعاة والمدعوون بما صح نقله منها.
- إن فقه الدعوة فيما يتعلق بموضوع اتباع السنة يقتضي أن يأخذ الدعاة والمدعوون بسنة الخلفاء الراشدين للتنصيص على ذلك، ومن فعل ذلك فقد اتبع السنة؛ لأنها أمرت بذلك.
- من العناية بموضوع التمسك بالسنة، وتوقيرها، عناية الدعاة ببث الدعوة لوحدة الكلمة، والصف، والبعد عن الخلاف، والشقاق، والخروج عن جماعة المسلمين، والطاعة لولاة الأمر في غير معصية وإغصاب لله.

(١) صحيح مسلم، ح ١٨٣٥، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ٣/١٤٦٦.

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، عبدالله بن أحمد المقدسي، تحقيق: بدر عبدالله البدر، الكويت، الدار السلفية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ، ١/٣٣.

(٣) الجابية: قرية من أعمال دمشق، من ناحية الجولان في شمال حوران، وفي هذا الموضوع خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبته المشهورة، ومعنى الجابية: الحوض الذي يُجنى في الماء للابل. المعالم الأثرية، محمد شراب، ص: ٨٥.

(٤) السنة، ابن أبي عاصم، ح ٨٦، باب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١/٤٢، قال الألباني:

حديث صحيح، وإسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح بما بعده.

- ضرورة أن يبين الداعية أهمية تحقيق أمر السمع والطاعة، واجتناب الفرقة؛ لتسلم العبادة من المكدرات والمعوقات؛ لأن الوضع في الفرقة يختلف عنه في حالة الوحدة.
- أن يقوم الدعاة ببيان ما ينتج عن الفرقة والخروج عن الطاعة من الفتن، وما ينتج عنها من عدم الاستقرار في الغالب.
- ضرورة أن يتعد الدعاة عن أسباب التفرق، والخروج على ولاة الأمر، أو مناوئتهم، وأن يقوموا بواجب الطاعة لهم، ومناصحتهم، وتأكيد الالتزام بها على المدعويين.
- تعد هذه القضية من مهمات الداعية الناجح، فيجب أن يعتني بها ويدعو إلى تحقيقها؛ لأنها من أقوى الوسائل الخادمة للعبادة، والمثبتة لها، وإظهارها على الوجه المشروع.

٢- الجهاد:

الجهاد من العبادات التي يجبها الله؛ لأن العبد يبيع نفسه رخيصةً لإعلاء كلمة الله. والجهاد هو: التجارة الراجحة لأن ثمنها الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

قال السعدي-رحمه الله:- يخبر تعالى خيراً صدقاً، ويعدُّ وعداً حقاً بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه اشترى بنفسه الكريمة من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة التي فيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذُّ الأعين، وذلك هو الفوز العظيم؛ لأنه يتضمنُ السعادةَ الأبدية، والنعيمَ المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبرُ من نعيم الجنات. وإذا أردتَ أن تعرفَ مقدارَ الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبرُ الأعواضِ وأجلُّها، جناتُ النعيم، وإلى الثمنِ المبذولِ فيها، وهو النفسُ، والمالُ، الذي هو أحبُّ الأشياءِ للإنسان (٢).

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: ٣٥٢-٣٥٣. باختصار.

فمن عقد تلك البيعة مع الله ووفى بها كان مصيره الجنة، ومن لم يعقدتها كُفراً ونفاقاً كان مصيره النار؛ لذا قال النبي ﷺ محذراً: (مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَعْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ)^(١).

وقد شرع الله الجهادَ حمايةً للدعوة، ولإفساح الطريق لنشرها، ونصرةً للضعفاء، ورداً للحقوق، ومحافظةً على الأعراس. فالجهادُ ذروةُ سنامِ الإسلام، ووسيلةٌ للمحافظة على العبادة بكل أنواعها، وأماكنها، ومقدسات المسلمين. فكم من الكنائس والميادين الداعية للشرك حولها المجاهدون المسلمون إلى مساجد يذكر فيها اسمُ الله. وللجهاد فضائل كثيرة أذكر منها ما ورد في أحاديث الأمثال التالية:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ)^(٢).

يحث النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله، مبيناً فضله وما يترتب عليه من الأجر العظيم حيث إنه أقسم ﷺ أن الجراح في سبيل الله تنزف دماً غيضاً طرياً يفوح منها المسك يوم القيامة، ثم أقسم قسماً آخر يؤكد به فضل الجهاد والغزو في سبيل الله. ثم أوضح لهم أنه لو خرج في كل سرية لاعتقدوا فرضية ذلك وللحقهم من المشقة والحسرة الشيء الكثير. وقد أضاف التكرار اللفظي في الحديث قوة، وإثارة، وتأكيذاً لعظمة أمر الجهاد في سبيل الله، ومما يؤكد الفضل لهذه العبادة الجليلة قوله ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ يَسْرُهُ

(١) صحيح مسلم، ح ١٩١٠، كتاب الإمارة، باب دم من مات ولم يعز ولم يحدث نفسه بغزو، ١٥١٧/٣.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٨٧٦، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ١٤٩٥-١٤٩٦، وصحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٧٩٧، كتاب الجهاد

والسير، باب تمني الشهادة، ١٦/٦ واللفظ لمسلم.

أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى^(١). وفي رواية: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْحَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ)^(٢).

(ب) عن عمرو بن عبسَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى بَلَغَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ كَانَ لَهُ كَعْتَقِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَانَتْ لَهُ فِدَاءُهُ مِنَ النَّارِ عَضْوًا بَعْضُ)^(٣).

يوضح الحديث فضل الشيب في الإسلام، فإن كل شعرة تكون لصاحبها نوراً يوم القيامة، كما يوضح فضل الجهاد في سبيل الله، ولو بسهم، قتل به العدو أم لم يقتل به أحداً، فإن له أجرَ وثوابَ عتقِ رَقَبَةٍ، وكذلك يوضح الحديث أن من أعتق رَقَبَةً مؤمنةً كانت حاجبةً، ومانعةً له من النار.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديثين السابقين ما يلي:

- يجب على الدعاة التأسى بنبيهم ﷺ في الدعوة إلى الجهاد بالرفق؛ لأنه يشق على النفس. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرُّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤)، فلا بد أن يخفف الدعاة على المدعوين، ويعينوهم على كسر مثل هذه الحواجز النفسية.

- ضرورة أن يراعي الداعية في موضوع الدعوة للعبادة مسألة مهمة في الدعوة إلى الله، وهي إظهار الحرص على عدم إلحاق الضرر والعنت بالمدعوين؛ لئلا ينفروا من الدين.

- ينبغي للداعية أن يدعو إلى موضوع الجهاد بذكر فضائله، والتي منها: أن من رمى سهماً في سبيل الله، أصاب أو لم يصب فإن له من الأجر كعتق رَقَبَةٍ، كما ينبغي للداعية العناية بذكر أحكام الجهاد، والتي منها: أن الشهيد لا يُزال عنه الدم بغسل ولا غيره.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٧٩٥، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، ٦/ ١٨.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٨٧٧، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ٣/ ١٤٩٨.

(٣) سنن النسائي، ح ٣١٤٢، كتاب الجهاد، باب رمي السهم في سبيل الله عز وجل، ٦/ ٣٣٤، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ٢٩٤٥، ٢/ ٦٥٩.

(٤) سورة البقرة: ٢١٦.

- أهمية أن يترك الداعية بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها، وهذا المنهج يدفع المدعويين للعمل اختياراً لا جبراً.

- من العناية بموضوع الجهاد والدعوة إليه أن يبين الدعوة إلى الله أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وأنه لا يتعين إلا في حالات يقررها علماء الشريعة والإسلام.

- في قوله ﷺ يكلم في سبيل الله تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور في الحديث إنما هو لمن أخلص^(١).

- من العناية بموضوع الجهاد أن يقوم الدعوة بالتنبيه للالتزام بمنهج السلف الصالح في فهم نصوص الجهاد الشرعي اجتناباً للتطرف والغلو، وأن من المهم الرجوع إلى أقوالهم وسؤالهم في فقه هذا الباب العظيم من الإسلام، الذي رفع شأنه النبي ﷺ بقوله: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)^(٢).

- من فقه الدعوة لموضوع الجهاد أن يبرز الداعية مسألة جواز عدم الخروج للجهاد لعدم القدرة المالية أو البدنية أو لأجل الأهل والأولاد؛ لثلا يفقدوا عائلهم، ومحرمهم، أما ما يفعله بعض أولئك الذين يخرجون للدعوة باسم الخروج في سبيل الله بالأشهر ويتركون ذويهم من غير رعاية فهذا مخالف لسنة النبي ﷺ؛ لأنه تفريط في الواجب الذي سيسأل عنه المرء يوم القيامة.

٣- الهجرة ومفهومها:

الهجرة هي: ((الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، ومن دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدعة إلى دار السنة، ومن المعصية إلى التوبة))^(٣). لقوله ﷺ: ((وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ))^(٤).

ويعد الفرار بالدين، والانتقال من حالة الفرع إلى حالة الأمن، ومن حالة الاضطراب إلى الاستقرار: الهدف الأول للهجرة؛ ليتمكن الدعوة من عبادة ربهم ونشر دعوتهم في أمن

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣ / ٢١-٢٢.

(٢) سنن الترمذي، ح ٢٦١٦، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في حرمة الصلاة، قَالَ أَبُو عَيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ١٢/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢١١٠، ٢ / ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) تحفة الأحوذى، المبار كفوري، ٨ / ١٦٢.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٠٠، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٥٣/١.

وسلام. وذلك بسبب فتنة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ وتعرضهم للإيذاء والتعذيب،
والهزء والسخرية، فأذن لهم النبي ﷺ بالهجرة، ويتضح هذا المعنى فيما يلي:
(أ) عَنْ أَبِي فَاطِمَةَ ^(١) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ. قَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَلَيْكَ بِالْهَجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهَا) ^(٢).

يوضح الحديث أن الهجرة لا مثل لها في ذلك الوقت أو في حق ذلك الرجل، وهذا
يبين أهمية الهجرة في المحافظة على الأعمال الصالحة، وتحصين العبادة.

(ب) عَنْ سَبْرَةَ بِنِ أَبِي فَاكِهٍ ^(٣) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ
آدَمَ بِأَطْرَقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَذُرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَأَبَاءِ أَيْبِكَ؟
فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ وَإِنَّمَا
مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطُّولِ ^(٤) فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ
ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) ^(٥).

يوضح الحديث فضل الهجرة وبركتها على الدعوة الإسلامية وأهلها، حيث إنها تسهم
في نشر الدعوة، وطمانينة حملتها، ومضاعفة الجهود فيها، وإقبال كثير من المدعوين عليها؛
لذا فإن الشيطان الرجيم يقعد بطريق المهاجرين يوسوس لهم ليصددهم عن الهجرة، ممثلاً لهم
ومشبهاً حالة المهاجر بحالة فرس قد رُبطَ بحبل طويل لا يستطيع معه أن ينطلق بحرية في
كل اتجاه وإنما هو محاصر في حدود طول الحبل، وكذلك المهاجر فإنه يصير كالمقيد في
بلاد الغربة لا يدور إلا في بيته ولا يخالطه إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في طول حبله لا
يدور ويرعى إلا بقدره بخلاف أهل البلاد في بلادهم، فإنهم مبسوطون لا ضيق عليهم،

(١) هو أبو فاطمة الأزدي، وقيل الليثي، وقيل الدوسي، صحابي شهد فتح مصر، ولا يعرف اسمه، نزل الشام، وقال المزي: اختلف في اسمه فقيل أنيس وقيل عبدالله بن
أنيس، وخرج ابن المبارك في الزهد عن كثير الأعرج قال: كنا بذي الصواري ومعنا أبو فاطمة الأزدي وكان قد اسودت جبهته وركبته من كثرة السجود. تحريد أسماء
الصحابة، الذهبي، ١٩٢/٢، الإصابة، ابن حجر، ١٥٣/٤.

(٢) سنن النسائي، ح ٤١٧٨، كتاب البيعة، باب الحث على الهجرة، ١٦٣-١٦٤/٧، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ٣٨٨٥، ٨٧٣/٣.

(٣) سَبْرَةُ بِنُ أَبِي فَاكِهٍ، ويقال: ابن أبي الفاكه المخزومي، وقيل: الأسدي، صحابي نزل الكوفة. الإصابة، ابن حجر، ١٤/٢.

(٤) الطُّولُ: الحبل الطويل يُشَدُّ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي وَتِدٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالطَّرْفُ الْآخِرُ فِي يَدِ الْفَرَسِ لِيَدُورَ فِيهِ، وَيُرْعَى وَلَا يَذْهَبُ لَوَجْهِهِ. وَطَوَّلَ وَأَطَالَ بِمَعْنَى: أَي شَدَّهَا فِي الْحَبْلِ.
النهاية، ابن الأثير، ١٤٥/٣.

(٥) سنن النسائي، ح ٣١٣٤، كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، ٣٢٩-٣٣٠/٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ٢٩٣٧، ٦٥٧/٢.

فأحدهم كالفرس المرسل^(١)، إلا أن المؤمن يعصي الشيطان فيما قاله بشأن الهجرة ويمضي في طريق هجرته، لا يلتفت لشيء.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثين السابقين ما يلي:

- إن النفوسَ المؤمنةَ تُحبُّ السلامةَ، والميلَ للحريةَ والهدوءَ والاستقرارَ؛ ليتسنى ممارسةَ واجباتها في طمأنينةٍ وبياتقان، فَشُرِعَتِ الهجرةُ؛ لتحقيقِ هذه الأغراض.

- إن موضوعَ الهجرةِ في الدعوةِ إلى الله ينبغي أن يُضَبَّطَ بضوابطَ شرعيةٍ، وعلى رأسِ تلك الضوابطِ الزمان، والمكان، والحال.

- إن العنايةَ بموضوعِ الهجرةِ في الدعوةِ إلى الله تكونُ بيانَ أن الغايةَ من الهجرةِ هي تقويةِ الحقِ وأهله، وقمعِ الصادين عنه، فإذا لم تتحققِ هذه الغايةُ، فلا معنى للهجرة.

(١) انظر: شرح السيوطي، ٢١/٦-٢٣، حاشية السندي، ٢٢/٦.

المَبْحَثُ الثالثُ: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الأَمْثَالِ
الْمُتَعَلِّقُ بِالأَخْلَاقِ

المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالأخلاق

إن التحلي بالأخلاق، والتحمل بها واجبٌ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ سواءً أكان داعيةً أم غيره؛ إذ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمدية التي أكرم الله بها الإنسان في الأرض كلها. وقد اعتنى عليه الصلاة والسلام بتزكية النفس الإنسانية، وتربيتها على معالي الأخلاق وتنقيتها من رديتها. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١). وستظهر عناية النبي ﷺ بموضوع الأخلاق في الدعوة إلى الله في الصفحات التالية على النحو الآتي:

١- العناية بموضوع الصبر:

عن شداد بن أوس^(٢) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا، فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا فَيَدْتُ عَبْدِي، وَابْتَلَيْتُهُ، وَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَاحِبٌ)^(٣). وعن أبي موسى الأشعري^(٤) قال سمعتُ النبي ﷺ يَقُولُ: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَاحِبًا)^(٤).

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الخزرجي، ابن أخي حسان بن ثابت، شهد أبوه بدرًا، واستشهد بأحد، كان من الذين أوتوا العلم والحلم، وفضل شداد بخصلتين: بيان إذا نطق، وبكظم إذا غضب. كانت له عبادة واجتهاد في العمل، مات سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين، في فلسطين، ودفن ببيت المقدس. انظر: تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ٢٥٣/١، الإصابة، ابن حجر، ١٣٨/٢.

(٣) المسند، وقال محققه: صحيح لغیره، ح ١٧١١٨، ٢٨/٣٤٣-٣٤٤، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ١٦١١، وقال: هذا إسناد حسن، رجاله ثقات، ٤/١٤٤.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٩٩٦، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، ٦/١٣٦.

يوضح الحديث الفضل الذي يحظى به الصابرون على الابتلاء، بتمثيلين.
التمثيل الأول: مَثَلٌ مَنْ يُسَلِّمُ لِقَدْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَيَحْمَدُهُ عَلَى ابْتِلَائِهِ بِالْمَوْلُودِ الَّذِي لَمْ
يُدَسِّسْ بِجُرْمٍ وَإِثْمٍ، فَكَذَلِكَ مَنْ سَلَّمَ لِلْقَدْرِ، فَصَبَرَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَمْحُو خَطَايَاهُ السَّابِقَةَ، وَيَنْقِيهِ
مِنْهَا، فَيَعُودُ طَاهِرًا لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ.

التمثيل الثاني: مَثَلُ الْمُبْتَلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ صَالِحًا حَالَ قُوَّتِهِ وَحَالَ صِحَّتِهِ، ثُمَّ
حُبِسَ عَنْ ذَلِكَ بِمَرَضٍ وَنَحْوِهِ، فَإِنَّ عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ يُكْتَبُ لَهُ كَمَا فِي حَالَ صِحَّتِهِ،
وهذا فضل الله على المؤمنين الصابرين.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسِ وَفِقِهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- من الموضوعات التي عاجلتها الدعوة الإسلامية، واعتنت بها عنايةً فائقةً الصبر؛ لأنه
نصفُ الإيمان، به يصل الدعوة إلى مبتغاهم، وتتقدم الدعوة، ويكثر أتباعها ومؤيدوها.

- إن الصبر من موضوعات الدعوة البارزة المهمة؛ لأنه من أعظم الأسباب المثبتة لهداية
المؤمنين، والاستمسك بهدي القرآن والسنة، والسعي الدؤوب لمرضاة الله، إضافةً لأبرز
ثمراته التي يحظى بها الصابرون وهي محو الخطايا.

- ضرورة إبراز الدعوة لموضوع الصبر، وتفعيله في حياتهم، وتربية أنفسهم والمدعوين
للتخلق به، ودعوة الناس إليه احتساباً لأجره، وبركته، وثمراته، وكون الداعية يجعل
لموضوع الصبر حظاً من دعوته، فإنه يرسخ قاعدةً للأخلاق، وأصلاً من أصولها العظيمة،
التي تتبعها بقية الأخلاق الفاضلة، فهو سيدها، وأميرها، إن تحقق في حياة المدعوين، فما
سواه أيسر.

- أهمية أن يبين الدعوة مفهوم الصبر، وحقيقته، وأنواعه، والتي منها الصبر في الفتن،
والصبر على البلاء كالمريض؛ فإن العبد إذا مرض كتب الله له أجر ما كان يعمل أيام
صحته. وفي ذلك دعوة للصبر في المرض وعدم السخط منه؛ لأن أجره يكتبه الله ويباركه.

- يجب أن يعنى الداعية بدعوة الناس للتحلي بالصبر، مبيناً لهم أنهم بذلك يكونوا متأسين
بنبيهم، وقائدهم في ذلك، فإنه عليه الصلاة والسلام قد صبر وصابر وتصبر إلى أن أكمل
البلاغ، وأتمه ومات وهو قرير العين مطمئن النفس على رسالته الخاتمة التي زينها طول
حياته بالصبر بكل أنواعه.

٢- العناية بموضوع الحلم والإحسان للأرحام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمْ^(١) الْمَلَّ^(٢))، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ^(٣).

شبه النبي ﷺ من يصل رحمه وهم يقطعونه بمن يُسفِّهم الرماد الحار (وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم، وقيل معناه: أنك بالإحسان إليهم تخزيهم، وتُحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، وقيل: الذي يأكلونه من إحسانك كالممل يحرق أحشاهم)^(٤)

ومما يؤكد الدعوة للتخلق بالحلم والإحسان للأرحام ما ورد في فضل صلتهم من الخير من ذلك قوله: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ^(٥) فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)^(٦).

والصلة^(٧) تكون بالمال، وتكون بالزيارة، وبالبدعاء، وبالسؤال عنهم، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم. والمسلم الحق يقوم بكل ذلك مراعيًا لكل موضع ما يناسبه، فَرُبَّ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْمَالِ لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى النَّصِيحَةِ، وَرُبَّ فَقِيرٍ لَا يَمْلِكُ الْمَالَ لَكِنَّهُ يَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَ الْمَشُورَةِ، وَالرَّأْيِ الثَّاقِبِ. وَإِنَّ مِنَ النَّعْمِ الرَّبَانِيَةِ عَلَيْنَا أَنَّ الصَّلَةَ لَيْسَتْ بِالْمَالِ دُونَ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا تَشْمَلُ الزِّيَارَةَ، وَالْمَشَارِكَاتِ الْوَجْدَانِيَةَ، وَالتَّنَاصِحَ، بَلْ إِنَّمَا فِي الْغَالِبِ أَخْلَاقٌ فَاضِلَةٌ، وَأَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ يُقَدِّمُهَا الْوَاصِلُ لِقَرَابَاتِهِ وَأَرْحَامِهِ.

(١) تسفهم: أي تجعل وجوههم كلون الرماد. وقيل: هو من سفت الدواء أسفه، وأسفتته غيري، وهو من السفوف. النهاية، ابن الأثير، مادة: سف، ٣٧٥/٢.

(٢) المَلُّ: الرماد الحار الذي يُحمى لِيُدْفَنَ فِيهِ الْخَيْرُ لِيَنْضِجَ، أَرَادَ: إِنَّمَا تَجْعَلُ الْمَلَّةَ لَهُمْ سُوقًا يَسْتَقْتُونَهُ، يَعْنِي أَنَّ عَطَاكَ إِيَّاهُمْ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ، وَنَارٌ فِي بُطُونِهِمْ. النهاية، ابن الأثير، مادة: مل، ٣٦١/٤.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٥٥٨، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ١٩٨٢/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٥/١٦.

(٥) ذكر العلماء أن النسأ في الأثر له عدة معانٍ منها:

الأول: أن الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

الثاني: أنه بالنسبة لما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٤/٦.

(٦) صحيح مسلم، ح ٢٥٥٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ١٩٨٢/٤.

(٧) انظر: الأخلاق الفاضلة (قواعد ومطلقات)، عبد الله الرحيلي، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص: ١٤٨-١٥١.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهه دَعْوِيٌّ من الحديث ما يلي:

- إن الداعية يسعى جاهداً لتوجيه الناسٍ للتجمل بهذا الخلقِ الفاضلِ، تعظيماً لأمرِ ربه في هذا الموضوع الهام في حياة المجتمعات البشرية، مسلمةً وكافرةً، والعمل بهدي القرآن العظيم في وصف عباد الله المؤمنين في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (١).

- يجب على الدعاة أن يتطرقوا للموضوعات التي تجلب المحبةَ والمودةَ بين المسلمين، وتجمع شملهم، وتقوي أواصرَ المحبةِ والأخوةِ، وتزيدُ من اجتماع الأُسَرِ، وتلاحمِ القرباتِ، وتآلفهم، والحثِ المستمرِّ على ذلك.

- تظهر العناية بموضوع الأخلاق، بأن يقوم الداعية ببحث المدعوين على اكتساب خُلُقِ الحلمِ مبيِّناً فضله، وثمره مقابلة الإساءة بالإحسان، احتساباً للأجر والثواب، وتوقيراً لتوجيهات القرآن الكريم، والسنة النبوية، فإنهما يأمران بالعفو والإحسان، وإيتاء ذي القربى حقه، ومن تلك التوجيهات الربانية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

- إن موضوعَ صلة الرَّحِمِ عُنِيَ به الإسلامُ عنايةً فائقةً، أمراً بالصلةِ وحثاً وترغيباً فيها، ونهيًا عن القطيعة، ترهيباً، وتعنيفاً، وتنفيراً منها؛ وذلك من خلال قنواتٍ كثيرةٍ ومنها: عدمُ الغضبِ منهم، وبلوغُ الغايةِ في الحلمِ عنهم، والتوددُ إليهم بكل طريقٍ، واحتسابُ أجرِ صلّتهم، وعدمِ انتظارِ مكافأهم عليها. وغير ذلك مما يوطدُ أواصرَ الأرحامِ، ويمنع حدوثِ القطيعة التي ذمها الله تبارك وتعالى في مثل قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٣).

(١) سورة الرعد: ٢١.

(٢) سورة النور: ٢٢.

(٣) سورة محمد: ٢٢.

- مما يجب أن يعتني به الداعية فيما يتصل بموضوع الأخلاق أن ينبه المدعويين لعظم شأن صلة الرحم، وفضليتها، وثواب من وصلها^(١) في الدنيا والآخرة، ويمكن في هذا الصدد أن يسرد قصصاً من الواقع لأناسٍ بورك حياتهم، وأعمارهم، وذرياتهم بسبب الصلة، وفي المقابل يذكر قصصَ أناسٍ شَقِيَتْ حياتهم، ونَزَعَتْ البركةُ من أرزاقهم، وأعمارهم بسبب قطيعة الرحم.

- ضرورة أن يتخلق الداعية بتحمل أخطاء الأقارب والأرحام، فإذا أساء أحدهم إليه، فلا يكن ذلك دافعاً للإساءة بالمثل، بل يوطن نفسه على غض الطرف عن الخطأ في سبيل أن يتكيف معه، ويقبل كلَّ منهما الآخر. ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

- أهمية أن يعنى الدعاة ببيان مفهوم الصلة، وأن حقيقتها، وفقه موضوعها هو: قيام المرء بحقوق الأرحام وواجباتهم عليه، دون انتظار ردودها والمكافأة عليها، بل ينطلق فيها من تعظيم شأنها الذي عظمه الله في مثل ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ)^(٣).

٣ - العناية بموضوع عفة اللسان وطيب الكلام:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفُحْشَ وَالْفَحْشَ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنْ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا، فَلَمْ تَغْيَرْ وَكَمْ تَنْقُصُ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ، فَلَمْ تُكْسِرْ، وَكَمْ تَفْسُدُ)^(٤).

يوضح الحديث ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من خلقٍ حسنٍ، فشبَّهه بالقطعة من الذهب التي لا تتغير ملامحها بطول المكث ولا تنقص، وكذلك المؤمن، فإنه لا يتبدل خلقه

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٤/٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٥٩٨٩، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ٤١٧/١٠، صحيح مسلم، ح ٢٥٥٥، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتجرم قطيعتها، ١٩٨١/٤، واللفظ لمسلم.

(٤) المسند، ح ٦٨٧٢، وقال محققه: صحيح لغيره، ٤٥٧/١١-٤٥٨.

وإن تَغَيَّرَ الناسُ، كما شبهه النبي ﷺ بالنحلة التي تأكل الطيبَ وتضع الطيبَ، وتقع فلا تكسر ولا تفسد، وكذلك المؤمن فهو لا يأكلُ إلا الطيبَ الحلالَ، ولا ينفقُ إلا من الطيب؛ لأن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، كما أنه إذا غضب فإنه لا يجرح أحداً، ولا يعتدي على أحدٍ.

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهه دَعْوِيٌّ من الحديث السابق ما يلي:

- من الموضوعات المهمة في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى طهارة اللسان من البذاءة، والفحش، ونحو ذلك مما يُهلك المرء.

- مما ينبغي أن يعتني به الداعية القيام بتدعيم الخلق الحسن بكل إيجابية، يرى الداعية أنها تُعمِّقه في نفسه وفي المدعويين.

- ضرورة أن يحرص الدعاة على التجمل بالأخلاق الفاضلة، ومن ذلك: سلامة اللسان من الفحش والتفحش، ودعوة المدعويين عن طريق استخدام المحفزات المعنوية التي من شأنها إعادة الخلق الحسن لوضعه المطلوب.

- أهمية أن يقوم الدعاة بعقد الموازنات-التي يمكن قياسها وإدراكها- بين رذيل الأخلاق وسيئها كالفحش وخطره، وما يقابله من العفة وثوابها؛ لتأكيد القيم والمبادئ الأخلاقية.

٤ - العناية بموضوع الوفاء وحسن القضاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً)^(١).

حُسنُ القضاءِ عدلٌ مع الآخرين يُعدُّ من الأخلاق الحميدة واللازمة في الحياة؛ إذ لا يُتصوَرُ حياةٌ يسودها الظلم، وتضيع فيها الحقوق.

ويُعدُّ العدل في الإسلام برهاناً على أحقية هذا الدين وعظمته، ومصدرٌ من مصادر قوته، ومنهجٌ من مناهج الحق الذي يجذب الناس إليه.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٣٠٦، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدين، ٤/٤٨٣، صحيح مسلم، ح ١٦٠١، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً

فقضى خيراً منه وخيركم أحسنكم قضاءً، ٣/١٢٢٥.

ومفهوم العدل في الإسلام حفظ حقوق الآخرين، والوفاء بها، وإعطاؤهم إياها وافيةً غير منقوصة، بقضاء حسن، ابتداءً بما يكال ويوزن ويقاس. وانتهاءً بالحقوق المعنوية التي لا تكال ولا توزن، وقد توعد الله من قصر في المكيل والموزون بقول الله تعالى:

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَّنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ (١). وكذلك الشأن في من قصر في الحقوق المعنوية التي لا تكال ولا توزن

مثل: الاستكبار على الآخرين، وعدم العناية بحقوقهم في الوقت الذي لا يرضى أن يعامله الآخرون بالمثل، أو استباحة أعراضهم، أو شتمهم، ونحو ذلك من الحقوق المعنوية التي لا يرضاها أحدٌ على نفسه. وهذا النوع من العدل أهميته أعظم من الأول؛ لأنه يتعلق بقلب الإنسان، وضميره، وإيمانه، وآخرته. وقد وجه الله لحفظ مثل هذه الحقوق بقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقد وضح الحديث نوعي العدل، فإنه اشتمل على إعطاء الرجل حقه المائي المعلوم المقيس. وهذا عدلٌ حسيٌّ ظاهرٌ، فسلم من التطفيف والبخس الظاهر، كما أنه اشتمل على المعاملة الحسنى من رسول الله ﷺ، فلم يعامل الرجل من منطلق الرئيس والمرؤوس، وإنما عامله معاملةً حسنةً تقوم على حفظ حق الرجل، وتقدير ذاته، والاعتراف بحقوقه، والنظر إليها بكل اعتبار.

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن عناية الداعية بموضوع خُلِقَ الوفاء، وحسن القضاء لأهله، والدعوة إلى هذا الخلق الكريم ليس مجرد كلماتٍ تخضع لموجه الرضا والغضب في النفس، بل إنها تسري ويُعملُ بها كسجيةً من سجايا المرء لا تنفكُ عنه مهما وجدَّ من غلظةٍ وشدةٍ من المطالبين بالأداء، فإنه يقابل ذلك بحسن الأداء لا بهضم الحقِّ ودفعه، وإنكاره، كما هو واقعٌ كثيرٌ من الناس اليوم.

(١) سورة المطففين: ١-٣.

(٢) سورة المائدة: ٨. انظر: الأخلاق الفاضلة، الرحيلي، ص: ١٣٦-١٣٨.

- تقريرُ الدعاةِ إلى الله لمنهج التسامح، واجتنابِ الإساءةِ في التعامل مع الآخرين ولاسيما إن كانوا أصحابَ حقوقٍ، ومطالباتٍ شرعيةٍ.

- من العناية بموضوع الدعوة إلى الأخلاق أن يُعنى الدعاة بإعطاء المدعوين حقهم للتعبير عما في أنفسهم دون مقاطعتهم، أو تحقير ما يقولونه.

- إن العناية بموضوع الأخلاق تتبلور عندما يقوم الدعاة بتوسيع مفهوم العدل ليشمل كل جوانب الحياة، وكل حالات الإنسان، ومن ذلك: العدل في الغضب والرضا.

٥- العناية بموضوع التراحم والتوادد والتعاطف^(١):

(أ) عَنْ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى)^(٢).

(ب) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ)^(٣).

يوضح الحديثان السابقان منزلة هذا الخلق، والأدب، الإسلامي، وأهميته في الدعوة؛ لما يترتب على التراحم، والتوادد، والتعاطف بين المسلمين من الخير العظيم، والمصالح الكبيرة، والمنافع الكثيرة للإسلام والمسلمين. وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالجسد

(١) إن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم، فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد: فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتراور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به: إعانة بعضهم بعضاً كما نعطف الثوب عليه ليقويه كمثل الجسد: أي في جميع أعضائه ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة. انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٤٥٤، ٤٥٣/١٠.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٠١١، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، وصحيح مسلم، ح ٢٥٨٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/٢٠٠٠.

(٣) المسند، ح ٢٢٨٧٧، وقال محققه: صحيح لغيره، ٥١٧/٣٧، كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ح ٦٩٣، باب ما جاء في الشح، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ص: ٢٤١، والمعجم الكبير، الطبراني، ح ٥٧٤٣، ١٣١/٦، ومجمع الزوائد، الهيثمي، ٨/٨٧، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سوار بن عمارة الرملي، وهو ثقة، وتعبه حمدي عبدالمجيد السلفي في تحقيقه على المعجم الكبير للطبراني، ١٣١/٦، فقال: رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج به وليس في الإسناد سوار بن عمارة وإنما هو في سند الأوسط.

الواحد الذي إذا اشتكى منه عضوٌ تألم بقيةُ الجسدِ، فهكذا المؤمنون في التعاون فيما بينهم، والتراحم، والتعاطف، والتودد بينهم كالجسد الواحد.

قال القاضي عياض - رحمه الله -: ((فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيلٌ صحيحٌ، وفيه تقريبٌ للفهم، وإظهارٌ للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيمٌ حقوقِ المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفةٌ بعضهم بعضاً. وشبه الإيمان بالجسد، وأهله بالأعضاء؛ لأن الإيمان أصلٌ وفروعه التكليف، فإذا أخلَّ المرءُ بشيءٍ من التكليفِ شأنَ ذلك الإخلالِ الأصلِ، وكذلك الجسدُ أصلٌ كالشجرة، وأعضاؤه كأغصانٍ، فإذا اشتكى عضوٌ من الأعضاء اشتكتُ الأعضاء كلها، كالشجرة إذا ضربَ غصنٌ من أغصانها اهتزتُ الأغصانُ كلها بالتحريك والاضطراب))^(١).

وقال النووي - رحمه الله -: ((هذا الحديث صريحٌ في تعظيمِ حقوقِ المسلمين بعضهم على بعض، وحثُّهم على التراحم، والملاطفة، والتعاضد في غير إثمٍ ولا مكروه. وفيه جوازُ التشبيه، وضربُ الأمثالِ لتقريب المعاني إلى الأفهام))^(٢).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ ما يلي:

- إظهارُ الداعيةِ قضيةَ التراحم بين المسلمين وتواددهم فيما بينهم، مبرزاً مكانتها العظيمة في المجتمع المسلم، مبيناً للمدعوين أن قوةَ المؤمنِ تظهرُ من خلال التزامه بالأخلاق الفاضلة، وعلى رأسها الرحمة، والمودة، والعطف بين المسلمين.

- أهمية تثقيفِ الداعيةِ للمدعوين بثقافةٍ وحدةِ الكلمة، ووحدةِ الهدف من خلال بث الدعوة للتراحم بين المسلمين، وفي الوقت ذاته يجب أن يتشبعَ الداعيةُ بهذه الثقافة، ويلتزم بآدابها، وقيمها المباركة.

- أهمية المشاركاتِ المعنويةِ للمدعوين من قِبَلِ الدعاةِ والإحساسِ بآلامهم الحسيةِ والمعنوية، فينشأ عن ذلك تقويةُ الاتصال، وبناءُ جسورٍ من المودةِ ينشأ عنها وجودٌ ورغبةٌ في الأخذ منهم، وإحساسٌ بعدم الاستغناء عنهم، كما أن الجسدَ لا يستغني عن الرأسِ وكذا العكسُ.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٤٣٩ - ٤٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٦/١٣٩ - ١٤٠.

- تأكيدُ الدعوةِ للقاعدةِ النافعةِ التي تنص (أن يد الله مع الجماعة)، وأن المؤمنَ قويٌّ بإخوانه. فينشأ عن ذلك إحساسٌ وشعورٌ بمسؤوليةِ العملِ الجماعيِّ لنشرِ الإسلام، وحمائيته، والدعوةِ إليه.

- تجريدُ الداعيةِ نفسهِ بإنكاره للذات، والشعورِ بالسلامةِ والسعادةِ في الوقت الذي يئن ويشقى فيه الكثيرون، فيسعى لتخفيفِ ذلك الأنين، وتلك الشقاوةِ بقدر استطاعته.

- تظهر العناية بهذا الموضوع في الدعوةِ إلى الله من خلال حرصِ الدعاةِ على تفضيلِ الاجتماعِ على الانفراد، ومدحِ الاتصالِ على الانفصال، فإن البنيانَ إذا تفاعلَ ضعُفَ وآل إلى السقوطِ وإذا اتصل ثبت الانتفاع به وبكل ما يراد منه.

- إبرازُ الداعيةِ لأهميةِ موضوعِ المودةِ والرحمةِ بين المؤمنين، والتأكيدِ على ذلك ببيانِ صعوبةِ حصولِ الإنسانِ على أدنى ما يحتاجه إلا بمعاونةِ مَنْ حَوْلَه؛ لأنه لا يمكنه التفردُ عن الجماعةِ بعيشه، بل إن البشرَ جميعهم يفتقر بعضهم لبعض في مصالح الدارين، وعمارهما.

٦ - العناية بموضوع التقليل من الدنيا:

عن المُستورِدِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ) (١).

من موضوعات الدعوةِ إلى الله عز وجل، والتي تهدف إلى تحلي المسلمِ بأخلاقٍ فاضلةٍ: القناعةُ والزهدُ في مُتَعِ الدنيا وزُخْرُفِهَا، فقد بينَ النبي ﷺ حقيقتها، وقيمتها بالنسبة للآخرة، وقصرَ مدتها، وفناءَ لذاتها، ودوامَ الآخرة، ودوامَ لذاتها ونعيمها، وما نسبة تلك اللذات والمتع في الآخرة إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر) (٢).

وما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- إن التعلقَ بالدنيا، واللهتَ وراءها من الموضوعات التي عاجلتها الدعوةُ النبويةُ الكريمةُ واعتنتُ بها عنايةً فائقةً؛ لأن حبَّ الدنيا وراء كلِّ مصيبةٍ على المرء المسلم.

(١) صحيح مسلم، ح ٢٨٥٨، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ٤/٢١٩٣، سنن الترمذي، ح ٢٣٢٣، كتاب الزهد عن

رسول الله، باب منه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ٤/٥٦١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٨٩٢، ٢/٢٧٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/١٩٢-١٩٣.

- يجب أن يعتني الدعاء بالتقليل من الدنيا، والقناعة منها بما يبلغ به المرء رضوان الله، وأن يبرز موضوع الزهد فيها، مبيناً فضله، ومبيناً في المقابل خطرَ التعلق بها.

- تظهر العناية بموضوع الزهد في الدنيا من خلال بيان حقيقة الدنيا، ووزنها عند الله، ويستثمر الدعاء إلى الله ما ورد من نصوص في ذلك منها:

- حديث قيس رضي الله عنه السابق.

- ومنها قوله رضي الله عنه: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ^(١).

٧ - العناية بموضوع محبة الصالحين ومجالستهم.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ^(٢)) لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ. وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً^(٣).

يرشد الحديث إلى الرغبة في صحبة الأخيار، ومجالستهم، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى اجتناب صحبة الأشرار، فإنها تضر بالدين والدنيا معاً.

قال الطيبي - رحمه الله -: ((ومصاحبة الأخيار تورث الخير. ومصاحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إن هبت على الطيب عبقّت طيباً، وإن مرت على التّنن حملت نتناً. وقد قيل: إذا جالست الحمقى علق بك من حماقتهم، ما لا يعلّق بك من العقل إذا جالست العقلاء؛ لأن الفساد أسرع إلى الناس، وأشدُّ اقتحاماً في الطبائع))^(٤).

قال القاضي عياض - رحمه الله -: في تمثيل الجليس السوء والجلس الصالح بحامل المسك، أو نافخ الكير: ((فيه تَجَنُّبُ خُلُطَاءِ السَّوِّءِ، وَمَجَالَسَةُ الْأَشْرَارِ، وَأَهْلُ الْبِدْعِ، وَالْمَغْتَابِينَ

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٤١٦، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، ١١/٢٣٣.

(٢) كير الحداد: هو المبيء من الطين. وقيل: الرّزق الذي يُنفخ به النار، والمبيء: الكور. النهاية، ابن الأثير، مادة: كير، ٤/٢١٧.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢١٠١، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ٤/٣٢٣، صحيح مسلم، ح ٢٦٢٨، كتاب السير والصلة والآداب، باب

استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ٤/٢٠٢٦.

(٤) الكاشف، الطيبي، ح ٥٠١٠، ١٠/٣٢٠١-٣٢٠٢.

للناس؛ لأن جميع هؤلاء ينفذ أثرهم إلى جلسهم، والحض على مجالسة أهل الخير، وتلقي العلم والأدب، وحسن الهدى، والأخلاق الحميدة^(١).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن من العناية بموضوع الأخلاق والدعوة إلى اكتسابها أن يقوم الدعاة بالدعوة إلى مجالسة أهل الأخلاق الحسنة، والبعد عن مجالسة أهل الأخلاق السيئة.

- تبرز العناية بموضوع الأخلاق من خلال بيان الدعاة لثمرات مجالسة الأخيار، وفي المقابل بيان عواقب مجالسة الأشرار.

- تظهر العناية بموضوع الأخلاق بذكر سرعة التأثير بها إيجاباً وسلباً، فإن من يجالس الأخيار يسرع إليه الخير، ولا يخرج من مجالسهم إلا منتفعاً، حالهم كحال حامل المسك، فإنه ينفع كل من مرَّ به سواءً اشترى منه أم لم يشتر، وفي المقابل، فإن من جالس الأشرار أسرع إليه الشرُّ، ولا يخرج من مجلسهم إلا متضرراً، حالهم كحال نافخ الكير، فإنه يضُرُّ كل من مرَّ به إما برائحته، أو بناره المحرقة.

٨- العناية بموضوع الرفق:

من الموضوعات التي تناولتها الدعوة الإسلامية بعناية: الرفق؛ لما ينتج عن هذا الخلق من استمالة لقلوب المدعويين؛ لأنها مفضولة على ذلك، وفي المقابل فإنها تنفّر من الفظاظة والغلظة، حتى لو كانت صادرة من خير خلق الله تعالى ﷺ، كما أفصح عن ذلك القرآن الكريم فقال عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبَ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢). وقد جاء في القرآن الكريم، والسنة المطهرة ما يبين ضرورة تحلي الدعاة بالرفق^(٣).

(١) إكمال المُعلِّم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ح ٢٦٢٨، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، المنصورة،

دار الوفاء، ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ١٠٨/٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) انظر: من صفات الداعية اللين والرفق، فضل الهي، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص: ٣.

عَنْ بُرَيْدَةَ^(١) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: (وَلَا تَمَثَّلُوا^(٢))، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ حِصَالٍ أَوْ خِلَالَ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنََّّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنََّّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ^(٣).

يوضح الحديث عناية النبي ﷺ بموضوع الرفق في كل جوانب الدين والدنيا، ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يوجه قاداته، وأمرائه، وعماله إلى الرفق مع المدعويين، ومع الأعداء المقاتلين، فلا تمثيل بهم، ولا قتل لأطفالهم، وقبَل قتالهم يجري القائد مفاوضات سلمية متدرجة تتصف بالرفق من كل جوانبها، وهذا ما يؤكد على وجوب العناية بالرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

(ب) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: جِئْتُ أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبِي يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: (ارْجِعْ عَلَيْهِمَا، فَأُضَحِّكُهُمَا، كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا)^(٤).

يوضح الحديث عناية النبي ﷺ بموضوع الرفق حيث تجلَّت هذه العناية من خلال توجيهه لرجلٍ أقبل عليه يريد الجهاد تلك الفريضة العظيمة ذات الأجور الكبيرة، إلا أن النبي ﷺ ردَّ

(١) بريدة بن الحبيب بن عبد الله الأسلمي، غزا مع النبي ﷺ ست عشرة غزوة، غزا خراسان في زمن عثمان ثم تحول إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين. الإصابة، ابن حجر، ١/ ١٥٠.

(٢) تَمَثَّلُوا: مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ أَثْمَلُ بِهِ مَثَلًا، إِذَا قَطَعْتَ أَطْرَافَهُ وَشَوَّهْتَهُ بِهِ، وَمَثَّلْتَ بِالْقَتْلِ، إِذَا حَدَعْتَ أَنْفَهُ، أَوْ أَذْنَهُ، أَوْ مَذَاكِرَهُ، أَوْ شَيْئًا مِنْ أَطْرَافِهِ. والاسم: المثلَّة. فأما مَثَّلَ، بالتشديد، فهو للمبالغة. النهاية، ابن الأثير، ٤/ ٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٧٣١، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم، ٣/ ١٣٥٧-١٣٥٨.

(٤) سنن أبي داود، ح ٢٥٢٨، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان، ٣/ ٣٨، صحيح سنن أبي داود، ٢/ ١٠٤، سنن النسائي، ح ٤١٧٤، كتاب البيعة،

باب البيعة على الهجرة، ٧/ ١٦١-١٦٢. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ح ٣٨٨١، ٣/ ٨٧٢.

هذا الرجل ولم يأذن له بالخروج للجهاد، مراعاةً ورفقاً بأبويه الباكين عليه، وأمره أن يرجع إليهما ليُضحكهما كما أبكاهما، وهذه غاية العناية بموضوع الرفق في دعوة النبي ﷺ. ومما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديثين السابقين ما يلي:

- ضرورة معالجة موضوع الرفق في الدعوة إلى الله برفق؛ وذلك بإدراك أهمية هذا الخلق عند الدعاة.

وقد قال بعض السلف: ((لا يأمر بالمعروف إلا رقيقاً فيما يأمر به، رقيقاً فيما ينهى عنه))^(١).
- من العناية بموضوع الرفق أن يقوم الداعية ببيان المراد من الدعوة بالرفق، والتفريق بينها وبين إظهار الرضا بأفعال الفساق، وموافقتهم على فسوقهم.

- إن العناية بموضوع الدعوة إلى الرفق يجب أن تؤكد بتحلي الدعاة بالرفق، تأسياً بالقدوة، عليه الصلاة والسلام، فإنه كان أرفق الناس. وهذا ما يُسهم في القضاء على النفور من الدعوة وأهلها؛ لأن موضوعات الدعوة عُرِضَتْ برفق.

- ضرورة أن يبين الداعية أن أعظم الرفق بالوالدين، فهما أهل له؛ لما قدّماه لابنهما الذي أوجب الله عليه الإحسان إليهما، ولو كانا مشركين، امتثالاً لأمر الله: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ومجمل القول فيما يتعلق بموضوع الأخلاق ما يلي:

- ضرورة الدعوة لاكتساب فضليات الأخلاق، وكرائمها، ومحاسنها؛ لأنها من دعائم الدعوة العظيمة، وركائزها المهمة، ومقاصدها، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ بقوله: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)^(٣).

(١) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. السابعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص: ١٣٨.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

(٣) المسند، ٨٩٥٢ح، وقال محققه: صحيح، ٥١٢/١٤-٥١٣، جمع الزوائد، الهنلي، ١٨٨/٦، وقال: رجاله رجال الصحيح.

- أهمية تحلي الدعاة بالخلال الجميلة، والسجايا الطيبة التي يدعون الناس إلى التخلق بها؛
لأنهم أحوج من غيرهم بها، وإلا كانوا ممن صح فيهم قول الشاعر^(١):

تَصِفُ الدَّوَاءَ لذي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ، وَأَنْتَ سَقِيمٌ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٢)

- تقريرُ الدعاة لمنهجٍ مباركٍ ييسرُ بالطريق إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، وبكيفية الوصول للخلق، ويضع قواعدَ راسخةً تميزُ الأخلاقَ الحسنةَ عن القبيحة، وتسهم في بناء الأخلاقِ واكتسابها.

(١) ينسب البيت لأبي الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان، وقيل في اسمه غير ذلك، أول من أسس العربية، وفتح بالهما، ووضع قياسها، أحد سادات التابعين، والحدثين، والفقهاء، والشعراء، والفرسان، والأمراء، والأشراف، والدهاة، والحاضري الجواب، مات بالفالج في البصرة، سنة تسع وستين، وهو ابن خمس وثمانين سنة. إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٤٨/١-٥٥، معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت، دار الفكر، ط. الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٣٤/١٢-٣٥.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، ط. العشرون، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٥/٤، جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ٤٢٥/٢، معجم الشواهد النحو الشعرية، حنا جميل حداد، الرياض، دار العلوم، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، رقم الشاهد: ٢٤٧٥، ص: ١٥١.

المَبْحَثُ الرابعُ: فَفَهُ الدَّعْوَةُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمَعَامَلَاتِ

المبحث الرابع: فقه الدَّعْوَةِ من الأمثال المتعلقة بالمعاملات

إن مما يجب على المسلم معرفته وفقهه موضوعَ المعاملاتِ بين المسلمين، من: بيع، وشراء، وقرض، وهبة، ونحو ذلك من المعاملات التي لا تقل الحاجة إلى معرفة أحكامها عن الحاجة إلى معرفة أحكام العبادة، بل قد تزيد؛ إذ العبادة تتعلق بالشخص نفسه، وثمرتها تعود عليه وحده، أما المعاملاتُ فثمرتها تعود عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه؛ لذا كان بحثُ المعاملاتِ، وبيانُ أحكامها مما اعتنى به قديماً وحديثاً الفقهاء والباحثون^(١).
وبسبب جهل الكثير من الناس لموضوع المعاملات الإسلامية، فإنهم يقعون في المحرمات، أو المكروهات من حيث لا يشعرون.

وقد قمت بجمع ما تيسر لي جمعه من المعاملات الواردة في أحاديث الأمثال ذكرتها على النحو الآتي:

أولاً - البيع:

البيع لغة: ضدُّ الشراء، والبيع: الشراء أيضاً، وهو: من الأضداد، وبعثُ الشيء شريئته، أبيعهُ بيعةً، ومبيعاً، وهو: إعطاءُ شيءٍ في مقابل شيءٍ آخر^(٢).
البيع اصطلاحاً: مقابلةُ مالٍ بمالٍ قابلين للتصرف بإيجابٍ وقبول^(٣). وقيل: «مبادلة عينٍ مالية، أو منفعةٍ مباحةٍ مطلقاً بإحدهما، أو بمالٍ في الذمة للملك على التأيد، غير رباً وقرض^(٤)».

(١) الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، أحمد عيسى عاشور، القاهرة، مكتبة الاعتصام، ط. الرابعة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص: ٢٠٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: بيع، ٢٣/٨.

(٣) الفقه الميسر، عاشور، ص: ٢٠٩. وفيه أن البيوع ثلاثة:

الأول - بيع عين مشاهدة فحائز.

الثاني - بيع عين غائبة وهو بيع السلم فحائز إذا كانت العين الغائبة موصوفة وصفاً منضبطاً.

الثالث - بيع عين لم يرها المشتري ولا البائع أو أحدهما، وكذا الحاضرة التي لم تشاهد فغير حائز؛ لأنه من الغرر المنهي عنه.

(٤) منتهى الإيرادات في جمع المنع مع التنقيح وزيادات، محمد بن أحمد الفتوحى ابن النجار، تحقيق: عبد الغنى عبد الخالق، القاهرة، دار العروبة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ١/

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: ((وأجمع المسلمون على جواز البيع، والحكمة تقتضيه؛ لأن حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه غالباً، وصاحبه قد لا يبذله له، ففي تشريع البيع وسيلة إلى بلوغ الغرض من غير حرج))^(١).

ومما ورد في بعض أحاديث الأمثال ويبرز شيئاً مما له تعلق بالبيع ما يلي:

(أ) عَنْ سَعِيدِ بْنِ حُرَيْثٍ^(٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ بَاعَ دَارًا، أَوْ عَقَارًا، فَلَمْ يَجْعَلْ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ، كَانَ قَمِينًا أَنْ لَا يُبَارَكَ فِيهِ)^(٣).

يوضح الحديث نوعاً من أنواع البيوع المباركة وهو بيع العقار والدور منيهاً إلى الإفادة من ثمن المبيع وصرفه في مثله من العقار أو أفضل.

(ب) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسِ الْجُهَنِيِّ^(٤) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينَ الْغَمُوسُ وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبْرًا^(٥) فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا جُعِلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٦).

يوضح الحديث خطورة اليمين الغموس لغرض إنفاق السلع وترويجها بدعاوى كاذبة وحرى ببيع مثل هذا أن تحقق بركته، وتبقى حسرته.

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقِهِ دَعْوَى مِنْ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أن يقوم الداعية ببيان الأضرار المترتبة على بيع المسكن والدار التي يقطنها المرء، ومن ذلك ذهاب قيمتها سريعاً، والحسرة على بيعها.

(١) فتح الباري، ٤/٢٨٧.

(٢) سعيد بن حريث المخزومي، ممن أسلم قبل فتح مكة، مات بالكوفة وقيل قتل بالحرّة. الإصابة، ابن حجر، ٢/٤٣.

(٣) سنن ابن ماجه، ح. ٢٤٩٠، كتاب الأحكام، باب من باع عقاراً ولم يجعل ثمنه في مثله، ٢/٨٣٢، حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ح. ٢٠١٩، ٢/٦٧، الصحيحة، ح. ٢٣٢٧، ٥/٤٢٧-٤٣٢.

(٤) عبد الله بن أنيس الجهني، حليف بني سلمة من الأنصار، كان أحد من كسر أصنام بني سلمة، مات بالشام سنة ٥٤هـ. الإصابة، ابن حجر، ٢/٢٧٠.

(٥) يمين صبر: أي ألزم بما وحُيس عليها، وكانت لازمة لصاحبها من جهة الحكم. النهاية، ابن الأثير، مادة: صبر، ٣/٨.

(٦) سنن الترمذي، ح. ٣٠٢٠، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، قال: حديث حسن غريب، ٥/٢٣٦، حسنه الألباني في صحيح الترمذي، ح. ٢٤١٧.

- مما ينبغي أن يُعنى الدعاة به بيان البيوع الجائزة والبيوع المحرمة، ومن ذلك بيع الخمر، وبيع الخنزير بدليل قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ)^(١).

- إن من العناية بموضوع البيع في الدعوة إلى الله أن يُعنى الدعاة ببيان المبيعات الضارة كالسُموم ونحوها من المواد المخدرة والدخان بدليل قوله ﷺ: (وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكَلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ)^(٢).

- من العناية بموضوع البيع أن يحذر الداعية من بيع الغش والتدليس والحلف الكاذب، ويضرب أمثلة مثل الغش في الطيب، وبيع السيارات ونحوها، وبيع الأراضي، وبيع الملابس، وبيع المواد الغذائية، وبيع ما يجلب الفساد الخلقي كآلات اللهو المشغلة عن ذكر الله.

- من العناية بموضوع البيع أن يفرق الداعية بين ما يباح بيعه لمنفعة مباحة، وما لا يباح بيعه. ومما يباح بيعه البلب، والبغاء، والبغل ونحو ذلك.

- مما ينبغي أن يعنى الدعاة به في موضوع البيع الأشياء المعنوية، والحقوق المجردة كالاسم التجاري، والعلامة التجارية، وحقوق التأليف والابتكار، وبيان أنها حقوق خاصة لأصحابها يعتد بها شرعاً، فلا يجوز الاعتداء عليها^(٣).

ثانياً- الشَّرِكَةُ فِي الْمَلِكِ أَوْ الْإِجَارَةِ:

تعريف الشَّرِكَةِ لغة: الشَّرِكَةُ، والشَّرِكَةُ سواء، مخالطة الشريكين، يقال: اشتركتنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان إذا خلط نصيباهما بحيث لا يتميز أحدهما^(٤).
اصطلاحاً: وفي الشرع ثبوت الحق في الشيء الواحد لشخصين فأكثر على جهة الشبوع^(٥).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٢٣٦، كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، ٤/ ٤٢٤.

(٢) سنن أبي داود، ح ٣٤٨٨، كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة، ٣/ ٧٥٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٣٧٠.

(٣) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي: الدورة الخامسة، الكويت، ١٤٠٩هـ - جماد الأولى قرار رقم (٥)، ص: ٢٥٨١ - ٢٩٨١، والعرف حجته، وأثره في فقه المعاملات المالية، عادل عبد القادر قوته، مكة المكرمة، المكتبة المكية، ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ١/ ٣٥٢، ١٠/ ٣٥٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة: شرك، ١٠/ ٤٤٨.

(٥) الفقه الميسر في المعاملات، عاشور، ص: ٣٥-٣٦. فقه المعاملات المالية، علي أحمد القليبي، صنعاء، دار الجامعات اليمنية، ط. الرابعة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص: ٣٠١.

عن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)^(١).

يوضح الحديث مشروعية الشركة وجوازها، واستخدام القرعة في الاقسام. ومن المعلوم في الدين جواز الشركة قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾^(٢).

((شبه النبي ﷺ المدمن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة، وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في أسفلها، وشبه انهماكه عن نهي الناهي الواقع في تلك الحدود بالأخذ على يديه وبمنعه إياه عن النقر، وعبر عن فائدة ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي، وعبر عن عدم نهي النهاة بالترك، وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما هموا الواقع في حدود الله بإهلاكهم إياه وأنفسهم وكان السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين. وإنما جمع فرقة النهاة؛ إرشاداً إلى أن المسلمين لا بد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهي، أو إلى أن من يصدر عنه هذا النهي فهو كالجمع. وأفرد الواقع في حدود الله تعالى لأدائه إلى ضد الكمال))^(٣).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- تبرز عناية الداعية بموضوع الشركة من خلال اهتمامه ببيان أن الشركة تعني القبول بحالتي الربح والخسارة.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٤٩٣، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ١٣٢/٥.

(٢) سورة النساء: ١٢.

(٣) الكاشف، الطيبي، ح ٥١٣٨، ١٠/٣٢٦١.

- من العناية بموضوع الشركة اللجوء أحياناً إلى موضوع الاقتراع فيها، فيقوم الداعية ببيان جواز القرعة وكيفيةها ومواقع استعمالها. أما جوازها، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً﴾^(١). ومن السنة الحديث السابق، وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ)^(٢).

أما كيفيةها: أن تقطع أوراقاً صغيرة متماثلة، ويُعطى كل واحدٍ من المتقارعين واحدةً منها، يكتبُ فيها اسمه، ثم تطوى كلها على غرارٍ واحدٍ، كأن تُجْعَلَ مُرَبَّعَةً، أو تُلَفَّ لَفًّا اسطوائياً، ثم تُلْقَى فِي وَعَاءٍ وَنَحْوِهِ، ثُمَّ تُخَلَطُ وَتُجَلْجَلُ، وَتُخْرَجَ إِحْدَاهَا، فَمَنْ خَرَجَتْ بِاسْمِهِ فَهُوَ الْقَارِعُ^(٣).

أما مواضع استعمالها في المعاملات خصوصاً فهي:

- ١ - إحياء الموات.
 - ٢ - مقاعد الأسواق والأماكن المباحة.
 - ٣ - التزاحم عند أخذ اللقيط.
 - ٤ - السفر ببعض الزوجات. إلى غير ذلك^(٤).
- إن من العناية بموضوع الشركة أو الإجارة أن ييث الداعية دعوة الوفاق والائتلاف بين المتشاركين، فإن الاختلاف بينهم يؤدي إلى فض الشركة وانتهائها.
- ضرورة أن يقوم الداعية بنشر آداب الشركة التي بها تستمر وتبارك ومن ذلك تعاون الشركاء على البر والتقوى، تناصحهم فيما بينهم، منع كل ما يؤدي إلى إتلاف رؤوس أموال الشركة وممتلكاتها.

(١) سورة آل عمران: ٤٤.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٢٦٦١، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، ٥/ ٢٧٠.

(٣) العرف، عادل قوته، ١١٢٧/٢.

(٤) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض، دار الوطن، دون تاريخ، ص: ٢٩٢-٣٢٨.

- أهمية أن يفيد الدعاة من مسألة مهمة في الشركة وتعد دعامة من دعائمها المباركة ألا وهي مسألة الأمانة وعدم خيانة الشركاء لبعضهم.

ثالثاً- الغصب:

العَصْبُ لغة: أَخَذُ الشَّيْءِ ظُلْمًا. غَصَبَ الشَّيْءَ يَعْصِبُهُ غَضَبًا، وَاعْتَصَبَهُ، فَهُوَ غَاصِبٌ، وَغَصَبَهُ عَلَى الشَّيْءِ: قَهَرَهُ، وَغَصَبَهُ مِنْهُ: أَخَذَهُ مِنْهُ قَهْرًا^(١).

شرعاً: استيلاء غير حربي على مال غيره قهراً بغير حق^(٢). سواءً أكان المَغْصُوبُ عقاراً: كأرضٍ وضيعةٍ. أو منقولاً: كنفقٍ، وأثاثٍ، وحيوانٍ، أو اختصاصاً: ككلبٍ صيدٍ. وما يُعَدُّ فِي العَرَفِ استيلاءً، فَهُوَ غَصَبٌ يَأْتُمُ فاعله؛ فَمَنْ رَكَبَ دَابَّةً وَاقْفَةً، أَوْ سَيَّارَةً لَيْسَ عِنْدَهَا صَاحِبُهَا، أَوْ كَانَ عِنْدَهَا لَكِنْ رَكَبَهَا بِلَا إِذْنِهِ، فَهُوَ غَاصِبٌ، وَلَوْ لَمْ يَسِيرْهَا بَلْ تَرَكَهَا وَاقْفَةً.

وكذا لو دخل داراً قهراً، وأخرج ربها فغاصب. وإن دخلها قهراً في غيبة ربها فغاصب ولو كان فيها قماشته.

وقد يدخل فيه خطفُ الأشخاص، وحبسُهم، وتعطيلُهم عن عملهم. ونشاطهم الاكتسابي^(٣). وكل ذلك إيذاءً للآخرين، يحرّم فعله، كما سيظهر من الأحاديث التالية:

(أ) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَطَبَ النَّاسَ وَفِيهِ، قَالَ: (فَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)^(٤).

يوضح الحديث حقيقة من أخذ أموال الآخرين بغير حق؛ ليستكثر، ولكن الله الحكيم العدل يعاقبه بعدم الراحة والقناعة، وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بمن يأكل ولا يشبع، فماذا يغني عنه الأكل، وكذا من يغتصب أموال الآخرين، فإنه لن يسعد أبداً، ولن يرتاح أبداً.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: غصب، ١/ ٦٤٨.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، ص: ٢١٠، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط. الخامسة، ١٣٩٨هـ/

١٩٧٨م، ١١٧/٢، منتهى الإرادات، الفتوحى، ١/ ٥٠٨.

(٣) انظر: العرف، عبد القادر قوته، ٢/ ١٠٩١ - ١٠٩٣.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٠٥٢، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، ٢/ ٧٢٧-٧٢٨.

(ب) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يُخْبِرُ عَنْ حِجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَفِيهِ: حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)^(١).

يوضح الحديثُ مكانةَ الدماءِ، والأموالِ، والأنفسِ، وأنها محفوظةٌ ومحرمَةٌ، لا يجوز الاعتداءُ عليها واغتصابُها، مُشَبَّهًا حرمتها كحرمة يومِ النحرِ، في شهر الحجِ، في البلدِ الحرامِ؛ مما يدل على تعظيمِ حرمةِ الأموالِ، وعدمِ أخذها بغير وجهٍ شرعيٍّ.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- مما ينبغي أن يعنى به الدعاءُ وهم يعالجون موضوعَ المعاملاتِ الإسلامية، أن يُبرزوا جوانبها المضيئةَ في حفظِ حقوقِ الآخرين، وتعظيمها مما لا يوجد في سائرِ قوانينِ الأرضِ.
- ضرورة أن يتوجه اهتمام الداعية في ترسيخ مفهوم المعاملة الحسنة فيما يتعلق بأموالِ الآخرين، من أموالِ، ودورِ، ومراكبِ ونحو ذلك.

وقد توعّد رسول الله من أخذ شبراً بغير حقٍّ بقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ)^(٢).

- ضرورة أن يعنى الداعية بتربية نفوس المدعوين على القناعة، والبعدِ عن التطلُّع لما يملكه الآخرون؛ لأن صاحب هذه النفسية سيظل فارغاً مهما كثر ماله.

- إن من العناية بموضوع الغضب أن يبرز الداعية حقيقته، وحقيقة كسبه المُحرَّمِ، وعاقبته الأليمة في الدنيا والآخرة. وقد توعّد رسول الله من أكل حراماً بقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّهُ لَا يَرُبُّ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)^(٣).

- أن يبرز الداعية خطرَ الغضبِ، وتفشيهِ في المجتمعات، حيث إنه يسهم في زعزعة الأمنِ، ووجود القلقِ، والعداواتِ التي قد تصل إلى القتل في الحالات التي لا يحتمل أصحابها

(١) صحيح مسلم، ح ١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ٢/ ٨٨٩.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٦١٠، كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ٣/ ١٢٣٠.

(٣) سنن الترمذي، ح ٦١٤، كتاب الجمعة عن رسول الله، باب ما ذكر في فضل الصلاة، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ٢/ ٥١٣، صحيح سنن

الترمذي، ح ١٠١٠١، ٥١٨٩.

اغْتصابَ أْتَفَهَ مَا يَمْلِكُونَ، كَمَا نَسْمَعُ بَعْضًا مِنْ قَضَايَا الْقَتْلِ الَّتِي كَانَتْ نَتِيجَةَ اغْتِصَابِ رِيَالٍ وَاحِدٍ، فَيُودَعُ أَصْحَابُهَا السَّجْنَ بِانْتِظَارِ عَقُوبَتِهِمْ، وَالَّتِي غَالِبًا مَا تَكُونُ الْقِصَاصُ. وَالدَّاعِيَةُ فِي بَيَانِهِ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْخَطِيرَةِ، يَنْطَلِقُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الطَّرْفَيْنِ الْغَاصِبِ وَالْمَغْصُوبِ، فَيُوجِهُ كَلِمَاتِهِ الْحَانِيَةَ لِلْغَاصِبِينَ أَنْ يَكْفُوا لثَلَا يَقْعُوا فِي عَوَاقِبِ خَاسِرَةٍ، وَمَهْلِكَةٍ، وَأَنْ يَحْرِصُوا عَلَى تَقْدِيرِ وَاحْتِرَامِ أَمْلَاكِ الْآخَرِينَ، وَحِفْظِ جِهَادِهِمْ.

رَابِعًا - الدَّعَاوَى:

الدَّعْوَى لُغَةً: اسْمٌ مِنَ الْإِدْعَاءِ تَجْمَعُ عَلَى دَعَاوَى بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا، وَلَهَا فِي اللُّغَةِ مَعَانٍ مُتَعَدَّةٌ، مِنْهَا: الرَّعْمُ. وَادَّعَيْتُ الشَّيْءَ: زَعَمْتَهُ لِي، حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا، وَالدَّعْيُ الْمُنْسُوبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ^(١). وَلَا تَطْلُقُ الدَّعْوَى عَلَى الْقَوْلِ الْمُؤَيَّدِ بِالْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْحُجَّةِ مُحِقٌّ لَا مَدَّعٍ^(٢).

الدَّعْوَى اصْطِلَاحًا: قَوْلٌ يُطْلَبُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِثْبَاتَ حَقٍّ عَلَى الْغَيْرِ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، أَوْ الْمُحَكَّمِ.

وَضَابِطُ الدَّعْوَى الصَّحِيحَةِ أَنَّمَا: طَلِبُ مَعْيْنٍ، أَوْ مَا فِي ذِمَّةِ مَعْيْنٍ، أَوْ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا مَعْتَبَرٌ، لَا تَكْذِبُهَا الْعَادَةُ شَرْعًا^(٣).

وَمَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثِ الْأَمْثَالِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ الدَّعْوَى مَا يَلِي:

(أ) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرِ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لِحَالِدٍ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟! قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اذْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بَرْدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم? فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَعْصَبَ فَقَالَ: لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًاي؟! إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُهُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَرْعِيَ إِبِلًا أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيهَا،

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: دعا، ٢٦١/١٤.

(٢) انظر: موسوعة الفقه، ٢٠/٢٧٠.

(٣) الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: عمر حسن القيام، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٣٣/٤.

فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ، فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَدْرَهُ عَلَيْهِمْ^(١).

يوضح الحديثُ الحكمةَ النبويةَ في ضبطِ الدعاوى، وطرقِ الاستجواب، وكيفيةِ التعاملِ معِ الخصومِ والأطرافِ المتنازعة، وما ينبغي لكلِ طرفٍ مراعاته من الأدبِ والبعدِ عنِ الخصوماتِ الفاجرةِ خاصةً إذا كان أحدُ الخصومِ من أولياءِ الأمور.

إن استماعَ النبي ﷺ لطرفي النزاعِ والخصومة، وعدمَ التعجلِ في إصدارِ الأحكامِ قبلِ سماعِ كلِّ الخصومِ في القضية أمرٌ ضروري في فضِّ النزاعات، على أن يكون مجلسُ الدعوى خالياً من التعنيفِ والتوبيخ، ويكون هدفه الوصول إلى حقيقة الدعوى من خلالِ سماعِ المدعى والمدعى عليه، وما هي التبريرات التي يدافع بها المدعى عليه عن نفسه.

وقد شبهَ النبي ﷺ الأميرَ بالراعي، والرعية بالإبل والغنمِ المرعية، فإنه في حالة إيرادِ الراعي لإبله وغنمه، فإنها تشرب من الماء الصافي النقي، وتزهّد في الماء الكدر، فالنبي ﷺ الحكيم بمعالجة الأمور، وفضِّ النزاعاتِ بالحججِ العقلية التي تدعو إلى التسليم، استثمر هذه الصورة، وهذا الواقعَ المشاهد الذي لا ينكره أحدٌ.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابق ما يلي:

- مما يعنى به الداعية في موضوع الدعوى قضية مهمة وهي التحقق من الأمور، والوقوف على حقائقها قبل إصدار الأحكام، وهذا الأسلوب الحكيم كان يمارسه النبي ﷺ في كل أوقاته، ويطبقه في سائر الحياة.

- إن من العناية بموضوع الدعوى أن يوضح الداعية بعض الأحكام المتعلقة بها، فقد وضح الحديثُ تأخيرَ السلبِ عن صاحبه تعزيراً لعوف بن مالك لدعواه، وتطاوله على ولي أمره حيث قال ﷺ: (لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ) وفي رواية: (يَا خَالِدُ لَا تُرَدِّ عَلَيْهِ)^(٢). وهذا ما تقتضيه الحكمة في معالجة مثل هذه الحالات؛ لأن فيها احترام الوالي والحفاظ على طاعته وعدم الخروج عنها، وفي هذا التعزير تحقيق المصلحة لعامة المسلمين وللدعاة خاصة، أما في إعطاء السلب لصاحبه من غير تعزير في هذه الحال ضياعُ لحق خالد بن الوليد، ومن ثم

(١) صحيح مسلم، ح ١٧٥٣، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ٣/ ١٣٧٣.

(٢) سنن أبي داود، ح ٢٧١٩، كتاب الجهاد، باب في الإمام يمنع القاتل السلب، ٣/ ١٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ١٦١.

ضياح مصلحة الدعوة، فأقدم ﷺ على أمر لا يكون منه كثير ضررٍ على صاحب الحق،
وقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والله أعلم.

- من المعاملات بين الناس: الدعاوى، وهي في هذا الزمن كثيرة تغص بها المحاكم
والدوائر، وحقيقة موضوع الدعاوى يُقصدُ به طلبُ حقٍّ أمام القضاء، وهذا الطلب يحتمل
الصدق والكذب، فمن البدهي أن تكون محرمةً إذا كانت دعوى كاذبةً، وكان المدعي
يعلم ذلك، أو يغلب ذلك على ظنه، أما إذا كان يغلب على ظنه أنه محقٌّ في دعواه، فهي
عندئذٍ تصرفٌ مباحٌ، فله أن يرفعها، إلا إذا كان يقصدُ بها الضررَ، فتكون محرمةً كما لو
كان يعلم أن غريمه لا ينكر حقه، وأنه على استعدادٍ لتوفيته إياه، ولكن، قصد التشهير به،
فتكون محرمةً؛ لذلك فإن دور الدعاة بيان خطورة الدعاوى الكاذبة، وإفسادها للعلاقات
الإنسانية بين الناس.

- من العناية بموضوع الدعاوى أن يقوم الداعية ببيان أن الأصلُ براءةُ الذمة من الحقوق،
فمن ادعى دينا على آخر، فأنكر المطلوب كان المنكر مدعى عليه؛ لأن الأصل براءة
الذمة، وعدم المضارة والتعدي، فمثلاً: لو ادعى شخصٌ على طبيب أنه تعمد في ما زاد
على المأذون فيه من دواءٍ أو جراحةٍ، ونحو ذلك، فادعى الطبيب الخطأ، فإن القول له، وقد
قال عليه الصلاة والسلام: (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ)^(١).

- أهمية أن يحرص الداعية على بيان أن المعاملة الحسنة بين المسلمين تقتضي بأن لا يرهق
بعضهم بعضاً في الذهاب والمجيء إلى دور القضاء، ولا سيما في هذه الأوقات التي تستمر
فيها بعض الدعاوى: عاماً وعامين، وربما أكثر من ذلك.

- أهمية أن يجلي الداعية مغزى الدعاوى، وإقامتها، والاستماع إليها، والفصل فيها، ألا
هو حفظ الفرد الإنساني، وحقوقه المتنوعة، وحمائتها.

- مما ينبغي العناية به في موضوع الدعاوى أن يجتنب الناس الدعاوى الباطلة على الأمراء،
وأن يعتني الداعية بالدعوة الواردة في الحديث لاحترام الأمراء، وتوقيرهم، ومعرفة قدرهم،
وعدم ملاحقتهم والانشقاق عليهم. قال النووي-رحمه الله-: ((الرعية يأخذون صفو الأمور

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٥٥٢، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: {إن الدين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً}، ٢١٣/٨، صحيح مسلم، ح ١٧١١،

كتاب الأفضية، باب اليمين على المدعى عليه، ١٣٣٦/٣.

فصلهم إعطياتهم بغير نكد، وتبتلى الولاة بمقاساة الناس، وجمع الأموال على وجوهها،
وصرفها في وجوهها، وحفظ الرعية، والشفقة عليهم، والذب عنهم، وإنصاف بعضهم من
بعض، ثم متى وقع علة أو عتب في بعض ذلك توجه على الأمراء دون الناس^(١).

- مما يفيد الدعاة من الحديث الدعوة إلى عدم الحرص على الولايات، والأمانة؛ لما تجره
من تبعات، ومسؤوليات في الدنيا والآخرة.

- مما يفيد الدعاة من الحديث أنه ينبغي أن لا يستثار غضب الداعية إلا للحق.

- مما يستنبط من الحديث من فقه دعوي يفيد الدعوة وأهلها: مسألة مهمة في الدعوة إلى
الله وهي: إصلاح الخطأ، والسلوك الخطأ، بطريقة إصلاحية غير مفرطة لا تتجاوز مقدار
الخطأ، وحممه، بل ثلاثمه، فإنه ﷺ لم يزد في العقوبة على عدم إعطائه؛ لأن الإعطاء
وعدمه هو: لبُّ الواقعة هذه.

(ب) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا عَضَّ يَدَ رَجُلٍ، فَفَزَعَ يَدَهُ مِنْ فِيهِ، فَوَقَعَتْ نَيْتَاهُ،
فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (يَعِضُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ كَمَا يَعِضُّ الْفَحْلُ لَا دِيَةَ لَهُ)^(٢).

وفي رواية: (مَا تَأْمُرُنِي؟! تَأْمُرُنِي أَنْ أَمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضُمَهَا كَمَا يَقْضُمُ
الْفَحْلُ ادْفَعْ يَدَكَ حَتَّى يَعِضَّهَا ثُمَّ انْتَرِعْهَا)^(٣).

يوضح الحديث عناية النبي ﷺ بموضوع الاعتداء على الآخرين بتأكيد سقوط حق
المعتدي عند مطالبته؛ لأنه هو البادىء للعدوان، مؤكداً ذلك بتمثيل مقنع، فإن من قضم يد
آخر، فإن التصرف يقتضي أن يترع يده من فمه، فلو سقطت أسنان القاضم، فإنه لا يحق
له المطالبة؛ وذلك لعدوانه ابتداءً، وفي هذا تأكيداً على البعد عن الاعتداء على الآخرين بأي
شيء.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- تظهر العناية برفض الاعتداء على الآخر بأن يُعنى الدعاة بذكر مشروعية الدفاع عن
النفس من العدوان.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٢ / ٦٥. عون المعبود، محمد آبادي، ٢٧٩/٧.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٨٩٢، كتاب الديات، باب إذا عض رجلا فوقع نياها، ١٢ / ٢١٩.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٦٧٣، كتاب القسامة، باب الصائل على نفس الإنسان أو عضوه، إذا دفعه المصول عليه فأتلف نفسه أو عضوه لا ضمان عليه، ٣ / ١٣٠١.

- ينبغي أن يبين الداعية ضرورة تحمل المرء مسؤولية أخطائه، وأن ما يترتب عليها إنما هو بسببه وعدوانه.

- تتأكد العناية بموضوع صيانة الأنفس، والأبدان، والحذر من العدوان بتوجيه الدعاء الناس إلى تقدير الأخوة، ورعاية حرمتها، وبيان أضرار الاعتداء على الآخرين.

خامساً- القرض^(١):

القرض لغة: القرض، قرض الشيء إذا قطعه؛ لأن المقرض يقطع قطعةً من ماله فيدفعها للمقرض، والقرضُ والقرضُ: ما يتجازى به الناسُ بينهم، ويتقاضونه، وجمعه قروضٌ، وهو: ما أسلفه من إحسانٍ، ومن إساءةٍ، ويقال: أقرضتُ فلاناً وهو ما تعطيه ليقضيكه^(٢).

القرض اصطلاحاً: دفعُ مالٍ إرفاقاً لمن ينتفع به، ويرد بدله ومثله إليه عند القدرة عليه، أو إلى أجلٍ مسمًى^(٣).

والقرض والسلف بمعنى واحد، وقد جرى به التعامل بين المسلمين من عهد الرسول ﷺ حتى عصرنا الحاضر انطلاقاً من مبدأ التعاون والتكافل، حيث يُفرجُ به الأغنياءُ ضائقةَ ذوي الحاجة احتساباً للأجر الذي وعدهم الله به، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

والقرض كالصدقة، أو أفضل منها في الأجر عند الله، إذ لا يتوجه إلى الاستقراض إلا من تكون به حاجةٌ بخلاف طالب الصدقة. وستظهر عناية النبي ﷺ بموضوع القرض، وبيان فضله، وحسن أدائه من خلال الأحاديث التالية:

(١) القرض نوعان: القرض الجائز، والقرض الممنوع. القرض الجائز: هو ما كانت شروطه لا تتنافى والمصلحة من عقده وتشريع، ويجوز رد الأفضل صفة في القرض إذا لم يشترط، وقبول الدائن من المدين فضل الزيادة في الصفة على دينه مشروط لا بد منه، وإلا لزم رد المثل وكفى، أما القرض الممنوع: أن يشترط المقرض الزيادة في الصفة عند الرد، فهذا يعد رباً محرماً. فقه ابن عمر في المعاملات، ص: ٢٣٥-٢٣٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: قرض، ٢١٦/٧-٢١٧، تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، ص: ١٩٣.

(٣) الدر المختار وحاشية ابن عابدين، مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط. الثانية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ١٦١/٥، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، مصر، دار الصفا، ط. الأولى ١٩٩٥م، ٣٣/١١١، فقه ابن عمر في المعاملات، محمد سلامة، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص: ٢٣٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٥.

أ) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً) (١).

يوضح الحديث العناية بموضوع القرض في الإسلام، وأن من أقرض أحدًا مرتين كان له أجر صدقتها مرة، ونستشف من الحديث الدعوة إلى الإقراض دون أن يعرف المقرض المقرض، وذلك من صيغة العموم والتنكير في كلمة: (مسلم يقرض مسلمًا)، كما أن فيه إشارة إلى عدم حصر مبلغ القرض، أو تحديده قلة أو كثرة، وذلك من قوله: قرضًا.

ب) عن البراء بن عازب ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً (٢) لِبَنٍ أَوْ وَرِقٍ (٣) أَوْ هَدَى زُقَاقًا (٤) كَانَ لَهُ مِثْلَ عِتْقِ رَقَبَةٍ) (٥).

يبين الحديث ثواب من أعطى ناقة، أو شاة، أو بقرة للانتفاع بها وبلبنها ووبرها، وثواب من أسلف رجلًا دراهم، ومن هدى زقاقًا، وذلك الثواب كعتق رقبة؛ لأنه خلصه من أسر الحاجة، والضلال كما خلص الرقبة من أسر الرق (٦). ووجه الشبه بين المانح والمعتق نفع الخلق والإحسان إليهم (٧).

يؤكد هذا الفضل، وأجر القرض والمنحة قوله ﷺ: (أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصَدِّقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ) (٨).

(١) سنن ابن ماجة، ح ٢٤٣٠، كتاب الأحكام، باب القرض، ٨١٢/٢. وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ح ١٣٨٩، ٢٢٥/٥-٢٢٦.

(٢) المنيحة: إباحة المنفعة مع استيفاء الرقبة، ومنه منيحة الغنم وهو أن تمنحه شاة حلوبًا يشرب لبنها فإذا لحيت ردّها إلى صاحبها. غريب الحديث للخطابي، ١/٧٢٩، وقيل: هو أن يعطي الرجل صاحبه ناقة أو شاة أو عترا ينتفع بجلبيها ووبرها زمانًا ثم يردّها. انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ٥/٧٣٣، تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٦/٩٠-٩١.

(٣) منيحة الورق: هي: القرض. غريب الحديث، الخطابي، ١/٧٢٩.

(٤) هدى زقاقًا: معناه: تصدق بزقاق من النخل فجعله هديًا، والزقاق: الطريقة المستوية المصطفة من النخل، وهو: السكة أيضًا إلا أن السكة أوسع من الزقاق، ويحتمل أن يكون معنى قوله: هدى زقاقًا من هداية الطريق والدلالة عليه. غريب الحديث، الخطابي، ١/٧٢٩. فيكون معناه: من دل الضال أو الأعمى على طريقه. انظر: تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٦/٩٠-٩١.

(٥) سنن الترمذي، ح ١٩٥٧، البر والصلة، ما جاء في المنحة، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ٤/٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٥٩٥، ١٨٦/٢.

(٦) انظر: عارضة الأحوذى، ابن العربي، ٨/١٣٦-١٣٧، زاد المعاد، ابن القيم، ٥/٧٣٣، الملخص الفقهي، الفوزان، ٢/٤٩.

(٧) تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٦/٩٠-٩١.

(٨) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٦٣١، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة، ٥/١٨٠.

وما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِيهِ دَعْوِيٌّ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ مَا يَلِي:

- من موضوعات الدعوة التي تترجمُ حُسْنَ المعاملة مع الآخرين، والتي ينبغي أن يُعنى بها الدعاةُ موضوعُ القرضِ، وبيانُ ما فيه من الأجر العظيم.

- من العناية بموضوع القرض أن تُبيِّنَ أحكامه، وأن يوضح الفرق بين من يطلب القرضَ، ومن يطلب الصدقةَ، فإن طالبَ القرضِ لا يطلبه إلا من حاجةٍ، أما طالبُ الصدقةِ فقد يطلبها من غير حاجةٍ.

- مما يؤكد العناية بموضوع القرضِ في الدعوة إلى الله قيامُ الداعية بتوجيه كلماته إلى ذوي اليسر والمال بأن يذللوا القرضَ الحسنَ لإخوانهم المعوزين من المسلمين، فيؤدون بذلك خدمةً لأنفسهم بمباركة أموالهم، ورفع درجاتهم، وحصولهم على ما عند الله من الخير والأجر الكريم، كما يؤدون خدمةً للمحتاجين، فيفرجوا كربتهم، ويسدوا حاجتهم.

- إن تكاليفَ الحياة، وأعباءها، ومتطلباتها الكثيرة في هذا العصر تدفع المحتاجين من المسلمين إلى أن يبحثوا عن قروضٍ حسنةٍ، وحين لا يجدون من يقرضهم، فإنهم يلجؤون إلى البنوك وغيرها من الجهات التي تقرضهم قروضاً تجرُّ إثماً، ويترتب عليها أموال ربويةٌ محرمةٌ؛ لذا فعلى الدعاة بذلُ الجهد في محاربة هذه القروض الربوية من خلال قنوات الاتصال المتاحة للوصول إلى الأغنياء وبعث ضمائرهم، وإحياء نفوسهم لئذلا مثل تلك القروض الحسنة محتسبين أجرها عند الله، دون أن يبالغوا في ذلك فيئذلا كل ما لديهم، فلا يستطيعون مع ذلك الوفاء بواجباتهم، وبن يعولونهم، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (١).

(ج) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ فَأَعْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَالَ أَعْطُوهُ: سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قِضَاءً) (٢).

(١) سورة الإسراء: ٢٩.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٣٠٦، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدين، ٤/٤٨٣.

يوضح الحديثُ عنايةَ النبي ﷺ بموضوع القرض، وحسن أدائه، والوفاء لصاحبه، وعدم جحوده ونكرانه، بل عنايته بأن يكون الردُّ أفضلَ من القرض، ويعد هذا من حسن القضاء، ودليلاً على أفضلية وخيرية المقرض.

وكذلك فيه دليلٌ على حسن تعامل النبي ﷺ مع من حوله بأنواع المعاملات. ويؤكد هذا بحديث أبي رافع أن رسولَ الله ﷺ استسلفَ من رجلٍ بكرةً، فقدمت عليه إبلٌ من إبلِ الصدقة، فأمرَ أبا رافعٍ أن يقضيَ الرجلَ بكرةً، فرجعَ إليه أبو رافعٍ، فقال: لم أجدَ فيها إلا خياراً رباعياً، فقال: أعطه إياه؛ إن خيارَ الناسِ أحسنهم قضاءً^(١).

وما يُستخلصُ من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- تتأكد العناية بموضوع القرض في الدعوة إلى الله، بأن يقوم الداعية ببيان لزوم حُسن القضاء على المقرض، حتى وإن أساء المقرضُ في المطالبة.

- تبرز العناية بموضوع القرض بأن يُذكرَ الدعاة الناسَ بالإقرار بالقرض، وكتابته، وتدوينه في الوصية، واجتناب المماطلة، فإن فيها إيذاءً لصاحب القرض، وإتلافاً لماله.

- إن فقهَ موضوع القرض ينطلق من مبدأ الإحسان أخذاً وعطاءً، فإن المقرض أحسن للمقرض، فالواجب أن يردَّ الإحسانَ بالإحسانِ لا بالإساءة.

- إن المتأملَ لواقع كثيرٍ من الناس اليوم يجد أخطاءً شنيعةً عند المقرضين، فإنهم يستسهلون أخذَ القرضِ ويحرصون عليه ويلحون في طلبه، وعندما يحصلون عليه لا يسددونه، بل ويعتقدون أنه حقٌّ مشروعٌ لهم، ولاسيما القروضُ الحكومية مع أنها أولى بالسداد؛ لأنها من أموال المسلمين العامة التي ينتفع بها الكثيرون. وكذلك عندما يقترض من الشركات الكبيرة بحجة أنهم في غنى عن قسطه الذي يدفع لهم، فينبغي والحالة هذه أن يعتني الدعاة بمثل هذا الموضوع لمساسه بحياة الناس، فبين الداعية لهم آفاقه، وحدوده، وآدابه.

(د) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسْرُنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ)^(٢).

(١) صحيح مسلم، ح ١٦٠٠، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً ففرض خيراً منه وخيركم أحسنكم قضاءً، ٣/ ١٢٢٤.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٣٨٩، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب أداء الدين، ٥/ ٥٥.

يوضح الحديث تمني رسول الله ﷺ كثرة المال لا لمجرد الكثرة والمفاخرة به وكنزته أو إنفاقه في غير وجهٍ وحق مشروع، بل تكثير ينفع به آخرته وينفع به الآخرين، مبيناً أنه لو امتلك مثل أحد ذهباً لأنفقه دون أن يبقى منه شيئاً إلا لما يقضي به الدين.

قال ابن حجر- رحمه الله- في فوائد هذا الحديث ما يلي:

- ١- فيه إشارة إلى عدم الاستغراق في كثير الدين، والاقتصار على اليسير منه.
- ٢- فيه الاهتمام بأمر وفاء الدين وما كان عليه ﷺ من الزهادة في الدنيا.
- ٣- معنى الإرصاء أعم من أن يكون لصاحب دين غائب حتى يحضر فأخذه، أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفى.
- ٤- يؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق، فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق، فما دام الإنفاق مستمراً لا يُكره وجود المال، وإذا انتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال.
- ٥- فيه نوع مبالغة؛ لأنه إذا لم يسره كثرة ما ينفقه، فكيف ما لا ينفقه؟! وفي التقييد بالثلاثة تميم، ومبالغة في سرعة الإنفاق^(١).

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديث السابق ما يلي:

- أهمية أن يُعنى الدعاة بموضوع القرض من الناحيتين عطاءً ورداً.
- إن جمع المال، والتكثر منه لا فائدة منه سوى الإنفاق، والبذل لمن يستحق البذل، والعطاء لكل من يحتاج العطاء، ومن ذلك القرض. وفي المقابل لا يُجمع المال إلا لتسديد الديون؛ لأنها حقوق للعباد يجب أدائها قبل الموت وبعده.
- تبرز العناية بموضوع القرض من خلال الاستعداد لأدائه، والقيام بعمل برنامج وجدول لتسديده، والحرص على ذلك، وبت الدعوة للمقترضين أن يعملوا وفق هذه العناية، والحرص على أداء المال لأصحابه، وإلا فإنهم سيكونون متوعدين بقوله ﷺ: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ)^(٢).

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٥٥/٥، ٢٦٥/١١ - ٢٦٨.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٣٨٧، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ٥٤-٥٣/٥.

- من الجهود التي يمكن للدعاة أن يبذلوها محتسبين الأجر فيه أن تكون لهم كلمات، أو كتاباتٌ توعوية تثقيفية يثونها في الفروع الإسلامية للقروض، من عملاء البنوك، ومعارض السيارات ونحوها من الجهات.

سادساً - الهبة:

الهبة لغة: العطية الخالية عن الأعراض والأغراض، وكل ما وهبَ لك من ولد وغيره، فهو موهوب، ووهبته: إذا أعطيته، والموهبة: العطية^(١).

الهبة اصطلاحاً: تملك عين في الحياة بلا عوض^(٢).

والهبة، والهدية، والصدقة، والعطية ألقاظ ذات معانٍ متقاربةٍ غيرَ أن هناك تغييراً بين الصدقة والهدية، فالأولى يُتَقَرَّبُ بها إلى الله، والثانية يُتَقَرَّبُ بها إلى المهدى له.

والهبة من المعاملات التي تكثر بين المسلمين، ولاسيما الأقارب، ولها آداب وأحكام ستظهر من الأحاديث التالية:

أ) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ، فَيَأْكُلُهُ)^(٣).

وفي رواية: (الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ)^(٤).

تقتضي الحكمة الدعوية تنوع أساليب الداعي في عرض الموضوعات الدعوية، عند التخاطب مع المدعويين، وأن يراوح بين الأساليب لمصلحة الدعوة، ومن ذلك ما نفيده من حديث ابن عباس السابق، فإن النبي ﷺ شبه العائد في هيبته بأبشع صورة وأقذر حيث شبهه بالكلب، يقىء، ثم يعود في قَيْئِهِ.

ولا ريب أن هذه الصورة تنفر منها النفوس، وتُقَرِّزُ الطَّبَائِعَ، وتُحَدِّثُ لدى المرء رُدُودَ فِعْلٍ مُبْغِضَةٍ وَمُنْفَرَةٍ من هذه الصورة البشعة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: وهب، ٨٠٣/١-٨٠٤، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم، القاهرة، دار الفضيلة، ١٩٩٩م، ٤٤٤/٣.

(٢) تحرير ألقاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبدالغني الدقل، دمشق، دار القلم، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص: ٢٤٠.

(٣) صحيح مسلم، ح ١٦٢٢، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض، ١٢٤٠/٣.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتحة) ح ٦٩٧٥، كتاب الخيل، باب في الهبة والشفعة، ٣٤٥/١٢، وصحيح مسلم، ح ١٦٢٢، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة

والهبة بعد القبض، ١٢٤٠/٣.

والمراد من التمثيل: التنفير من هذا العمل؛ لأنه عمل يؤدي إلى انتشار الحقد والضغينة بين المسلمين، كما أنه يُحَدِّثُ انكساراً في نفس المهوب له، فكره النبي ﷺ هذا الفعل ونَفَّرَ منه، ثم ختم حديثه بقوله: ليس لنا مثلُ السوء، أي: لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أحسُّ الحيوانات في أحسِّ أحوالها. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

ولعلَّ هذا أبلغُ في الزجر عن ذلك، وأدلُّ على التحريم مما لو قال، مثلاً: لا تعودوا في الهبة. وفي الحديث دليلٌ على تحريم الرجوع في الهبة. وهذا هو الظاهر من سياق الحديث، ويُحتملُ أن يكون التشبيه للتنفير خاصة؛ لكون الشيء مما يستقدر^(٢).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديث السابق ما يلي:

- إن العناية بموضوع الهبة في باب المعاملات الإسلامية بين الناس تقتضي أن يبين الداعية فوائدها الهبة وحكمها، وهي كثيرة منها:

١- إسداء المعروف.

٢- بعث روح التعاون بين أفراد الأسرة والمجتمع.

٣- تحقيق التودد، وجلب المحبة بين الأفراد، ولا سيما إذا كانت على قريب، أو جارٍ، أو من بينهما عداوة.

٤- توثيق عُرى القربات والجوار^(٣).

- أن يربي الداعية في المدعوين القناعة، والبعد عن الاستشراف عما في أيدي الآخرين، فإنه من خلال الحديث يتبين أن العائد في هبته إنما رجع لعدم القناعة، ولتعلق النفس بما تصدقت به، وهذا ما نهى عنه الرسول ﷺ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ حينما سأله في هذا الشأن قال ﷺ: (حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ

(١) سورة النحل: ٦٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٥٣.

(٣) انظر: تيسير العلام، البسام، ١٤٠/٢.

مِنْهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَا تَشْتَرِهِ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ
بِدِرْهِمٍ وَوَاحِدٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ^(١).

- تتأكد العناية بموضوع الهبة في الدعوة إلى الله بغرس إيثار الآخرة على الدنيا، فإن المال الذي يخرجه الرجل صدقةً، إنما يراد به التكفير عن الذنوب، والتخلص من الخبائث، وتركية النفوس، والحصول على رضوان الله، فإذا ما عاد الرجل في صدقته، فإنه يُحْبِطُ بذلك آخرته، ويفسدها، ويهدمها ببناء دار فانية، وما عند الله خير وأبقى. وهذا ما يجب أن يُعنى به الداعية عند معالجته لقضية الهبة، لا مجرد قراءة الحكم الشرعي بأن ذلك حرام، بل ينبغي بيان الأسرار والعبر من منع الرجوع في الهبة.

(ب) عَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِيهِ: (يَا بَشِيرُ أَلَاكَ وَكَذَلِكَ سِوَى هَذَا؟
قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَكَلْتَهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَا تُشْهَدُنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا
أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ)^(٢).

وفي لفظٍ: (أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ:
أَكَلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَرْجِعْهُ)^(٣).

وفي رواية: (أَكَلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ التُّعْمَانُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا
غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلَا إِذَا)^(٤).

تؤكد هذه الروايات بعض أحكام الهبة، وآدابها الشرعية المتعلقة بالأبناء، وأنه لا يجوز تخصيص بعض الأولاد دون بعض، أو تفضيل بعضهم على بعض؛ لأن ذلك من الظلم المنافي للتقوى، وأن التسوية في الهبة حق للجميع، كما أن برهم بأبيهم حق عليهم لا يختص به واحد دون الآخرين، بل يجب على الجميع البر بأبيهم، وهذا مطلوب كل الآباء؛

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٦٢٣، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب لا يجز لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، ٥ / ٢٣٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ١٦٢٣، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ٣ / ١٢٤٢-١٢٤١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٥٨٦، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد، ٥ / ٢١١.

(٤) صحيح مسلم، ح ١٦٢٣، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ٣ / ١٢٤٤.

لذلك أمر النبي ﷺ والد النعمان أن يعود في تلك الهبة، ويردّها، فما كان من بشير ﷺ إلا أن رجع عن تلك الصدقة، كعادتهم في الوقوف عند حدود الله تعالى^(١).

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- تتجلى العناية بموضوع الهبة في الدعوة إلى الله، والمتعلقة بهبة الأبناء بإبراز الجانب المهم والضروري فيها، وهو العدل بين الأبناء فيها، وتحريم التفضيل لأحد دون الآخر في الهبة.

- ينبغي للداعية وهو يعالج هذا الموضوع المهم في المعاملات أن يؤكد على وجوب التسوية بين جميع الأبناء ذكورا وإناثا. وفي هذا دعوة كريمة لحفظ حق المرأة بما هو مشروع، وعدم هضمها، فأما من أولاد الرجل. ولفظ الولد في الحديث لا يختص بالذكور دون الإناث، بل إنه يشمل الإناث، على غرار قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٢).

سابعاً- اللقطة:

تعريف اللقطة لغة: اسم المال الملقوط أي: الموجود^(٣)، وقيل: الشيء الملقوط^(٤).

تعريف اللقطة اصطلاحاً: هي المال الضائع من ربه يلتقطه غيره^(٥).

وقد ورد في أحاديث الأمثال بعض الآداب المتعلقة باللقطة فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: وَجَدْتُ صُرَّةً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا مِائَةٌ دِينَارٍ، فَأَتَيْتُ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (عَرَّفَهَا حَوْلًا، فَعَرَّفْتَهَا حَوْلًا، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: عَرَّفَهَا حَوْلًا، فَعَرَّفْتَهَا حَوْلًا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ،

(١) انظر: تيسير العلام، البسام، ١٤٤/٢-١٤٥. وذكر -رحمه الله- فائدة وهي قوله: ((ما ذكر من وجوب العدل بين الأولاد في الهبة، وتحريم التخصيص أو التفضيل

مالم يكن ثم سبب موجب لذلك، فإن كان هناك ما يدعو إلى التفضيل أو التخصيص فلا بأس، كأن يكون أحدهم مريضاً أو أعمى أو كان ذا عائلة، أو طالب علم، ونحو ذلك من الأسباب فلا بأس، حيث فضّله لشيء من هذه المقاصد)).

(٢) سورة النساء: ١١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة: لقط، ٣٩٣/٧.

(٤) تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، ص: ٢٣٥.

(٥) تيسير العلام، البسام، ١٥٠/٢. وفيه أن الملقط ثلاثة أقسام:

الأول- قسم تافه لا تبعه همة أو ساط الناس، كالمسوط، والرغيف ونحوهما. فهذا يملك بالالتقاط ولا يلزم تعريفه.

الثاني- ما لا يجوز التقاطه، وهي: الأشياء التي تمنع نفسها من صغار السباع لعدوها كالطباء، أو بقوتها وتحملها كالإبل، والبقر، فهذا يحرم التقاطه.

الثالث- ما عدا ذلك، فهذا هو يُشترع التقاطه بقصد الحفظ لصاحبه. تقول الباحثة: وهذا القسم هو: المقصود بالدراسة هنا.

فَقَالَ: عَرَّفَهَا حَوْلًا، فَعَرَّفْتُهَا حَوْلًا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: اعْرِفْ عِدَّتَهَا
وَوِكَاءَهَا^(١) وَوِعَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا اسْتَمْتِعْ بِهَا^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِعَدَدِهَا وَوِعَائِهَا وَوِكَائِهَا، فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ. وَفِي رِوَايَةٍ:
وَإِلَّا فَهِيَ كَسَبِيلِ مَالِكٍ)^(٣). يُوَضِّحُ الْحَدِيثُ عِنَايَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِمَوْضِعِ اللَّقْطَةِ،
وَهِيَ: عِنَايَةُ مَنْشُؤِهَا الْإِحْتِرَاسُ فِي الْكَسْبِ، وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ، فَإِنَّ أَبِي بَنَ
كَعْبٍ ﷺ دَفَعَهُ حَرَصُهُ عَلَى الْكَسْبِ الْحَلَالِ أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ حُكْمِ مَالٍ
وَجَدَهُ مَفْقُودًا لَيْسَ لَهُ صَاحِبٌ حَاضِرٌ، فَأَرْشَدَهُ بِضُرُورَةِ تَعْرِيفِهِ مُؤَكَّدًا ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ،
فَإِنَّ تَمَّ التَّعْرِيفُ بِهَا وَفَقَّ ضَوَابِطَهُ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهَا صَاحِبٌ، فَإِنَّهُ يَسْتَمْتِعُ بِهَا كَسَائِرِ مَالِهِ.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفَقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- تَنْشَأُ الْحَاجَةُ لِلْعِنَايَةِ بِمَوْضِعِ اللَّقْطَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَاقِعِ النَّاسِ لِعَلْبَةِ الْجَهْلِ
بِأَحْكَامِهَا، وَمَدَى الْحَيْرَةِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي أَحْذَاهَا أَوْ تَرْكِهَا.

- إِنْ مِمَّا يَجْعَلُ الدَّاعِيَةَ يَعْتَنِي بِهَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ حَالَةُ الْجَمْعِ الْمَتَفَشِّئَةِ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ الْيَوْمَ،
فَلَا يَتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ.

- إِنْ مِمَّا تَنْطَلِقُ مِنْهُ الْعِنَايَةُ بِمَوْضِعِ اللَّقْطَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ هُوَ: حِفْظُ حَقُوقِ الْآخَرِينَ،
وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَقَدَّرَاتِهِمْ، فَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَجِدَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَهُ دُونَ عِنَاءِ.

- يَنْبَغِي لِلدَّاعِيَةِ عِنْدَ مَعَالَجَةِ مَوْضِعِ اللَّقْطَةِ أَنْ يَبِينَ أَحْكَامَهَا وَمَنْهَا:

١- طَرِيقَةُ التَّثْبِتِ مِمَّنْ يَدَّعِيهَا، وَمَنْ ذَلِكَ أَنْ الْوِعَاءَ، وَالْوِكَاءَ مِنْ إِحْدَى عِلَامَاتِ اللَّقْطَةِ،
فَمَنْ جَاءَ يَتَعَرَّفُهَا، أَوْ يَطْلُبُهَا بِتِلْكَ الصِّفَةِ دُفِعَتْ إِلَيْهِ.

٢- أَنْ اللَّقْطَةَ مَا لَمْ تَكُنْ تَافَهُا يَسِيرًا، أَوْ شَيْئًا لَا بَقَاءَ لَهُ، فَإِنَّهَا تَعَرَّفَ حَوْلًا كَامِلًا.

٣- أَنْ صَاحِبِهَا إِذَا جَاءَ وَصَحَّ قَوْلُهُ فِيهَا، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ مَلْتَقِطِهَا^(٤).

(١) الْوِكَاءُ: الْخَيْطُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الصَّرَّةُ، وَالْكَيسُ، وَغَيْرُهُمَا. النِّهَايَةُ، ابْنُ الْأَثِيرِ، مَادَّة: وَكَاءَ، ٢٢٢/٥.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (مَعَ الْفَتْحِ) ح ٢٤٣٧، كِتَابُ اللَّقْطَةِ، بَابُ هَلْ يَأْخُذُ اللَّقْطَةَ وَلَا يَدَّعِيهَا تَضَعُ حَتَّى لَا يَأْخُذَهَا مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ، ٩١/٥-٩٢.

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، ح ١٧٢٣، كِتَابُ اللَّقْطَةِ، ١٣٥٠/٣-١٣٥١.

(٤) انظُرْ: فَتْحُ الْبَرِّ فِي التَّرْتِيبِ الْفَقْهِيِّ لِتَمْهِيدِ عَبْدِ الْبَرِّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَغْرَاوِيِّ، الرِّيَاضُ، بِمَجْمُوعَةِ التَّحْفِ النَّفَائِسِ الدُّوَلِيَّةِ، ط. الْأُولَى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ١٢/

٤٤٧-٤٤٨، جَامِعُ الْأَصُولِ، ابْنُ الْأَثِيرِ، ١٠/٧٠٢.

المَبْحَثُ الخَامِسُ: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمُحَرَّمَاتِ

المبحث الخامس: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالمحرمات

إن من المعلوم في دين الله جل وعلا أن الله سبحانه وتعالى فرض فرائض لا يجوز تضييعها، وحدّ حدوداً لا يجوز تعديها، وحرّم أموراً لا يجوز انتهاكها، وهدد من يتعدى حدوده، وينتهك حرّماته تهديداً شديداً، فقال سبحانه تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(١).

ومن المعلوم أيضاً أنه سبحانه وهو الحكيم الخبير لم يجرم إلا الخبائث كما هو صريح القرآن الكريم: ﴿وَيَجْلُ لَّهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وكذلك من المعلوم في دين الله أن التحليل والتحريم حق لله وحده، فمن ادعاه لنفسه، أو أقرّ به لغيره، فهو كافرٌ كفوفاً أكبر مخرجاً من الملة، ولا يجوز لأي أحد أن يتكلم في الحلال والحرام إلا أهل العلم بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٣).

ومما ينبغي إدراكه وفهمه أن لتحريم المحرمات حكماً متعددة منها:

- أن الله يبتلي عباده بهذه المحرمات، فينظر كيف يعملون.
- أنه من أسباب تمييز أهل الجنة عن أهل النار، فإن أهل النار قد انغمسوا في الشهوات التي حُفَّتْ بها النار، وأهل الجنة صبروا على المكاره التي حُفَّتْ بها الجنة، ولولا هذا التحريم ما تبيّن العاصي من المطيع.
- إن أهل الإيمان ينظرون إلى مشقة التكاليف بعين احتساب الأجر، وامتنال أمر الله لنيل رضاه، فتَهون عليهم المشقة، فيجتنبون المحرمات، وأهل النفاق ينظرون إلى مشقة التكاليف

(١) سورة النساء: ١٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) سورة النحل: ١١٦.

بعين الألم والتوجع والحرمان، فتكون الوطأة عليهم شديدة، والطاعة عسيرة، فينتهكون المحرمات.

- إنه بترك المحرمات يذوق المطيع حلاوة: "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه"، ويجد لذة الإيمان في قلبه^(١).

وسأورد بعضاً من المحرمات التي وقع الناس فيها، من أحاديث الأمثال في الصفحات التالية على النحو الآتي:

أولاً: النفاق:

يعدُّ النفاقُ أعظمَ المحرماتِ، وأخطرَها على المرءِ وعلى الإسلامِ والمسلمين، فهو أخطر من الكفر بالله؛ لأن الكافر يظهر عداوته ويصدعُ بها، أما المنافقُ فإنه يُظهر الإيمانَ ويطنُّ الكفرَ، فكان أشدَّ خطراً من الكافر، وقد ورد في أحاديث الأمثال ما يبين حالة المنافقِ، وسرعة قلبه، وتذبذبه.

عن ابنِ عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ)^(٢) بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً)^(٣).

وفي رواية: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعْبُرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَيَّهَا تَتَّبِعُ)^(٤).

يوضح الحديثُ تلونَ المنافق وتذبذبه بين الفرقاء، وتشبيهه بالشاة الحائرة المترددة لا تدري إلى أين تذهب، وأنها لعدم ثباتها، فإنها ليس لها ولاءٌ لأحدهما، وكذا المنافق.

ومن المعلوم أنه: ((كلما ازداد عِزُّ الإسلامِ، وعَظُمَتْ قُوَّةُ المسلمين ازداد التزامُ المنافقين بأحكام الإسلام الظاهرة، وكلما ضَعُفَ أمرُ الإسلامِ، وتلاشت قُوَّةُ المسلمين كان إظهارُ

(١) محرمات استهتان بها الناس، محمد صالح المنجد، ط. القصيم، دار أصداء المجتمع، دون تاريخ، ص: ٥-١١.

(٢) العائرة: المترددة. الفائق، الزمخشري، ٢/ ٢٤.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢٧٨٤، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٤/ ٢١٤٦.

(٤) سنن النسائي، ح ٥٠٥٢، كتاب الإيمان وشرائعه، باب مثل المنافق، ٨/ ٤٩٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح ٥٧٢٩، ٥/ ٢٠٣. المسند، ح ٥٧٩٠، وقال

محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ١٠/ ٦١.

المنافقين لنفاقهم أشدَّ وأعظمَ، والتزامهم بأحكام الإسلام الظاهرة ضعيفاً^(١). يدل على هذا قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مَنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ)^(٢).

وقد ((ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمنافق مثلَ السوءِ، فثبته ترده بين الطائفتين من المؤمنين والمشركين - تبعاً لهواه، وقصدًا لغرضه الفاسد، وميلاً إلى ما يبتغيه من شهواته - بتردد الشاة العائرة، وهي تطلب الفحل...، فلا تستقر على حال، ولا تثبت مع إحدى الطائفتين، وبذلك وصفهم الله في كتابه، فقال عز من قائل: ﴿مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾^(٣).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- إن موضوع النفاق أخطرُ موضوعٍ عالجه الإسلامُ، وعُني بالحديث عنه قرآناً وسنةً؛ لذا ينبغي للدعاة العناية به، والحديث عنه تحذيراً ونصحاً للأمة.
- إن الدعوة الإسلامية عانت الويلات المتلاحقة من أهل الكفر والصدّادين عنها، غير أنها تخطت ذلك بحكمة وقوة، ولكنها أعيقت بأهل النفاق الذين ينتمون إليها في الظاهر، ويكيدون لها في الباطن، وما زالت تعاني منهم وتنحسر؛ لذا يجب على أهل الدعوة العناية بموضوع النفاق بياناً لخطره.
- ضرورة أن يبين الدعاة حقيقة المنافق المتهافئة والهشّة، فليس له قرار، وليس له مبدأ، ولا خلق، بل هو يحمل وجهين يرفضه الطرفان اللذان يذهب إليهما. كما أنه يفقد البصيرة والنور ليتخذ ما هو أصوب.

(١) شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان، المعروف باسم كتاب الإيمان الوسط، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن نجيت الزهراني،

الدمام، دار ابن الجوزي، ط. الثانية ١٤٢٣هـ، ص: ٨٨.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧١١٣، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج وقال خلافه، ٦٩/١٣.

(٣) سورة النساء: ١٤٣، الكاشف، الطيبي، ح ٥٧، ٥١٠/٢.

ثانياً - السَّحْرُ:

إنَّ السَّحْرَ من أعظم المحرماتِ في الإسلامِ بعد الشركِ بالله؛ وذلك لخطورته، وأضراره، ومفاسده على الأفراد والأسر والمجتمعات؛ لذلك عُنِيَ الإسلامُ بشأنه بياناً لحرمته، وضرره، وعقوبته في الدنيا والآخرة.

وكلُّ إنسانٍ مُعرَّضٌ للسَّحْرِ، مهما كانت منزلته ومكانته؛ لأنه ثبت سِحْرُ النبي ﷺ من

اليهود، فمن باب أولى مَنْ دونه، كما يدل على ذلك الحديث التالي:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحْرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ... فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ، أَعْلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ^(١) قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمٍ^(٢) رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ^(٣) قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ^(٤) ذَكَرَ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ^(٥) فِي بئرِ ذُرْوَانَ^(٦). قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ الْبَيْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: هَذِهِ الْبَيْرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا، وَكَانَ مَاءُهَا نُقَاعَةً^(٧) الْحِنَاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ.

(١) المطبُوبُ: المسحورُ. الفائق، الزمخشري، مادة: طب، ٣٥٣/٢.

(٢) اليهودي وكان حليفاً في بني زريق، وكان ساحراً، وأعلم اليهود بالسحر، وبالسوم. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، ١٩٧/٢.

(٣) المشاقَّة: هي المشاطة، وهي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية إذا سُرِحَ بالمشط. والمَشْتُقُ: حذَّبُ الشيء ليطول. غريب الحديث، ابن قتيبة، ٤١٨/١، النهاية، ابن الأثير، مادة: مشط، ٣٣٤/٤.

(٤) جف الطلعة: قشرها. الفائق، الزمخشري، مادة: طب، ٣٥٣/٢.

(٥) الرَّاعُوفَةُ: هي صخرةٌ تُتْرَكُ في أسفل البئر إذا خُفِرَتْ تكونُ ناتئةً هناك، فإذا أرادوا تنقيةَ البئرِ جلسَ المنقِيُّ عليها. وقيل: هي حجرٌ يكون على رأس البئر، يقوم المستقي عليه. النهاية، ابن الأثير، مادة: رَعَفَ، ٢٣٥/٢.

(٦) بئر ذُرْوَانَ: وهي بئر في منازل بني زريق بالمدينة، وقيل: هي بئر ذي أروان، وهو موضع آخر على ساعة من المدينة، وفيه بني مسجد الضرار، معجم البلدان، الحموي، ٢٩٩/١.

(٧) المراد أن لون ماء البئر متغير وليس نقياً، كنفاعة الحناء: والنقع: الماء المختم. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: نَقَعَ، ١٠٨/٥.

قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ أَفَلَا تَنْشَرْتُ^(١)؟ فَقَالَ: أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا^(٢).

وفي لفظ: (فَقُلْتُ: أَسْتُخْرِجْتُهُ؟ فَقَالَ: لَا. أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنْتُ الْبَيْرُ)^(٣).

يبين الحديث أن النبي ﷺ سُحِرَ من قبل اليهود، وأن الله قد شفاه من السحر؛ لأنه نبيُّ الأمة، وناقلُ أحكامِ الله إليها، والمزكي لها، فلا ينبغي أن تصدر أحكامٌ من رجلٍ مسحورٍ؛ لذلك شفاه ربُّه، وصرف عنه كيدَ الساحرين، فلم تتأثر رسالته المباركة بذلك، كما أن الحديث يوضح ما يتناوله السحرة من أدواتٍ، وأماكن لتخبئة سحرهم، مشبهاً ماء تلك البئر بنقاعة الحناء، ونخلها برؤوس الشياطين، والغرض من هذا التشبيه التنفير من تلك الأماكن التي يستوطنها الجن والشياطين لممارسة خبثهم وشعوذاتهم، وهم يفعلون ذلك ليكون سحرهم في التأثير أقوى، وفي فكِّه أعمد وأصعب.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- أن يُبَيِّنَ الداعية للمدعويين أثرَ السَّحْرِ، وأضراره، وأنه مَضْرَّةٌ مُحْضَةٌ ليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية.

- يعد السحر من أخطر الموضوعات التي تنتشر في بعض البلاد الإسلامية وغيرها، وقد كثر المشعوذون ممن يدعون المعالجة للسحر، واستغلوا كثيراً من السُّدَجِ ممن يغلب عليهم الجهل؛ لذا فينبغي للدعاة أن يتصدوا لمثل هذا بالبيان، والعناية به، ولا سيما في الأحياء الشعبية، حيث يكثر الجهل. ولا يعني هذا سلامة المدن من تعاطي السحر، بل إنه يوجد في كل قطرٍ ومِصرٍ.

- أن يقوم الداعية بتحذير الناس من السَّحْرِ، وأن يوصي المدعويين باتقائه قبل وقوعه بما هو مشروعٌ من الأذكار الشرعية، والدعوات، والتعوذات المأثورة، ومن ذلك قراءة

(١) التُّشْرَةُ: ضَرْبٌ مِنَ الرُّقِيَّةِ وَالْعِلَاجِ، يُعَالَجُ بِهِ مَنْ كَانَ يُظَنُّ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الْجِنِّ، أَوْ بِهِ سِحْرًا، سَمِيَتْ تُّشْرَةً؛ لِأَنَّهُ يُنْشَرُ بِهَا عَنْهُ مَا خَامَرَهُ مِنَ الدَّاءِ: أَيِ يُكْشَفُ وَيُزَالُ.

النهاية، ابن الأثير، ٥/ ٥٤.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٥٧٦٥، كتاب الطب، باب هل يستخرج السَّحْرُ، ١٠/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٢٦٨، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ٦/ ٣٣٤.

آية الكرسي دبر كل صلاة، وعند النوم، وغيرها مما ينبغي ذكره للمدعوين لاتقاء خطر السحر وشره^(١).

- أن يوجه الداعية المدعوين بعد وقوع السحر أن يلتجئوا إلى الله لحل السحر، لا إلى السحرة والمشعوذين؛ لأنهم لا يفكون السحر إلا بالسحر، وهذا يعني الكفر بالله تعالى؛ لأن الساحر لا يؤثر إلا إذا كفر بالله، ودنّس آياته الطاهرة، واستعان بالشياطين لخدمته، وهذا محرّم قطعاً، حتى وإن فعله من المسلمين من فعله، فإن أفعالهم خاطئة وآثمة، وهم مرتنون بها، يعاقبون عليها في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما ورد في الحديث أن: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^(٢). وحديث آخر: (اجْتَنِبُوا الْمُؤَبَّاتِ: الشُّرْكَ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ)^(٣). وغيرها من النصوص الصريحة في بيان عقوبة السحر وضرره، ومفاسده.

ثالثاً - الاعتداء بكل صورته:

لقد كرّم الله بني آدم كل التكريم، فخلقهم بيده، وصورهم فأحسن صورهم، وسخر لهم كل ما في البر والبحر لخدمتهم ونفعهم، وصانهم من التلف والأذى، وحماهم، فحرم دماءهم، وأموالهم، وأعراضهم فضلاً من الله ورحمة؛ لذلك فإن العدوان على الإنسان بغير حق، أيًا كانت هويته، وديانته، وجنسه، ولونه يعد محرّماً بتحريم الله، وذنباً عظيماً يعرض صاحبه للعقوبة في الدنيا والآخرة، سواء أكان الاعتداء على النفس، أم المال، أم العرض ونحو ذلك، وتظهر العناية بموضوع حفظ الأنفس البرئية مسلمة أو غير مسلمة، وحماية الإنسان من أي عدوان من خلال عدة أمور:

الأمر الأول - التشديد والتأكيد على حرمة الأنفس، وعدم العدوان عليها. وتبدو هذه الحقيقة واضحة من خلال خطبة الوداع في يوم الحج الأكبر في أعظم اجتماع للمسلمين

(١) حكم السحر والكهانة، عبدالعزيز بن باز، ط. الرياض. رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص: ٣-١٤.

(٢) صحيح مسلم، ح: ٢٢٣٠، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ١٧٥١/٤.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح: ٥٧٦٤، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، ١٠/٢٣٢.

وفي موقفٍ كان من آخر المواقف في حياة النبي ﷺ توديعاً لأصحابه مقدماً لذلك بقوله ﷺ:
(لعلي لا أراكم بعد عامي هذا)^(١).

وكان مما أكد عليه، تحريم الاعتداء على الأنفس، والأموال، والأعراض، كما في حديث
ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم التَّحْرِيرِ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟
قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ
هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ
اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ)^(٢).

يوضح الحديثُ عناية النبي ﷺ بموضوع الأنفسِ المعصومة، وحقوقها، وكل ما له صلة
بالمسلم من مالٍ وعرضٍ ونحو ذلك، مؤكداً صيانتها وعدم الاعتداء على شيءٍ منها بتشبيه
حُرْمَتِهَا العظيمة بحُرْمَةِ يومِ النحر، وحرمةِ البلدِ الحرام، والشهرِ الحرام، فإن الرابطة ووجه
الشبه بينهما التعظيم والتقدیس، فمكةُ بَلَدٌ تُعْظَمُ النفوسُ، وزمنُ الحجِّ مُعْظَمٌ في النفوسِ،
فكذا قَتْلُ النَّفُوسِ، ونَهْبُ الْأَمْوَالِ، وانتهاكُ الْأَعْرَاضِ معظمةٌ عندَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا يَجِبُ
تعظيمها، وعدمُ الوقوعِ فيها.

وقد حرم الله القتلَ بغيرِ حقٍّ، وتوعد عليه بالعقوبة الشديدة في الآخرة، ومن ذلك: قوله
تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^(٣). وكذا بين شناعته النبي ﷺ فقال: (لِزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى
اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)^(٤). إلى غير ذلك من النصوص الشرعية المحرمة لقتل الأنفس.

(١) سنن الترمذي، ح ٨٨٦، الحج، باب ما جاء في الإفاضة من عرفات، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. ٢٣٤/٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ٧٠٣، ١/ ٢٦٤.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٧٣٩، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ٣/ ٥٧٣.

(٣) سورة النساء: ٩٣.

(٤) سنن الترمذي، ح ١٣٩٥، كتاب الدييات عن رسول الله، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، وقال: هذا أصح من حديث ابن أبي عدي، ٤/ ١٦، وصححه الألباني

في صحيح سنن الترمذي، ح ١١٢٦، ٢/ ٥٦.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- عناية الدعاة في خطبهم ودعوتهم ببيان حرمة دم المسلم، وتعظيمها، وعدم الاعتداء عليها.

- نشر الدعاة التوعية الاجتماعية الإنسانية التي تربط الجماعات، والأفراد بما يرضي الله ويطهر الحياة.

- ضرورة إبراز هدي الإسلام في صيانة الدماء مسلمةً وغير مسلمةً إلا بحقها فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا تَوَجَّدَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)^(١).

- إن من العناية بموضوع المحرمات بيان الفرق بين قتل النفس بحق وبغير حق، فإن قتل النفس بحق كقتل الكافر المحارب، وقتل المعاند الخارج على المسلمين يقاتلهم، شريطة إقامة الحجة عليه وبيان خطئه وانحرافه وضلاله، كما هو واضح من قوله ﷺ: (سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(٢).

- إن مما يؤكد العناية الفائقة بالدماء والأنفس: عصمتها بقول لا إله إلا الله، حتى ولو صدرت من كافر محارب، فإنه ينبغي تعظيمها وصيانتها، كما يدل على ذلك حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ^(٣) مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟! قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ. قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ...^(٤).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣١٦٦، كتاب الجزية، باب من قتل معاهدًا بغير جرم، ٦/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٩٣٠، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب قتل الخوارج والملاحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ١٢/ ٢٨٣.

(٣) الحُرَقَات: موضع ببلاد جهينة. والتسمية به كالتسمية بعرفات وأذرع. صحيح مسلم، ١/ ٩٦.

(٤) صحيح مسلم، ح ٩٦، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ١/ ٩٦.

الأمر الثاني-التشديد على المعتدين، وتغليظ العقوبة عليهم.

تظهر العناية الفائقة بموضوع الاعتداء على الآخرين، وتعظيم الدماء البريئة من خلال تغليظ العقوبة على المعتدين، سواء أكان الاعتداء مقصوداً، ولكن دون قصد القتل، أم كان الاعتداء غير مقصود أصلاً، كما سيظهر من خلال حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (عَقْلٌ^(١) شَبِهَ الْعَمْدَ^(٢) مُعَلِّظٌ مِثْلُ عَقْلِ الْعَمْدِ، وَلَا يُقْتَلُ صَاحِبُهُ... وَذَلِكَ أَنْ يَنْزُو الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَكُونُ دِمَاءٌ فِي عَمِيٍّ^(٣) فِي غَيْرِ ضَعِيفَةٍ وَلَا حَمَلٍ سِلَاحٍ)^(٤).

يوضح الحديث أن من قتل شخصاً غير عامد لقتله فضربه بما لا يقتل غالباً، فإنه تلزمه دية مغلظة، ولا يقع عليه القصاص؛ لأنه لم يقتله بجديده ونحوها^(٥). مؤكداً على لزوم الدية على قتل شبه العمد بتمثيلها وتشبيهها بدية العمد. ثم وجه عليه الصلاة والسلام الناس جميعاً؛ حفظاً لدمائهم بأن الجهالة والطيش عند الخصومات إنما هما من نزع الشيطان بينهم

(١) العَقْل: الدية، وأصله: أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بقاء أولياء المقتول: أي شدّها في عقلها؛ لئسّلمها إليهم ويقبضوها منه، فسُميت الدية عقلًا بالمصدر، وكان أصل الدية الإبل، ثم قومت بعد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها. النهاية، ابن الأثير، ٣/ ٢٧٨.

(٢) الأمور التي تلحق بالقاتل شبه العمد:

١- الإثم؛ لأن القاتل قد قتل نفساً حرم الله قتلها بدون حق فيكون آثماً بفعله ذلك.

٢- الدية: تعتبر الدية عقوبة أصلية في القتل شبه العمد، وليست عقوبة بدلية كما هو الشأن في القتل العمد، والمراد بالعقوبة الأصلية: العقوبة المقررة للجريمة ابتداء كالقصاص بالنسبة للقتل العمد العدوان، والدية بالنسبة للقتل الخطأ وشبه العمد، ويراد بالعقوبة البديلة: العقوبة المقررة للجريمة بدلاً من عقوبة أشد منها تعذر استيفؤها لما تع، وذلك كالدية بالنسبة للقتل العمد العدوان. انظر: عقوبة الإعدام، محمد بن سعد الغامدي، الرياض، مكتبة دار السلام، ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص: ١٤٤.

وَدَلِيلٌ وَجُوبِ الدِّيةِ فِي الْقَتْلِ شَبِهِ الْعَمْدِ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَلَا إِنَّ دِيَةَ الْخَطَايِ شَبِيهَ الْعَمْدِ مَا كَانَ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا: مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِ أَوْلَادِهَا). سنن أبي داود، ح ٤٥٤٧، كتاب الديات، باب دية الخطأ شبه العمد، ٤/ ٦٨٣، حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٠١-١٠٢. وتختلف الدية في القتل شبه العمد عن الدية في القتل العمد في أن دية شبه العمد تجب في مال العاقلة لا في مال الجاني كما هو الشأن في القتل العمد. والمراد بالعاقلة: اختلف العلماء فيها على أقوال منها: أقم عصبه الجاني بدون استثناء: آباؤه، وإخوته، وعمومته، وبنوهم. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر الكاساني الحنفي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٧/ ٢٥٦، منهاج الطالبين، محي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ، ١٢٩/١، المغني، ٩/ ٥١٥.

(٣) أي فتكون دماءً من غير حقد وعداوة، والعَمِيَاء: تأنيث الأعمى، يريد به الضلالة والجهالة، النهاية، ابن الأثير، ٣/ ٣٠٥.

(٤) سنن أبي داود، ح ٤٥٦٥، كتاب الديات، باب ديات الأعضاء، ٤/ ٦٩٥، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٠٧.

(٥) انظر: عون المعبود، محمد آبادي، ١٢/ ٢٠٠.

حيث إنه لأتفه الأمور قد يحدث إزهاقُ الأرواحِ دونِ حقدٍ سابقٍ، ودونِ حملِ سلاحٍ، فيجب؛ تعظيماً لأمرِ الدماءِ، أن يتسامحِ الناسُ، ويتحملوا لثلاً يُجرُّوا إلى القتلِ.

كما يوضح الحديثُ التشديدَ على القاتلِ سواءً أكان قتلُهُ عمداً، أم شبهَ عمدٍ، أم خطأً؛ لما في القتلِ من ارتكابٍ للمحرمِ، وانتهاكٍ لدمِ المسلمِ، فكان التشديدُ في العقوبةِ، فالقاتلِ شبهَ العمدِ عليه دفعُ الديةِ مغلظةً مثلِ القاتلِ عمداً غير أنه لا يُقتلُ.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- ضرورةُ عنايةِ الدعاةِ ببيانِ الدورِ الخطيرِ الذي يقومُ به الشيطانُ عندِ الخصوماتِ بينِ الناسِ.

- إن العدوانِ على الأنفسِ بأي صورةٍ أمرٌ يعظمه اللهُ ورسوله، ويمنعانه كلُّ المنعِ؛ لكرامةِ الإنسانِ عندَ اللهِ، فلا يجوزُ المساسُ به، وهذا مما ينبغي للدعاةِ أن يبرزوه في دعوتهم؛ ليدركِ الناسُ حقيقةَ الإسلامِ المتجليةَ بشأنِ حقوقِ الإنسانِ وصيانتِها. مما لا يوجدُ في ديانةٍ أخرى.

- من العنايةِ بموضوعِ الاعتداءِ على الآخرين أن يقومِ الداعيةِ ببيانِ الفرقِ بينِ القتلِ العمدِ، وبينِ القتلِ شبهِ العمدِ، وعقوبةِ كلِّ منهما.

- أن يوردِ الداعيةِ قصصاً من واقعِ الناسِ وحياتهم عن أناسٍ موقوفين وراءِ القضبانِ نتيجةَ شجاراتٍ لدواعٍ تافهةٍ قد يكون سببها أحياناً هللاتٍ، أو كلماتٍ، ونحو ذلك مما لا يوجبِ الخصومةَ، ولكنهم يخوضون فيها، فتصلُ بهم الحالُ إلى القتلِ الذي ينتجُ عنه ضياعُ معيلٍ لأسرةٍ فقيرةٍ، وما يترتبُ عليه، وإيداعُ القاتلِ في السجنِ بعيداً عن أسرتهِ ومن يعول.

رابعاً- منعُ الزكاةِ:

الزكاةُ رُكنٌ من أركانِ الإسلامِ، وطهارةٌ للمالِ والنفسِ، ونماءٌ للمالِ، وهي حقٌّ لا مئةٌ فيه، تؤخذُ من الأغنياءِ لِتُرَدَّ على الفقراءِ، ولا يجوزُ منعُها؛ لأن من منعها فقد عَطَّلَ ركناً من أركانِ الإسلامِ؛ لذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمن امتنع من العربِ عن أدائها

إلى بيت المال: (وَاللَّهُ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ)^(١). وقد توعده الله تعالى من منع زكاة ماله بعقوبة شديدة، ومن ذلك ما ورد في الأحاديث التالية:

أ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهْ مَالِهِ شُجَاعًا أَفْرَعَ لَهُ زَبِيَّتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

يوضح الحديث أن منع الزكاة من الأمور المحرمة، مؤكداً هذا الأمر بتمثيل مؤثر للمال الممنوع من الزكاة حيث شبهه ومثل له بشجاع أقرع مخيف يلتف حول عنق صاحبه يحاجه ويقاضيه. قال ابن القيم - رحمه الله -: ((هديه ﷺ في الزكاة أكمل هدي في وقتها وقدرها ونصاها ومن تجب عليه ومصرفها، وقد راعى فيها مصلحة أرباب الأموال، ومصلحة المساكين، وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه، وقيد النعمة بما على الأغنياء، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته بل يحفظه عليه وينمي له، ويدفع عنه بها الآفات، ويجعلها سورا على، وحصناً له وحارساً له))^(٣).

ب) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثَمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالِكٌ الَّذِي كُنْتَ تَبْخُلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ)^(٤).

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٤٠٠، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، والتفسير سنة الحياة، محمود محمد بللي، جدة، دار المنارة، ط. الأولى،

١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص: ٧٦.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٤٥٦٥، كتاب تفسير القرآن، باب ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، ٨/ ٢٣٠.

سورة آل عمران: ١٨٠.

(٣) زاد المعاد، ابن القيم، ٥/ ٢.

(٤) صحيح مسلم، ح ٩٨٨، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ٢/ ٦٨٤.

توضح هذه الرواية ما ذكر سابقاً في الرواية التي قبلها من التأكيد على أن مال الزكاة الذي يُدفع إلى الفقراء يُعتبر حقاً واضحاً صريحاً لهؤلاء الفقراء من مفهوم الحديث لا منطوقه، فإن المال الممنوع من الزكاة يتحول إلى ثعبان أقرع يلاحق صاحبه في كل مكان، ويسلط على يده فيعضها، مما يؤكد وجوب الزكاة لا استحبابها؛ وهذا يؤكد أنها حق للفقراء لا منة للأغنياء فيه، ويتأكد هذا المفهوم من الحديث بقول الله سبحانه تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿١٠٠﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٠١﴾ ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٢).

وما يُستخلص من دروس وفقه دعوي من الحديثين السابقين ما يلي:

- ضرورة أن يقوم الداعية بالعناية بموضوع الزكاة في هذا العصر الذي انشغل فيه كثير من الناس بجمع المال من كل طريق وبكل وسيلة، جاعلين همهم الأكبر تكثير المال، والطمع للوصول إلى المليون الأول لينطلقوا منه إلى عالم الملايين، فنشأت من هذه العناية والانشغال بجمع المال وكنزه، متابعة أخبار أغنياء العالم، والأرقام القياسية فيما يتعلق بأرصدهم ومدخراتهم، والسعي الحثيث للوصول إلى ما وصلوا إليه.

- إن الداعية وهو يعالج موضوع الزكاة لا يهدف إلى بيان الحكم الشرعي دون سواه من الغايات النبيلة للزكاة، والأهداف اللطيفة لهذه الفريضة الجليلة في الإسلام، والتي منها:

١- إبراز محاسن الإسلام، كالمشاركة بين الأغنياء والفقراء، في المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وليست المشاركة هنا بمفهوم الشيوعية^(٣)، التي تحرم الفرد ما يملك، وتنتزع منه جهوده التي بذلها في توفير المال، وإنما المشاركة منطلقة من خصيصة للإسلام، وميزة من

(١) انظر: معالم الشريعة الإسلامية، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط. الرابعة، ١٩٨٢م، ص: ٣٥٣، والآيتان من سورة الماعز: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة التوبة: ٣٥.

(٣) الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي: أساس كل شيء، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وأنجلز، وتجسدت في الثورة التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م، بتخطيط من اليهود، وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، ومن أبرز أفكارهم محاربة الملكية الفردية، ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة. الموسوعة الميسرة في

الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مطبعة سفير، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص: ٣٠٩-٣١٠.

مزاياه العظيمة، وهي الإحساسُ بحاجات الآخرين، والبعدُ عن الأنانية، فإذا شبع أشبع الآخرين، وإذا لبس كسا الآخرين، وبهذا تتحقق المشاركة التي تكفل للفقير العاجز العيشَ والقوتَ، وفي الوقت ذاته تكفل للغني حرية التملكِ مقابل سعيه وكَدْحِه، وهذا هو المذهب المستقيم الذي به عمّار الكون، وصلاح الدين والدنيا، فلا شيوعية متطرفة، ولا رأسمالية^(١) ممسكة شاححة.

٢- وجود صلواتٍ بين المسلمين أغنيائهم وفقرائهم تقوم على التراحم، والتعاطف، والتعاون.

٣- قطع دابر الشرور التي تهدد الفضيلة، والأمن، والرخاء وغير ذلك من مقومات البقاء لصلاح الدنيا والآخرة.

٤- تربية الفرد المسلم على تخليص نفسه من رذيلة البخل، والقضاء على الشغف بالمال، والإحساس بأن إخراج شيء منه ينقصه ويؤثر في زيادته^(٢).

خامسا - الكِبْرُ:

إن الكِبْرَ من أعظم المحرمات التي تمنع المرءَ من دخول الجنة، وتوجبُ دخول النار؛ لأنه انتزاعٌ لما يختص به الله جل وعلا من التكبر والجبروت والعظمة، فهو سبحانه وحده: الجبار المتكبر، ويحُرِّمُ على أحدٍ من خلقه اتصافه بهما.

ولقد كان الكِبْرُ أولَ معصيةٍ عُصِيَ بها الله عز وجل حين خَلَقَ آدَمَ عليه السلام، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجد جميعهم إلا إبليس استكبر، فلم يسجد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾^(٣). مبرراً

(١) الرأسمالية: نظامٌ اقتصاديٌّ ذو فلسفةٍ اجتماعيةٍ وسياسيةٍ، يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية، والحفاظة عليها، متوسِّعاً في مفهوم الحرية، ولقد ذاق العالم بسببه ويلاتٍ كثيرة، ولا تزال الرأس مالية تمارس ضغوطها على مختلف شعوب الأرض؛ لأنها في اختصارٍ أرقى الدرجات التي وصل إليها العقل الحيواني في الإنسان، الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص: ٢٣١، حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الرابعة عشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص: ٤٢.

(٢) انظر: تيسير العلام، البسام، ٣٨٦/١-٣٨٧.

(٣) سورة البقرة: ٣٤.

لعدم سجوده بأنه أشرفُ خلقاً من آدم عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (١).

وقد عني القرآن الكريم والسنة المطهرة بموضوع الكبر، وتحريمه، وبيان مفسده، وعقوبته في الدنيا والآخرة، كما سيظهر من الأحاديث التالية:

(أ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) (٢) فِي صُورِ الرَّجَالِ يَعْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأَقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ (٣) تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَثْيَارِ (٤) يُسْقُونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ (٥).

يوضح الحديث عاقبة المتكبرين التعيسة البئيسة، فإن الله يحشرهم في غاية الذلِّ والمهانة، والحقارة، مشبهاً لهم بالذَّرِّ يطؤونهم الناسُ بأقدامهم لا يشعرون بهم جزاءً وفاقاً لأعمالهم، وقيل: يعني: صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر، ويحتمل أن يكون وجه التشبيه الصغر في الجثة، وأن يكون الحقارة والصغار (٦)، فإنهم كانوا يحتقرون الناس في الدنيا، ويتعاضمون عليهم، فكان جزاؤهم من جنس عملهم في المحشر، ثم تنتهي الرحلة بهم إلى النار ليشربوا من عُصَارَةِ أَهْلِهَا، وقد كانوا من قبل في الدنيا يتأففون مما يشربه سائر الناس، ويتعالون عن الآخرين في مطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم، ومرائبهم، ومساكنهم، فكانت تلك العاقبة الأليمة قضاءً من الله الحكيم العادل، وهو العزيز الحكيم. وفي هذا أبلغ الأثر لبغض الكبر والنفور منه.

(١) سورة الإسراء: ٦١.

(٢) أمثال الذر: مجاز أي: أذلاء مهانين يطأهم الناس بأرجلهم، بدليل قوله ﷺ: (يَعْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ). و الجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة ما نعة من إرادة المعنى الوضعي، والجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع. جواهر البلاغة، الهاشمي، ص: ٢٩٠-٢٩١، معجم البلاغة العربية، بدوي طيانة، ص: ١٤٦.

(٣) بُولَسَ: هكذا جاء في الحديث مُسَمًى. النهاية، ابن الأثير، ١/ ١٦٤.

(٤) الأثيار: لم أحده مشرووحاً، ولكن هكذا يُروى، فإن صحَّت الرواية فيحتمل أن يكون معناه نار الثيران، فجمع النار على أنيار. النهاية، ابن الأثير، ١/ ١٦٦.

(٥) سنن الترمذي، ح ٢٤٩٢، كتاب صفة القيامة والرفائق، باب ومنه، وقال: حديث حسن صحيح، ٦٥٥/٤، حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٠٢٥، ٣٠٤/٢.

(٦) انظر: الكاشف، الطنيسي، ح ٥١١٢، ١٠/٣٢٤٧-٣٢٤٨، تحفة الأوحدي، المبار كفوري، ٧ / ١٦٢-١٦٤.

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الحديثِ السابقِ ما يلي:

- أهمية أن يعتني الدعاء بموضوع الكبر باعتباره من أخطر المحرمات المفضية إلى دخول النار، فالؤمن متواضع، هين، لين، بينما المتكبر، متعاضم، شديد، غليظ، يؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ^(١) جَوَاطِ^(٢) مُسْتَكْبِرٍ^(٣)).

وقد كان التواضع من شمائله ﷺ كما يتضح من حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: (إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ)^(٤).

- من العناية بموضوع الكبر، أن يكشف الدعاء مفاصله على المرء في الدنيا والآخرة، ومن ذلك أنه يقود صاحبه إلى معارضة الوحي، والفرح في الأرض بغير الحق، وطلب العلو في الأرض والفساد^(٥).

- ينبغي للداعية المبارك الناحح عند معالجته للمحرّمات أن يعرض بعض اللطائف المتعلقة بها، وما يتلمسه العلماء من الحكمة التشريعية العظيمة، فيجلبها للناس ليكتمل الموضوع الذي هو بصدد عرضه وبيانه، ومن ذلك مثلاً لا حصراً فيما يتصل بالكبر ما قاله ابن القيم الجوزية - رحمه الله -: ((وأغنانا بالتكبر على أعداء الله تعالى، وإظهار الفخر والخيلاء لهم عن التكبر على أولياء الله تعالى والفخر والخيلاء عليهم، فقال لمن رآه يتبختر بين الصفيين: (إِنَّهَا لَمَشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ))^(٦).

(١) العتل: وهو الشديد الجافي، والفظ، الغليظ من الناس. النهاية، ابن الأثير، ١٨٠/٣.

(٢) الجواط: الجموع النوع. وقيل: الكثير اللحم المخال في مشيته. وقيل: القصير البطين. النهاية، ابن الأثير، ٣١٦/١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٠٧١، كتاب الأدب، باب الكبر، ٤٨٩/١٠.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٠٧٢، كتاب الأدب، باب الكبر، ٤٨٩/١٠.

(٥) انظر: الصواعق المرسله، ابن القيم، ١١٣١/٣.

(٦) أخرجه ابن هشام بتمامه، السيرة النبوية، ابن هشام، ١٣/٤، وابن سعد، ١٠١/٣، وأخرجه مسلم، ح ٢٤٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دجانة، عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُخِذَ، فقال: (مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا؟ فَيَسْطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِسْأَارٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: فَمَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ؟ قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ). إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ٧٠/٢.

- أهمية أن يبين الداعية الفقه الشرعي للكبر، والدوافع الحاملة على التكبر عن طاعة الله عز وجل. وأبرزها: هوى النفس، وإعجاب المتكبر بنفسه^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: ((سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: التكبر شرٌّ من الشرك، فإنَّ المتكبرَ يَتَكَبَّرُ عن عبادةِ اللهِ تعالى، والمُشركُ يعبدُ اللهَ وغيرَه. قلت: ولذَلِكَ جعلَ اللهُ النارَ دارَ المتكبرينَ كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)... وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣). وقال ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر: بطل الحق وغمط الناس^(٤)، ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه، فإنما تكبره على الله، فإن الله هو الحق وكلامه حق ودينه حق والحق صفة ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله، فإنما رده على الله وتكبر عليه^(٥).

- إن مما يبرز عناية الدعاة بأمر الكبر، أن يعرضوه كما عرضه الكتاب والسنة بطريقة ينتج عنها اشتزاز النفوس منه.

- تتأكد العناية بموضوع الكبر وتحريمه، ومفاسده، بعرض الدعاة لحقيقة مهمة للإنسان ومصيره، وهي قضية خطيرة ومهمة للغاية في حياة الناس، ألا وهي قضية: الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، وليست هذه القضية مختصة بالكبر، ولكن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أوضحها كعاقبة موافقة للمتكبرين، فيسعى المرء ويبادر لاجتناب الكبر والنفور منه.

(١) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص: ١٩٠.

(٢) سورة النحل: ٢٩.

(٣) سورة غافر: ٣٥.

(٤) صحيح مسلم، ح ٩١، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ٩٣/١.

(٥) مدارج السالكين، ٢/٣٣٢-٣٣٣.

فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً
وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ
وَاللَّهُ لَوْ جَرَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمَا
وَالكِبِيرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِ كَانَ
هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
لَأَتَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانِ (١)

- في الحديث دعوة قوية لمجانبة الكِبِيرِ، ولا سيما من أهل الخير والصلاح والعلم والفضل والدعوة إلى الله، والذي يُوكِّدُ هذه الدعوة المباركة الكريمة حال ذلك الرضيع وواقعه الذي يجسِّدُ صفاء الفطرة ونقاءها فيما يختص بصفة الكبر المذمومة والمنبوذة من كلِّ صاحب فطرة سوية، وهذا يؤكدُ أنَّ الكِبِيرَ من الأذناس والأرجاس التي تُدنِّسُ الفطرة؛ لذلك فإنَّ الله أَلْهَمَ ذلك الطفلَ، وأنطق لسانه بما هو حقٌّ، وفضلٌ، فياليت قومي يُدركون الشَّرَّ الناتج عن الكِبِيرِ، ولا سيما الدعاة والفضلاء منهم؛ لأنهم لن يصلوا إلى قلوب الناس وأفئدتهم إلا بخفض الجناح ولين الجانب، والتواضع الذي يزيدهم رفعةً وعُلُوًّا وتمكينًا، كما قال ﷺ: (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (٢).

سادسا- الزنى:

الزنى أقبح الفواحش وأشدُّ المحرِّمات خطراً على المجتمع الذي ينتشر فيه، وقد قرنه الله بالقتل فقال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٣). ووصفه بأقبح الأوصاف وأشدّها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٤). وحذّر الإسلام منه، ومن مقدماته: كالنظر المقصود إلى غير المحارم، وخروج المرأة من بيتها سافرةً أو متعطرةً، وخلوها بالأجنبيِّ، وأن تخضع بالقول؛ كل ذلك لئلا يقع الناس في هذا المحرِّم؛ لأن ما ذُكِرَ وسائل موقعة في فخّه، وشبّاكه، وحرصاً على إنقاذهم من عواقبه الوخيمة، في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما ورد في الحديث التالي:

(١) القصيدة النونية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، ط. القاهرة، مطبعة التقدم العلمية، ١٣٤٥هـ، ص: ٢٠٤، توضيح

المقاصد وتصحيح القواعد (شرح القصيدة النونية)، ابن القيم الجوزية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ، ٤٣٤/٢.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٥٨٨، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ٢٠٠١/٤.

(٣) سورة الفرقان: ٦٨.

(٤) سورة الإسراء: ٣٢.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا... فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ ^(١) فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا ^(٢) قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءٍ؟ قَالَا لِي: ... الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ^(٣)).

يوضح الحديث تحريم الزنى، وعقوبته في نار جهنم، مؤكداً ذلك بتمثيل مكان عقوبتهم بالتنور المؤجج بالنار، استعداداً للخبز فيه، والمقصود من التشبيه التأكيد بما هو مألوف عندهم، ومعروف محسوس، فيكون ما ذكره من العذاب الغيبي في جهنم كأنه مشاهد أمام أعينهم، فيقع الخوف والهرب منه بكل ما أمكن، فإن من يتقن أن مصيره في ذلك التنور، فأتى له أن يزني، ويتعرض لتلك العقوبة الشديدة.

ومما يستخلص من دروس وفقه دعوي في الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يبين الدعاة للمدعويين أضرار الزنى على الزناة وعلى المجتمع، ومن تلك الأضرار ما يلي:

١ - أن الزنى يؤدي إلى اختلاط الأنساب واشتباهاها، فنسبة المرأة الولد للرجل وهولغير أبيه يترتب عليه مفسد منها: الخلوة بينات الرجل على أنه أخوهن وهو ليس منهن، ويرثهن ولا حق له في ذلك.

٢ - انتهاك الأعراض وإحراق العار بالزانية وأهلها وتنكيس رؤوسهم.

٣ - يورث الفقر ويؤدي إليه.

٤ - عدم الرغبة في النكاح والزواج المشروع.

(١) التنور هو الذي يُخَبَّرُ فيه. النهاية، ابن الأثير، مادة: تنر، ١/١٩٩.

(٢) ضَوْضُوا: أي ضجوا واستغاثوا، والوضوضاء: أسواط الناس وغلبيتهم. النهاية، ابن الأثير، مادة: ضَوْضُوا، ٣/١٠٥.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٧٠٤٧، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ١٢/٤٣٨-٤٣٩، ح ١٣٨٦، كتاب الجنائز، ٣/٢٥١.

- ٥ - الأمراض الكثيرة، مثل: الزُّهْرِي^(١)، والسِّيْلَان^(٢)، والإيدز^(٣) وغيرها.
- ٦ - انحطاط الأخلاق والوصول إلى درجة البهيمية، والاعتداء على حدود الله بكل جرأة^(٤).

- ينبغي للدعاة أن يبينوا للمدعويين الحكمة من عقوبة حد الزنى. وفي إقامة حد الزنى حماية لنظام الأسرة ومحافظة على كيانها واستمرارها، وفيه صيانة للأنساب والذرية، وصيانة للأعراض من الانتهاك، وصيانة الأموال من صرفها في المحرمات.

- إن من العناية بموضوع الزنى: أن يجليّ الداعية التُّكَّتَ اللطيفة من عذاب الزناة والزواني في التنوير بتلك الصورة المذكورة في الحديث وهي: قوله: (فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا)، ((فإنَّ مناسِبَةَ العُرِيِّ لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنائتهم من أعضائهم السفلى))^(٥).

- إن إظهار العناية بموضوع الزنى يتطلب أن يزيد الداعية من تكثيف الشعور السلي لدى المدعويين تجاه هذا المحرم العظيم، واستقباحه شرعاً وعقلاً، وبيان أن فيه قتلاً من نواحٍ شتى؛ لأنه إراقةٌ لماء مادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالباً رغبةٌ في التخلص من الجنين

(١) الزُّهْرِي: مرضٌ ينتقل عادةً أثناء الجماع، أو عن طريق العدوى من المصابين به، ومن أعراضه: شعور المريض بالآلام تزداد بشدة، حتى يصل المريض إلى فقدان القدرة على توجيه حركات رجليه، وقد يفقد القدرة على التحكم في التبول والتبرز، ويجعل المريض أقرب إلى الميت منه إلى الحي. المرشد الطبي الحديث، وضعه: جماعة من الأطباء، بيروت، المكتبة الحديثة، دون تاريخ، ص: ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) السِّيْلَان: مرضٌ يسبب آلاماً، وشعوراً بحرقان في البول، مع ظهور إفراز صديدي سميك مصفر اللون قليلاً، يصيب الرجال والنساء، إلا أن الرجال أكثر إصابة به، عن طريق الجماع غير الشرعي، قبل وبعد الزواج. المرشد الطبي الحديث، جماعة من الأطباء، ص: ٣٤٣-٣٤٤.

(٣) الإيدز: مرضٌ يصيب الشاذين جنسياً، ولذا يسمونه: طاعون الشذوذ؛ لأن أغلبية المصابين به ممن مارسوا العلاقات الجنسية الشاذة، وكلمة: إيدز هي: الحروف الأولى لكلمات إنجليزية، تعني: عَجَزَ جهاز المناعة المكتسب، فيشل حركة الخلايا، وبتبعها من القيام بوظيفتها الكاملة في الدفاع عن الجسم. الأمراض الجنسية، إصدار سلسلة أسرتي، الشركة الشرقية للمطبوعات، بلون، ١٩٨٨م، ص: ٣٣-٤٠.

(٤) انظر: الأمراض الجنسية، نبيل صيحي الطويل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٣٩٥هـ، ص: ٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ١٢ / ٤٤٢-٤٤٥.

الناتج عنه، كما أن فيه قتلاً للجماعة التي تختلط فيها الأنساب، وتذهب الثقة في العرض، فتتفكك الروابط، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات^(١).

سابعاً- الكذب:

حرم الله الكذب وذمه وأهله؛ لأنه إخبارٌ بخلاف الواقع قصدًا للتفاخر، واهتمامِ الناسِ، وتكثيرِ المالِ، وغير ذلك من المقاصدِ، وكلُّ ذلك محرمٌ سواءً أكان بالقولِ، أم بالإشارةِ باليدِ، أم بهزِّ الرأسِ، أم السكوتِ؛ لأنه جماعٌ كلِّ شرٍّ، وأصلُ كلِّ ذمٍّ لسوءِ عواقبه، وخبثِ نتائجه^(٢).

وقد عني القرآنُ والسنةُ بشأنِ الكذبِ، وبيانِ حقيقتهِ ومفاسدهِ، وعواقبهِ، ومن ذلك ما ورد في الحديث التالي:

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضُرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورًا)^(٣).

يوضح الحديثُ خطورةَ الكذبِ مما يفيد تحريمه قطعاً، مبيناً عاقبته الأليمة، فإنَّ مَنْ كَذَبَ فِي حَدِيثِهِ، وَادَّعَى مَا لَمْ يُوْتِ، وَزَعَمَ مَا لَيْسَ لَهُ، وَأَسْنَدَ إِلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مُزَوَّرٌ لِلْوَقْعِ الْمُخَالَفِ لِمَا يَقُولُ. وَشَبَّهَهُ بِالْمُتَشَبِّعِ ((أي: المتزين بما ليس عنده يتكثّرُ بذلك، ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضرة، فتدعي من الحظوة عند زوجها أكثر مما عنده، تريد بذلك غيظَ زوجها، وكذلك هذا في الرجال. كأنَّ يلبسَ الرجلُ الثيابَ المُشَبَّهَةَ لِثِيَابِ الزُّهَّادِ يُوهَمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَيُظْهِرُ مِنَ التَّخَشُّعِ وَالتَّقَشُّفِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْهُ... وَالثَّوْبُ مَثَلٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ صَاحِبُ زُورٍ وَكَذِبٍ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ وُصِفَ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الْأَدْنَسِ: طَاهِرُ الثَّوْبِ، وَالْمَرَادُ بِهِ نَفْسُ الرَّجُلِ))^(٤).

(١) انظر: التداير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، فضل إلهي، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص: ٤٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٢١/٥.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص: ٢٥٣.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٥٢١٩، كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى عنه من افتخار الضرة، ١١/٢٣١، صحيح مسلم، ح ٢١٣٠، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط، ٣/١٦٨١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٩/٣١٧-٣١٨. بتصرف يسير.

قال الخطابي - رحمه الله -: ((كان يكون في الحي الرجل له هيئة، ونبلٌ، فإذا احتسج إلى شهادة زورٍ شَهِدَ بها، فلا يردُّ من أجل نبله، وحسن ثوبه))^(١).

ومما يُسْتَخْلَصُ من دروسٍ وفقهٍ دعويٍّ في الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة العناية بموضوع الكذب تحذيراً منه ومن عقوبته.
- من العناية بالدعوة إلى ترك المحرمات أن يوضح الدعاة أن الكذبَ خصلةٌ لا يرتضيها ذو عقلٍ سليمٍ؛ لما يجره على المرء من المفاصد الكثيرة، والتي منها:
 - ١ - نظرة الناس إليه بعين الخيانة.
 - ٢ - الكذب دليلٌ على حقارة الشأن وخسة النفس.
- ضرورة أن يبرز الدعاة خطورة الكذب ببيان أن الكذاب يقلب الحقائق فيدني البعيد، ويعد القريب، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، وهو لصٌّ؛ لأنه يسرق عقلك، كما أن اللصَّ يسرق مالك^(٢).

ومن توجيهات الخليفة عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - لبعض عمّاله: ((إياك أن تستعين بكذوبٍ، فإنك إن تُطِعَ الكذوبَ تَهْلِكُ))^(٣).

- ينبغي أن يطالع الدعاة إلى معاملات الناس، ويختلطوا بهم، ثم يقوموا بتوجيه الدعوة الناصحة المشفقة عليهم فيما يخص معاملاتهم، وعلى رأس ذلك الغش والتدليس والхلف الكاذب، وغير ذلك من أمور الكذب في البيع والشراء.
- إن من العناية بهذا الحرّم الخطير، أن يقوم الدعاة بكشف افتراءات الكاذبين على الدين، وحديث سيد المرسلين، فبيئتها الداعية، ويبين وجوب ذلك على الأمة الإسلامية أن تقوم بدفع الكذب عن دينها، وعن نبيها، عليه الصلاة والسلام القائل: (مَنْ يَقْلُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)^(٤).

(١) معالم السنن، الخطابي، ٢٨٥/٧.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص: ٢٥٣.

(٣) مساوئ الأخلاق ومذمومها، الخرائطي، ص: ٦٧.

(٤) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٠٩، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ٢٠١/١.

- مما ينبغي أن يعنى به الداعية فيما يتعلق بخطورة موضوع الكذب، أن يبين زيف الادعاءات الباطلة، وضعفها، وبطلانها، فمن ادعى أنه غني وليس كذلك، كان مدعيًا باطلًا، ومن ادعى أن فلانًا أبوه وليس كذلك، كان مدعيًا باطلًا، ومن انتسب إلى قبيلة، أو جماعة، ونحو ذلك، وهو ليس منهم، كان مبطلًا في دعواه، ومن قالت: إن زوجها يعطيها، وتبالغ في ذلك، وليس الأمر كما تقول كانت كاذبة مزورة، ومن زعم أن هذا المركب أو المنزل له، ونحو ذلك، وهو لا يملكه، كان كاذبًا متشبعًا بما لم يؤت، يستحق عقوبة الكاذبين ومصيرهم.

وقد ورد في الحديث تحذيرٌ شديدٌ من مثل تلك الادعاءات كقوله ﷺ: (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لغيرِ أبيه وهو يعلمه إلا كفرَ، ومن ادَّعى قومًا ليسَ له فيهم، فليتبوا مقعده من النار) (١).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من ادَّعى ما ليسَ له، فليسَ منا، وليتبوا مقعده من النار) (٢).

- من البيان المهم لموضوع مفسد الكذب وخطورته، العناية بتوضيح خطورة الكذب في الرؤى المنامية، فمن مدَّع أنه رأى النبي ﷺ في نومه، وآخر رأى كذا وكذا، إلى غير ذلك مما يقوله الإنسان ويدعيه ولم يحصل من ذلك شيء، فإنه يكون كاذبًا متشبعًا بما لم يعط وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: (ومن رآني في المنام، فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوا مقعده من النار) (٣).
وقال ﷺ: (من كذب في حلمه كلف يوم القيامة عقد شعيرة) (٤).

- من العناية بموضوع هذه الكبيرة من كبائر الذنوب أن يوضح الدعاة بعض مظاهرها التي قد تخفى على بعض الناس، ومن تلك المظاهر للكذب ما يلي:

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٥٠٨، كتاب المناقب، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل، ٥٣٩/٦، صحيح مسلم، ح ٦١، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ٧٩/١-٨٠.

(٢) سنن ابن ماجه، ح ٢٣١٩، كتاب الأحكام، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه، ٧٧٧/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ح ١٨٧٧، ٣٥/٢.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦١٩٧، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ٥٧٨/١٠.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٢٨١، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في الذي يكذب في حلمه، قال: هذا حديث حسن، ٥٣٨/٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي،

ح ١٨٦٠، ٢٦٠/٢. سنن الدارمي، ح ٢١٤٥، كتاب الرؤيا، باب النهي عن أن يحتلم الرجل رؤيا لم يرها، ١٢٥/٢.

١- الكذب في المواقف المحرجة ككذب الموظف المتأخر على رئيسه، والزوج على زوجته والعكس، والولد على أبيه والعكس، والمدرس على طلابه والعكس، إما خوفاً من اللوم والعتاب، أو العقاب، وغير ذلك.

٢- الكذب في الشجارات والنزاعات وعند الخصومات، وهذا خطير؛ لأنه من علامات النفاق الأربع التي حذرنا منها النبي ﷺ وهي: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)^(١).

٣- الكذب لإفساد ذات البين. باختلاق الأحاديث بينهم، والأباطيل، ليفرق بين المجتمعين المتحايين، فتقطع الأواصر.

٤- كذب الأقران على بعضهم، ومبعثه الحسد الذي يوحده الشيطان بينهم.

٥- نشر الافتراءات، والأكاذيب على أعدائه والمخالفين له، ويلجأ الكاذب لذلك؛ ليشفي غليله، ويروي برد كبده، نكايه بهم.

ثامناً- الغيبة:

الغيبة من المحرمات العظيمة والخطيرة التي لا يسعى إليها إلا من قل إيمانه، وتضاعفت سيئاته، وحبطت حسناته، دون أي نفع يعود عليه في دنياه وآخرته، لأن المرء يخوض فيها إما: مجاملةً لجلسائه، أو سخرية بالآخرين، أو حسداً، أو طلب كسب ونحو ذلك من الأمور التي لا جدوى من ورائها، ولا فائدة تُرتجى، فيعود المغتابُ بحسرة وندامة وخسارة واضحة؛ لذلك حذر منها القرآن الكريم، والسنة النبوية.

وأعظم ما ورد في الغيبة تنفيراً منها قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

فإن الآية أبانت عن المغتابِ وحقيقة غيبته بأنها نهشٌ وأكلٌ من جيفة، فمن يرضى أن يأكل من الجيف؟!.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٣٤، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، ٨٩/١، صحيح مسلم، ح ٥٨، كتاب الإيمان، باب خصال النفاق، ١/٧٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

وقد ورد التأكيد على تحريم الغيبة في صحيح سنة المصطفى ﷺ، ومما ورد من أحاديث الأمثال مبيِّناً خطرَها، وضررها ما يلي:

عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كَسَى ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١). يوضح الحديث أن مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً بَاغْتِيَابِهِ، وَالْوَقِيعَةَ فِيهِ، أَوْ بَتَعَرُّضِهِ لَهُ بِالْأَذِيَّةِ عِنْدَ مَنْ يِعَادِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يِعَاقِبُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَنْ مَنْ كَسَى ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ، بِذَهَابِهِ إِلَى عَدُوهِ، فَيَتَكَلَّمُ فِيهِ بِغَيْرِ الْجَمِيلِ لِيُجِيزَهُ عَلَيْهِ بِجَائِزَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَأَنْ مَنْ أَقَامَ رَجُلًا مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ، وَوَصَفَهُ بِالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالكِرَامَاتِ، وَشَهَّرَهُ بِهَا، وَجَعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى تَحْصِيلِ أَغْرَاضِ نَفْسِهِ وَحَطَامِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ يِعْذِبُهُ وَيَشَهِّرُ بِهِ^(٢).

إن تشبيه العقوبة في الآخرة بالأكل، والكسوة، والتشهير فيه مبالغة، تدلُّ على أن العقوبة في الآخرة أشد وأنكى، وأما مما يجب الحذر منه، ولقد أوضح التشبيه خطورة الأمور المذكورة، وأكدَّ سوء العاقبة، وعظم الفضيحة، والنهاية بالعذاب والعقوبة التي لا تُحتمل ولا تُطاق.

ومما يُستخلص من دروسٍ وفقهٍ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- تُلح الضرورة اليوم على الدعاة أن يعنوا بموضوع الغيبة؛ لأنها من المحرمات الخطيرة والمنتشرة بين الناس انتشار النار في الهشيم، ولا يكاد مجلسٌ من مجالس الناس اليوم يخلو منها، دون استثناءٍ لنوع وطبقةِ الجلساء فيه، مما يوجب على الدعاة مرارًا وتكرارًا الدعوة إلى استئصال هذا الداء العضال مبيِّنين خطرَه، وعقوبته، ومن ذلك ما ورد في حديث أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ^(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ

(١) سنن أبي داود، ح ٤٨٨١، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ١٩٥/٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٩٨/٣.

(٢) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ١٥٤/١٣.

(٣) نضلة بن عبيد الأسلمي، مشهور بكنيته، وكان إسلامه قديمًا، شهد فتح خيبر، وفتح مكة، وحينما شهد مع علي قتال الخوارج بالنهروان، ويقال: إنه شهد صفين والنهروان مع علي، نزل البصرة، وله بها دار، ثم سار إلى خراسان ونزل مرو، ثم عاد إلى البصرة، ومات بمرو، ودفن في مقبرة كلاباذ، وقيل: غير ذلك، سنة أربع وستين، وقيل: في خلافة معاوية. والله أعلم. انظر: الإصابة، ابن حجر، ٥٢٦/٣-٥٢٧.

قَلْبُهُ. لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ^(١).

- من العناية بموضوع الغيبة أن يوضح الداعية مفهوم الغيبة، وحقيقتها، والتي تتضح من خلال حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ^(٢)).

- إنَّ مما ينبغي ذكره والعناية به عندما يمارس الدعاة الدعوة في حديثهم عن الغيبة أن يبينوا استكمالاً لموضوعها، وتمييزاً لها: متى تجوز ومتى لا تجوز^(٣).

تاسعاً- شرب الخمر:

إنَّ الله تعالى حرّم الخمر لتأثيرها في عقل شاربيها، ودفعه لاقتراف أبشع الجرائم، والمنكرات التي لا يُقدّم عليها في حال صحّوه، وقد ((بين الله تعالى في الخمر مفسدتين: مفسدة في الناس، فإن شاربيها يخاصم القوم، ثم يعدو عليهم، ومفسدة فيما يرجع إلى تهذيب نفسه، فإن شاربيها يغوص في حالة بهيمية، ويزول عقله الذي به قوام الإحسان))^(٤).
إنَّها أمُّ الخبائثِ يحرم شربها، وبيعها، وحملها، والجلوس على مائدتها ومع من يتعاطها، وقد أمر الله جل وعلا باجتنابها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥) والاجتناب أقوى من التحريم؛ لأن كلمة اجتنابه تحمل معنى التحريم القاطع، وعدم الاقتراب منه تماماً^(٦).

وسيطر خطرهما، وشؤمهما، وعناية النبي ﷺ بالدعوة لاجتنابها من خلال الأحاديث التالية:

(١) سنن أبي داود، ج ٤٨٨٠، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ١٩٤-١٩٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ج ٧٨٦١، ٦/٣٠٨.

(٢) صحيح مسلم، ج ٢٥٨٩، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ٤/٢٠٠١.

(٣) وقد ذكر بعض العلماء ستة أسباب تبيح الغيبة، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤٢/١٦-١٤٣، رَفَعُ الرَّيْبَةِ عَمَّا يَجُوزُ وَمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْغَيْبَةِ، محمد علي

الشوكاني، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ، ص: ١٣-١٤.

(٤) حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ، ١٦٤/٢.

(٥) سورة المائدة: ٩٠.

(٦) انظر: أسئلة حرجة وأجوبة صريحة، محمد متولي الشعراوي، بيروت، دار العودة، ١٩٨٦م، ص: ٣٤-٣٥.

أ) من حديث وفادة عبد القيس^(١) وفيه: فَقَالَ الْأَشْحُجُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضٌ ثَقِيلَةٌ، وَخِمَةٌ، وَإِنَّا إِذَا لَمْ نَشْرَبْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةَ هَيْجَتَ الْوَأْنَانَا، وَعَظُمَتِ بُطُونُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْتَّقِيرِ، وَلَيْشْرَبَ أَحَدُكُمْ فِي سِقَاءِ يِلَاثٍ عَلَى فِيهِ، فَقَالَ: لَهُ الْأَشْحُجُّ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَخَّصْ لَنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ وَأَوْمَأَ بِكَفَّيْهِ، فَقَالَ: يَا أَشْحُجُّ، إِنِّي إِنْ رَخَّصْتُ لَكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ، وَقَالَ بِكَفَّيْهِ هَكَذَا شَرِبْتَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ، وَفَرَّجَ يَدَيْهِ، وَبَسَطَهَا يَعْنِي: أَعْظَمَ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا ثَمِلَ أَحَدُكُمْ مِنْ شَرَابِهِ قَامَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ، فَهَزَرَ سَاقَهُ بِالسَّيْفِ. وَكَانَ فِي الْوَفْدِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَضَلٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ، قَدْ هُزِرَتْ سَاقُهُ فِي شَرَابٍ لَهُمْ فِي بَيْتٍ تَمَثَّلَهُ مِنْ الشَّعْرِ فِي امْرَأَةٍ مِنْهُمْ، فَقَامَ بَعْضُ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَهَزَرَ سَاقَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ الْحَارِثُ: لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَعَلْتُ أَسْدُلُ ثَوْبِي، فَأَعْطِي الضَّرْبَةَ بِسَاقِي، وَقَدْ أَبَدَاهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)^(٢).

ب) عن عليٍّ عليه السلام وفيه: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا لَكَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ! عَدَا حَمْزَةٌ عَلَى نَاقَتِي، فَأَجَبَ^(٣) أَسْنَمْتَهُمَا، وَبَقَرَ^(٤) حَوَاصِرَهُمَا، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبَ^(٥)، فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ بِرِدَائِهِ، فَارْتَدَى، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي، وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةٌ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنُوا لَهُمْ، فَإِذَا هُمْ شَرِبُوا، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ، فَإِذَا حَمْزَةٌ قَدْ ثَمِلَ^(٦) مُحْمَرَةً عَيْنَاهُ، فَنَظَرَ حَمْزَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرَ، فَنَظَرَ

(١) عبد القيس: قبيلة كانت مواطنهم في المنطقة الشرقية على ساحل الخليج العربي، لعلها في المنطقة الشرقية من السعودية، وفدوا على رسول الله سنة ٩ هـ. المعالم الأثرية،

محمد شراب، ص: ١٨٦.

(٢) المسند، ح ١١١٧٥، قال محققه: ((وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح ١١٩٨، وبعض ألفاظ هذه الرواية من حديث أبي سعيد الخدري، وإسناده صحيح على شرط

مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي نصرته، فمن رجال مسلم، وهو ثقة)). ٢٦٦/١٧، مجمع الزوائد المهيتمي، ١٧٨/٨، وقال: ((رواه أحمد ورجاله ثقات)).

(٣) أَحَبَّ: الْحَبُّ الْقَطْعُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: قَطَعَ أَسْنَمْتَهُمَا. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: حب، ٢٣٣/١.

(٤) الْبَقْرُ: الشَّقُّ وَالتَّوْسِيعُ، وَبَقْرْتُ بَطْنُهُ: أَي فَتَحْتُهُ. انظر: النهاية، ابن الأثير، مادة: بقر، ١٤٤/١-١٤٥.

(٥) الشَّرْبُ: الْجَمَاعَةُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ. النهاية، ابن الأثير، مادة: شرب، ٤٥٥/٢.

(٦) الثَّمِيلُ: الَّذِي أَحْذَى مِنْهُ الشَّرَابُ وَالسُّكْرُ. النهاية، ابن الأثير، مادة: ثمل، ٢٢٢/١.

إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةٌ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ تَمَلَّ،
فَنَكَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى وَخَرَجْنَا مَعَهُ^(١).

إن قصة وفادة عبد القيس، وقصة حمزة تؤكدان ما تصنعه الخمر في عقل صاحبها،
فيغيب عن الإدراك والوعي والتمييز، فيتصرف أسوأ التصرفات، ويتلفظ بأقبح الألفاظ،
ويخرج عن السيطرة على أفعاله وأقواله، ومع كل ما تحمله الخمر من المفسد
والأضرار إلا أن المروجين لها وشاربيها يستحلونها، ويسمونها بغير اسمها، كما هو واضح
من الحديث التالي:

(ج) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا
يُكْفَأُ^(٢) (بِعَنِي الْإِسْلَامَ) كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفْيَ الْخَمْرِ، فَقِيلَ: فَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ بَيَّنَّ
اللَّهُ فِيهَا مَا بَيَّنَّ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُسْمَوْنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، فَيَسْتَحِلُّونَهَا)^(٣).

يوضح الحديث تلاعب الناس بما حرم الله، وتنوع احتياهم للوصول إلى ما حرم، ومن
ذلك تناول الخمر والاتجار بها، متخذين لها أسماء ليستحلوا تحريمها^(٤). ومن ذلك: أن
بعض الناس ((يشربون النبيذ المسكر المطبوخ، ويسمونهم طلاءً تخرجاً من أن يسموها خمراً،
فيتوصلون بذلك إلى استحلال ما حرم الله عليهم منها إجماعاً، ونظيره تسمية الربا
معاملة)^(٥).

ومما يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- ينبغي للدعاة أن يعنوا ببيان زيف الدعاوى والدعايات المروجة للخمر ومن يُحَسِّنُهَا
للناس؛ ليحققوا أرباحاً مالية. فما أعظم خسارة هؤلاء! وما أحقر ما يطلبون! إنها العاجلة
الغرارة، إنها العاجلة الفانية التي يذهب حُسْنُهَا ويبقى سُوءُهَا، فَيَا بؤْسَ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا
وجعلها همَّه وشُغْلَهُ الشاغل؛ لأنه سيخرج منها خِلاً وحيداً فريداً لن يأخذ سوى

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ح ٣٠٩١، كتاب فرض الخمس، ١٩٦/٦، صحيح مسلم، ح ١٩٧٩، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير
العنب، ١٥٦٨/٣.

(٢) يُكْفَأُ: من كَفَأْتُ الْقَدْرَ، إِذَا كَبَيْتَهَا؛ يُفْرَغُ مَا فِيهَا. يُقَالُ: كَفَأْتُ الْإِنَاءَ إِذَا كَبَيْتَهُ، وَإِذَا أَمَلْتَهُ. النِّهَايَةُ، ابْنُ الْأَثِيرِ، مَادَّةُ: كَفَأَ، ١٨٢/٤.

(٣) سنن الدارمي، كتاب الأشربة، باب ما قيل في المسكر، ح ٢١٠٠، ١١٣/٢، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٨٩، ١٧٩/١.

(٤) انظر حاشية السندي، ٣١٣/٨.

(٥) فيض القدير، المناوي، ٩٧/٤.

الكفن؛ فأى تجارة هذه؟ وأي زاد هذا! لذلك نفر منها الصالحون، وعبروا بها إلى الدار الآخرة وأخذوا منها ما يُصْلِح آخِرَتهم، وتركوا ما عداها؛ لذا فإن حب الدنيا على رأس الأسباب المفضية لتجارة الخمر وترويجها وتعاطيها والإعراض عن دعوة الخير.

- من العناية بموضوع الخمر أن يؤكد الداعية على تحريمها؛ لأنه مما عُلِمَ بالضرورة، ومن استحلها دون تأويل خرج من دائرة الإسلام. كما يبين أن الحكم يدور مع العلة في تحريم الخمر، وهو الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم^(١).

- أن يَعْرضَ الداعية الشبه التي يتشبه بها المتعاطون للخمر ومن ذلك:

١- الزعم أنها دواء. وردّ هذه الشبهة فإنه ثبت أنها تسبب ارتفاع ضغط الدم، واحتقان المعدة وغير ذلك^(٢).

٢- الزعم أنها منشطة. وردّ هذه الشبهة ما ثبت أن عشرة ((جرامات)) من الكحول إذا وصلت إلى الجسم يكون لها أثر في جسم الشارب وعقله، وبالفحص له يتبين أن درجة إدراكه وتقديره قد تغيرت فعلاً، فمثلاً إذا كتب على الآلة الكاتبة زادت أخطاؤه عن المعتاد وإذا قاد السيارة لم يتبع أنظمة المرور.

- ينبغي للدعاة أن يبينوا للمدعوين الآثار السلبية لشرب الخمر، ومن تلك الآثار:

الاعتداء على العقل، والبعد عن الله، وفقد المسؤوليات والأعمال المكلف بها المرء، وتضييعه لمن يعول، والأمراض الخطيرة، وتأثيرها على النسل وإماتة الحيوانات المنوية، وانتشار البغضاء والعداوات، وكثرة الحوادث التي يؤدي إليها السكر، والإضرار بالأمن.

- يجب أن يعتني الدعاة بموضوع الخمر في هذه الأزمنة، فيوضحوا في دعوتهم الكريمة الحكمة من تحريم الخمر، وعقوبتها في الدنيا والآخرة، ومن تلك الحكمة ما يلي:

١- ضررها على الأبدان والصحة عموماً. ومن يدعي أن فيها منافع، فقد غلط، قال الإمام الصنعاني^(٣): ((كل ما يقول الأطباء من المنافع في الخمر وشربها كان عند شهادة

(١) انظر فتح الباري، ابن حجر، ١٠ / ٥١.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طيّارة، بيروت، دار العلم للملايين، ط. الرابعة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ص: ٤١٠ - ٤١١.

(٣) السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير، الإمام الكبير المجهّد المطلق صاحب التصانيف، ولد ليلة الجمعة، نصف جمادى

الآخرة، سنة ١٠٩٩هـ، بكحلان، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧هـ، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها، وبرع ==

القرآن أن فيها منافع للناس قبل. وأما بعد نزول آية المائدة، فإن الله تعالى الخالق لكل شيء سَلَبَهَا المنافع جملةً، فليس فيها شيء من المنافع، وبهذا تسقط مسألة التداوي بالخمير^(١).

٢- إيقاع الخصومات، والعداوات بين الناس.

عاشراً- الخوف من الناس والجرأة على الله:

إن من العجب أن يخشى أهل الفجور من الناس، ولا يخشون من الله، ويخافون المخلوق، ويأمنون الخالق، ويحتفون عن أعين الناس لمقارفة المنكرات دون مراقبة الله تعالى. والله مطلع عليهم، وهو معهم أينما كانوا. والله در القائل شعراً:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللهُ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ^(٢)

فمن تجرأ على الله في خلواته، فقد عرض نفسه للهلاك، والخسران، والفضيحة، والخذلان، كما هو واضح من الحديث التالي:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِمَهْمَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا. قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ^(٣)) لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا^(٤).

يوضح الحديث خطورة الجرأة على الله، وعدم مراقبته، وعدم تعظيم هذه الفئة لله عز وجل في خلواتهم، فهم يعملون أعمالاً صالحةً كثيرةً، وعظيمةً، شبهها النبي لعظمتها، وميزانها في الإسلام كأمثال الجبال إلا أن الله تعالى بعدله، وحكمته يجعلها هباءً لا نفع فيها؛ لانتهاكهم حُرْمَاتِ اللهِ، واستخفافهم بعينه التي ترقبهم، وملائكته التي تكتب

== في جميع العلوم، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد، تجمع العوام لقتله مرات وحفظه الله من كيدهم، ومكرهم، وكفاه شرهم، وما زال

في عن من أهل عصره، له مصنفات جليلة حافلة، توفي رحمه الله سنة ١١٨٢ هـ، يوم الثلاثاء، ثالث شهر شعبان. البدر الطالع، الشوكاني، ١٣٣/٢-١٣٩.

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر، ٣٦/٤.

(٢) البيت منسوب، للإمام الشافعي، وقد رجعت إلى الديوان، بتحقيق محمد عفيف الزعبي، فلم أعر عليه.

(٣) جلا: أي كشف وأوضح، أي أكشفهم ووضحهم. النهاية، ابن الأثير، مادة: جلا، ٢٩٠/١.

(٤) سنن ابن ماجه، ح ٤٢٤٥، كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، ١٤١٨/٢، وضححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح ٥٠٥، ٣٢/٢.

الصغيرة والكبيرة في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، فَحَرِّمُوا من بركة تلك الأعمال، وسقطوا من عين الله الكبير المتعال.

وما يُسْتَخْلَصُ من دروسِ وَفْقِهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

- ضرورة أن يبين الداعيةُ وجوبَ مراقبةِ الله، واستحضارِها سرًّا وَعَلْنًا.
- من العناية بهذا الموضوع أن يؤكد الدعاءُ خطورةَ انتهاكِ المحرماتِ في الخفاء؛ لأنها دليلٌ على نقص الإيمان، وقلةِ الحياءِ من الله.

- أن يبرز الداعيةُ مغازيَ الحديث، والتي منها تذبذبُ هذا الصنفِ من الناس وتلوُّثُهم، حيث يُظهِرُونَ الصلاحَ والتقوى، ويدعون الناس لها، ثم هم يقترفون ما حرَّم الله.
- أن يؤكد الدعاءُ على قضية عدمِ الاغترارِ بالهيئات والصور؛ لأنَّ العبرة بإيمان القلوب، ومراقبةِ علام الغيوب.

- أن يبرز الداعيةُ خوفَ الصحابةِ الكرامِ الأبرارِ من الوقوع في ذلك، فإنهم رضوان الله عليهم طلبوا من رسول الله وصف أولئك الذين يعملون، ولا ينتفعون بأعمالهم؛ ليحسبوا طريقهم. ومن دون الصحابةِ أجدر بالخوف وأولى، مما يعني وجوبَ عنايةِ الدعاءِ بتربية أنفسهم على مراقبةِ الله، والعملِ بمرضاته سرًّا وَعَلْنًا، ودعوةِ الناس إلى ذلك.

الحادي عشر - اللَّعْنُ والتكفيرُ:

إن اللعن والتكفير من المحرمات التي تفاقم شرُّها، وتعاضمَ خطرُها، وفرقت بين أفراد المجتمع المسلم، وأضعفت تماسكه. وقد نشأ اللعن والتكفير عن الغلو والإفراط في تغليب نصوص الوعيد، وهو مذهب الخوارج الذين ضلوا في بيان حقيقة الإيمان، فجعلوه بشقيه شيئاً واحداً، إذا زال بعضُه زال جميعه، فأتتج هذا مذهبهم الضالُّ، وهو تكفيرٌ مرتكب الكبيرة، ففتح باب التكفير على مصراعيه، مما أصاب الأمة بالتصدع، والانشقاق، وهتك حرمة المسلم في دينه وعرضه^(١)؛ لذا فإن الحاجة شديدة للعناية بهذا الموضوع نُصَحًا للأمة وحرصاً على وحدتها، وستظهر خطورةُ اللعن والتكفير من خلال الحديث التالي: عَن

(١) انظر: درء الفتنة عن أهل السنة، بكر بن عبد الله أبو زيد، الرياض، دار العاصمة، ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص: ٢٤.

ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ^(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِه فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)^(٢).

يعرض الحديث بكل وضوح كبيرتين من كبائر الذنوب يجب على المسلم الابتعاد عنهما. وهاتان الكبيرتان هما: الأولى: لعن المؤمنين، والثانية: تكفيرهم. وكلاهما شَبَّهَهُمَا النبي ﷺ بالقتل، فكما أن القتلَ جريمةٌ عظيمةٌ، وكبيرةٌ محرمةٌ، فكذلك اللعنُ والتكفير، وهذا يؤكد تحريمهما والدعوة للنفور منهما مما يدل على الحماية الكريمة لأعراض المسلمين وأديانهم.

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أن يؤكد الداعية في دعوته على الابتعاد عن اللعن والتكفير وخطورتهما، وما يلحق بهما من سيابٍ وأذىٍ للآخرين.

- إن مما ينبغي أن يعتني الدعاة به لمعالجة قضية اللعن والتكفير أن يبينوا للناس أن التكفيرَ حكمٌ شرعيٌّ توقيفي لا مجالٌ للاجتهاد للعقل فيه، فهو حق لله ولرسوله، لا يجوز لأحدٍ إصداره من تلقاء نفسه.

- إن من العناية بهذا الموضوع أن يقوم الدعاة ببيانه بياناً واضحاً بعدم إطلاق التكفير على أحدٍ من المسلمين إلا بالدليل، والحجة، من الكتاب أو السنة أو الإجماع، ولا يكفي الدليل الضعيفُ السند، ولا ما أشكَلَتْ وَخَفِيَتْ دِلَالَتُهُ.

- ضرورة البيان الواقي في زمن الفتن المائجة، والزعزعة الأمنية، لخطر الأفكار الهدامة، والخارجة على جماعة المسلمين وأولياء أمورهم، والداعية لإلغاء المرجعية الشرعية للعلماء، والانفراد بالآراء المبتدعة والضالة.

(١) ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب الأنصاري الأشعبي، شهد بيعة الرضوان، وشهد بدرًا، وكان رديف النبي ﷺ يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد، وكان ممن بايع تحت الشجرة، اختلف في سنة وفاته، وقيل مات سنة أربع وستين للهجرة. الإصابة، ابن حجر، ١/١٩٥.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦١٠٥، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ١٠/٥١٤، صحيح مسلم، ح ١١٠، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه، ١/١٠٤، سنن الترمذي، ح ٢٦٧٠، كتاب العلم عن رسول الله، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، قال أبو عيسى: هذا

الحديث غريب من هذا الوجه، ٥/٤١، السلسلة الصحيحة، ح ١٦٦٠، ٤/٢١٦-٢١٧.

- استثمار الداعية مثل هذا الحديث النبوي في الدعوة لمواجهة الأعمال التخريبية والإرهابية، فإن من يُقدم على مثل هذه الأعمال الإجرامية ينطلق من سخطه على المؤمنين، ولعنهم، ومقتهم، ورميهم بالكفر، واستحلال دمائهم.

- تتأكد عناية الدعاة بهذا الموضوع^(١) من خلال عدة أمور منها:

الأول- التفریقُ بين التكفير المطلق، وبين التكفير المعين.

الثاني- عدم تكفير كلِّ مخالفٍ من أهل السنة والجماعة، بل إن الحكم يكون حسب مخالفته من كفر، أو بدعة، أو فسق، أو معصية.

الثالث- أن الكفر شُعبٌ متعددة، ورُتبٌ ودرجاتٌ متفاوتة، أشنعها الكفرُ المخرجُ عن الملة، كالكفر بالله، وتكذيب ما جاء به النبي ﷺ. وهناك كفر دون كفر.

الرابع- أنه لا يصدرُ الحكمُ بالتكفير إلا من العلماء الراسخين في العلم الشرعي المعروفين بالخيرية، والصلاح، والفضل.

الخامس- أن المسلمَ منهيٌّ عن سوء الظن بالمسلمين، فكيف يجروا على تكفيرهم؟! ويتسرع في لعنهم بلا حجة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟! مع ورود النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على تحريم هذا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٢) قوله ﷺ (وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوٌّ لِلَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ^(٣) عَلَيْهِ)^(٤).

- يجب على دعاة الإسلام اليوم أن تتضافر جهودهم لكشف هذه الفتنة للمسلمين؛ لئلا يخوضوا فيها، ويقعوا في شراكها، وأن لا يتوانوا في بيان خطرها في كل مناسبةٍ تسنح لهم في المجالس الخاصة، والمجتمعات العامة، ووسائل الإعلام من إذاعة، وتلفاز، ومجلات، وصحفٍ.

(١) انظر: درء الفتنة، بكر أبو زيد، ص: ٢٣-٥٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٣) حار عليه: أي رجع عليه ما نسب إليه. النهاية، ابن الأثير، مادة: حور، ١/٤٥٨.

(٤) صحيح مسلم، ح ٦١، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ١/٨٠.

ثاني عشر - هَجْرُ الْمُسْلِمِ:

عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ (١) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفَكَ دَمَهُ) (٢).

يوضح الحديث عِظَمَ هَجْرِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ دُونَ مَوْجِبٍ لِدَلِكِ، وَأَنَّهُ خَطِيرٌ وَمَحْرَمٌ، وَقَدْ أَكَّدَ خَطَرَهُ التَّشْبِيهُ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّ الْمَهْجَرَ كَسَفَكَ الدَّم.

ذَكَرَ الطَّيْبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أَنَّ (مَهَاجِرَةَ الْأَخِ الْمُسْلِمِ سَنَةً تَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ، كَمَا أَنَّ سَفْكَ دَمِهِ يَوْجِبُهَا. فَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالسَّفْكِ مِنْ حَيْثُ حَصُولِ الْعُقُوبَةِ بِسَبَبِهَا لَا أَنَّهُ مِثْلُهُ فِي الْعُقُوبَةِ؛ لِأَنَّ الْقَتْلَ عُقُوبَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَكُونُ بَعْدَ الشَّرْكِ أَعْظَمُ مِنْهُ، فَشَبَّهَ الْمَهْجَرَ بِتَأْكِيدٍ فِي الْمَنْعِ عَنْهُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ) (٣). يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّهَاجَرَ فَوْقَ الثَّلَاثِ حَرَامٌ، وَرَاكِبُهُ رَاكِبُ الْإِثْمِ، فَإِذَا امْتَدَّ إِلَى مَدَّةٍ يَهْجُرُ فِيهَا الْغَائِبُ وَالْمَسَافِرُ عَنْ أَهْلِهِ غَالِبًا بَلَغَ التَّهَاجِرُ وَالتَّقَاطُعُ إِلَى الْغَايَةِ، فَيَبْلُغُ إِثْمُهُ أَيْضًا إِلَى الْغَايَةِ. وَهَذَا مَعْنَى تَخْصِيصِ ذِكْرِ السَّنَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ) (٤).

وَمَا يُسْتَخْلَصُ مِنْ دُرُوسٍ وَفِقْهِ دَعْوِيٍّ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ مَا يَلِي:

- أَهْمِيَّةُ عِنَايَةِ الدَّعْوَةِ بِقَضِيَّةِ الْمَهْجَرِ، وَبَيَانُ حَرَمَتِهَا دُونَ سَبَبٍ مَوْجِبٍ، فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.
- مِنَ الْعِنَايَةِ بِمَوْضُوعِ الْمَهْجَرِ الْحَرَمِ أَنَّ يَقُومُ الدَّعَاةُ بِذِكْرِ الْمَفَاسِدِ النَّاتِجَةِ عَنِ هَجْرِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالتِّي مِنْهَا:
- ١ - قَدْ يَصَابُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِانْتِكَاسَةٍ، وَبَعْدُ عَنِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.
- ٢ - إِشْعَالُ الضَّغِينَةِ، وَالْحَقْدِ فِي النَفُوسِ.
- ٣ - ضَعْفُ الصَّلَاتِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُؤْمِنِينَ.
- ٤ - تَأْخِيرُ رَفْعِ أَعْمَالِ الْمُتَشَاحِنِينَ وَالْمَتَهَاجِرِينَ.
- مِنْ فِقْهِ هَذَا الْمَوْضُوعِ وَضُرُورَةِ عِنَايَةِ الدَّعَاةِ بِهِ أَنَّ يَقُومُوا بِبَيَانِ أَنْوَاعِهِ وَهِيَ:

(١) حدرد بن سلامة بن عمير الأسلمي يكنى أبا خراش مدني، روى عنه عمران بن أبي أنس. الإصابة، ابن حجر، ١/ ٣١٥، تجريد أسماء الصحابة، الذهبي، ١/ ١٢٤.

(٢) سنن أبي داود، ح ٤٩١٥، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، ٥/ ٢١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح ٤٩١٥، ٣/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٦٠٧٦، كتاب الأدب، باب الهجرة، ١/ ٤٩٢.

(٤) الكاشف، الطيبي، ح ٥٠٣٦، ١٠/ ٣٢١٢-٣٢١٣، بتصرف يسير.

- ١- الهجر المنوع: وهو الذي بغير حق، ولا سبب موجب له.
- ٢- الهجر المشروع: وهو الترك للمنكرات ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٢).
- ومنه قول النبي ﷺ (وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)^(٣).
- ومنه الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإيمان ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهَجْرًا﴾^(٤). والواجب على الدعاة إدراك فقه هذا الموضوع، وبيان ضوابطه، وآدابه المشروعة^(٥).

ثالث عشر- التشدق في الكلام:

- (أ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرَّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ^(٦) بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ^(٧).
- (ب) وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِالْسِّنْتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقْرَةُ مِنَ الْأَرْضِ)^(٨).

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) سورة النساء: ١٤٠.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ١٠، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٥٣/١.

(٤) سورة المدثر: ٥.

(٥) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، الرياض، دار طيبة، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ، ص: ٣٠٤-٣١١.

(٦) يتخلل: هو الذي يتشددق في الكلام ويفخم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكألبلسانها لغا. النهاية، ابن الأثير، مادة: خلل، ٧٣/٢.

(٧) سنن الترمذي، ح ٢٨٥٣، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في الفصاحة والبيان، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ١٤١/٥، وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ٢٢٨٩، ٣٧٥/٢.

(٨) المسند، ح ١٥١٧، وقال محققه: حسن لغیره، ١٠٣/٣، وأخرجه البزار، ح ٢٠٨١، كتاب الزهد، هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالجبار الغريوائي، ح ١١٥٤، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٥٥٦/٢، السلسلة الصحيحة، الألباني، ح ٤٢٠، ١٦١/١، =

يوضح الحديث خطورة التشدق في الكلام، وأن الله يُبغضُ صاحبه، ويبغض استخدام اللسان في الكسب الحرام من خلال البيان واللعن بالحجاج كما قال ﷺ: (إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَحِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا) (١).

والذي يدفعه لهذا جمع المال، وحب الانتصار على الآخرين، واستيلا ب ما لديهم. وقد أكد ﷺ هذه الخطورة بتشبيهه بالبقرة التي تُلَفُّ الأكلَ بلسانها لفاً (٢).

ومما يؤكد هذا ما ورد في حديث جابرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفِيهِقُونَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ (٣)، فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ) (٤).

قال المناوي- رحمه الله-: ((يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مآكلهم، كما تأخذ البقر بألسنتها، ووجه الشبه بينهما؛ أنهم لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام، كما لا تميز البقرة في رعيها بين رطبٍ ويابسٍ وحلوٍ ومرٍ، بل تُلَفُّ الكل. ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الراعون من حال البقر ليكون أثبت في الضمائر؛ وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، والبقر بلسانها)) (٥).

ومما يُستخلصُ من دروسِ وفقهِ دَعْوِيٍّ من الحديث السابق ما يلي:

== وقال الألباني- رحمه الله-: وجملة القول: أن الحديث حسن إن شاء الله أو صحيح، فإن له شاهداً من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً نحوه، وقد ذكر محقق المسند هذا الشاهد وقال: سنده جيد ٣/ ١٠٤.

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) ح ٢٦٨٠، كتاب الشهادات، باب من أقام البيعة بعد اليمين، ٥/ ٢٨٨.

(٢) وقال المباركفوري: وحص البقرة لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي تجمع بلسانها. انظر: تحفة الأحمدي، ٨/ ١١٨.

(٣) المتشدقون: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط، واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شِدْقَهُ بهم وعليهم. النهاية، ابن الأثير، مادة: شددق، ٤٥٣/٢.

(٤) سنن الترمذي، ح ٢٠١٨، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في معالي الأخلاق، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ٤/ ٣٧٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح ١٦٤٢، ٢/ ١٩٦-١٩٧.

(٥) انظر: الكاشف، الطيبي، ١٠/ ٣١٠٦، فيض القدير، المناوي، ٤/ ١٣١.

- ضرورة أن يتصف الدعاء بالسهولة في كلماتهم، وتوجيهاتهم، ومواعظهم، وخطبهم بعيدين عن التكلف، والتفاسح المقيت.

- إن من نجاح الدعوة أن لا ينشغل الداعية والمدعوون بتنميق الألفاظ، ورونق الكلام وزخرفته، فتتحول الدعوة إلى ميدان للصناعات اللفظية، ويتحول المدعوون إلى مراقبين لأفواه الدعاء يمناة ويسرة دون تأثير بالقول، أو بموضوع الكلام.

- إن من العناية بموضوع خطورة التشدق في الكلام بيان ظهور المتشدين في آخر الزمان؛ ليصلوا إلى متاع الدنيا دون تورع عن الحرام. كحال من يمتنون الشحاذة، ومن يدعون حقوقاً ليست لهم معتمدين على ألسنتهم في قلب الحقائق.

إلى غير ما هنالك من المحرمات الكثيرة التي لستُ بصدد التفصيل فيها مما يطول بذكره المقام، تناولها القرآن الكريم، وصحيح سنة النبي ﷺ، وقد تقدم ذكر شيء منها في ثنايا البحث، وما ذكرته في موضوع المحرمات من أمور محرمة، إنما - هو الأبرز والأظهر والأشد في التحريم مما ذكر في أحاديث الأمثال التي هي موضع الدراسة، وأسأل الله بقدرته، ورحمته، ومنه العظیم أن يقينا سائر المحرمات، ما ظهر منها وما بطن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الْخَاتِمَةُ

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي لا أدعي الكمال فيه، فإنه متعذراً مهما بذل الباحثون والباحثات من جهودٍ مضيئةٍ، إلا أنني بذلتُ قصارى الجهد، ولم أبخلُ عليه بشيءٍ من الوقتِ المتاح لي؛ ليخرجَ بصورةٍ أقرب ما تكون للمنهج العلمي المرعي في مثل هذه المرحلة الدراسية، شاكرةً كلَّ من أسدى إليَّ من المعروف شيئاً مهما قلَّ أو كثر، ثم إنه يحسن بي - قبل طيِّ صفحاته، وعرضه للتمحيص، والتدقيق، والتسديد من أهل العلم والفضل، وذوي الخبرة والاختصاص - أن أعدد أبرز النتائج التي أفدتها من مباحثه سأذكرها مُختصرةً على النحو الآتي:

من الفصل الأول المتعلق بالداعية وما يجب أن يلتزم به من ضوابطٍ للعلم، والعبادة، والأخلاق توصلت إلى ما يلي:

من المبحث المتصل بعلم الداعية، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن العلم بمفهومه الواسع والصحيح من مصادره المعتمدة وهي الكتاب والسنة، ومنهج فقه سلف الأمة لهما مما يجب أن يتزوّد به الدعاة في سيرهم، وبذل جهودهم الدعوية.
- إن العلم من ركائز الدعوة المهمة التي يجب العناية بها إخلاصاً، وعملاً، وعنايةً، وتوقيراً.

ومن المبحث المتصل بعبادة الداعية، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن قوة العبادة، وعناية الداعية بها يجب أن تكون على رأس ما يشغل الدعاة، ويُعنون بها قبل الدعوة إليها، وفي مقدمة العبادات الصلاة.
- إن الدعاة يستمدون قوتهم، ونجاحهم في دعوتهم من خلال صلتهم بالله وتعبدهم له. وعليه فإن العبادة أمرٌ ضروري لتحقيق ذلك.

ومن المبحث المتصل بأخلاق الداعية، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن الدعوة بحاجة شديدة للجمال المقبول لدى المدعويين. وأعظمُ الجمال، وأكملُه، وأتمُّه، وأحسنُه الأخلاقُ الفاضلة التي يجب أن يتجملوا بها.

- إن ضرورة اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات خير معين له لإنجاح دعوته، واستمراره فيها، وثباته عليها، وعلى رأس تلك الأخلاق الحلم، والصبر، ونحو ذلك.

- التقلُّل من الدنيا من الأمور المهمة في حياة الدعاة، ولا عبرة بمن يتوسَّع فيها، ويتكثَّر من المنتسبين إليها، ولا يُتصوَّر أن تنجح دعوة حق، وهداية، وأهلها متعلقون بالدنيا، وحُطامِها، ويلهثون وراء ملذاتها وشهواتها.

ومن الفصل الثاني فيما يخص المدعو مستجيباً، أو معرضاً، توصلت لما يلي:

من المبحث المتصل باستجابة المدعو توصلت إلى النتائج التالية:

- وجوب إدراك حقيقة الفروق بين المدعويين، وتصنيفهم من حيث قبول الدعوة ورفضها، وعلى ضوء ذلك يقوم الداعية بمراعاة أحوال المخاطبين نفسياً وعقلياً، ومخاطبتهم على قدر ما لديهم من قدرات وطاقات.

- ويتفرع عن النتيجة السابقة أن معرفة الداعية لأسباب سوء الفهم عند المدعويين، يسهم في تسريع استجابتهم.

- إدراك حقيقة مهمة وهي: عدم اليأس من المدعو مهما كان انحرافه، وضلاله، وكفره.

- إن التقدير والاحترام الذي يمارسه الدعاة مع المدعويين، ويعاملونهم على ضوئه، يقرب المدعويين من الدعوة، ويسرُّ لهم الرضا بها.

- إن الاستجابة لدعاة الحق فوزٌ وفلاحٌ يحققه كلُّ مستجيبٍ، ويسعدُ بها كلُّ مدعوٍّ أصغى سمعه، وهياً نفسه لقبول الحق.

- لن تتحق الاستجابة للمدعو إلا إذا بادر، وأسرع في اتخاذ قرار بتغيير نفسه، وحياته من الظلمات إلى النور.

ومن المبحث المتصل بإعراض المدعو عن الدعوة، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن توجيه ضربات مباشرة لما يعتقد المدعو نتائجها سلبية، لاتُخدِم الدعوة بأي حالٍ.

- اجتناب الإكثار من إلقاء المواعظ خوفاً من إملال الناس، ونفورهم.

- إن إضعاف الداعية للعلاقة التي تربط المدعو بالمعتقدات الباطلة، ينتج عنه زرعٌ للشك فيها، بذكاءٍ ولباقةٍ.

- استخدام الجدل والحوار بما يخدم الدعوة دون اعتبارات أخرى، من شأنها زيادة إغراض المدعو وعنايته. ويجب إنهاء الحوار والجدال مع المدعويين عندما يشتد عنادهم، وعنتهم، ثم ارتقاب الفرصة المناسبة، والوقت الملائم لدعوتهم.

ومن الفصل الثالث المتعلق بمناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، توصلت إلى ما يلي:
من المبحث المتصل بالمناهج الدعوية توصلت للآتي:

- اعتماد المنهج العاطفي على مرتكرات دعوية تجذب المدعو، ومنها: لطف العبارة ووضوحها، وعدم تجريح الأشخاص، فيجب اجتناب التعنيف والتوبيخ المباشر لكي تنجح الدعوة. والجنوح إلى التلميح دون التصريح، والإشارة دون العبارة.

- يسعى المنهج العاطفي لتقبيح النهايات السيئة لكل من ابتعد عن الهداية والرشاد، دون أن يقبح أصحابها، وهذا في الغالب. والغاية من هذا تنفير المدعو من الأعمال المؤدية إلى تلك النهاية الأليمة.

- يكرس المنهج العاطفي جهوده الدعوية لإعطاء الأمل، وفسح الطريق أمام العصاة؛ لئلا يقعوا في فخ اليأس والقنوط من رحمة الله، وفي الوقت ذاته لا يُغفل جانب التخويف لمن تمادى في غيئه مُغلبًا الرجاء دون خوفٍ من بطش الله، وحسابه، وعقابه، وهو أي المنهج العاطفي بهذا يسير في منهج الوسطية، التي تميزت بها هذه الأمة المحمدية.

- يحترم المنهج العقلي المدعو فلا يُجبره على الاختيار، بل يعطيه الفرصة، لإعمال عقله، وإصدار أحكامه، بعد نظرٍ وتأملٍ، واختيارٍ عن قناعةٍ ورضا.

- إن أبرز مقومات المنهج العقلي، الحجج الواضحة، والقياسات المنطقية المقبولة.

- يسهم المنهج الحسي من خلال الإشارات اليدوية المعبرة عن المعاني، والموضحة للألفاظ في تقريب الدعوة، وترسيخ أثرها في المدعو.

ومن المبحث المتصل بأساليب الدعوة توصلت إلى النتائج التالية:

- إن التدرج في الدعوة ببيان الأهم ثم المهم، وأخذ المدعو برفقٍ وتؤدّةٍ يمثل عين الحكمة.

- من مقومات أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله مبادرة الداعية لاقتناص الفرص المناسبة التي توافق فراغاً لدى المخاطب.

- إن من أبرز المقاصد التي يخدمها ويسعى إلى تحقيقها أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله مقصد الحفاظ على كيان الدعوة، وتأمين خط سيرها في خضم الأمواج العاتية التي تعصف بها من كل ناحية، لتصل إلى مرسى الأمان.
- إن أسلوب الترغيب الذي يمارسه الدعاة له عناصره التي تكونه، والتي بدونها يضعف، ومن تلك العناصر: التشويق، والتشجيع، والتأكيد على ثمرات الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة.
- يهدف أسلوب التهيب في الدعوة إلى الله ويسعى بكل قوة لغرس الخوف من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.
- إن أسلوب التهيب يعدُّ ضابطاً لأسلوب الترغيب، فكما أن الدعوة لا تستغني عن الترغيب، فكذلك الحال مع التهيب، والجمع بينهما أسلوب قرآني مبثوث في القرآن الكريم.
- إن لأسلوب الجدل، والحوار الهادئ، والمناقشات الهادفة، دور كبير في إقبال المدعوين.
- إن الجدل أسلوب طارئ على الدعوة، يُشرَعُ بقدر الحاجة إليه، وليس له في الشرع غاية إلا إظهار الحق، وهداية الناس بالتي هي أحسن، ومن رام غير هذه الغاية، فقد جانب الصواب.
- إن أسلوب الرفق بالمدعو يقود الداعية إلى النجاح في دعوته؛ لما يعقب هذا الأسلوب من انشراح صدور المدعوين، وارتياحهم للداعية، وقبول كلامه بإذن الله.
- قد يحتاج الداعية إلى تأكيد كلامه بمؤكّدات مختلفة، منها: القسم، والتكرار، ونحو ذلك، ومن هنا تأتي الحاجة إلى ممارسة أسلوب التأكيد، تطيناً للمدعو، وتثبيتاً للدعوة.
- إن الشفقة بالمدعو، والحرص على هدايته وإنقاذه، تُلحُّ على الدعاة بأن يستخدموا أسلوب التحذير للمدعوين من الشرور، والعواقب المخزية، وعليه فإن أسلوب التحذير ينطلق من مبدأ الشفقة، والرحمة بالمدعوين.
- ومن المبحث المتصل بوسائل الدعوة، توصلت إلى النتائج التالية:
- وسائل الدعوة اجتهادية، وهي دليل على التجدد المطلوب، والمواكب لحاجات العصر والناس.

- الوسيلة الدعوية، أيًا كانت، خطبةً، أو تعليمًا ونحو ذلك، وسائلٌ مفيدةٌ في الدعوة، إلا أنه ينبغي تنفيذها بمهارةٍ، ونجاحٍ، ليتحقق الهدف منها.

- لا غنى للداعية عن الوسائل المعنوية التي تدمه بالعون الإلهي، والبركات التي لا ينقطع نفعها، ومن تلك الوسائل المعينة على إنجاح الدعوة، والاضطلاع بها: الذكر، والقُدوة بكل مضامينها، قُدوة السلوك، والأقوال، والأفعال، والالتزام، وغير ذلك من متطلباتها.

ومن الفصل الرابع المتعلق بموضوعات الدعوة، توصلتُ إلى ما يلي:

من المبحث المتصل بموضوع العقيدة، توصلتُ إلى النتائج التالية:

- العقيدة أجل موضوعات الدعوة، والسعي إلى تحقيق نقائها ضروري ومتحتمٌ؛ لأنها أشبه بجذور شجرةٍ، وبقية الموضوعات الدعوية، أغصانها، وأوراقها، فإن أهملت الجذور، فنيت الشجرةُ، وماتتُ.

- إن العناية بموضوع العقيدة، يعني العناية بالنفس البشرية، وإبقائها على أصل خلقتها، وطهرها، وميلها للحق، بعيدًا عن المؤثرات، والضلالات المهلكة.

- إن مفهوم العقيدة يتضمن الدوائر الثلاث المهمة في دين الإسلام، ألا وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، والمجاهدة المستمرة للترقي في درجاتها، إلى أن تأتي المنية، فيختم على العبد، وهو متشبعٌ بها جميعها.

- إن موضوع العقيدة في هذا المبحث، لا يعني العناية بالتعقيدات الكلامية الفلسفية، وإنما يعني وضوح العبارة العقدية، وتعظيم التوجيهات الربانية، والنبوية فيما يتعلق بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من أمور الغيب، من أسماء وصفاتٍ، وأحداثٍ وقعت، وأخرى ستقع سواءً كانت في الدنيا، أو في البرزخ، أو يوم القيامة وما بعده، من الجنة أو النار، وما فيهما من النعيم في الجنة، والعذاب في النار.

ومن المبحث المتصل بموضوع العبادة، توصلتُ إلى النتائج التالية:

- أن العبادة هي الشعار والعنوان الذي من خلاله يبرهن الداعية على صدق دعوته، وحبه لربه، وتطبيقه لعقيدته، فالعقيدة استقرارٌ في النفس، وترسخٌ لجذور التوحيد وما يتبعه، والعبادة ترجمةٌ لمعاني العقيدة، وإبرازٌ لها.

- إن موضوعات العبادة، متنوعة، ولها ثمراتها، التي لا يحصيها أحدٌ إلا الله، لكنها لا تتحقق إلا وفق ضوابط، وآداب، حددها الشرع، لا يجوز لأحدٍ الخروج عنها، أو الإتيان بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ.

- إن مما يجب على المرء المسلم فعله، ليحافظ على عبادته، أن يحرص حرصاً بالغاً في تحصيلها، بما هو مشروع، وقادرٌ عليه. والتحسينات للعبادة كثيرة، منها: لزوم جماعة المسلمين وعدم الشذوذ عنهم، والجهاد لرفع راية الإسلام، وفق ضوابطه الشرعية، وأحكامه المرعية، والهجرة بمفهومها الواسع، هجرة المكان عند الحاجة إليها وتوفير مكان آمن لها، وهجرة المعاصي والعصاة المجاهرين.

ومن المبحث المتصل بموضوع الأخلاق، توصلت إلى النتائج التالية:

- إن الأخلاق أشبه بوقودٍ للمحركات والآلات، فإنها بدونها لا تعمل، وتتعطل، فكذلك الأخلاق وقود المسلم الذي يركه، ويزينه، فبدونها يتعطل، ويتشوه، وينفر عنه الآخرون.

- إن العناية بموضوع الأخلاق، يعني العناية بسيادة المرء، وعزته، ورفعته، ووجوب عدم الالتفات للقائلين بأن التعامل بالأخلاق مع الآخرين تُنقص من هيبة الرجال، وتُقلل من شأنهم، وأبرز الأخلاق التي تعلي شأن المسلم: الصبر، والحلم، وعفة اللسان، ونحوها.

ومن المبحث المتصل بموضوع المعاملات، توصلت إلى النتائج التالية:

- أنه لا غنى للناس عن بعضهم البعض، وأن حاجتهم لبعضهم تظهر من خلال المعاملات المتعددة، كالبيع والشراء ونحوهما مما يندرج تحت المعاملات بين الناس.

- يجب أن تقوم المعاملات بين الناس وفق ضوابط شرعية من الكتاب والسنة، وأهم ضابطٍ للمعاملات بين الناس، مراعاة حفظ حقوقهم المالية، وعدم الاعتداء عليها، بنهب، أو سلب، أو غصبٍ ونحو ذلك من العدوان الذي حرمه الله.

- إن الروابط الأسرية، والاجتماعية، بين أفراد الأسر والمجتمع، تتقوى بحسن المعاملات، بينهم، أخذاً وعطاءً، من خلال، الأعطيات، والهبات، والقروض الميسرة، كل ذلك مما يزيد في ترابط الناس، ويسهم في بناء المجتمع المسلم.

ومن المبحث المتصل بموضوع المحرمات، توصلت إلى النتائج التالية:

- أن المحرمات باب ايتلاء لتمحيص، واختبار الناس، ليطمئن الطيب من الخبيث، وأهل الطاعة من أهل العصيان.
- أن العناية بموضوع المحرمات في الدعوة إلى الله من الإسهامات الفاعلة، والمهمة لإنقاذ الناس من عواقب اقترافها.
- أن السبب الرئيس لارتكاب المحرمات هو الشهوات، شهوة البطن، أو شهوة الفرج، أو شهوة النفس وما يرتبط بحفظها الدنيوية.

الْفَهْرِسُ

١- فِهُرْسُ الْآيَاتِ

- الآية الصفحة
- ١- ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ٢٥٧
- ٢- ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ١٤٢
- ٣- ﴿ آتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ٣٢٩
- ٤- ﴿ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا ﴾ ٣١٤
- ٥- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ١٨٦
- ٦- ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ١٥٠
- ٧- ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ٣٦
- ٨- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ٣٥٠
- ٩- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ١١
- ١٠- ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ ١٠٦، ١٠٢
- ١١- ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ٢٩٢
- ١٢- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ ٣٦٨
- ١٣- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ٢٣٩
- ١٤- ﴿ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ١٠٣
- ١٥- ﴿ أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ٤٧
- ١٦- ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ ﴾ ١٥٠
- ١٧- ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ ٦٣
- ١٨- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَيَّ أَدْبَرِهِمْ ﴾ ١٢٨
- ١٩- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ ١١٧
- ٢٠- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ ٤٥
- ٢١- ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ ٣٥٧، ١٦٦

- ٢٢- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٦٢
- ٢٣- ﴿ إِنَّمَا نُنْطِئُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ ٢٩٨
- ٢٤- ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ ١٣٤
- ٢٥- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ ٢٣١
- ٢٦- ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ ٣٤٩
- ٢٧- ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ٢٧٥
- ٢٨- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ٦٨
- ٢٩- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ ١٣٠
- ٣٠- ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴾ ٥٢
- ٣١- ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ٣٤٧
- ٣٢- ﴿ سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ٥١
- ٣٣- ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ٤١٧
- ٣٤- ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ ٣٣٩
- ٣٥- ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ٦٧
- ٣٦- ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ٨١
- ٣٧- ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ ٣٦
- ٣٨- ﴿ فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٢٣١
- ٣٩- ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ ٢٥٧
- ٤٠- ﴿ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ١٣٢، ٨١
- ٤١- ﴿ فَإِنِ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ ٣٨٣
- ٤٢- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ ٢١٩

- ٤٣- ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ ٣٦
- ٤٤- ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ٢٣٥
- ٤٥- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ٢٣٢
- ٤٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ ٨٦
- ٤٧- ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٠٦
- ٤٨- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ٣٢٤
- ٤٩- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ٣٦٧
- ٥٠- ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ١٨٣
- ٥١- ﴿قَالُوا أءَنْتَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ ٨٥
- ٥٢- ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٥٢
- ٥٣- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ٢٦٣
- ٥٤- ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ ١٧٩
- ٥٦- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٥٠
- ٥٧- ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ١٩٣
- ٥٨- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ ٣٥٩ ، ١٦٢
- ٥٩- ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ ١٣١
- ٦٠- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ٤١٧
- ٦١- ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ٢١١
- ٦٢- ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ٢٠٧
- ٦٣- ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ ١٤٧
- ٦٤- ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ١٣٢

- ٦٥- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ٨٦
- ٦٦- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ٢٥٥
- ٦٧- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ﴾ ١٠٧
- ٦٨- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ٣٩٧
- ٦٩- ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ٢٤٥
- ٧٠- ﴿لِيُبْلِغَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ ٣٢٤
- ٧١- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ ٢٤٥
- ٧٢- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ ٥٧، ٣٤٥
- ٧٣- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ٢٤٤
- ٧٤- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ﴾ ٢٣
- ٧٥- ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْهِ﴾ ٢٧٤
- ٧٦- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ٤٦
- ٧٧- ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآئِلِي هَؤُلَاءِ وَلَا لِآئِلِي هَؤُلَاءِ﴾ ٤٠٤
- ٧٨- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ ٣٩١
- ٧٩- ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ٢٧
- ٨٠- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ ٢٩٤
- ٨١- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ٣١
- ٨٢- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُونَ﴾ ٣٦٤
- ٨٣- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ٢٧٠
- ٨٤- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ٤٣٦
- ٨٥- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ١٠٢
- ٨٦- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ ٤٦

- ٨٧- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ ١٠٧
- ٨٨- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ ١٨٣
- ٨٩- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ٤١٤
- ٩٠- ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥١
- ٩١- ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ ٦٧
- ٩٢- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ٢٤٨
- ٩٣- ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ ٤١
- ٩٤- ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ٢٥١
- ٩٥- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢١﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ٤١٣
- ٩٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخَسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ ١٦١
- ٩٧- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ٣٦٧
- ٩٨- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعِيرٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾ ٤٣٤
- ٩٩- ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ٤٣٦
- ١٠٠- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ٢٧١
- ١٠١- ﴿وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ١٢٧
- ١٠٢- ﴿وَإِن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ٣٧٧
- ١٠٣- ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ١١
- ١٠٤- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ٨٥
- ١٠٥- ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ ٢٠٧
- ١٠٦- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٢
- ١٠٧- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٣٠٨
- ١٠٨- ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٢
- ١٠٩- ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ٣٢٨

- ١١٠- ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ ﴦ ٤٣٦
- ١١١- ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴦ ٢١٧
- ١١٢- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴦ ٨٠
- ١١٣- ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴦ ١٦٢
- ١١٤- ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴦ ٢٧٤
- ١١٥- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴦ ١٥١
- ١١٦- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴦ ٣٩٣
- ١١٧- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴦ ٤١٩
- ١١٨- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ ﴦ ٤٠٢
- ١١٩- ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴦ ٢٩٢
- ١٢٠- ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ ﴦ ٣٦٧
- ١٢١- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴦ ٤١٢
- ١٢٢- ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴦ ١١٧
- ١٢٣- ﴿ وَلَا يَفْتُلُونِ الْنَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴦ ٤١٩
- ١٢٤- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴦ ٦٨
- ١٢٥- ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴦ ٢٧٤
- ١٢٦- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴦ ١٩٣
- ١٢٧- ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴦ ١٥٧
- ١٢٨- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴦ ٨٦
- ١٢٩- ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴦ ٢٤١
- ١٣٠- ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴦ ١٠٢
- ١٣١- ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴦ ٣٨٤

- ١٣٢- ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ١٥٧، ١٧
- ١٣٣- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ٢٥٤، ٢٣٤
- ١٣٤- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ٢٠٤
- ١٣٥- ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ }
 ﴿ "XE وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ" ١٩٥{
- ١٣٦- ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ١٤٧
- ١٣٧- ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ ٤٠٢
- ١٣٨- ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ ٤٠٨
- ١٣٩- ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ١٣٩
- ١٤٠- ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ٢٩٧
- ١٤١- ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ ﴾ ١٢٥
- ١٤٢- ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ ٢٢٧
- ١٤٣- ﴿ وَيَلْقَوْنَ آسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ ٦٩
- ١٤٤- ﴿ وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ ﴾ ٤٠٢
- ١٤٥- ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ١٩٣
- ١٤٦- ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۗ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ ٢٩٣
- ١٤٧- ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ۗ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ ٣٧٠
- ١٤٨- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ٥
- ١٤٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ٥
- ١٥٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ ٤٢٥
- ١٥١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ٢٥٠
- ١٥٢- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ١٠٧

- ١٥٣- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ٣٥٣
- ١٥٤- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ٤٢٧
- ١٥٥- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ٣٣٧
- ١٥٦- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ ٣٧٠
- ١٥٧- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ﴾ ١٠٩
- ١٥٨- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٥٨، ٦٤، ٢١٠
- ١٥٩- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ١٢٨
- ١٦٠- ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ٣٢٦
- ١٦١- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ٥
- ١٦٢- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ ١٨٦
- ١٦٣- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ ٣٩٩
- ١٦٤- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ١٥٠
- ١٦٥- ﴿يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ ٤١٣

- ١- (الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا)..... ٢٨،٣٥٣
- ٢- (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)..... ٤٢٧
- ٣- (أَجَلٌ، إِنِّي أَوْعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ)..... ٨٤
- ٤- (أَجَلُوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَعْزِمِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّهِنَّ لَهُمْ)..... ٥٨
- ٥- (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَقْصِمُ عَنِّي)..... ٢٩
- ٦- (أَخْبَرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَفُهَا)..... ٢٣٨
- ٧- (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءِ)..... ٣٢٠
- ٨- (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السَّلْسَلَةِ)..... ٢٧٣
- ٩- (إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ)..... ٢٤٣
- ١٠- (إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا)..... ٢٧٣
- ١١- (إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ)..... ١٩٩
- ١٢- (إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ)..... ١٦٠
- ١٣- (إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَاحِحًا)..... ٣٦٤
- ١٤- (إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ، فَلْيُصَلِّ)..... ٣٣١
- ١٥- (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا)..... ١٧٥،٣٢٩
- ١٧- (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ)..... ٤٢٥
- ١٨- (أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ)..... ٣٩٢
- ١٩- (أَشْهَدُ فَلَانَ الصَّلَاةَ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَلَانٌ. قَالُوا: لَا)..... ٣٣٣
- ٢٠- (أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّيهِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا أَمْتَلَ مِنْ سِنِّيهِ)..... ٧٢
- ٢١- (أَعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيُّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ)..... ٦٣
- ٢٢- (أَفَلَا أَخْبَرْتُمْ بِأَمْرِ تُدْرِكُونَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَتَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ)..... ٤٩
- ٢٣- (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)..... ٢١٧
- ٢٤- (أَفَلَا شَقِقتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟)..... ٤٠٩
- ٢٥- (أَفِيدَعُ إِصْبَعُهُ فِي فَيْكٍ تَقْضُمُهَا، كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ)..... ١٧٢

- ٢٦- (أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) ٤٠
- الحديث الصفحة
- ٢٧- (أَكُلْ نَبِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ التُّعْمَانَ؟) ٣٩٨
- ٢٨- (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ) ٤١٦
- ٢٩- (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمُهُ إِنَّهُ أَعْوَرٌ) ٢٨٩
- ٣٠- (أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ) ٢٥١
- ٣١- (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أَوْ مُتَعَلِّمٌ) ٩٢
- ٣٣- (أَلَا إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ) ٢٩٩
- ٣٤- (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِثْلًا) ١٤٣
- ٣٥- (أَلَا تَأْمُونُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً) ٧٣، ١٩١
- ٣٧- (أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ وَهُوَ نُصْبٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ يُسَمَّى الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةَ) ٢٤٧، ٢٦٨
- ٣٩- (أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَكَيِّ عَلَى أَرِيكْتِهِ) ١٥٥
- ٤٠- (أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ) ٢٢٤
- ٤٢- (أَمَّا مَرَرْتُ بِالْوَادِي مُمَجِلًا، ثُمَّ تَمَرُّ بِهِ خَضِرًا، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) ٢٩٧
- ٤٣- (أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ حَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ) ٣٠٠
- ٤٤- (أَمِرتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمٍ: عَلَى الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ) ٣٣٢
- ٤٥- (أَمِرتُ بِقَرِيَّةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ) ٢٠٥
- ٤٦- (إِنَّ طَالَ بَكَ مُدَّةٌ أَوْ شَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَعُدُّونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ) ٢٨٨
- ٤٧- (إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ) ٤١٦
- ٤٨- (أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا. إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ خَيْرًا) ١٦٢
- ٤٩- (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ) ١٩٦
- ٥٠- (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلَّوْنَ، وَلَا يَبُولُونَ) ٣٠٧
- ٥١- (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ) ١٦٣
- ٥٢- (إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ حَمْرَتَانِ) ١٨٠
- ٥٣- (إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءٌ وَجُوهُهُمْ) ١٦٤، ٣٠٦
- ٥٤- (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ (يَعْنِي الْإِسْلَامَ) كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفَى الْخَمْرَ) ٤٢٩
- ٥٥- (إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا) ٢٠٥
- ٥٦- (إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتَسَاقِطُ) ١٨٤
- ٥٧- (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا) ٢٥٢

- ٥٨- (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ)..... الصفحة ٥١
- الحديث
- ٥٩- (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَفِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ)..... ٣٦١
- ٦٠- (إِنَّ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ لَتَلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا)..... ٣١٠
- ٦١- (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَحْطَأَ حَظِيئَةً نُكِنَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ)..... ٢٢٨
- ٦٢- (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ)..... ١١٣
- ٦٣- (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَحَاثَّتْ عَنْهُ حَطَايَاهُ)..... ١٨٤
- ٦٤- (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا)..... ٢٦٨، ٣٢٥
- ٦٦- (إِنَّ اللَّهَ حَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)..... ٣٣٨
- ٦٧- (إِنَّ اللَّهَ سِيْخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..... ٢٩٨
- ٦٨- (إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفِي الصِّرَاطِ زُورَانِ)..... ٢٢٥
- ٦٩- (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا)..... ٣٦٤
- ٧٠- (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ)..... ٣٨٢
- ٧١- (إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ)..... ٤٣٦
- ٧٢- (إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ)..... ٣٦٨
- ٧٣- (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُحْصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)..... ٢١٩
- ٧٤- (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيْطَانِيَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ)..... ١١٦
- ٧٥- (إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ)..... ٣٧١
- ٧٦- (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ)..... ١١٨، ٢٢٨
- ٧٧- (إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ، أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ)..... ٨٣
- ٧٨- (إِنَّ الْيَدَيْنِ تَسْجُدَانِ كَمَا يَسْجُدُ الْوَجْهُ، فَإِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ)..... ٣٣١
- ٧٩- (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتْنًا كَقَطْعِ الدُّخَانِ)..... ٢٨٦
- ٨٠- (إِنَّ حَوْضِي لِأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لِأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالُ)..... ١٩٥
- ٨١- (إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا)..... ٥٩، ٣٨٦
- ٨٢- (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ)..... ٣٩٤
- ٨٣- (إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنْ ضَرَسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ)..... ٣١٢
- ٨٤- (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْجِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ)..... ٧١
- ٨٥- (إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنْ فِيهِ مِنَ الْآبَارِيقِ)..... ٣٠٠
- ٨٦- (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبِ وَاحِدٍ)..... ٢٧٥

٨٧- (إِنَّ لَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاصْرُبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ)..... ١٠٧

الصفحة

الحديث

- ٨٨- (إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ)..... ٢٠٤
- ٨٩- (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا)..... ٢١، ١٣٣
- ٩٠- (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ)..... ٢٧٧
- ٩١- (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ)..... ٨٦، ١١٠، ٢٢٢
- ٩٢- (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ وَكَذَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ)..... ١٤٥
- ٩٣- (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..... ٤٣٧
- ٩٤- (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينِ الْعَمُوسُ)..... ٣٨١
- ٩٥- (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ)..... ١٦٩
- ٩٦- (إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ)..... ١١٥
- ٩٧- (إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ)..... ٤٣٧
- ٩٨- (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ)..... ٣٠٨
- ٩٩- (إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ خَلَا مِنَ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ)..... ١٠٥
- ١٠٠- (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنَسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)..... ٩٠، ٢٨٠
- ١٠١- (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أَعْلَمُكُمْ، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْخَلَاءِ)..... ١٥٧
- ١٠٢- (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعْقَلَةِ)..... ١٧٣، ٢٠٢
- ١٠٣- (إِنَّمَا مَثَلُ هَذَا الَّذِي يُصَلِّي وَهُوَ مَكْتُوفٌ)..... ٣٣٤
- ١٠٤- (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ نَارًا)..... ٨٧، ١٢٩
- ١٠٥- (إِنَّهُ شَابٌ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أُشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قَطَنِ)..... ١١٨
- ١٠٦- (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَالًا وَوَلَدًا)..... ١٨٢
- ١٠٧- (إِنَّهُ لَا يَرُبُّ لَحْمًا نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)..... ٣٤٣
- ١٠٨- (إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)..... ٤٨
- ١٠٩- (إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ)..... ١٩٢
- ١١٠- (إِنِّي لِأَعْلَمُ شَجْرَةً يُنْتَفَعُ بِهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ هِيَ الَّتِي لَا يُنْفَضُ وَرَقُهَا)..... ٢٣٨
- ١١١- (إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا)..... ٩٦
- ١١٢- (إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِينَ أَحَدُكُمْ فَيَذِبُ عَنِّي)..... ٣٠١
- ١١٣- (إِنِّي لَمْ أُوَمِّرْ أَنْ أَنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ)..... ١٨٩
- ١١٤- (إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ: أَكُلُّ وَوَلَدِكَ نَحَلْتُ)..... ٣٩٨

- ١١٥- (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ) ٢٧٩.....
الحديث الصفحة
- ١١٦- (أَيُّمُنِّي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي) ١٩٢.....
- ١١٧- (أَيُّهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ نَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ) ٧٦.....
- ١١٨- (أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ ﷺ: الْعَجُّ، وَالشَّجُّ) ٦٢.....
- ١١٩- (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ) ٢٢٦.....
- ١٢٠- (أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ) ٢٤٣.....
- ١٢١- (أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَّتهُ سَبَّةٌ أَوْ لَعَنتهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ) ٢٨٠.....
- ١٢٢- (اجْتَنِبُوا الْمُؤَبِقَاتِ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ) ٤٠٧.....
- ١٢٣- (ارْجِعْ عَلَيْهِمَا، فَأَضْحِكُهُمَا، كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا) ٣٧٦.....
- ١٢٤- (ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ) ٢٢٠، ٢٤٢.....
- ١٢٥- (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَبِيَّةً) ٣٥٥.....
- ١٢٦- (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانُ) ٢٨٤.....
- ١٢٧- (افْرُؤُوا فِكْلٌ حَسَنٌ، وَسِيحِيءٌ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يَقَامُ الْقِدْحُ) ١٤١.....
- ١٢٨- (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرَأٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ٣٢٣.....
- ١٢٩- (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) ٢٤١.....
- ١٣١- (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) ٣٦٨.....
- ١٣٢- (الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِينٌ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ) ٥٤.....
- ١٣٣- (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُعْشَ الْكِبَائِرُ) ٣٢٩.....
- ١٣٤- (الطَّوَّافُ حَوْلَ الْبَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ) ٣٤٦.....
- ١٣٥- (الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي فَيْئِهِ لَيْسَ لَنَا مِثْلُ السَّوَاءِ) ٣٩٦.....
- ١٣٦- (الَّذِي تَفُوُّهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ) ١٥٩.....
- ١٣٧- (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ) ٤٣.....
- ١٣٩- (اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ) ٤٧.....
- ١٤٠- (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ) ٤٩.....
- ١٤١- (اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذَخْرًا) ٤٤.....
- ١٤٢- (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) ٩٩.....

١٤٣- (انظروها، فإن جاءت به أحمر قصيرا مثل وحررة، فلا أراه إلا قد كذب) ١٦٨
الحديث الصفحة

ب

- ١٤٤- (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا) ٢٩٥
١٤٥- (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر) ٣٥٥
١٤٦- (بشروا ولا تنفروا) ١١٦
١٤٧- (بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى) ١٧٨
١٤٨- (بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم) ١٢٧
١٤٩- (بيننا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب، وهي ترضعه) ٤١٨
١٥٠- (بيننا رجل يسوق بقره إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا) ٢٨١

ت

- ١٥١- (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا) ١٠٩، ١٤٥
١٥٢- (تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا) ١٤٩
١٥٣- (تري المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد) ٣٧١
١٥٤- (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي) ٦٣
١٥٥- (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا) ١٠٩
١٥٦- (تقيء الأرض أفلاد كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة) ٢٩٢
١٥٧- (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفوها الجبار بيده) ٢٧٤

ث

- ١٥٨- (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) ١١٩
١٥٩- (ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة) وحوههم كالفمر ليلة البدر) ٣٠٦

ح

- ١٦٠- (حتى أتى الحمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة) ٦٠
١٦١- (حتى إذا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ) ١١٢

خ

- ١٦٢- (خذوا عني مناسككم) ٦١
١٦٣- (خرجت إليكم وقد بينت لي ليلة القدر ومسيح الصلالة) ١١٨
١٦٤- (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) ٩٣

د

١٦٥- (دَعَا فَيَنْ لَهٗ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) ٧٥
الحديث الصفحة

١٦٦- (دَعَا، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنًا) ٧٢، ٣٦٩، ٣٩٣
ذ

١٦٧- (ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا فَاضَتْ الْعُيُونُ وَرَقَّتْ الْقُلُوبُ وَلَّى) ٣٤
ر

١٦٨- (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ) ٣٦٠
١٦٩- (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ أَيْتَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ) ٣٠٤
١٧٠- (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعَدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُنُوعَةَ) ٧٨
س

١٧١- (سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ) ٣٤٥
١٧٢- (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ فَقَالَ: أَقَمَّرُ هِجَانًا) ٧٨
١٧٣- (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ) ٣٥٠
١٧٤- (سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً وَنَسَجَدَهَا شُكْرًا) ٤٥
١٧٥- (سَلِّ، فَقُلْتُ: أَسَأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ.) ٤٥
١٧٦- (سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ) ٤٠٩
١٧٧- (سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِاللَّسِنَتِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقْرَةُ مِنَ الْأَرْضِ) ٤٣٦
١٧٨- (سَيَمَاهُمُ التَّحْلِيْقُ أَوْ قَالَ التَّسْبِيْدُ) ٧٥
ص

١٧٩- (صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ) ٢٨٧
ض

١٨٠- (ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ) ١٣٩
١٨١- (ضَرَسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحْدٍ، وَغَلِظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ) ٣١٢
ع

١٨٣- (عَرَفْتُهَا حَوْلًا، فَعَرَفْتُهَا حَوْلًا، ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: عَرَفْتُهَا حَوْلًا) ٣٩٩
١٨٤- (عَرَضْتُ عَلَيَّ الْأُمَّمَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ) ١٢٤
١٨٥- (عَلَيْكَ بِالْهَجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهَا) ٣٦٠
١٨٦- (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً) ٤٥
ف

١٨٧- (فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ) ١١٩
الحديث الصفحة

١٨٨- (فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأُنِّي عَلَى رَبِّي بِنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ) ٣٥٢

١٨٩- (فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِعَدَدِهَا وَوَعَائِهَا وَوَكَائِهَا) ٤٠٠

١٩٠- (فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ) ١٦٧

١٩١- (فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا، فَفَبَصَّتْ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ) ٢٩٥

١٩٢- (فُرِبَ مُبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) ٢٥

١٩٤- (فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ) ٣٨٥

١٩٥- (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتَهُ! أَيَّامُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي!!) ٧٣، ٢١٥

١٩٦- (فَمِنَّا مَنْ أَهَلَ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَ بِالْحَجِّ) ٥٩

١٩٧- (فَهَلَّا شَفَقْتَ عَنْ بَطْنِهِ فَعَلِمْتَ مَا فِي قَلْبِهِ) ١٩٠

١٩٨- (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا) ٩٢

١٩٩- (فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ) ٣٠١

٢٠٠- (فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا) ٣١٠

ق

٢٠١- (قَتَلُوهُ قَتْلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟! فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ) ١٣٨

٢٠٢- (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا) ٣٥٣

٢٠٣- (قُولُوا لِلَّهِ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) ٢٨٢

٢٠٤- (قَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُحَاوِرُونَ تَرَاقِيَهُمْ) ١٤٢

ك

٢٠٥- (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ) ٣٨٤

٢٠٦- (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهٍ) ٣٧٦

٢٠٧- (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ) ٢٣٤

٢٠٨- (كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ) ٤١

٢٠٩- (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ) ٩٧

٢١٠- (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) ٣٣٨

٢١١- (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ) ٢٧١

٢١٢- (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) ٣٧٤

٢١٣- (كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعَ لَأَمْ زَرَِعَ) ٩٥

٢١٤- (كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي) ١٩٣
الحديث
الصفحة

ل

- ٢١٥- (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ) ٤٣١
٢١٦- (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ) ٣٦٦
٢١٧- (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيُلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ) ١٨١
٢١٨- (لَا تَحَاسُدْ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ) ٣٤٥، ٣٥٠
٢١٩- (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي، يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَاهِرِينَ لِعُدُوِّهِمْ) ٢٩٥
٢٢١- (لَا تَشْتَرِهِ وَإِنْ أَعْطَاكَه بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ) ٣٩٨
٢٢٢- (لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّبْعِ، وَوَيْشَرَبَ أَحَدُكُمْ) ٤٢٨
٢٢٣- (لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ) ٢٨٠
٢٢٤- (لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ) ٢٣٦
٢٢٦- (لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مَتَمَنَّيَا لِلْمَوْتِ) ١١٢
٢٢٧- (لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ) ٤٣٥
٢٢٨- (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ) ٤١٧
٢٢٩- (لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ) ١٠٣
٢٣٠- (لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ) ٢١١
٢٣١- (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ) ٦١
٢٣٢- (لِتَسْتَفِوْا كَمَا يَنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلْيَبْقَيْنَنَّ شِرَارُكُمْ) ١١١
٢٣٣- (لِزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) ٤٠٨
٢٣٤- (لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا) ٤٠٨
٢٣٥- (لَوْ أَنَّ مَا يُقَالُ ظَفَرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ لَتَزَحْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ حَوَافِقِ) ٣٠٥
٢٣٦- (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ) ٣٢١
٢٣٧- (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا يَسْرُنِي أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثٌ) ٣٩٤
٢٣٨- (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَدَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ) ٣٨٩
٢٣٩- (لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ) ٣٣١
٢٤٠- (لَيْسَ عَلَيْهَا غُسْلٌ حَتَّى تُنْزَلَ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الرَّجُلِ غُسْلٌ حَتَّى يُنْزَلَ) ١٧١
٢٤١- (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِعَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ) ٤٢٤
٢٤٢- (لَيَنْتَقِضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ كَمَا يُنْقِضُ الْجَبَلُ قُوَّةَ قُوَّةٍ) ٢٩٤

- ٢٤٣- (مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ) ٦٥
- ٢٤٤- (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) ١٧٧
- ٢٤٥- (مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تُكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ٣٩
- ٢٤٦- (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ) ٣٠٨
- ٢٤٧- (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ) ٢٩٧
- ٢٤٨- (مَا تَأْمُرُنِي؟ تَأْمُرُنِي أَنْ أَمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فَيْكٍ تَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ؟!) ١٧٢، ٣٩٠
- ٢٤٩- (مَا تَوْطَنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشَّشَ اللَّهُ لَهُ) ١٩٨
- ٢٥٠- (مَا قُلْتُمْ؟ فَقُلْنَا: دَعَوْنَا لَهُ، وَقُلْنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ) ٣٢٢
- ٢٥١- (مَا لَكَ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيْبِ تُزْفِرِينَ؟ قَالَتْ: الْحُمَى) ٢٣٦
- ٢٥٢- (مَا لَكَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ) ٤٢٨
- ٢٥٣- (مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ حَيْلٍ شُمْسٍ) ٣٣٥
- ٢٥٤- (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبِ سَارٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ) ٩١
- ٢٥٥- (مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ) ٦٤
- ٢٥٦- (مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ) ٢٨٢
- ٢٥٧- (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا) ٣٥٨
- ٢٥٨- (مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا) ٢١٢
- ٢٥٩- (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً) ٣٩٢
- ٢٦٠- (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) ١٧٤
- ٢٦١- (مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟! قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) ٣٨٧
- ٢٦٢- (مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَشْشِقُ، فَيَنْتَشِرُ) ١٩٧
- ٢٦٣- (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَيْسَ ثَوْبِي زُورٍ) ٤٢٢
- ٢٦٥- (مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوْلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ) ١٠٢
- ٢٦٦- (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ) ٣٧٤
- ٢٦٧- (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا) ٣٨٣
- ٢٦٨- (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) ٣٤٩
- ٢٦٩- (مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ) ٣٩٦

٢٧٠- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَثْرِجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ) ٢٠١

الصفحة

الحديث

- ٢٧١- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُفِيئُهَا الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً) ٣١٥
- ٢٧٢- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ) ٣١٦
- ٢٧٣- (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ) ٢٣٨
- ٢٧٤- (مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ) ٣٢٣
- ٢٧٥- (مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً) ٨٢، ١٣٥، ٣٢١
- ٢٧٦- (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْعُغْمَيْنِ، تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً) ٤٠٣
- ٢٧٧- (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْعَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا) ٢٣، ٩٩
- ٢٧٨- (مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا) ٣٢٤
- ٢٧٩- (الْمَرْأَةُ كَالضَّلْعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ) ٩٦
- ٢٨٠- (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي) ١٩٠
- ٢٨١- (مَكَتَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَدَانَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ) ٥٨
- ٢٨٢- (مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ شُجَاعًا) ٤١٢
- ٢٨٣- (مَنْ أَتَى عَرَافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ٤٠٧
- ٢٨٤- (مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُهَلَّ بِالْحَجِّ فَلْيُهَلِّ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهَلِّ بِعُمْرَةٍ) ٥٩
- ٢٨٥- (مَنْ أَحَدَثَ فِيهَا حَدَثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ٢١٢
- ٢٨٦- (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ) ٣٩٥
- ٢٨٧- (مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَدَى) ٣٥٦
- ٢٨٨- (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ) ٣٥٥
- ٢٨٩- (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ) ٤٢٦
- ٢٩٠- (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ) ١٦٥
- ٢٩١- (مَنْ اتَّبَعَ حَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا) ٢٠٣
- ٢٩٢- (مَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَيَبْوَأُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) ٤٢٤
- ٢٩٣- (مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ٣٨٦
- ٢٩٤- (مَنْ بَاعَ دَارًا، أَوْ عَقَارًا، فَلَمْ يَجْعَلْ ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ) ٣٨١
- ٢٩٥- (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ) ٣٤٢
- ٢٩٦- (مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَعَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ) ٢١٣
- ٢٩٧- (مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ) ٤٣٣

٢٩٩- (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) ٨٣

الصفحة

الحديث

٣٠٠- (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَاطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي آثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ٣٦٦

٣٠١- (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ) ٢٩٦

٣٠٢- (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ٣٥٨

٣٠٣- (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) ٣٣٩

٣٠٤- (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ حَرِيفًا) ٣٤٠

٣٠٥- (مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ) ١٩٨

٣٠٦- (مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ أَتْبَعَهَا حَتَّى تُوضَعَ فِي الْقَبْرِ فَقِيرَاطَانِ) ٥٠

٣٠٧- (مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ) ٣٤٦

٣٠٨- (مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ) ٦٦

٣٠٩- (مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا) ٤٠٩

٣١٠- (مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي نُسِيتُهَا) ٥٦

٣١١- (مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَرْقَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ) ٩٢

٣١٢- (مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ كُفِّرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَقْدَ شَعِيرَةٍ) ٤٢٠

٣١٣- (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ) ٣٤١

٣١٥- (مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً لَبَنٍ أَوْ وَرِقٍ أَوْ هَدَى زُفَافًا كَانَ لَهُ مِثْلَ عِتْقِ رَقَبَةٍ) ٣٩٢

٣١٦- (مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفَلِكِ دَمِهِ) ٤٣٥

٣١٧- (مَنْ هَدِيَهُ؟ قَالَتْ: فَلَانَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا. قَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ) ٢٥٣

٣١٨- (مَنْ يُحْرِمَ الرَّفِيقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ) ٢٢٠

٣١٩- (مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) ٤٢٣

ن

٣٢٠- (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرَكِبُونَ الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِثْلَهُمْ مِثْلُ الْمُلُوكِ) ٢٦٠

٣٢١- (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَأَدَّأَهَا كَمَا سَمِعَهَا) ١٠٠، ١٣٤

٣٢٢- (نَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ نَقْرَةِ الْعُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ) ٣٣٥

هـ

٣٢٣- (هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ حِلَالَ يَبُوتِكُمْ) ٢٨٦

٣٢٤- (هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟) ١٧٦

٣٢٥- (هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ٤٢٠

٣٢٦- (هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ)..... ٥٣،٢٦١

الصفحة

الحديث

٣٢٧- (هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)..... ٢٥٣

و

٣٢٨- (وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ)..... ٣٤٨

٣٢٩- (وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)..... ٣٢٧

٣٣٠- (وَأَمْرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ)..... ٣٤٢

٣٣١- (وَأَمْرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ)..... ٣٣٧

٣٣٢- (وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَفَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)..... ٣٥٢

٣٣٣- (وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ)..... ١٤٦

٣٣٤- (وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكَلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ نَمْنَهُ)..... ٣٨٢

٣٣٥- (وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ)..... ٩٥

٣٣٦- (وَأَيْتُكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي)..... ٥٤

٣٣٨- (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ)..... ١٠٦

٣٣٩- (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ)..... ٣٣٨

٣٤٠- (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..... ٢٢١،٢٥٨

٣٤١- (وَاللَّهُ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي)..... ٧٤

٣٤٢- (وَاللَّهِ لَا تَجِدُونَ بَعْدِي أَعْدَلَ عَلَيْكُمْ مِنِّي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)..... ٧٣،٢١٥

٣٤٣- (وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ)..... ١٧٩،٣٧٣

٣٤٤- (وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)..... ٣٦٠

٣٤٥- (وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ)..... ٣٤

٣٤٦- (وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِيهِ)..... ٢٥

٣٤٧- (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)..... ٢٦٢

٣٤٨- (وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..... ٤١٢

٣٤٩- (وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ)..... ٢١١

٣٥٠- (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)..... ٤١٩

٣٥١- (وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَتَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ)..... ٤٨،٨٩

٣٥٢- (وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ نُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ)..... ٢٥٢

٣٥٣- (وَمِثْلُ الْمَنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلَ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)..... ٢٠٨

٤٣٤..... (وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ) ٣٥٤-

الصفحة

الحديث

٤٢٤..... (وَمَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ) ٣٥٥-

٣١٤..... (وَيَقَى أَهْلُ النَّارِ، فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ، ثُمَّ يُقَالُ: هَلْ امْتَلَأَتْ؟) ٣٥٨-

١٩٦..... (وَيُلُّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبَعُوا الْوُضُوءِ) ٣٥٩-

٧٣..... (وَيْلَكَ أَوْلَيْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟!!) ٣٦٠-

ي

٣٠٩..... (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ) ٣٦١-

٣١٠..... (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ) ٣٦٢-

٢٠٠..... (يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) ٣٦٣-

١٢٥..... (يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ) ٣٦٤-

٣٤٧..... (يَا أُمَّ مَعْقِلٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَخْرُجِي مَعَنَا؟) ٣٦٥-

٤٠٨..... (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ) ٣٦٦-

٣٩٨..... (يَا بَشِيرُ أَلَيْكَ وَكَذُّ سَيِّئِ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَكَلْتُمْ) ٣٦٧-

٣٢٨..... (يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا) ٣٦٨-

٤٠٥..... (يَا عَائِشَةُ، أَعْلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟) ٣٦٩-

٦٨..... (يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) ٣٧٠-

٢٢٠..... (يَا عَائِشَةُ. إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) ٣٧١-

٣٤٣..... (يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ) ٣٧٢-

٤٢٦..... (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ) ٣٧٣-

٢١٠..... (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ فِي النَّارِ) ٣٧٤-

٣٥١..... (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَحَنِكُمْ) ٣٧٥-

١٩٤..... (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ) ٣٧٦-

٤١٥..... (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ) ٣٧٧-

٣١١..... (يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ النَّعَارِيُّ) ٣٧٨-

٣٠٦..... (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْعَدَتْهُمْ مِثْلُ أَفْعَدَةِ الطَّيْرِ) ٣٧٩-

٢٩٤..... (يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ) ٣٨٠-

١٤٨..... (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَخٌ) ٣٨١-

٧٣..... (يُرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) ٣٨٢-

- ٣٨٣- (يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَاهُمْ كَلِمَحِ الْبِرِّقِ) ٣٠٢
الحديث
الصفحة
- ٣٨٤- (يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا) ٣١١
- ٣٨٥- (يَعِضُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ كَمَا يَعِضُ الْفَحْلُ لَا دِيَةَ لَهُ) ٣٩٠
- ٣٨٦- (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا) ٦٥
- ٣٨٧- (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ) ١٤٧
- ٣٨٨- (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) ١٤٢
- ٣٨٩- (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا) ١٤٦
- ٣٩٠- (يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَكَيِّمًا عَلَى أُرْيَكْتِهِ يُحَدِّثُ حَدِيثًا مِنْ حَدِيثِي) ١٤٣، ٢٦

- ١- إبراهيمُ بنُ موسى بنِ محمدِ الغرناطيِّ الشاطبيِّ..... ٢٥٦
- ٢- أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ النَّجَّارِيِّ..... ٣٤
- ٣- أبو أمامة الباهلي..... ١٤٩
- ٣- أبو أيوب خالد بنُ زيدِ بنِ كَلِيبِ الأنصاريِّ..... ٣٣٩
- ٤- أبو حامدٍ محمد بنِ محمد بنِ محمدِ الغزالي الطوسيِّ..... ٢٠٨
- ٥- أبو عبيدة بنُ الجراحِ الفِهْرِيِّ..... ٢٨٥
- ٦- أبو فاطمة الأزديِّ..... ٣٦٠
- ٧- أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بنِ عَبْدِ السَّلَامِ بنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَانِيِّ..... ٥٥
- ٨- أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ الكِنَانِيِّ العَسْقَلَانِيِّ..... ٣٧
- ٩- أسامة بنُ زيدِ بنِ حارثة الكَلْبِيِّ..... ٢١٠
- ١٠- الأقرع بنُ حابسِ بنِ عقالِ التميميِّ..... ١٨٨
- ١١- أمُّ حَرَامِ بنتِ مِلْحَانَ الأنصارية..... ٢٦٠
- ١٢- أمُّ السَّائِبِ الأنصاريَّة..... ٣٣٦
- ١٣- أمُّ سَلِيمِ الرُّمَيْصَاءِ بنتِ مِلْحَانَ بنِ خالدِ الأنصارية..... ٢٦٠
- ١٤- أمُّ مِعْقَلِ الأَسَدِيَّة..... ٣٤٨
- ١٥- أنس بنُ مالكِ بنِ النَّضْرِ الأنصاريِّ..... ٢٦٠

ب

- ١٦- البراء بنُ عازب..... ١١٣
- ١٧- بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْبِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَسْلَمِيِّ..... ٣٧٦
- ١٨- بلالُ الحَبَشِيِّ..... ١٨٧

ث

- ١٩- ثابتُ بنُ الضَّحَّاكِ الأنصاري الأشهليّ..... ٤٣٤
 ٢٠- ثوبانُ بنُ بُجْدُد، مولى رسول الله ﷺ..... ١٤٦

ج

- ٢١- جَابِرُ بنُ عبدِ الله الأنصاري السلميّ..... ٥٩
 ٢٢- جَرِيرُ بنُ عبدِ الله بن جابرِ البجليّ..... ٢٤٧
 ٢٣- جمالُ الدينِ بنُ محمدِ بنِ قاسمِ القاسميّ..... ٢١٩

ح

- ٢٤- حاتمُ بنُ عبدِ الله الطائيّ القحطاني..... ٣١٩
 ٢٥- الحارثُ بنُ الحارثِ الأشعريّ..... ٣٢٥
 ٢٦- الحارثُ بنُ هشامِ بنِ المغيرةِ المخزوميّ..... ٢٩
 ٢٧- حدردُ بنُ أبي حدردِ سلامة الأسلميّ..... ٤٣٥
 ٢٨- حذيفةُ بنُ اليمانِ العبسيّ..... ١٠٩
 ٢٩- حرْقُوصُ بنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيّ، ذو الخُوَيْصِرَةِ التميمي..... ٧٤
 ٣٠- حَسَّانُ بنُ عطيةِ أبو بكرِ الحاربيّ..... ٣٥٤
 ٣١- الحسينُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الله الطيبي..... ٧٩
 ٣٢- حمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمِ الخطَّابي البُستي..... ٤٤
 ٣٣- حَنْظَلَةُ بنُ ربيعِ الأسيديّ..... ٢٥١

خ

- ٣٤- خالدُ بنُ الوليدِ بنِ المغيرةِ القرشيّ المخزومي..... ١٨٨
 ٣٥- خولةُ بنتُ حكيمِ بنِ أميةِ السُّلَمِيَّة..... ١٧١

ر

- ٣٦- رافعُ بنُ خَدِيجِ بنِ رافعِ الأنصاريّ..... ٢٤٦
 ٣٧- ربيعةُ بنُ كَعْبِ الأَسْلَمِيّ..... ٤٥

ز

- ٣٨- زيدُ بنُ الصَّامِتِ الخَزْرَجِيُّ الزَّرْقِيُّ.....٦٦
 ٣٩- زيدُ بنُ مُهَلِّهِلِ بنِ زيدِ الطَّائِيِّ النَّبْهَانِيِّ.....١٨٨
 ٤٠- زَيْنَبُ بنتُ جَحْشٍ.....٨٣

س

- ٤١- سَبْرَةُ بنُ أَبِي فَاكِهٍ.....٣٦١
 ٤٢- سَعْدُ بنُ مالِكِ بنِ أَبِي وَقَّاصِ القَرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ.....٩٥
 ٤٣- سَعْدُ بنُ مالِكِ بنِ سِنَانِ الخَزْرَجِيِّ.....٧٣
 ٤٤- سَعِيدُ بنُ حَرِيثِ المَخْزُومِيِّ.....٣٨١
 ٤٥- سَعِيدُ بنُ عَمْرٍو الأَنْمَارِيِّ المَذْحِجِيِّ.....٣٣
 ٤٦- سَلْمَانَ أبو عبدِ اللهِ الفَارِسِيِّ.....١٨٤
 ٤٧- سَمْرَةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ هلالِ الفِزَارِيِّ.....٣٠٤
 ٤٨- سَهْلُ بنُ سَعْدِ بنِ مالِكِ الأنصاري السَّاعِدِيِّ.....١٦٨

ش

- ٤٩- شَدَّادُ بنُ أوسِ بنِ ثابتِ الخَزْرَجِيِّ.....٣٦٤

ص

- ٥٠- صَخْرُ بنُ حَرْبِ بنِ أميةَ القَرَشِيِّ الأُمَوِيِّ.....٢٤٧
 ٥١- صَفْوَانُ بنُ أميةَ بنِ خَلْفِ الجُمَحِيِّ.....٢٤٦

ض

- ٥٢- الضَّحَّاكُ بنُ قيسِ بنِ خالدِ الفِهْرِيِّ.....٢٨٦

ط

- ٥٣- طَلْحَةُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ عثمانِ القَرَشِيِّ.....٣٣١

ع

- ٥٤- عَائِشَةُ بنتُ أَبِي بَكْرٍ عبدِ اللهِ بنِ أَبِي قُحَافَةَ القَرَشِيَّةِ التَّمِيمِيَّةِ.....٢٣

- ٣٥٥..... ٥٥-عبادةُ بنُ الصّامِتِ بنِ قيسِ الخَزْرَجِيِّ.
- ٢٤٧..... ٥٦-عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسِ بنِ أَبِي عامِرِ السُّلَمِيِّ.
- ٣٥٤..... ٥٧-عبدُ الرّحمنِ بنِ أحمدَ بنِ رَجَبِ الحَنْبَلِيِّ.
- ٣٣٥..... ٥٨-عبدُ الرّحمنِ بنِ شِبلِ الأَنْصارِيِّ الأوسِيِّ.
- ٤٠..... ٥٩-عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرِ الدَّوْسِيِّ.
- ٨١..... ٦٠-عبدُ الرَّحْمَنِ بنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ.
- ٣٣٨..... ٦١-عبدالعزیز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السُّلَمِيِّ.
- ٤١..... ٦٢-عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي أَوْفَى الأَسْلَمِيِّ.
- ١٧٦..... ٦٣-عبدالله بنُ أَبِي داوُدَ سَلِيمَانَ السَّجِسْتَانِيِّ.
- ٣٣٢..... ٦٤-عبدالله بن أحمد بن قُدَامَةَ المَقْدِسِيِّ.
- ٣٨١..... ٦٥-عبدُ اللَّهِ بنُ أنيسِ الجُهَنِيِّ.
- ٣٣٤..... ٦٦-عبدالله بنُ الحارثِ بنِ أَبِي ربيعةَ بنِ المغيرةَ المخزوميِّ.
- ٤٤..... ٦٧-عبدالله بنُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ القرشيِّ.
- ٢٦٠..... ٦٨-عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرّحمنِ الأَنْصارِيِّ الأشْهَلِيِّ.
- ١٠٥..... ٦٩-عَبْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ الخطّابِ القرشيِّ.
- ١٦٧..... ٧٠-عبدُ اللَّهِ بنُ عمرو بنِ العاصِ السَّهْمِيِّ القرشيِّ.
- ٢١..... ٧١-عَبْدُ اللَّهِ بنُ قَيْسِ بنِ سَلِيمِ الأشْعرِيِّ.
- ٢٤..... ٧٢-عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودِ الهُدَلِيِّ.
- ١٦٢..... ٧٣-عبدُ اللَّهِ بنُ مَعْفَلِ بنِ مُقَرِّنِ المُرَزِيِّ.
- ٣٢٢..... ٧٤-عبيدُ بنُ خالدِ السُّلَمِيِّ.
- ٣٥٣..... ٧٥-العَرَبَاضُ بنُ ساريةِ السُّلَمِيِّ.
- ٢٠٤..... ٧٦-عقبةُ بنُ عامرِ بنِ عَبَسِ الجُهَنِيِّ.
- ١٨٨..... ٧٧-عَلَقَمَةُ بنُ عَلَاثَةَ بنِ عوفِ العامريِّ الكِلَابِيِّ.
- ٢٤..... ٧٨-عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبِ بنِ عبدِ المطلبِ.

الاسم	الصفحة
٧٩- عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَزْمِ الظَّاهِرِيِّ.....	٢٥.....
٨٠- عمر بن الخطاب.....	١٨٧.....
٨١- عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ.....	٢٥٨.....
٨٢- عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بْنِ خَالِدِ السُّلَمِيِّ.....	١٩٧.....
٨٣- عَوْفُ بْنُ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ.....	٤٩.....
٨٤- عُوَيْمِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ قَيْسِ الْخَزْرَجِيِّ.....	٢٨.....
٨٥- عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ الْيَحْصَبِيِّ.....	١٢٩.....
٨٦- عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ الْفِرْزَارِيِّ.....	١٨٨.....

ف

٨٧- فَضْلُ اللَّهِ شَهَابُ الدِّينِ التُّورَبَشْتِيِّ الْحَنْفِيِّ.....	١٠٢.....
٨٨- الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضِ الْيَرُبُوعِيِّ الطَّالِقَانِيِّ.....	٣٢٤.....
٨٩- فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيِّ.....	٢٩٤.....

ق

٩٠- قَتَادَةُ بْنُ التُّعْمَانَ الْأَوْسِيِّ.....	٣٢٠.....
٩١- قَطْنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ الْخَزْرَاعِيِّ.....	١١٩.....
٩٢- قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمِ الْبَجَلِيِّ الْأَحْمَسِيِّ.....	٢٤٧.....

ك

٩٣- كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ بْنِ أُمَيَّةَ الْبَلَوِيِّ.....	٣٤٣.....
---	----------

ل

٩٤- لَقَيْطُ بْنُ صَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيِّ.....	١١٩.....
---	----------

م

٩٥- مَاعِزُ بْنُ مُجَالِدِ الْبَكَّائِيِّ.....	٣٤٥.....
٩٦- مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ.....	٢٤٢.....
٩٧- مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبِ الزَّرْعِيِّ ابْنِ قَيْمِ الْجُوزِيَّةِ.....	٥٥.....

الاسم

- ٩٨- محمدُ بنُ أحمدُ بنُ أبي بكرِ القرطبيّ..... ١٢٥
- ٩٩- مُحَمَّدُ بنُ إدريسِ بنِ العباسِ الشافعي..... ٣٠
- ١٠٠- مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلِ بنِ إبراهيمَ الجعفيّ البخاريّ..... ٣٦
- ١٠١- مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلِ الصنعانيّ..... ٤٣٠
- ١٠٢- محمدُ بنُ صالحِ بنِ عثيمين الوهيبيّ التميميّ..... ٢٥٧
- ١٠٣- مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرَّؤُوفِ المَناويّ..... ١٦٣
- ١٠٤- مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ العَربِيِّ الإشبيليّ..... ١٣١
- ١٠٥- مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ وَهَبِ القُشَيْرِيّ..... ٤٠
- ١٠٦- مَحْمُودُ بنُ عُمَرَ الزَمَخْشَرِيّ..... ١٠٣
- ١٠٧- المَستورِدُ بنُ شَدَّادِ بنِ عَمْرٍو القُرشيّ الفِهْرِيّ..... ١٧٩
- ١٠٨- معاويةُ بنُ حَيْدَةَ بنِ معاويةِ القُشَيْرِيّ..... ١٨٢
- ١٠٩- المَندَرُ بنُ عائِدِ بنِ الحارثِ العَبْدِيّ..... ٧١
- ن
- ١١٠- نَضْلَةُ بنُ عبيدِ الأَسميّ..... ٤٢٦
- ١١١- التُّعْمَانُ بنُ بَشِيرِ بنِ سَعْدِ الخَزرجيّ..... ٨٢
- ١١٢- التَّوَّاسُ بنُ سَمْعَانَ بنِ خالِدِ العَامِريّ..... ١١٨
- ي
- ١١٣- يَحْيَى بنُ شَرَفِ بنِ حَسَنِ التَّوَوِيّ..... ٤٢
- ١١٤- يَعلَى بنُ أميةَ بنِ أبي عبيدةَ التميميّ الحنظليّ..... ١٧٢
- ١١٥- يوسُفُ بنُ عبدِاللهِ بنِ عبدِ البرِّ النَمريّ القرطبيّ..... ١٦٠

٥- فِهْرَسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

القرآن الكريم

- ١- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٣- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٤- الأخلاق الفاضلة (قواعد ومنطلقات)، عبد الله الرحيلي، الرياض، مطبعة سفير، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ٥- أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، دار الفكر، دون باقي معلومات النشر.
- ٦- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن عبد الله الفوزان، الدمام، دار الدخائر ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ٨- أسئلة حرجة وأجوبة صريحة، محمد متولي الشعراوي، بيروت، دار العودة، ١٩٨٦م.
- ٩- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، مطبوع مع كتاب: الإصابة، ابن حجر.
- ١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق محمد البنا وآخرون، دار الشعب، بدون باقي معلومات النشر.
- ١١- أسمى الرسائل، عبد الحميد الخطيب، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط. الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
- ١٢- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ١٣- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

- ١٤- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٥- أصول الفقه، محمد الخضري بك، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. السادسة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- ١٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط. الثالثة، بدون باقي معلومات النشر.
- ١٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- ١٨- الإفصاح في فقه اللغة، عبدالفتاح الصعيدي، وحسين يوسف، بيروت، دارالكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ١٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ٢٠- الأمراض الجنسية، إصدار سلسلة أسرتي، الشركة الشرقية للمطبوعات، بدون، ١٩٨٨م.
- ٢١- الأمراض الجنسية، نبيل صيحي الطويل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٣٩٥هـ.
- ٢٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٢٣- إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه، صفاء الصوّي أحمد العدوي، البحرين، دار اليقين، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٢٤- أهمية الدعوة إلى الله، غازي غزاي المطيري، الجامعة الإسلامية، غير منشور رسالة دكتوراه.
- ٢٥- ابن عثيمين الإمام الزاهد، ناصر مسفر الزهراني، الدمام، دار ابن الجوزي، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٢٦- الإيمان، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة ١٤٠١هـ.
- ٢٧- الإيمان (خصائصه، علاماته، ثمراته)، أحمد عزالدين البيانوني، القاهرة، دار السلام، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٢٨- بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام. الكتاب السنوي لكلية الدعوة، العدد الأول ١٤١٣هـ.

- ٢٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر الكاساني الحنفي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٣٠- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد أبو ملحوم وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٣١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ٣٢- بذل الجهود في حلّ أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، تعليق: محمد زكريا الكاندهلوي، بدون، مطبعة السعادة، ط. الثالثة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- ٣٣- البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، مصر، دار المعارف، ط. الحادية والعشرون، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- ٣٤- تأملات في سيرة الرسول ﷺ، محمد السيد الوكيل، جدة، دار المجتمع، ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مصر، المطبعة الخيرية، ط. الأولى، ١٣٠٦هـ.
- ٣٧- تجريد أسماء الصحابة، محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ٣٨- تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبدالغني الدقل، دمشق، دار القلم، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ٣٩- التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الرياض، دار الفضيلة، ط. الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٤٠- التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، فضل إلهي، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤١- تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ٤٢- التغيير سنة الحياة، محمود محمد بللي، جدة، دار المنارة، ط. الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٤٣- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- ٤٤- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٤٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف، ط. ١٣٨٧هـ.
- ٤٦- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ٤٧- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، نسخة مصورة عن الطبعة المنيرية، بدون.
- ٤٨- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الهند، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط. الأولى، ١٣٢٧هـ.
- ٤٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، الدار المصرية للتأليف، بدون تاريخ.
- ٥٠- تهذيب مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، الإمارات العربية المتحدة، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، بدون تاريخ.
- ٥١- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة ١٤٠٦هـ.
- ٥٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد (شرح القصيدة النونية)، ابن القيم الجوزية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- ٥٣- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط. الخامسة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٥٤- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويح، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٥٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت، دار الفكر، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٥٦- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ٥٧- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، شرح الحديث الثامن والعشرين، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.

- ٥٨- جامع الفقه (موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم الجوزية) جَمَعَهُ: يُسْرِي السيد محمد، المنصورة، دار الوفاء، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٥٩- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، تقدم عبدالكريم الخطيب، مصر، دار الكتب الإسلامية، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٦٠- الجرح والتعديل، جمال الدين القاسمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ٦١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ٦٢- جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، بدون باقي معلومات النشر.
- ٦٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ٦٤- حاشية السندي، نور الدين بن عبدالهادي السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٦٥- حجة الله البالغة، أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ٦٦- حرکات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الرابعة عشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٦٧- حكم السحر والكهانة، عبدالعزيز بن باز، ط. الرياض. رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٦٨- الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد بن عبدالكريم الزيد، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ.
- ٦٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ٧٠- حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، الرياض، دار الراية، ١٤٠٩هـ.
- ٧١- الحوار والمناظرة والجدال في مجال الدعوة إلى الإسلام، إبراهيم بن صالح اللحيان، إدارة الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٧٢-١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ٧٣- الداعي إلى الله (تكوينه-مسؤوليته)، زيد عبدالكريم الزيد، الرياض، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- ٧٤- درء الفتنة عن أهل السنة، بكر بن عبد الله أبو زيد، الرياض، دار العاصمة، ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٧٥- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٧٦- الدر المختار وحاشية ابن عابدين، مصر، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ط. الثانية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- ٧٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار الجليل.
- ٧٨- دعوة الفطرة، يوسف محي الدين أبو هلاله، الرياض، دار العاصمة، ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٧٩- دعوة النبي ﷺ، للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، الرياض، دار المسلم، ط. الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٨٠- الدعوة إلى الله في البيوت، محمد بن فهد الجيفان، الرياض، دار البشائر العالمية، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٨١- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، عدنان رضا النحوي، الرياض، الفرزدق، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٨٢- الديباج، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، السعودية، الخبر، دار ابن عفان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٨٣- ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد عفيف الزعبي، حمص، مكتبة المعرفة، ط. الثالثة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٤م.
- ٨٤- ديوان حاتم الطائي ضمن كتاب ((خمسة دواوين العرب))، بيروت، المكتبة الأهلية، بدون تاريخ.
- ٨٥- الرائد، دروس في التربية والدعوة، مازن بن عبد الكريم الفريح، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٨٦- رسالة في الدعوة إلى الله، محمد الصالح العثيمين، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٨٧- الرسائل والمتون العلمية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

- ٨٨- رَفْعُ الرِّيَّةِ عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة، محمد علي الشوكاني، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني، الكويت، مكتبة ابن تيمية، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ٨٩- روائع البيان في الأمثال النبوية، محمود السيد حسن، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٨م.
- ٩٠- روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طَبَّارة، بيروت، دار العلم للملايين، ط. الرابعة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- ٩١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٩٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم محمد بن أبي بكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٩٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دار الفكر، بدون باقي معلومات النشر.
- ٩٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٩٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، عمَّان، المكتبة الإسلامية، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٩٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٩٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، بيروت، دار الحديث، ط. الأولى ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٩٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بدون باقي معلومات النشر.
- ٩٨- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سُورَة، تحقيق إبراهيم عوض، أحمد شاكر، وآخرون بيروت، دار التراث العربي، بدون تاريخ.
- ٩٩- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمري، خالد السبع العلمي، كراتشي، قديمي كتب خانه، بدون تاريخ.

- ١٠٠- سنن النسائي (بشرح جلال الدين السيوطي)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ١٠١- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ١٠٢- السنة، عمر بن أبي عاصم الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد بن ناصر الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٠٣- السنة، عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٠٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٠٥- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط. الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٠٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللاكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، بدون تاريخ.
- ١٠٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، ط. العشرون، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٠٨- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، سيدي محمد الزرقاني، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ١٠٩- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١١١- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين (ضمن الرسائل والمتون العلمية).
- ١١٢- شرح حديث جبريل، المعروف باسم كتاب الإيمان الوسط، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: علي بن يخيت الزهراني، الدمام، دار ابن الجوزي، ط. الثانية ١٤٢٣هـ.
- ١١٣- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ١١٤- شرح صحيح مسلم، يحيى بن زكريا النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ١١٥- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١١٦- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوي زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ١١٧- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م.
- ١١٨- الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بدون باقي معلومات النشر.
- ١١٩- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ١٢٠- صحيح البخاري (مع الفتح)، دار الفكر، بدون باقي معلومات النشر.
- ١٢١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ١٢٢- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ١٢٣- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ١٢٤- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ١٢٥- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- ١٢٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ١٢٧- صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي، الرياض، دار القاسم، ط. الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ١٢٨- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، محمد أمان الجامي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

- ١٢٩- صفة صلاة النبي ﷺ، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الحادية عشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١٣٠- الصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة، عبدالرحمن الدوسري، الرياض، مكتبة الرشد، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ١٣١- الطب من الكتاب والسنة، موفق الدين عبداللطيف البغدادي، تحقيق: د/ عبدالمعطي أمين قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط. ١٣٢- الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١٣٣- طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٣٤- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الدمشقي، تحقيق: د/الحافظ عبدالعليم خان، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ١٣٥- طبقات الشافعية، أبو بكر بن هداية الله الحسيني، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط. الثانية، ١٩٧٩م.
- ١٣٦- طبقات الشافعية، تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، محمود الطناحي، مصر، عيسى البابي الحلبي، ط. الأولى، بدون.
- ١٣٧- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
- ١٣٨- الطرق الحكمية في السياسية الشرعية، محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض، دار الوطن، بدون تاريخ.
- ١٣٩- طريقك إلى الإخلاص و الفقه في الدين، عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، جدة، دار الأندلس، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ١٤٠- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، لأبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي المالكي، بيروت، مكتبة المعارف، بدون تاريخ.
- ١٤١- العبودية، ابن تيمية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. السادسة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٤٢- العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات المالية، عادل عبد القادر قوته، مكة المكرمة، المكتبة المكية، ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ١٤٣- العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، عبدالله بن إبراهيم الوهبي، ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- ١٤٤- عقوبة الإعدام، محمد بن سعد الغامدي، الرياض، مكتبة دار السلام، ط. الأولى
١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٤٥- العقد الثمين في المواقف المشرفة لا بن عثيمين، جمع عبدالرحمن بن يوسف الرحمة،
الرياض، دار أطلس، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ١٤٦- علم التوحيد، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، الرياض، بدون، ط. الأولى ١٤٠٩هـ/
١٩٨٩م.
- ١٤٧- علم النفس التكويني أسسه وتطبيقه من الولادة إلى الشيخوخة، عبدالحميد محمد الهاشمي،
الرياض، دار الهدى، ط. الخامسة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ١٤٨- علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكة المكرمة، مكتبة
النهضة الحديثة، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ١٤٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، مصر، مكتبة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده، ط. الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ١٥٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح
الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط.
الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- ١٥١- غريب الحديث، أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.
الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١٥٢- غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي،
دمشق: دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ١٥٣- غريب الحديث، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: د/ عبدالمعطي أمين
قلعجي، ط. الأولى، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٨٥م.
- ١٥٤- الفائق في غريب الحديث، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون باقي معلومات النشر، ط.
الثانية.
- ١٥٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد
فؤاد عبد الباقي و عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بدون باقي معلومات النشر.

- ١٥٦- فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، محمد بن عبد الرحمن المغروي، الرياض، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ١٥٧- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الدئلمي الهمداني، تحقيق السعيد بن بسبوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٥٨- الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: عمر حسن القيام، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ١٥٩- فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، عبد الرحمن عبد الخالق، الكويت، دار القلم، ط. الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١٦٠- فقه ابن عمر في المعاملات، محمد سلامة، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٦١- فقه الأدعية و الأذكار، عبد الرزاق البدر، الخبر، دار ابن عفان، ط. الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ١٦٢- فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، الكويت، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- ١٦٣- فقه الدعوة إلى الله، علي بن عبدالحليم محمود، المنصورة، دار الوفاء، ط. الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ١٦٤- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، خالد بن عبد الرحمن القرشي، الرياض، ط. الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١٦٥- فقه المعاملات المالية، علي أحمد القليصي، صنعاء، دار الجامعات اليمنية، ط. الرابعة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٦٦- فقه وفتاوى البيوع، مجموعة من العلماء، جمع وعناية: أشرف عبد المقصود، الرياض، دار طبرية، ط. الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ١٦٧- الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، أحمد عيسى عاشور، القاهرة، مكتبة الاعتصام، ط. الرابعة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٦٨- الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

- ١٦٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليقات: نخبة من العلماء، بيروت، دار المعرفة، ط. الثانية، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.
- ١٧٠- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مصر، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط. الثانية، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- ١٧١- القدوة مبادئ ونماذج، صالح بن عبد الله بن حميد، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ١٧٢- القصيدة النونية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، ط. القاهرة، مطبعة التقدم العلمية، ١٣٤٥هـ.
- ١٧٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ١٧٤- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين (ضمن الرسائل والمتون العلمية).
- ١٧٥- القواعد النورانية الفقهية، أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الندوة الجديدة، بدون تاريخ.
- ١٧٦- القيامة الكبرى، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط. التاسعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ١٧٧- الكاشف عن حقائق السنن، (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، مكة المكرمة، مكتبة الباز، ط. الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ١٧٨- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لأبي الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، الهند، الدار السلفية، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٧٩- كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١٨٠- كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك المرزوي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ١٨١- كتاب الزهد، هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- ١٨٢- كتاب المغازي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، ط. الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ١٨٣- الكشّاف عن حقائق التزئيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، سورة الرعد، مصر، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، ط. الأخيرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- ١٨٤- كلمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني، المغرب، مطبعة فضالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ١٨٥- كلمات في مناسبات، للدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ١٨٦- الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، منشورات الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥م.
- ١٨٧- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الجكني الشنقيطي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٨٨- كيفية صلاة النبي ﷺ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مكة المكرمة، مطبعة، الصفا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١٨٩- لاجديد في أحكام الصلاة، بكر بن عبدالله أبو زيد، الرياض، دار الراية، ط. الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ١٩٠- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
- ١٩١- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، عبدالله بن أحمد المقدسي، تحقيق: بدر عبدالله البدر، الكويت، الدار السلفية، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١٩٢- مئة درس من السيرة النبوية، عبدالرب نواب الدين، دمشق، دار القلم، ط. الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ١٩٣- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، دار الوطن، ط. الأولى.
- ١٩٤- مجلة مجمع الفقه الإسلامي: الدورة الخامسة، الكويت، ١٤٠٩هـ جماد الأولى.
- ١٩٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- ١٩٦- مجموع الفتاوى، أحمد ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، بيروت، الدار العربية، ط. الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ١٩٧- محرمات استهان بها الناس، محمد صالح المنجد، ط. القصيم، دار أصدقاء المجتمع، بدون تاريخ.
- ١٩٨- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. السابعة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ١٩٩- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب، مراجعة لجنة من العلماء، بدون تاريخ.
- ٢٠٠- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٠١- المرشد الطبي الحديث، وضعه: جماعة من الأطباء، بيروت، المكتبة الحديثة، بدون تاريخ.
- ٢٠٢- المستدرک علی الصحیحین فی الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، وبهامشه تلخيص المستدرک، محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ٢٠٣- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، بيروت، دار المأمون للتراث، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٠٤- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٠٥- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٢٠٦- المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، دار المعارف، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ٢٠٧- مشكل الآثار، أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، الهند، دائرة المعارف حيدرآباد، ط. الأولى، ١٣٣٣هـ.
- ٢٠٨- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، بدون معلومات طباعة أخرى.
- ٢٠٩- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، جدة، دار المدني، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

- ٢١٠- معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد حامد
الفقي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٢١١- معالم الشريعة الإسلامية، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط. الرابعة،
١٩٨٢م.
- ٢١٢- المعالم الأثرية في السنة والسير، محمد محمد حسن شراب، دمشق، دار القلم، ط.
الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ٢١٣- معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، بيروت، دار الفكر،
ط. الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٢١٤- معجم البلاغة العربية، د/بدوي بطانة، جدة، دار المنارة، ط. الثالثة،
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٢١٥- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، بيروت، دار صادر،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢١٦- معجم شواهد النحو الشعرية، حنّا جميل حداد، الرياض، دار العلوم، ط. الأولى،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢١٧- المعجم الفلسفي، مجموعة من علماء جمع اللغة العربية، بيروت، عالم
الكتب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ٢١٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مصر،
مصطفى البابي الحلبي، ط. الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ٢١٩- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد
السلفي، ط. الأولى، العراق، مطبعة الوطن العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٢٢٠- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
- ٢٢١- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، القاهرة، دار
الفضيلة، ١٩٩٩م.
- ٢٢٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، أشرف
عليه عبد السلام هارون، طهران، المكتبة العلمية، بدون تاريخ.

- ٢٢٣-معن بن أوس: حياته وشعره وأخباره، جمعه كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة النهضة، ط. الأولى ١٩٢٧م.
- ٢٢٤-المغني وبهامشه الشرح الكبير، عبدالله بن أحمد بن قدامة، بيروت، دار الفكر، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢٢٥-المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، يوسف الصديق، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط. الثانية، ١٩٨٠م.
- ٢٢٦-المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ط. الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ٢٢٧-المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرين، بيروت، دار ابن كثير، ط. الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ٢٢٨-مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٧هـ.
- ٢٢٩-من سيرة الرسول ﷺ، عبداللطيف عاشور، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ٢٣٠-من صفات الداعية اللين والرفق، فضل إلهي، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- ٢٣١-مناهج الدعوة وأساليبها، على جريشة، المنصورة، دار الوفاء، ط. الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- ٢٣٢-منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، محمد بن أحمد الفتوحى ابن النجار، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، القاهرة، دار العروبة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
- ٢٣٣-منهاج الطالبين، محي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ.
- ٢٣٤-المنهاج القرآني تكوين وإقناع، عبدالله يوسف الشاذلي، طنطا، المكتبة القومية الحديثة، بدون تاريخ.

- ٢٣٥- المنهج العلمي وتفسير السلوك، النهضة المصرية، ١٩٧٨م، بدون باقي معلومات النشر.
- ٢٣٦- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: محمد عبد الله داراز، مكة المكرمة، دار الباز، بدون تاريخ.
- ٢٣٧- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، مصر، دار الصفوة، ط. الأولى ١٩٩٥م.
- ٢٣٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، مطبعة سفير، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٣٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومية، بدون تاريخ.
- ٢٤٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
- ٢٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق محمود الطناجي، المكتبة الإسلامية، بدون باقي معلومات النشر.
- ٢٤٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٤٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٤٤- وسائل الدعوة، عبدالرحيم محمد المغدوي، الرياض، دار إشبيلية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ٢٤٥- وسائل الدعوة، محمد إبراهيم الجيوشي، القاهرة، ط. الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٤٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
- ٢٤٧- وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، القاهرة، دار ابن القيم، الاسكندرية، ط. الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٤٨-وقفات مع الدعوة والدعاة، أحمد عباس البدوي، الرياض، دار الشروق، ط.
الأولى ١٤١٠هـ.

٢٤٩-الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، الرياض، دار طيبة، ط. الثالثة
١٤٠٩هـ.

٢٥٠-اليوم الآخر(القيامة الصغرى)، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط.
العاشرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥ - فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

١.....	المقدمة
٦.....	أهمية الموضوع
٧.....	أسباب الاختيار
٧.....	مشكلة البحث
٨.....	حدود البحث
٨.....	الدراسات السابقة
١٠.....	منهج البحث
١٢.....	موضوعات البحث
١٤.....	شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ
١٧.....	التمهيد
١٨.....	توطئة
٢١.....	الفصل الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالداعية
٢١.....	المبحث الأول: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بعلم الداعية:
٢٢.....	ضرورة تحلي الداعية بالعلم
٢٢.....	اعتماد الداعية على العلم الموثق الصحيح
٢٣.....	تدرج الداعية في العلم
٢٤.....	توسُّع الداعية في العلم
٢٤.....	تنويع الداعية لعلمه
٢٧.....	أهمية علم الداعية بالكتاب والسنة
٢٧.....	إبراز الداعية ثقته بعلمه
٣١.....	صبر الداعية على طلب العلم
٣١.....	حرص الداعية وانتباهه عند طلبه للعلم
٣٢.....	ثبات العلم ورسوخه على قدر الجهد المبذول
٣٢.....	تنويع الداعية الطرق التي يتلقى بها العلم
٣٥.....	اعتراف الداعية بعدم الإحاطة لكل أبواب العلم
٣٦.....	خلاصة القول في علم الداعية
٣٨.....	المَبْحَثُ الثَّانِي: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِعِبَادَةِ الدَّاعِيَةِ

- أولاً-اهتمامُ الداعيةِ بالصلاة وما يتعلق بها ٣٩
- ١- ما يقال في الاستفتاح..... ٤٠
- ٢- ما يقال بعد الرفع من الركوع ٤١
- ٣- ما يقال في السجود ٤٣
- ٤- ما يقال في سجود التلاوة..... ٤٤
- ٥- ما يقال في قنوت النوازل ٤٧
- ٦- سجود السهو ٤٨
- ٧- ما يقال دبر الصلوات ٤٨
- ٨- ما يقال في الصلاة على الجنائز ٤٩
- ٩- صلاة الكسوف..... ٥١
- ثانياً- اهتمام الداعية بالصيام وما يتعلق به..... ٥٣
- ١- صوم التطوع: ٥٣
- ٢- وصال النبي ﷺ الصوم..... ٥٤
- ٣- قيام ليلة القدر وعلامتها ٥٦
- ثالثاً- اهتمام الداعية بالحج وما يتعلق به..... ٥٧
- ١- الاستعداد للحج والتهيؤ للخروج، والمرور بالمليقات ٥٨
- ٢- أنواع النسك ٥٨
- ٣- التزول بنمرة والخطبة فيها ٥٩
- ٤- الذهاب إلى منى ورمي جمرة العقبة..... ٦٠
- رابعاً- اهتمام الداعية بالجهاد..... ٦٢
- خامساً- مكانة الذكر عند الداعية ٦٥
- المَبْحَثُ الثَّالِثُ - فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِأَخْلَاقِ الدَّاعِيَةِ..... ٧٠**
- أولاً- الْجِلْمُ ٧١
- ثانياً- الثقة بالنفس..... ٧٣
- ثالثاً- الدِقَّةُ في الوصف: ٧٤
- رابعاً- الصَّبْر ٨٠
- ١- الصبر على طاعة الله ٨٢
- ٢- الصبر عن معصية الله ٨٣
- ٣- الصبر على البلاء ٨٤

٨٦	خامساً- الشفقة والرحمة
٨٩	سادساً- التواضع
٩١	سابعاً- الزهد
٩٢	ثامناً- حُسْنُ العِشْرَةِ
٩٨	الفصلُ الثَّانِي: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الأَمْثَالِ المِتَعَلِّقِ بِالمَدْعُو
٩٩	مقدمة: في أصناف المدعوين
١٠١	المبحث الأول: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الأَمْثَالِ المِتَعَلِّقِ بِاسْتِجَابَةِ المَدْعُو
١٠٢	أولاً- تعريف الاستجابة
١٠٢	ثانياً: نَفْعُ المُسْتَجِيبِينَ لدعوة النبي ﷺ وكرههم
١٠٥	ثالثاً: فضل المُسْتَجِيبِينَ لدعوة النبي ﷺ
١١٦	رابعاً- أبرز دواعي الاستجابة
١١٦	١- احتساب الأجر عند الله
١١٧	٢- قَهْرُ المُؤْمِنِ لعدوّه الشيطان
١١٨	٣- الخوف من العقوبة:
١٢٢	خامساً- الخصائص العامة لاستجابة المدعوين، وبعض تطبيقاتها
١٢٣	المبحث الثاني: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الأَمْثَالِ المِتَعَلِّقِ بِإِعْرَاضِ المَدْعُو
١٢٤	أولاً- تعريف الإعراض
١٢٤	ثانياً- ضرب المثل لكثرة المعرضين وإصرارهم على الإعراض
١٣٣	ثالثاً- دواعي الإعراض عن الحق
١٣٣	١- الكبر
١٣٥	٢- النظرة القاصرة لما تؤول إليه الأمور
١٣٦	٣- تضجر الداعية
١٣٧	٤- الجهل
١٣٩	٥- البخل
١٤١	٦- طلب الدنيا والعمل من أجل متاعها
١٤٢	٧- اتباع الأهواء والبدع
١٤٥	رابعاً- عاقبة المعرضين عن دعوة النبي ﷺ:
١٥٤	الفصل الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بمنهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها
١٥٤	المبحث الأول: المناهج الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة:

١٥٤	أولاً: المنهج العاطفي.....
١٦٨	ثانياً: المنهج العقلي:
١٧٧	ثالثاً: المنهج الحسي:
١٨٦	المبحث الثاني: الأساليب الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة.....
١٨٧	أولاً- أسلوب الحكمة
١٩٤	ثانياً- أسلوب الترغيب
١٩٤	أهمية الترغيب
١٩٥	أ) الترغيب في الإسلام.....
١٩٧	ب) الترغيب في الوضوء والخشوع في الصلاة.....
١٩٩	ج) الترغيب في ملازمة المسجد، وصلاة الجمعة.....
٢٠٠	د) الترغيب في التكبير لصلاة الجمعة.....
٢٠١	هـ) الترغيب في الجهاد.....
٢٠٢	و) الترغيب في قراءة القرآن وتعاهده بالتلاوة.....
٢٠٤	ز) الترغيب في اتباع الجنائز، والصلاة عليها، ودفنها.....
٢٠٥	ح) الترغيب في إتباع السيئة الحسنة.....
٢٠٦	ط) الترغيب في سكنى المدينة.....
٢٠٨	ثالثاً- أسلوب الترهيب
٢٠٩	أهمية الترهيب
٢١٠	أ) الترهيب من النفاق.....
٢١١	ب) الترهيب من مخالفة العمل للقول.....
٢١٣	ج) الترهيب من الكيد لأهل المدينة.....
٢١٤	د) الترهيب من مجالس الغفلة.....
٢١٥	رابعاً - أسلوب الجدل.....
٢٢٠	خامساً- أسلوب الرفق.....
٢٢٢	سادساً- أسلوب التوكيد.....
٢٢٥	سابعاً- أسلوب التحذير.....
٢٢٦	أ) التحذير من الإحداث في الدين.....
٢٢٧	ب) التحذير من الوقوع في حدود الله.....
٢٢٨	ج) التحذير من محقرات الذنوب.....

٢٣٣	المبحث الثالث: الوسائل الدعوية الواردة في أحاديث الدراسة
٢٣٣	١- تعريف الوسائل
٢٣٣	٢- مشروعيتها
٢٣٥	٣- أنواع الوسائل
٢٣٥	النوع الأول: الوسائل الحسية المادية
٢٣٦	الوسيلة الأولى- وسيلة القول
٢٣٦	الوسيلة الثانية- الحُطْبَة
٢٣٨	الوسيلة الثالثة- وسيلة التعليم
٢٤٧	الوسيلة الرابعة- وسيلة المال
٢٤٩	الوسيلة الخامسة- وسيلة القوة
٢٥٢	النوع الثاني- الوسائل المعنوية
٢٥٣	الوسيلة الأولى- ذكر الله
٢٥٦	الوسيلة الثانية- القدوة الحسنة
٢٦١	أبرز الضوابط المنهجية للقدوة في الدعوة إلى الله
٢٦٩	الفصل الرابع: فقه الأمثال المتعلق بموضوعات الدعوة
٢٦٩	المبحث الأول: فقه الأمثال المتعلق بالعبادة
٢٦٩	تعريف العبادة لغة واصطلاحاً
٢٦٩	الجانب الأول: الإيمان بالله وما يتصل به
٢٧٠	أولاً- عناية النبي ﷺ بالفائقة بالبراءة من سائر المعبودات سوى الله
٢٧١	ثانياً- الدعوة إلى إبقاء الفطرة على حِلَقَتِهَا التي خلقها الله عليها
٢٧٤	ثالثاً- الإيمان بصفات الله
٢٧٤	الصفة الأولى- صفة الكلام
٢٧٥	الصفة الثانية- إثبات اليد لله تعالى
٢٧٧	الصفة الثالثة- إثبات الأصابع لله تعالى
٢٧٨	الجانب الثاني- الإيمان بنبينا محمد ﷺ، وما يتصل به
٢٧٨	أولاً- الإيمان بأنَّ محمدًا ﷺ خاتمُ الأنبياءِ
٢٨٠	ثانياً- تحقق رؤياه ﷺ، وخلوته بربه
٢٨١	ثالثاً- الإيمان بأنه ﷺ بشر، يعتريه ما يعتري البشر
٢٨٢	رابعاً- تصديقه فيما أخبر به ﷺ

٢٨٤	الجانب الثالث-الإيمان باليوم الآخر، وما يتصلُ به
٢٨٥	المحور الأول: العلامات التي تسبق قيام الساعة
٢٨٥	العلامة الأولى- كثرة وقوع الموت
٢٨٧	العلامة الثانية- كثرة الفتن
٢٨٩	العلامة الثالثة- ظهور الظلم وفتنة النساء
٢٩٠	العلامة الرابعة- فتنة المسيح الدجال
٢٩٠	(١) حوارقه التي يمكنه الله منها
٢٩٢	٢- نهاية أمره على يد عيسى بن مريم عليهما السلام
٢٩٣	العلامة الخامسة- إخراج الأرض كنوزها المخبوءة:
٢٩٥	العلامة السادسة- اندراس الإسلام
٢٩٧	المحور الثاني- أهواله وهي الأحداثُ العظيمةُ التي تحدث فيه
٢٩٨	أولاً- البعث
٢٩٩	ثانياً- قصة صاحب البطاقة
٣٠٠	ثالثاً- الورود على الحوض
٣٠٢	رابعاً- المرور على الصراط
٣٠٤	المحور الثالث- خاتمته بالجنة أو النار
٣٠٥	القسم الأول- الإيمان بالجنة
٣٠٥	أولاً) درجات الجنة ومنازلها
٣٠٦	ثانياً) صفات أهل الجنة
٣٠٩	ثالثاً) رؤية الله يوم القيامة وهي خاصة بالمؤمنين
٣١٠	رابعاً- الخلود
٣١١	القسم الثاني- الإيمان بالنار
٣١١	أولاً) خروج بعض أهل النار منها
٣١٣	ثانياً) صفات أهل النار
٣١٥	ثالثاً- الخلود
٣١٦	الجانب الرابع- ثمرات الإيمان وعواقب الكفر والنفاق
٣٢٠	المبحث الثاني: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالعبادة
٣٢٠	أولاً- تعريف العبادة لغة واصطلاحاً
٣٢١	ثانياً- ثمرات العبادة:

٣٢١	الشمرة الأولى-حماية الله والنجاة المحققة بإذن الله:
٣٢٢	الشمرة الثانية-الرزق وعناية الله:
٣٢٣	الشمرة الثالثة-الأجور العظيمة التي لا يعلمها إلا الله:
٣٢٤	ثالثاً-صحة النية في العبادة:
٣٢٦	رابعاً-العبادات الواردة في أحاديث الدراسة:
٣٢٧	المحور الأول: التبليغ:
٣٢٨	المحور الثاني: أسس العبادة:
٣٢٩	(١) العناية بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له:
٣٢٩	(٢) العناية بالدعوة إلى الصلاة وما يتعلق بها:
٣٣٨	(٣) العناية بالدعوة إلى الصيام:
٣٤٢	(٤) العناية بالدعوة إلى الصدقة:
٣٤٦	(٥) العناية بالدعوة إلى الحج والعمرة وما يتعلق بهما:
٣٤٩	(٦) العناية بالدعوة إلى ذكر الله والدعاء:
٣٥٤	المحور الثالث-مسائل مهمة لتحسين وحفظ العبادة:
٣٥٤	١- الالتزام بالسنة، والسمع والطاعة، ولزوم الجماعة.
٣٥٨	٢- الجهاد:
٣٦١	٣- المهجرة ومفهومها:
٣٦٤	فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالأخلاق
٣٦٥	المبحث الثالث: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالأخلاق
٣٦٥	١- العناية بموضوع الصبر
٣٦٧	٢- العناية بموضوع الحلم والإحسان للأرحام
٣٦٩	٣- العناية بموضوع عفة اللسان وطيب الكلام
٣٧٠	٤- العناية بموضوع الوفاء وحسن القضاء
٣٧٢	٥- العناية بموضوع التراحم والتوادد والتعاطف
٣٧٤	٦- العناية بموضوع التقلل من الدنيا
٣٧٥	٧- العناية بموضوع محبة الصالحين ومجالستهم
٣٧٦	٨- العناية بموضوع الرفق
٣٨١	المبحث الرابع: فقه الدعوة من الأمثال المتعلقة بالمعاملات
٣٨١	أولاً- البيع

٣٨٣ ثانياً- الشَّرِكَةُ فِي الْمَلِكِ أَوْ الْإِجَارَةِ
٣٨٦ ثالثاً- الغصب
٣٨٨ رابعاً- الدعاوى
٣٩٢ خامساً- القرض
٣٩٧ سادساً- الهبة
٤٠٠ سابعاً- اللُّقْطَةُ
٤٠٢ الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ: فِقْهُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمُحَرَّمَاتِ
٤٠٤ أولاً: النفاق
٤٠٦ ثانياً- السَّحْرُ
٤٠٨ ثالثاً- الاعتداء بكل صورته
٤١٢ رابعاً- منع الزكاة
٤١٥ خامساً- الكِبْرُ
٤٢٠ سادساً- الزنى
٤٢٣ سابعاً- الكذب
٤٢٦ ثامناً- الغيبة
٤٢٨ تاسعاً- شرب الخمر
٤٣٢ عاشراً- الخوفُ مِنَ النَّاسِ وَالْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ
٤٣٣ الحادي عشر- اللَّعْنُ وَالتَّكْفِيرُ
٤٣٦ ثاني عشر- هَجْرُ الْمُسْلِمِ
٤٣٧ ثالث عشر- التَّشْدِيقُ فِي الْكَلَامِ
٤٤١ الخاتمة
٤٤٧ الفهارس
٤٤٨ فهرس الآيات
٤٥٦ فهرس الأحاديث
٤٧١ فهرس الأعلام
٤٧٧ فهرس المصادر والمراجع
٤٩٧ فهرس الموضوعات